كتاب

المنتخبات الكنيسيّة

في السيرة القدسيّة

المجلّد الثالث

طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومنيكيين

سنة ١٩٠٠

IMPRIMATUR

† FR. H. V. ALTMAYER

ARCHIEP. BABYLON.

مقدّمة المترجم

اني عند تأملي حالة البشر يأخذ مني الاسف كلّ مأخذ ار ونبي اياهم مهتمّين بأمور الدنيا هذا بتجارتهِ وذاك بتوسيع حدود املاكهِ وآخر باتباع اهوائهِ وغيرهُ بغير ذلك من الملاهي والاباطيل كأنهم لهذه الدنيا خُلقوا ولحطامها وُجدوا · وليس فيهم من يهتمّ بامر خلاصهِ الاهتمام الكافي ويجمع لهُ كنوزًا في السماء قيامًا بكلام الرب · ولهذا نسمع النبي يتنهّد بصواب قائلاً : « الربّ من السماء اطّلع على بني البشر ليرى هل من يفهم ويطلب الله · كلّهم قد زاغوا معًا والتطخوا · ليس من يعمل صلاحًا ولا واحدٌ » (مز ١٢ : ٢) *

فاعلم ايها القارىء اللبيب انك لم توضع في هذا العالم لتبني بيوتًا وتغرس اشجارًا وتكتنز لك كنوزًا · بل انمّا خلقت لامر اهمّ وغاية لا غاية اشرف منها الّا وهي

ان تقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس (ارمياء ١ : ١٠) اعني بذلك ان تستأصل من اعماق قلبك اشواك الرذائل وتغرس بمكانها اشجار الفضائل واغراس ازهى الشمائل فيصبح اذ ذاك قلبك روضة غنّاء تبهج الملائكة ويُسرّ بها الختن السماوي. بيد انّ هذا العمل الخطير لا يتمّ في سنة او سنتين بل يستغرق حياتنا كلها فهي عبارة عن حرب دائمة وجهاد غير منقطع وعمل لا يتمّ الاّ بفيضان الروح. وعليهِ فلا بدّ لنا من وسائط فعّالة تساعدنا كل المساعدة على اتمام ما دُعينا اليهِ وخُلقنا لاجلهِ ولا ريب ان المثابرة على التأمل والصلوة العقلية هي الطريق الفضلى المؤدّية الى ذروة الكمال ومجد القداسة ولهذا نسمع الرب يتشكّى بلسان نبيهِ قائلاً: « خربت الارض كلها من اجل انهُ ليس احدٌ يتفكّر بالقلب » (ابرميا ١٢ : ١١) *

قال مار فرنسيس سالس ان الله يهبنا ذاتهُ

بواسطة الاسرار ولكنهُ لا يجتذبنا اليهِ الاّ بواسطة التأمل. وقالت القدّيسة تريزية سيدة المتأملين. ان من يمارس التأمل ولو ربع ساعة في اليوم يُسلم نفسهُ من خطر الهلاك ويجعل خلاصهُ في امن وطمانينة. هذا والعقل نفسهُ يثبّت لنا انهُ بدون التأمل لا يمكن البتّة الحصول على شيء من الكمال المسيحي. لان هذا الكمال لا يقوم الا بممارسة الفضائل والتخرّج فيها حتى تصير فينا بمنزلة ملكات لا نشعر في افعالها بادنى تكلّف بيد انّ الفضيلة ايًا كانت لا نُقدِم على ممارستها الارادة ولا نعتادها ان لم يسبق العقل فيتروّى مليًّا في حسنها وبهائها وكثرة فوائدها ونموذجاتها وخيراتها فيرغّب الارادة فيها *

وهذا نفسهُ يعملهُ التأمّل اذ ان الاعتبارات التي يتاملها الانسان من شانها ان تُقنع العقل بالحقائق التي ضمنها وتحملهُ على استحسانها فيقدّمها للارادة بهذهِ هيئتها

الحسنة ويرغبها فيها فتميل اذ ذاك الارادة اليها وتصمّم على العمل بموجبها فتصدر المقاصد الصالحة والعزائم الجيدة *

فينجم مما تقدّم انهُ ينبغي لكل انسان يرغب تماماً في خلاص نفسهِ وتقدّمهِ الروحيّ ان يستعمل التأمّل ويفضلهُ على سائر رياضاتهِ التقوية الاختيارية ويخصص لهُ كلّ يوم اقلّ ما يكون ربع ساعة . وقلتُ كلّ يومٍ لان من اراد ان تكون ارادتهُ نشيطة في افعالها ثابتة في مقاصدها ينبغي لهُ ان لا يكفّ عن انارة العقل بحقائق الدين والاداب المسيحية . ولمّا كان المتأمّل يستقصي مراراً في طلب كتب نفيسة جليلة ذات عبارات مؤثرة ومعانٍ تنبعث منها روائح التقوى والورع فلتقرّ عينهُ بهذهِ التأملات التي وجدتها وسوف يجدها هو ايضاً طبق المرام . لاسيما اذا اعتبرنا انها مرتبة على افضل واحسن موضوع للتأمل ألا وهو حياة ربنا

ومخلصنا يسوع المسيح منذ مجيئهِ الى هذا العالم الى زمان مضيهِ الى الاب وارسالهِ روحهُ القدّوس *

فاقبل ايها المؤمن الورع هذهِ التاملات التقوية واغتذِ بها كلّ يوم اغتذاءك بالخبز الارضي فانها وعمر الحق تغنيك عن سواها ان احسنتَ التروّي بجليل معانيها . ولا تكتفِ بان تقراها مرّة او مرّتين على سبيل التنقيب والفضول بل أعد قراءتها مرارًا عديدة منعمًا النظر في معانيها ففي مثل هذهِ الاعادة افادة *

تنبيه

ان هذا المجلّد هو الرابع في الفرنسية وقد جعلناهُ ثالثًا في العربيّة لما لهُ من كبير علاقة مع المجلّدين الاولَين *

MÉDITATIONS

SUR

LES PRINCIPEAUX MYSTÈRES

DE N. S. JÉSUS-CHRIST

كتاب

التأملات الشهية في اجل الاسرار الالهية

وهو

الكتاب السابع

من منتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

الباب الأوّل

في اسرار الفرح (لزمان المجيء)

التأمّل الأوّل

في شوق الانبياء وفي الاستعداد بتقوى لزمان مجيء يسوع المسيح

ويأتي المشتهى لجميع الامم (حجي ٢ : ٨)

١ : انصتوا واسمعوا يا جميع المسيحيين المؤمنين بالرب الورعين ما جاء في الانبياء عن يسوع المسيح . نعم يجدر بنا في هذا زمان مجيء ربنا المقدّس ان نتذكر على الخصوص النبوّات العائدة الى سرّ تجسّد يسوع المسيح : ولهذا يتلى كل يوم على سماعنا جهراً ما كتبته الانبياء القديسون بخصوص المسيح لكيما باستماعنا لكلامهم تزداد عواطف حبنا للكلمة المتجسّد تأجّجاً *

ليت شعري ايّ اشواق كانت تسعر قلب الآباء والانبياء القديسين عند مجرّد تفكرهم في الوعد بمجيء المخلّص . فلنخجل نحن الذين وُجدنا بعد ظهور المسيح وعقبنا سرّ تجسّدهِ واشواقنا دون اشواق اولئك الآباء حرارة · اجل ان اشواقهم كانت تضطرم كلّ الاضطرام بمجرّد فكرهم بالكلمة الموعود بهِ *

ان ابراهيم ابا جميع المؤمنين ذاب شوقًا الى مشاهدة يوم المسيح الذي كان قريبًا ان يولد من صلبهِ كما راى ذلك بعين الوحي وابتهج كلّ الابتهاج لرجائهِ الوطيد بميلادهِ المقبل . وهكذا كثيرون غيرهُ من الابرار الاوّلين لما كشف لهم روح القدس عن مجيء المسيح شعروا غالبًا باجيج تلك الاشواق نفسها وكانوا يطلبون بالحاح وباقرب اوان مشاهدة كمال ذاك السرّ العظيم الذي نرى اليوم حقيقتهُ بفرح كما صرّح لنا بذلك الربّ يسوع بقولهِ لتلاميذهِ مدة تردّدهِ على الارض : « ان انبياء

كثيرين وملوكًا اشتهوا ان ينظروا ما نظرتم انتم فلم ينظروا» (لو ١٠ : ٢٤)*

٢ : فيظهر للعاقل من ثم ان من لم يردّد في فكرهِ ورغبة قلبهِ عظم الوهبة سرّ التجسّد وعظم الاحسان الذي احسن بهِ الينا المسيح بتأنسهِ لاجلنا فهو قليل المحبة لهُ . ومع ذلك فالرب المنّان يسرّ عادةً بمنحهِ للمتأملين اسرارهُ نعمة العبادة . كيف لا وهو الذي جاء الى هذا العالم ليفيض فيهِ بركاتهِ . فالمسيح حلوٌ وذكرهُ عذب ولا ريب ان النفوس التي تحبهُ وتنشط في عبادتهِ تجد فيهِ مواضيع تامل خصبة واسعة شهية مقدّسة لا يشاهد فيها المتهاونون والفاترون نورًا ولا يذوقون لها طعمًا . لان من لا يطلب التروّي في اسرار يسوع بتواضع ورغبة لا يستحق ادراكها . وعلى هذا كان الرب يسوع يقول لتلاميذه الاطهار: «لكم أُعطي علم سرائر ملكوت الله . فاما الباقون فبامثال .» (لو ٨ : ١٠)*

٢ : فمحبة يسوع تجتذب المحبّين له اجتذاباً شديداً الى الافتيات باقاويله الصادرة من فمه بطلاوة تفوق العسل حلاوةً وبالهذيذ في اعمال ناسوته الالهية تلك التي لا تسعنا الازمنة برمتها لنثمّنها حق تثمينها *

وقد اعتادت هذه النفوس الالتجاء في جميع احتياجاتها وسائر امورها الى يسوع صديقها الحبيب ومعزّيها الامين. لانهُ هو مصدر كلّ نعمةٍ وفضيلة ويقدر بكلمة بل باشارة واحدة ان يردّ الى النظام ما خرج عنهُ *

وعليهِ فانّ تلك النفوس تتعزّى بيسوع على انواع مختلفة وكلّ من يلتجئ اليهِ نظيرها بعبادة وتواضع يَعُد غالباً بانوارٍ عظيمة تنير عقلهُ. وكلّما اشتدّت علاقات حبهِ لهُ تعالى ارتفع بافتقاداتهِ الى انخطافاتٍ سامية. فلنبذلنّ اذن كلّ مجهودنا بان نقضي حسناً هذه الايام التقوية وليهذّ باطننا دائماً بفكرٍ مفيد في الشريعة

والانبيآء وشوق الاباَء الاولين وغور الاسرار السماوية والوحي المُقبل وخصوصاً في انجاز المواعيد كافةً *

٤ : وينبغي لنا ان لا نملّ ولا نكلّ من الصلاة لكي نشتدّ فينا محبة يسوع المسيح ونُعطى ادراك الامور الروحيَّة والاقوال النبويَّة فنتخرَّج هكذا في معرفة ابن الله ونزداد نموًّا في فضائل من ارتضى ان يتأنس لاجل خلاصنا *

بماذا تحتجين يا نفسي ان اهملتِ التفكر بنعمة عظيمة واي عظَمٍ وبماذا تجيبين يسوع يوم الحساب ان كفرتِ الآن باحسانات كثيرة وناهيكِ من كثرتها التي تميزك عن شعوب وأُمم عديدة وتخوّلك الفضل عليهم واي فضل *

وحقيقةً كم من الأنام الذين يجهلون بعدُ المسيح ولم يسمعوا قطّ من يكلّمهم عنهُ وكم من الذين احتقروهُ ولم يومنوا بهِ اما انتِ فقد أُعطيتِ لا فقط ان تومني

بهِ ونسمعي عنهُ اشياءَ كثيرة بل ان نقرإي وتفهي ما كُتب ونُبّئَ بهِ عن يسوع المسيح . فقومي اذن بشكر الله على احسانات هذه اوصافها وقد ابداها لكِ . واعكفي متبصرةً في هذهِ الاعمال الالهيّة . اجل ان كلّ ما كُتب وقيل عن المسيح لهو مملوءٌ روحًا وحقًّا وحلاوةً وحبًّا . فلا تنقصنا اذن المواد للتعبد ولا يعوزنا الوقت للتامل *

٥ : ان كتب القديسين وخطبهم عديدة فصيحة وقد رتّب اباؤُنا بكمال الترتيب كلّ ما يقتضي لتادية الفروض الالهيّة . فكيف نقول يا هذا اني لا اقدر ان احسن التامل وقد أُعدّت اشياءَ كثيرة لاجل تعزية جميع المومنين . ان الشتاءَ نفسهُ يلائم جدًّا التعبد والبلوغ الى الاتحاد بالربّ يسوع لان البرد لا يطفئ سعير الحبّ الباطن ولا يمنع اجيجهُ والليالي تسوّغ لنا بطولها اطالة صلواتنا وترانيلنا . بل حتى اضطراب

الجوّ والعواصف والجليد تمنعنا عن الخروج وتدعونا الى الاختلاء والتامّل . وكانّنا بالكلّ يقول لنا بلسان حالهِ : ليمكث كلّ منّا بزاويتهِ منكبّاً ليلاً ونهاراً على التفكر بيسوع المسيح لا غير . ولا يعبرنّ سدّة دارهِ لانّ الوقت لا يجوّز ذلك بل ليصنعنّ السبت الروحي معدّاً للربّ في نفسهِ منزلاً حسناً لائقاً بهِ . لانّ الفكر يكون حرّاً في الباطن قادراً على تامل الاشياء الالهية بقدر ما تكون الحواس الخارجة منتظمة ومصونة فكانّهُ لم يعد يبقى اذ ذاك في الانسان سوى نعمة وقوّة الروح القدس الذي بدونهِ تشقى حياتنا وتذهب مساعينا كلّها ادراج الرياح . لكننا بمعيتهِ لا نلبث ان نرتقي الى درجة عليا . وهذا حسب المحبّ وان كان في العلوم قاصراً بيد ان المبتدى يحتاج الى الروح ليفهم اذ ان بدونهِ لا تنفع العلوم ولا تلذّ الصلوة *

٦ : فاجتهد اذن بان تزيد عبادتك في هذا

زمان مجيء الرب الكلي قداسةً . وخصوصاً لما ترتل الكنيسة (الرومانية) هذه الانتفونا التي بدوُّها : « ايتها الحكمة » فيجب وقتئذٍ على القلب والنفس ان يرتقيا الى يسوع المسيح باعظم مودّة لانّ مجيئهُ هو موضوع اشواق امّنا الكنيسة المقدّسة *

ان ذاك صراخ الانبياء الابرار اعني بهِ : « أيّتها الحكمة » يحاكي حقيقةً صراخ كلّ نفس مؤمنة شديدة رغبتها عظيمة مودّتها تلتمس قدوم المسيح فكانها تهتف بين صلواتها اللفظية قائلة : يا يسوع الصالح والمحبوب في الغاية يا حكمة الآب الحقيقية الازلية الذي خلقتنا بنوع عجيب هلمّ الآن الى اولادك الساقطين وخلصهم بموجب التدبير الذي دبرتهُ بنوع اعجب ايضاً . هلمّ افتقدنا في سجن جسدنا بولادتك سالماً من فساد الجسد الاصلي لتخلص مختاريك الذين يثقل عليهم وقر الخطايا ويحزنهم هول الموت ايّ حزن . هلمّ أنر ظلمات هذا

العالم وطهّر الضمائر المعتمة لكي نُعتق من قيود الخطية فنفرح برحمتك ولكي ننهض بنعمتك فنتعزّى برجاء الخيرات الابدية بواسطتك يا يسوع المسيح نور النفس الحقيقي والمولود من الاب قبل كل الدهور . آمين *

التأمّل الثاني

في انهُ ينبغي لنا لقبول الملك السماوي ان نذهب للقائهِ

قولوا لابنة صهيون . ها هوذا ملكك يانيكِ

(اشع ٦٢ : ١١)

١ : ان الله تعالى اذ كلّم الآبآء والانبيآء في غابر الازمنة سبق فارسل شهوداً كثيرين يشهدون بتجسدهِ واليوم ايضاً يبشّر كل نفس مؤمنة بقدومهِ بالفاظ تكاد تضارع الفاظ الانبياء فيقول : ايها الروحانيون

المتصفون بروح النبوة وانتم ايضاً الذين تتلون النبوّات وتعرفون بالكتاب قولوا للنفس المنتظرة مجيئي بغاية الرغبة ان تفتح اعين ايمانها فيتجلي لها حضوري للوقت لانّ ما اطلبهُ هو نفس ترجو روبتي وتفكرٍ فيّ غالباً واني لا ازال اوحي الى هذه النفس بان لا تنعس نعاس الضجر لكن تستيقظ وتقوم وتنتظر *

فلنتصلّ اذن ولنتق اليّ ولا تمل . لنقرأ الكتب المنزلة لها السماء ولتنعم فيها النظر غالبا . لنُرَوّح قلبها بقراءتها وتتسبل الى زمان مجيئي فهاءنذا آتٍ ولا ابطؤ *

اني قد اخرت مجيئي زماناً طويلاً ولم اشأ ان آتي فجاءة ولذا ارسلت امامي رُسلاً عديدة فاعلنت غالباً بواسطتهم ارادتي واوامري لأثير الشوق وازيد فرح قدومي بهورًا وعظمة *

٢ : لعمري اذا اقتضى لملك عظيم ان يقدم الى محلّ ما تراهُ ينتظر فيهِ برغبة شديدة عظيمة . وعليهِ

فمن يتوق اليَّ توقاناً شديداً يزداد فرحاً بحضوري عند قدومي اليهِ . غير ان محبَّ العالم لا يستطيع ان يتوق اليَّ . واما من يستهين بكلّ تسليات العالم فيجمع فكرهُ وحواسهُ متجنّباً طيش القلب راغباً في الاشياء الباقية آنفاً من الاشياء الفانية فهذا يعجّل باشواقهِ وصلواتهِ يوم زيارتي وساعة قدومي وحضوري المجيد ويهتف قائلاً : هلمّ ايها الربّ زرني بسلام لكي افرح امامك من كلّ قلبي . هلمّ يا رغيبة قلبي ونور عيني وأمني *

انت رجائي يا رجاء اسرائيل . بك رجوت فلا تخزني . لاني اليك رفعت نفسي بشوقٍ . اني سأظهر عاجلاً واجلي عن ذاتي لهذه النفس التي تتوق اليَّ على هذا الوجه وتطلبني يوماً فيوماً : لاني انا الربّ الاهها المتكلّم بلسان الانبياء والى اليوم اكلّم الجميع . غير اني اكلّم بالأخصّ اصدقائي الأمناء ولاسيّما الذي يحبّني منهم ارقّ حبّ ويتوق الى ان يقبلني ويدخلني منزلهُ

باعظم احترام · هاءنذا حاضرٌ يقول الرب وقد تمت ايامي فلا ابطؤُ بعد · اني ساكمل كلامي وانجز وعدي ولا أمدّ شوق النفس · فما طلبتهُ يكون وما تاقت اليهِ يتمّ ويكمل : « اني انا هو المتكلم · هاءنذا حاضرٌ » (اشع ٥٢ : ٦) *

٢ : فافرحي وتهلّلي يا نفساً مومنةً لان هاهوذا ملكك ياتيكِ من السماء وهو الرب الاهك وخالقك وفاديك الذي انتظرتهِ زمناً طويلاً وتقتِ اليهِ بحرارة وها انهُ الآن مستعدٌ لياتيكِ فلا تخافي يا بنت صهيون · ها هوذا ملككِ ياتي . ها هوذا السماء التي ينزل منها والعالم الذي يدخلهُ *

ها هوذا شريعة النار في يمينهِ والغنى والمجد في يسارهِ . ها هوذا الملائكة ورؤساء الملائكة يحفون حولهُ · والانبياء يتقدمونهُ والرسل يصحبونهُ وافواج القديسين الكثيري العدد يتبعونهُ · انظري الى عظمة الآتي ·

فأمامهُ تتسارع عظمة السلاطين . وجميع قوّات السماء تبادر الى اتباعهِ *

ثمّ اعتبري انهُ ياتي بالوداعة والحلم والفقر والتواضع وهذه هي القاب المملكة البشريّة المعتيد ان يدين العالم بعدلهِ *

طوبى للعيون التي تبصر هذه الاشياء وتتأمل ليتيانها اعمال الملك الابدي . لانها لا ترى في تلك الاعمال شيئًا من أُبّهة هذا العالم فلا تجد غير تواضع وحلم في مجيء ملك ناهيك بهِ من ملك . فطوبى لكلّ من لهُ عيون الفهم الروحي ويبصر نور الحقّ الازلي بنور الايمان *

٤ : ان الجميع حتى الوثنيين انفسهم وغير المومنين يشاهدون هذا العالم المنظور باعين الجسد اما خالق العالم غير المنظور فلا يراهُ غير تلاميذ المسيح المحقّين والمحبّين لهُ من كلّ قلبهم وذلك بعيون العقل ليس

الآنَ . وبالحقيقة ان من يؤمن بيسوع المسيح يراهُ بالروح ومن يحبهُ بحرارة يملكهُ *

فعلى هذا الوجه كان يراهُ الآبآء القديسون والانبيآء الاولون الذين انبأُوا بمجيئهِ قبل حدوثهِ بكثير وتنبأُوا عنهُ نبوّات عديدة لان الانبيآء كانوا يُدعون في غابر الزمان بُصَرَآء لانهم كانوا يبصرون سلفاً ذاك الذي كان يجهلهُ غيرهم . وكانوا يجتهدون باقوالهم وكتاباتهم ان يعرّفوا بهِ عامّة الناس *

فعلى هذا المنوال نرى نحن ايضاً يسوع في الباطن نحن الذين اتينا الى الايمان بعد التجسّد . لان كلّ ما نسمعهُ ونقراهُ عنهُ نحفظهُ في اذهاننا حفظاً ثابتاً . وما تنبأَت بهِ الانبيآء بصدقٍ وايّدتهُ الرسل بثباتٍ وجلدٍ نعترف بهِ ونعظمهُ ونذيعهُ *

فطوبى اذاً للعيون التي لم ترَ المسيح في جسدهِ ومع ذلك تؤمن بهِ بامانة وتكرّمهُ بعبادة وتحبهُ بعفاف

ونتوق الى قبولهِ بحرارة *

٥ * ها هوذا ملكنا ياتي من السماء فهلمّوا نذهب للقائهِ بفرحٍ ونقبلهُ بقبلاتٍ تقويةً . لتفرح السموات اي محبّوا التأمل كلّ الحبّ ولتبتهج الارض طرباً اي السذّج محبّوا العيشة في الاعمال امام وجه الربّ لانهُ ياتي . نعم ياتي ليخلّصنا ويهبنا ذاتهُ . ابتهجي ايتها الجبال واطلقي لسانكِ بالتسبيح . بثّوا عذوبة اقاويلكم ايها المعلّمون الكرام . لتفض التلال حليباً وعسلاً لتسلية جميعنا الروحيّة . اضربوا في البوق في صهيون وليستيقظ الفاترون من خدر فتورهم ليجتمع المتفرقون وليتشجّع الجبناء . ليتعزّ الحزانى ولينتصب المرضى . ليجتمع الجميع وليسارع كلّ واحد الى ترك منزلهِ لانهُ قد قرب اليوم العظيم لاسرائيل . يوم الرب المقدّس . يوم عيد الملك الابدي *

افرحي يا اورشليم واجتمعوا يا جميع المؤمنين

المحبين ليسوع المسيح بهجة كلّ من يحبهُ . لانهُ لن يظهر في الضوضاء بابهة باهرة لكنكم ترونهُ في الباطن بروح الحلم والوداعة . فلتفرح اذن جميع الشعوب والقبائل والالسن ولتتهيأ لقدومهِ *

اما انتِ ايتها النفس الورعة . يا بنت صهيون الكلية الانعطاف الى الاهك فبكِ خاصةً يليق الفرح نعم اليكِ بوجه الرب كلامهُ بلسان نبيهِ واياكِ يامر امرًا خصوصيًا . انهُ يدعوكِ باسمكِ دعوةً حبية لكي تسمعي وتشاهدي من هو هذا القريب ان ياتي اليكِ . فها هوذا ملككِ ياتيكِ .هوذا ملككِ . فليس هو ملكًا ارضيًا زمنيًا مائتًا لكنهُ سماويٌ ازليٌ غير مائت . وياتي لا ليملك في العالم لكن ليخلّص العالم بدمهِ . انهُ ملككِ لا ملك العرب او الرومانيين . لكن ملك الملوك وسيد جميع السادات . بهِ يملك الملوك في العالم وبدونهِ لا يحوز احدٌ اكليل المجد الابدي . ان هذا

الملك ملك السمآء ولم يات ليتملك على الارض لكن ليُعطي ملكوت السماوات . فمن اراد ان يخدمهُ اشركهُ في ملكهِ ومن رفض الخضوع لهُ تكبرًا طرحهُ خارجاً*

هوذا ملككِ الذي تتوقين اليهِ وتحبينهُ وتؤمنين وترجين بهِ . انهُ حقًّا ملك عام على جميع الخلائق وهو ملككِ الخاصّ لحبهِ لكِ كما انهُ عروسكِ الخصوصي وصديقكِ الودود . اجل انهُ خاصتكِ لانهُ منتبه عليكِ اعظم انتباهٍ . ولان حراستهُ لكِ ذات فاعلية كبرى ووداده احن واقترانهُ اشدّ بحيث يسوغ لكِ ان تقولي بكلّ صواب : « ملكي والهي . » لانهُ احبكِ منذ الازل والآن ينحدر من السمآء كرسي مجدهِ لينجّيك ويخلّصكِ . وان اردتِ ان تطلبي فيهِ مجدكِ فلا اعلم بالحقيقة كيف يتيسر لكِ ان تحزني او تيأسي *

٦ : انهُ حقًّا ملك جميع الاشيآء ومنظمها . وما صنعتهُ قدرتهُ تدبرهُ حكمتهُ . بحيث يجب علينا ان

نسبيّة بكلّ صواب ملك الكلّ وسيدهم. وهو مع ذلك ملكك لنعمة مواهبهِ الخصوصية. لهُ تخضع السماء والارض وهو يدبر بقدرتهِ كلّ خليقة ويرتّب بحكمتهِ جميع الاشياء. سلطتهُ لا يقاومها احد. وقدرتهُ لاتزال مع حكمتهِ ثابتتين فيهِ وقد صنع كلّ شيءٍ وليس لعظمتهِ حدّ *

فيا ما اجلّهُ وما اعظمهُ بالنسبة الى جميع الملوك والامرآء. وهو الذي عنهُ قال المرتّل في مزاميرهِ: « ان الله هو ملكي قبل الدهور صانع الخلاص في وسط الارض » (مز ٧٣ : ١٢) *

انهُ ياتي. نعم ياتي لا بحلّة من الارجوان والكتان الناعم يتلألأ فيها الذهب والفضة. ولا على خيل مجمّلة بعددٍ فاخرة. او بشعار يستلفت الانظار ولا بصوت البوق والقيثار. لكن بالتواضع والفقر والوداعة والمحبة لكي يحبهُ الناس احسن من ان يخافوهُ

ولكي يجذب اليهِ الخطاة احسن من ان يدفعهم عنهُ *

٧ : ولكن لماذا ياتي ؟ انهُ ياتي بحبهِ المفرط الذي احبك بهِ لينجي ما كان هالكًا . انهُ ياتي من اجل احتياجاتكِ وضعفكِ المتفاقم من كل جهة . انهُ ياتي ليخلصكِ من خطاياكِ ويطهركِ بسفكهِ دمهُ الكريم . انهُ ياتي ليبدد جهلكِ ويريكِ طريق الحق . انهُ ياتي ليساعد ضعفكِ ويعلمكِ الصبر على الشدة . انهُ ياتي ليقلع منكِ حبكِ المنحرف للارضيات ويرفعكِ الى محبة السماويات . انهُ ياتي ليعلم الفضائل ويبيد الرذائل . انهُ ياتي ليفيض نعمتهُ ويفرح بعذوبة تسلياتهِ السماوية . انهُ ياتي ليملأكِ من جميع الخيرات وينزع منكِ كل الشرور . انهُ ياتي ليهب لكِ الغبطة الابدية ويحتمل لاجلكِ الشدائد الزمنية . انهُ ياتي ليملككِ كل مالهُ ويهب لكِ ذاتهُ فضلاً عن جميع هذهِ الخيرات لتتنعمي بهِ الى الابد *

اجل انهُ ياتي بذاتهِ قابلاً عليهِ النصب والالم لكي

تحظي انتِ بهِ الى الابد . انهُ ياتي فقيراً لتصيري انتِ غنية وياتي منفياً لتملكي انتِ معهُ . انهُ ياتي ليكون طريقاً للضالّ وحقيقةً للجاهل . وحياةً للميت ونوراً للأعمى وطبيباً للمرضى ومعزّياً للكئيب ونجاةً للمشجوب ومشيراً للمخدوع وخلاصاً لقاطع الرجاء . فلهذا ياتي وهذا ما وهبهُ لكِ بمجيئهِ المفيد للخلاص *

٨ : انهُ لم يرسل ملاكاً ولا رئيس ملائكة ولا اباً من الآباء الاوّلين ولا نبياً . لكنهُ جآء بذاتهِ هو ملك الملائكة ومعلّم الانبياء ليخلّصكِ . لانهُ هو نفسهُ الربّ الملك الذي صنعكِ *

لعمري ان جميع الملوك والانبيآء الذين كانوا قبلهُ لم يقدروا على تخليص احدٍ من ايدي الموت ولا على ارشادهِ الى الحيوة الابدية . امّا هذا الملك القدير العظيم في جميع القرون فسوف ينجّي شعبهُ من سلطة الموت ويحلّ قيود الجحيم ويقود مختاريهِ الى الفردوس *

٩ : انكِ لو عرفتِ حسناً واعتبرتِ حقّ الاعتبار من هو هذا ملك المجد وما هي عظمتهُ لتفتّحت ابواب قلبكِ برغبة عظيمة وادخلتِ عندكِ ملك المجد الابدي · لانهُ ينبغي لكِ ان تقبليهِ بفرح جزيل وكرامة سامية واستعداد جليل · فلو قال لكِ احد ملوك الارض او امرائهِ : اني آتٍ اليكِ غداً · فهيّئي لي منزلاً . اني اريد ان احلّ في بيتكِ · فبايّ اجتهاد تجتهدين وايّ ماخذ ياخذ منكِ العجب · والحال ان ملك السماء يقول لكِ اليوم بلسان نبيهِ : « تأهّب يا اسرائيل لزيارة الهك لاني آتي واحل في مسكنك » فوثّري اذن فراش قلبكِ لتضيفي عليكِ هذا الضيف لانهُ لا يريد فقط ان ياتي اليكِ بل وان يسكن فيكِ ايضاً ويستريح استراحة طيبة كما في فراشهِ العرسي *

طوبى للنفس التي تستحق ان تضيف عليها ضيفاً ناهيكِ بهِ من ضيف لان الذي لا تستحق جميع

الخلائق ان تحويهُ تجتذبهُ هي الى خفايا قلبها بحرارة حبّها اجتذاباً تذوق بهِ في الباطن راحةً تعظم بها سعادتها بقدر تجرّد تلك النفس من الالتذاذ بكلّ شيءٍ ظاهرٍ . نعم طوبى لتلك النفس التي يرتضي الملك المتعالي ربّ جميع الملوك ان يحلّ فيها من العلاء لا لكي يدينها او يخيفها بل ليزورها ويسلّيها بحنوّهِ تسليتهُ لنفسٍ يعرفها حقّ المعرفة وقد اختارها للسعادة والغبطة *

فهكذا يأتي الملك المملو وداعةً ليفتقد ويعزّي جميع الباكين في صهيون ويمنح السلام لسكان الارض ويؤجّل الحكم المهول ويوسع رحمتهُ ويغفر للخطاة ويقبل التائبين ويهب النعمة لكلّ واحد ويعطي في آخر الامر المجد الابدي لجميع الذين ينتظرونهُ للفوز بالخلاص . آمين *

التأمّل الثالث

في ولادة يسوع المسيح — وفي اعياد النفس [1]

«ان النور جاء الى العالم» (يو ٣ : ١٩)

١ : ايها الآب القدير اسألك ان تساعدني لاجد حسب رغبة قلبي في عظمة هذا يوم عيد ابنك الحبيب ربّنا يسوع المسيح موضوع تأمّل شهيٍّ نقيّ يحمل جبانتي على العبادة وتاديـة الشكر. انر قلبي بنور حكمتك الغير المنظور يا من انار هذه الليلة الكلية القداسة انارةً تامّة بطلوع النور الحقيقي وامر ان يُحتفل بهذا اليوم العظيم بعيدٍ مملوء فرحاً وحبوراً. فلا يحلو بعينيّ فرحٌ ولا عيدٌ ان لم تُنِر اوّلاً عقلي حتى اذا ما خلص من شغب الرذائل المظلم يتخطف في تأمّله في عيدٍ هذه عظمتهُ *

(١) ان هذا التأمل يوافق جميع الاعياد *

يا لعيد سعيد فيهِ يشعر القلب بالراحة والسلام وفيهِ تدعو انت النفس الى الشبع التامّ من ماَدبك الروحيّة . لأنّ العيد الذي لا يحتفل بهِ قلبي لا اعدهُ عيداً . ولهذا تقام الاعياد غالباً باحتفال ظاهر لكي تحتفل بها النفس باعظم لذّة واوفر انبساط . لأنّ الاعياد الظاهرة تحثّ على الباطنة وكأنّها تشير الى الافراح الابديّة . فإِذا اتّفق انسان داخلي وارتبط برباطات الوفاق ومبادلة الافراحِ مع الاعياد الخارجة فلم تعد لي تلك الاعياد اعياداً بسيطة بل تكون من الاعياد ذات الدرجة الثانية لانّ ما يصنع في الظاهر يتمّ باعظم قداسة في الباطن *

٢ : ولمَ انعت تلك الاعياد بذوات الدرجة الثانية وهي مع ذلك من الدرجة الاولى لا بل وهي من الدرجة الاولى الكبيرة (١) والنفس المتورّعة

(١) اعلم زيادةً في الايضاح ان في اعياد الكنيسة

الروحانيَّة تدرك ذلك حقّ ادراكهِ . تلك التي تحتفل عادةً بهذهِ الايام بالروح والحقّ . لان الانسان الروحاني « يفحص كلّ شيء » (١ قور ٢ : ١٠) ويعرف عظم التغاير الموجود بين العيد الباطني والخارجي وكم يفوق هذا ذاك بفرح خصوصي اجل انهُ يعرف ذلك بخبرة حسنة طيّبة كيف لا والرب يسوع المسيح يرتضي ان يأتي اليهِ ويتجلّى لهُ في هذا يوم العيد *

وبالحقيقة ان الاعياد الكبيرة يُحتفل بها اكراماً ليسوع المسيح نفسهُ فسقياً للنفس التي يأتي اليها

مراتب . فمنها الاعياد ذوات الدرجة الثالثة وهي البسيطة التي كثيراً ما لا توصي الكنيسة اولادها جهاراً بذكرها كعيد مار فيلبس مثلاً . ومنها الاعياد ذوات الدرجة الثانية وهي جميع التذكارات على سبيل التقريب . ومنها الاعياد ذوات الدرجة الاولى الصغيرة وهذه الاعياد منها احتفالية ومنها غير احتفالية . ومنها اخيراً الاعياد ذوات الدرجة الاولى الكبيرة وهي اعظم الاعياد وكلها احتفالية كعيد الميلاد (المترجم) *

يسوع ويمنحها غبطة رويتهِ . وعلى ظنّي ان النفس لا تنجذب دائماً الى الله بعاطفة واحدة من عواطف العبادة وبتلك العاطفة نفسها . ولا يزورها الحبيب بوجهٍ واحد . وعليهِ يمكننا ان نقدّر كما يجب اختلاف الاعياد بموجب عظم او صغر احسان زيارات ذاك الحبيب . بحيث ان العيد يصبح في الدرجة الثانية للنفس حينما يبتهج باطن الانسان وظاهرهُ على السوآء بالالآه الحيّ كما يقول داود النبي (مز ٨٣ : ٢) بشرط ان يكون ذاك السرور العظيم المفاض في القلب يطلب التدفُّق باقوال وحركات خارجيّةً ويطيب للنفس الفرح في الرب باناشيد والحان تقويةً *

والحالة هذهِ ان العيد يكون من المرتبة الثانية اذا كانت سكرة الانسان الباطن عظيمة ولذّة الانسان الظاهر محسوسة بحيث ان الضعف البشري لا يمكنهُ ان يسعها ويحتملها لشدّة حبهِ . فليس بوسع الالفاظ

البشريَّة ان تعرب عمَّا تشعر بهِ النفس في باطنها حينما يزورها الله في ذاك العيد البهيج . ولكن ينبغي لنا ان نحجب ببرقع السكوت احسانات هذهِ اوصافها لمَّا ينعم الله علينا بان نشعر بمثلها . ومَن احسن العلم بها في الخلوة والسكوت لا يسوغ لهُ ان يتفاوض عنها الاَّ مع الله تعالى وذلك بخفية . لانهُ يجب ان تصمت كلّ خليقة وقتما يكلّم الله النفس كلاماً يفوق ادراك العقل . فيا ما احسن ما تتعلمهُ النفس اذ تتفاوض هكذا مع الله وحدهُ *

فيا ايها الحق المعلّم . يا ما اسرع وما اكمل اعتقاد من تُظهر لهُ نفسك . ففي هذا العيد تنكشف موائد المذبح وتصعد ذخائر القديسين ويصرّح للنفس المحبَّة بخفايا الكتاب . وتُعلن اسرار الوطن السماوي وحالة القدّيسين والمكافآت الابديَّة وفي ذلك تعزية النفس الخصوصيَّة *

٣ : فيا لعيد جليل بهيّ لا يُعطى الاحتفال بهِ الاّ لقليلٍ من الناس . اما المولعون بالدنيا فهم بعيدون عن هذهِ الحفلات المقدّسة اولئك الذين لا يذوقون سوى ما كان ارضيًّا ولا يرون سوى ما كان ظاهرًا ويعدّون جهالة بل شبه لا شيءٍ كلّ ما ليس لهُ ظواهر خارجية فتانة. وكثيرًا ما ياخذهم العجب من كون الصالحين يقدرون على الاتحاد بالله والامساك عن الملاذّ البدنية . لانهم يجهلون ايّ تعزية باطنة يذوق من يكفر بجميع افراح هذا العالمِ حبًّا بالله . نعم انهم يجهلون ذلك ولا يعرفون شيئًا منهُ لحبهم وتتبعهم لظواهر الاشياء لا غير *

٤ : ولكن متى تحتفل النفس بعيدٍ وسيم ذي درجة اولى فيا حبّذا لو قيل لي ذلك واقف على حقيقتهِ اذا امكن قول ما كان سرًّا غامضًا في الغاية لا تشرحهُ مقدّمة من المقدّمات المنطقيّة. والحالة هذهِ

فاذا اختُطفت النفس مرارًا بالروح وتغاضت عن كلّ ما يحدق بها حتى ذاتها وامتلأت من فكر الله فقط . واذا خرجت من حيز الاشكال الجسدية وغاصت في لجَّة النور الالهي بتاملها الاشياء الابدية . فلا ريب انها تقيم اذ ذاك عيدًا احتفاليًّا . كيف لا وقد انارتها الشمس الازليَّة باشعتها فارتفعت فوق كلّ خليقةٍ ارتفاعًا مجيدًا في الغاية . ولكن من الظاهر ان ذلك كلَّهُ يتعلق بمجد السعادة الابديَّة اكثر مما بنفس الحيوة الحاضرة . فلا يوجد اذن الآن سوى اسم عيد احتفالي وذكرهُ دون حقيقتهِ . لان بهآءهُ التام مذخورٌ للقدّيسين في السماء *

فيا عيد الاعياد الذي تجتمع فيهِ الملائكة والبشر ليسبحوا معًا الآله الواحد في ثلاثة اقانيم ليت شعري باي عظمة يرتلون واي فرح عذب يفرحون في ذاك المقرّ السعيد حيث لا يزالون يعاينون الله

معاينةً جليّةً و يتبصّرون فيهِ تبصُّراً في غبطةٍ . وبلاه. ان ذكر هذا الحبور وذاك الاحتفال السماوي الابدي هو الذي يجعل حقيقيًّا كلّ عيد من الاعياد الحاضرة المبهجة تمجّهُ الاسماع *

٥ : فاذاً كلّ مرّةٍ نقام الاعياد باحتفال على الارض ينبغي لنا ان نتوق ونرتفع بجميع عواطف عبادتنا الى ذاك العيد الاحتفالي الابدي ذي العظمة الغير الموصوفة والغير المدركة . ومن ثمّ فان اعيادنا هي بالحري شبه مقدّمة لذلك العيد الابدي لا اعياد حقيقية . بيد انها نبتدي هنا بنور الايمان وتكمّل في السمآء بنور المجد . فهنالك الملائكة تسبح تسابيحها الجليلة والانفس القدسيّة تغنّي بنغمة لا انغمة اطرب منها. هنالك الجميع يفرحون في حضرة الخالق باتحاد تامّ . فاذا أُعطينا مراراً الشعور بقليل من تلك السعادة . فليس ذلك بشيءٍ زهيد *

من ذا الذي لا تسرّهُ الاقامة مع زمر الملائكة المنشدين الاناشيد وبمكانٍ لايوجد فيهِ بلبلة ولا طيش مشتّت ولا شغل مشغل ولا اضطرار ملزم ولا محبّة رديئة ولا مخيلة منحرفة ولا داعٍ للقلق والتجربة ولا اهمال ولا خجل ولا تعب ولا ضجر ولا نصب لكن سلامة وطمانينة تامّة وفرح سامٍ وعذوبة دائمة واتحاد غير منفصل وضياء الهيّ وسعادة كاملة وامن تام *

٦ : فيا ما اقصر وما اقل ما نفعلهُ في حفلاتنا يا ما انقص وما اظلم ما نحتفل بهِ اذ اننا ما دمنا محاطين بظلمات فسادنا حاملين جسد الموت فلا نكاد نفهم شيئاً من النور الدائم فهماً صريحاً واذا فهمناهُ فيكون ذلك بعقل محصور لان حفلاتنا تكاد تنتهي بعد ليلٍ ونهار اذ ان ضعفنا لا يستطيع ان يقيم العبادة زمناً طويلاً *

ويا حبذا لو قضينا معظم العيد في اناشيد

روحية وقصرنا في الزيارات العالمية *

ومن المعلوم ان جميع حفلاتنا الارضية هي نظراً الى الحق ناقصة غير كاملة ولو ارتفعت اصوات الترانيل او ضُرب في المعازف وأُعطينا ميداناً للفرح والحبور الباطني ايّ كانٍ . لان الفرح الحاضر لا يلبث ان يتبدّد ما بين الاشياء المضادّة لهُ ولا غرو في ذلك اذ اننا على الارض بصفة سوّاح ونزلآء وكلّ زمان حياتنا هو اجدر بالحزن منهُ بالفرح. والاحتفال بالاعياد اولى بسكان السمآء منهُ باولاد حواء المنفيّين *

ولكن لكيلا يضنينا بوسنا ويخمد نشاطنا وننسى احسانات الرب فقد اعتنت حكمة الله الازلية وقد رتّبت امّنا الكنيسة المقدّسة وفقاً لاشواق النفس ان يُحتفل كلّ عامٍ باعياد مخلّصنا يسوع المسيح وقدّيسيهِ لكي تتنشط بذلك العبادة وينتعش الايمان وتزيد المحبة. لاننا كلّما نمونا في محبّة الابديّات وتقدّمنا في الروحانيات

احتفلنا بالاعياد باعظم عبادة واكرمنا الله في تقديسهِ احسن اكرام . وبالحقيقة انما لهذا جآء النور الى العالم اي لكي يرينا طريق السمآء ويسعر قلبنا بنار حبهِ ويجرّدهُ من كلّ شيءٍ ارضيٍّ ويهبنا نور الحكمة ويبدّد عنّا ظلمات الجهل ويصيّرنا واحداً معهُ بجعلهِ ايانا ورثة ملكوتهِ وابنآء نعمتهِ وشركآء مجدهِ الابدي *

فيا ايها النور المجيد المنبثق من الاب . يا حكمة الله الباهرة . يا يسوع المولود في هذه الليلة من مريم العذرآء هبني ان اشكرك شكراً لائقاً بعبادة وارتّل لاسمك بصوتٍ عالٍ واحني لك قامتي باحترام واخرّ على ركبتيَّ باتضاع واسجد لك بوقار وارتّل مع الملائكة بعظمة : « المجد لله في العلى » لان لك المجد والكرامة . نعم يا رب المجد لك انت الذي ارتضيت ان تتأنّس لاجل خلاصنا . آمين *

التأمّل الرابع

في ليلة عيد الميلاد · وفي انهُ ينبغي لنا ان نطلب يسوع الطفل

«اطلبوا الرب ما دام يوجد · ادعوهُ ما دام قريباً»
(اشع ٥٥ : ٦)

١ : انهضوا يا معشر المسيحيّين المحقين وهلمّوا جميعاً الى حفلة ميلاد الرب . ها هوذا الليلة الكلية القداسة التي فيها اراد يسوع المسيح فادي البشر ان يولد من مريم العذراء المجيدة فانهضوا اذاً كلكم واسهروا. اعدّوا قلوبكم وصلّوا · قد جاء المخلّص فتعالوا اسجدوا. اطلبوا يسوع تجدوهُ اقرعوا بابهُ يُفتح لكم ادخلوا منزلهُ تبصروهُ *

قد جاء ملكنا. والمسيح وُلد لنا فهلّموا نسجد لهُ ونحني اعناقنا امامهُ لانهُ هو نفسهُ صنعنا *

هلمّوا ايها الملائكة ورؤساء الملائكة ورتّلوا طائرين من الفرح . واطنوا السناطير والعود *

افرحوا ايها الصدّيقون بالرب وابتهجوا . رتّلوا لهُ ترتيلاً جديداً (مز ٢٢) اخبروا في الامم باعمالهِ (مز ١٠٤) الرب معنا فلا تخافوا . قد جاءنا الله مجانساً وهو الموجود بلاهوتهِ في كلّ مكان *

هلمّوا ايها الرضعان والشبان . الرجال والشيوخ . الفتيان والعذارى . هلمّوا رنّموا للرب ترنيماً جديداً لانهُ صنع اليوم العجائب (مز ٩٧) . ارفعوا الى السماء قلوبكم وايديكم . اعترفوا بمجدٍ بحبورلا مزيد عليهِ . الرب معنا فلا تحزنوا . توشّحوا يا اصفياء الله بثياب عيد بهج « اخلعوا اعمال الظلمة والبسوا سلاح النور » (روم ١٢ : ١١) في هذهِ الليلة المقدّسة كما في نهار رائق *

لنسرّ ونطرب . لنفرح بالله مخلّصنا ولننشد لهُ

قصائد التسبيح . لنقدّم لهُ رغباتنا وواجبات فمنا . الرب معنا فلا تبتعدوا عنهُ فاذ ربن لكن استمرّوا ثابتين ورتلوا لهُ بكلّ قواكم *

٢ : من يمكنهُ النوم والملائكة ترتّل في السماء وصوت تسابيحهم يطنّ فوق الارض . من يستطيع ان يمكث بفراشهِ والجميع يسارعون الى مشاركة يسوع بالفرح . من لا يحب النهوض في هذهِ الليلة والكلّ في فرح وحبور *

« افرحي جدًّا يا ابنة صهيون . هلّلي يا بنت اورشليم » (زكريا ٩ : ٩) لان السلام الحقيقي قد نزل اليوم من السماء ليطهّر ما في السماء والارض . اجل قد اشرق اليوم النور الحقيقي على العالم لينير كلّ انسان يومن بهِ . اليوم صار فرح عظيم في اسرائيل لان المسيح وُلد في بيت لحم . اليوم سقط ندآء من عسل رطب العالم كلهُ . لان افواه جميع المعلمين تنطق بارقّ الاقوال

التي تفرّج عن الضعفاء وتعزّي المتورّعين وتثقف الجهّال وتحثّ المرتخين وتنعش نخوة المومنين وتفحم غير المومنين *

٢ : اليوم تفرح الملائكة وتسرّ روساء الملائكة وتبتهج بالروح جميع الابرار وهم متنطّقون بمنطقة العبادة *

اليوم صار الليل نهارًا والظلام نورًا عظيمًا لان النور الحقيقي اي الرب الصالح الرحوم قد اشرق في الظلمة على القلوب المستنيرة *

فلتكن هذهِ الليلة مباركة الى الابد ولتُعَدّ بين الايام الاحتفالية . ليباركها الذين يباركون النهار وليمدحها جميع اولاد النور لانهُ فيها وُلد المسيح ابن الله ضياء النور الازلي . فلا تكوننّ هذهِ الليلة خالية لا يُسمع فيها اصوات التسبيح . ولا يحدقنّ بها الظلام بل لينرها نور العلى . وليوقد في كلّ الكنيسة مصابيح

عديدة ولا نهملنّ شيئاً في هذه الليلة مما يزيد رونقها وبهاءها بل لنثابر على مديحها الى بياض الفجر واذا طلع النهار فلنطلع ايضاً شمس البرّ التي وُلدت في قلوب جميع المحبين لها وليتولّد ايضاً في انفس جميع المحتفلين بهذا العيد عبادةٌ حديثة *

قد اشرق اليوم نهار مبارك . فليفرح جميع المومنين لانهُ تعالى قال في بدء الزمان : «ليكن النور فكان النور» *

فيا لها من ليلةٍ سعيدة حقّاً اشتهرت بميلاد النور الحقيقي وتجمّلت بضياء الملائكة الذين زادوها بهجةً وحبوراً لجميع المومنين بواسطة ترانيلهم وتسابيحهم *

يا لليلةٍ سعيدة حقّاً فاقت بضوءها جميع ليالي الدهر وحظيت بهذه السعادة ان تعلم بزمان وساعة ميلاد ابن الله بجسدنا الواهي من مريم العذراء *

يا ميلاداً مقدساً لا عيب فيهِ انتجهُ خصب عذراء · يا خصباً فائق الطبيعة حسنتهُ طهارة عذراء واصطنعتهُ العزة الالهيّة لاجل خلاص الانسان المائت *

يا ولادة بهجة ومباركة حوّلت لعنة ابوينا الاوّلين الى بركة سماوية وحزنهما الى فرحٍ سرمديّ *

اجل ان هذهِ الليلة التي فيها ارتضى المسيح ان يولد لاجل خلاص العالم لخليقة بان يكرّمها الجميع ويحبها *

٤ : فليكن اذاً مباركاً الثالوث الاقدس الذي اقام عظمة الانسان بجودتهِ ومشورتهِ واخاب حيل الشيطان *

اني اباركك ايها الاب السماوي الذي ارسل ابنهُ الحبيب الى العالم لاجل خلاصنا · وابارك ابنك الوحيد يسوع المسيح الذي لبس طبيعتنا ليفتدينا نحن المائتين · وابارك روحك القدّوس الفارقليط

الذي كمّل منذ الابتدآء حتى الانتهآء جميع اسرار خلاصنا تكميلاً مجيدًا عجيبًا *

فلك الحمد والمجد الى الابد ايها الثالوث السامي الابدي . لك الكرامة والسلطان يا من اعطانا بعنايتهِ وتدابيرهِ عيدًا بهجًا وسَنيًا بما لا يُقدَّر . آمين *

التأمّل الخامس

زيارةٌ تقويّة ليسوع الطفل

« أرايتم من احببتهُ نفسي » (نشيد ٣ : ٣)

١ : الا اليكم ايها الملائكة القدّيسون . اخبروني بكلّ ما تعرفون عن مخلّصي يسوع . اين هو الطفل المولود لنا . اروني من احببتهُ نفسي . وان لم تريدوا فاعلموني بهِ على القليل بواسطة من تعرفونهُ اهلاً لذلك *

الا اليكم ايها الرعاة اخبروني بكلّ ما تعرفون

عن يسوع · ابن هو الطفل المولود ؟ لنا وما بشّركم بهِ الملاك ؟

— « ها انا ابشّركم بفرح عظيم : انهُ وُلد لكم اليوم مخلّص الذي هو المسيح الربّ في مدينة داود» *

واي علامة اعطاكم ؟

—«انكم تجدون طفلاً ملفوفاً مضجّعاً في مذود» *

وما كانت تسبحة الملائكة ؟

— « انهم سبحوا قائلين : المجد لله في العلى » * (لوقا ٢ : ١٠ ١٥) *

وماذا صنعتم بعدئذٍ ؟

— اسرعنا لوقتنا الى بيت لحم بفرح وحبور · فوجدنا يسوع مضجعاً في مذود *

فيا ايها الرعاة الصالحون ماذا تقولون وكم يطيب لي ويروقني ما وقفت عليهِ · فقد اكتفيتُ الان · اني ساذهب واشاهد هذا الطفل قبل ان اموت ولكن

مهلاً اني ساذهب معكم فنتقاسم جميعاً هذه الضيافة عينها *

وانتم جميعاً يا ملائكة الله اسرعوا معي وارشدوني راساً الى مذود يسوع *

٢ : يا يوسف ومريم افتحا لي باب حبيبي لأدخل منزلهُ واسجد لآثارهِ المقدّسة . «ان جميع ملوك الارض كانوا يتوقون الى روية سليمان واستماع حكمتهِ وها ان هاهنا اعظم من سليمان . » فأدخلاني لأقبل موطئ قدميهِ لانهُ هو الذي تكلّم عنهُ الانبياء وبشّر بهِ الملائكة وزارهُ الرعاة الاتقياء النشيطون . وهو الذي اطلبهُ انا واحبهُ والى رويتهِ انوق *

٣ : فماذا تخافين يا نفسي . اصرخي واسألي واقرعي حتى يفتح لكِ . ادخلي الى موضع المظلّة العجيبة الى بيت الاهنا . تقدّمي بثقة وقفي بجبنٍ على مقربة من الصبي لانهُ لا يردّكِ ولا يصرفكِ لكنهُ يقبلكِ ساكناً ويريكِ

نعمتهُ الالهية بكليتها فلا تخافي استهلالهُ انهُ يبكي خطاياكِ لا اوجاعهُ اذ انّهُ ياتي ليطالبكِ لا ليهلككِ ولكي يخلّصكِ لا لكي يشجبكِ . انهُ ياتي ليحلَّ قيودكِ لا ليقيّدكِ ولكي يحتمل اوجاعكِ ويحييكِ لا لكي يؤلّمكِ ويسجنكِ *

٤ : فما بالكِ ترتعبين امام طفيل مسكين – انكِ تقولين انهُ الهٌ وبقبضتهِ القدرة والسلطة — نعم ولكنهُ لم ياتِ فقط ليحكم بل ولكي يترك الذنوب ايضاً . فيقدّم لكِ بادىء بدء الرحمة والنعمة ويؤجّل نقمتهُ وغضبهُ . انهُ يظهر الوداد وينفي منهُ الخوف ويريد ان يحبهُ الناس احسن من ان يخافوهُ فقولي اذاً : يا ربّ انت مخلّصي وفاديّ . الاهي لقد احسنت الصنيع بمجيئك اليوم *

ايها الطفل الشهيّ والمحبوب في الغاية ارني رحمتك انا غير المستحق بعد لارى مجدك . امدد يدك اليّ انا الذي لست بكفوءٍ لاحتمل عدلك امحُ كل مآثمي

بمحبتك العظيمة . اني مريضٌ كثير الجروح فاشفِ نفسي. اني اعمى وعريان فانر ظلماتي وحسنّي بحلل الفضائل الحقيقية اني قاحل اعرج فانضح وجهي بالدموع «واسند خطاي في سُبلك . » (مز ١٦ : ٦) ان قلبي يناجيك وعيني تطلبانك واروم ان ارى وجهك وازورك بعبادة مع الملائكة والرعاة لانك انت خوذة راسي والاهي الذي يجب عليَّ ان احبهُ حقًّا وفوق كل شيء *

ليس احدٌ يفوقك حسناً ولطافةً وعزًّا وقداسةً . انت احكم الحكمآء واغنى الاغنياء واعظم العظماء . « لك السموات ولك ايضاً الارض انت اسست المسكونة بملئها » (مز ٨٨ : ١٢) « لك هو الليل . انت هيأت الضوء والشمس . انت احكمت جميع حدود الارض . الصيف والشتاء انت خلقتهما » (مز٧٣ : ١٦) وانت الذي اراد ان يولد في ظلمات الليل وبرد الشتاء *

يا ما اعجب وما اعظم محبة الهي وربي يسوع المسيح المستهلّ في مغارة والذي تحمدهُ وتسجد لهُ جميع الملائكة في السمآء . ليت شعري كم يجب عليَّ ان اشكر ربي ومخلّصي وفاديَّ المحبوب في الغاية والمولود لاجل خلاصي ذاك الذي لم يانف من الحلول في مغارة بين حيوانات كاحقر الناس *

بالحقيقة ليس لي ما يستوجب المدح بيد اني اقدّم لك بطيبةٍ ارادتي الصالحة دليلاً على حبي وشكراني . وماذا يجب عليَّ ايضاً . أأرتّل مع الملائكة القدّيسين او ابكي من التوجّع عند تفكّري في دموع الصبي . فكلا الامرين يُعجبني ويسعدني اي ان ابكي مع يسوع وان امدح يسوع مع الملائكة . وكلّ ذلك اريد ان اصنعهُ لمجد الله . وانا متذلّل امام عزّة من تصاغر تصاغراً افضى بهِ الى ان ياخذ صورة طفل *

التأمّل السادس

في الاقامة بمغارة يسوع الطفل

« ما ارهب هذا الموضع . ما هذا الاّ بيت الله وهذا باب السماءِ » (تك ٢٨ : ١٧)

١ : ادخلي يا نفسي ادخلي في هذا المحلّ الصغير الحقير محلّ الملك العظيم واطلبي اليوم الضيافة فيهِ واجعلي فيهِ سكناكِ يوماً واحداً . امكثي بجانب يسوع ومريم واحتفلي معهما بهذا العيد . لا تذهبي الى موضع اخر لكن اقيمي اليوم هنا او اجلسي بتواضع في قرب من المغارة . ان السكنى هاهنا خيرٌ لك منها تحت روافد الملوك المذهّبة وينبغي لكِ ان تسرّي جدًّا بالاقامة في هذا المنزل الفقير وبصحبة الاشخاص الثلاثة القاطنين فيهِ . لانهُ وان كان الخائفون يرتعبون من فقر المحلّ ومن دناءتهِ فلا ينقص لذلك شرف

سكّانهِ القائم بصبرهم وفضيلتهم فاليوم اذن يكون سكناك في هذا الموضع الرهيب وبهِ تقيمين وتستقرّين *

٢: فتقدّمي اذن الى داخل واستقصي مليًّا هيئة هذا المحلّ . تبصّري وامعني النظر في موقع هذهِ المغارة المكرّمة الحاوية خالق العالم وقد اجارت الهاً طفلاً هو الكنز السماوي . وثمن افتدائنا وفرح الملائكة والبشر انظري كيف ان الاهًا متأنسًا يضجع في مهدٍ ملفوفًا صامتًا . وكيف انهُ يحيا في هذا المسكن الاستعاري محجوبًا فقيرًا وهو المفيض مع الآب خيراتهِ في السماوات *

فاحتضني هذا المذود الشريف بذراعي الحب واكثري من تقبيلهِ ثم خرّي باتضاع على قدمي يسوع واسجدي لله ذارفةً دموع التخشّع والعبادة . اجل عند قدمي يسوع اسهري وصلّي واقرأي ورتّلي . هنالك

زهري واهتفي وليتدفق قلبكِ فرحًا وحبورًا . اعرضي على هذا الطفل كلَّ ما يحزنكِ ويشقُّ عليكِ وعبري لهُ عن اشواقكِ واوثقيهِ على كل شيء *

ان هذا الطفل الوديع الحبيب سيعلّم الودعاء طرقهُ وسيقبل صلوات المتواضعين وهو يعرف ان يفرّج عن المرضى ويجبر المنكسري القلوب ويضمّد جروحهم ويقرّ اعين الباكين وينجيهم من كل شرّ *

فهبيهِ قلبكِ واطلبي اليهِ ان يرسم فيهِ اسمهُ الكثير الحلاوة . اعطيهِ كل ما تملكين وكوني لهُ بكليتكِ الآن والى الابد . فتجعلكِ محبة يسوع السامية الازلية تكفرين بذاتكِ وتحببنهُ تقدّس اسمهُ فوق كل شيء *

٢: فانظري الآن يا نفسي واعتبري اي غنى واي مجد يوجد هنا . اني لا ارى كنوزًا فانية ولا افراحًا عالمية لكن حكمة الله المتجسد مع امهِ العذراء يخدمها يوسف وتتفرّس فيهما زمر الملائكة . حقًا ان الرب

لحاضرٌ في هذا المكان فصدّقيني ولا تبتعدي من هنا *

اين تجدين ما تجدينهُ هنا . فان طفتِ العالم كلّهُ لا تجدي معشرًا انيسًا ولا أُلفة مقدّسة ولا جماعة متّحدة نظير هذه فكلّ ما خلَص من القداسة في السماء وعلى الارض قد اجتمع هنا ولو حقرتُ اهل العالم وعددتُ كلا شيء . لانهُ لم يصنع قط في الدنيا كلها مثل هذه الاعاجيب ولم يُرَ مثل هذه النوادر ولم يُسمع بأفراح عذبة مثلما يُرى في هذا البيت الحقير الظاهر الذي فيهِ يعيش يوسف ومريم ويسوع الطفل المضجع في مذود *

قد اجتمع هنا الاله والانسان . الام والعذراء . الشيخ والطفل *

٤ : فتأملي معنى احسان هذه صفتهُ وجودة لا مزيد عليها وحب شديد وتواضع عميق وفقر جزيل وحلم عظيم ونعمة جليلة ورحمة غزيرة بهذا المقدار . تذكري جميع الاعمال القديمة التي كانت تنبئ بالمسيح

وانظري كيف تمت اليوم شواهد الكتاب واشواق الانبياء القدّيسين . شاهدي ايضاً تحيات مريم العذراء المغبوطة وعظم تدفّق فرحها بطفلها الاثيل المجيد وسموّ تاملاتها في ابن الله المتجسّد من احشائها والمضجع في مذود نصب عينيها *

تذكّري واعتبري هذه الوقائع كلّها اعتبار من رأى حدوث كلٍّ منها رأيَ العيان اذ انهُ لا ينبغي لكِ ان تفتكري في ما حدث باقل عبادة ومحبة مما لو كنتِ تريهٔ يستجدّ اليوم امامكِ فليتبقَّ اذن لكِ من حدوث هذه الامور ذكرٌ مقدس تحضرينهُ في ذهنكِ كل عام . او الاحرى تذكّري يسوع مولوداً ومضجعاً في المذود لا مرّة في السنة بل مراراً بل في كل من اعمالكِ على سبيل التقريب *

ان هذا الطفل الالهي هو الذي يعلّمك حكمة عظيمة وطهارة جليلة وصبراً جميلاً وبهذه الفضائل كفاية لبنيان حياتكِ كلها . لان كلاًّ من اعمال يسوع

تعاليمُ الكِ وجميع اوجاعهِ تعزيةٌ . والحق يقال انهُ صار الكِ ولكل شعبهِ خلاصاً وفداءً . وانهُ يثقفك بامثالهِ اكثر مما باقوالهِ ويُقنع باعمال نفسهِ اكثر مما باعمال غيرهِ *

٥ : فلتكن اذن لديكِ ولادة يسوع المقدَّسة مستجدة دائمًا ولا يعبرنَّ ابدًا هذا العيد المسجود لهُ بدون تامل منتبه يستمرّ العمل بموجبهِ راسخًا في الذهن ولو زال الاحتفال الخارجي مع الزمان *

فلا تكوني اذن يا نفسي المسكينة البائسة من الجاحدين بهذه النعمة الالهية انتِ التي طلبكِ الله باعتناءٍ جزيل واجتذبكِ برحمةٍ لا مزيد عليها ودعاكِ بجودة لا حد لها وافتداكِ بوداعة لا يستوفيها وصف وفرّحكِ اليوم فرحًا عظيمًا هذا قدرهُ . فلا يسوغ لكِ ان تحزني يوم ولادة الحبوة اذ ان هذا اليوم يوم فرح في كل مكان *

اليوم وُلد لكِ يسوع الطفل وأُعطيتِ ابناً لنصيبي نظيرهُ صغيرة فقيرة. متواضعة صبورة وديعة. فاسجدي اذن بتواضع واخضعي لهُ بطيبة خاطر لكي تستحقي على هذا النوع ان تسجدي الى الابد مع من انحدر من سموّ عرشهِ السماوي ليقبل الاطفال مع انهُ يسوع المسيح ابن الله الوحيد *

٦ : فاجمعي الآن من هذا الوقت القصير ما يجدي حياتكِ كلها نفعاً . ومن اعلمكِ بان هذا العيد ليس هو الاخير من حياتكِ . فيا حبذا لو احتفلتِ بهِ الآن بتقوى واجتهاد كافيين لتحصلي بهما على رجاء عظيم بيسوع المسيح فتستحقين في الساعة الاخيرة ان تنتقلي معهُ الى عيدٍ ابدي . ولا ريب انكِ سوف تُعاملين بشدة تعادل اعتناءكِ بالتشبه بهِ مدة حياتكِ . فما دام لكِ الآن وقت وجدارة للتخلّق بفضائلهِ فلا تصرفي هذا الوقت بلا ثمرة لكن

عاهدي يسوع بصداقة تؤَهلك للجلوس مع اصفيائهِ المحبوبين . فان كان الرب يسوع قد احبَّ ان ينصرّف هكذا لاجل خلاصك فلا تألي انتِ جهداً في التفكر بهذا تدبير عنايتهِ . انهُ تقدَّست اسماؤُهُ يلازم السكوت بيد ان اعمالهُ تتكلم . اجل انهُ لا يتكلم بشفتيهِ لكن باعضائهِ اللطيفة . فتواضعهُ يتكلَّم وكذلك فقرهُ العظيم : ان العذراء المغبوطة ايضاً تسكت غير ان الكائنات لا يسعها السكوت . فقد اختفى لاسمهِ السجود في مغارة فبشّر بهِ ملاك . كان يُرى حقيراً دنياً بخرقة ورثاثة غير ان المعجزات اجهرت فضلهُ . اضطرب هيرودس فطلبتهُ الرعاة . احتقرهُ الكتبة والفريسيون فسجد لهُ المجوس الثلاثة المغبوطون *

٢ : فاعتبري فيهِ ما كان عظيماً سامياً وما كان وضيعاً حقيراً ايضاً لانَّ الربَّ يُرى في كلا الحالين عظيماً ممدوحاً بغير نهاية ومرتفعاً فوق جميع الملائكة

وفائقاً سائر بني البشر تواضعاً . هنا يجتمع الناسوت مع اللاهوت والرفعة مع الضعة والغنى مع الفقر والعظمة مع التواضع . وكل هذه الاضداد تستحق على السواء اكرامات جميع المومنين وتوقيرهم *

فلا تُشككنكِ اذن هذه الرثاثات التي تعظ بتواضع ابن الله ولا تشوّشنكِ هذه المغارة الحقيرة التي اختارها لهُ ملك الملوك وربّ الملائكة . ولا تطلبي النظر الى ما يسطع لعيون الجسد لكن الى السر الخلاصي الذي يتمّ هنا . شاهدي يسوع ومريم . شاهدي رب العالم وسيدتهُ فانهما لا يكترثان لاشياء هذه الدنيا *

انكِ لا تجدين هنا قصوراً شاهقة لكن تعزيات سماوية ولا يُسمع هنا صوت البوق والمزمار لكن تراتيل الاجناد السماوية *

فليتكِ تشعرين في قلبكِ بانكِ تحضرين هذه الامور ولا يمكنكِ المكوث بموضع آخر . ان كلمة الله

هو قريب منكِ ان كنتِ تطلبينهُ بقلب طاهر اذ انهُ كائن في حضن مريم وهو منذ الازل في حضن ابيهِ. ان الاهك قد قرب منكِ قرباً بهِ تستطيعين ان تمسكي بهِ وتحمليهِ كطفل « لان الكلمة صار جسداً وحلَّ فينا » (يو ١ : ١٤) *

ان من لا يستطيع العالم باسرهِ ان يسعهُ تريهِ مضجعاً في مذود كفقير ومن يضبط الكائنات بكلمة قدرتهِ تحملهُ امهُ. ومن تسبحهُ الكروبيون والسروفيون يغتذي بقليل من اللبن. فاي شيء من ذلك لا يذهل العقول ولا يستحق الحب تماماً *

٨ : فما ترومين فضلاً عن ذلك وكيف يقدر ان يقرب منكِ اكثر قرب ويتشبه بكِ اكثر تشبه. انظري اليهِ فلهُ وجه وجسد نظيركِ وقد صار الملك اخاكِ. فمن ذا شاهد نظير هذا الامر ومن سمع بمثل هذا الخبر *

فالويل لكِ ان ابتعدتِ عنهُ ولكن طوباكِ ان دنوتِ منهُ من كلّ قلبكِ . هلمّي بثقة الى عرش نعمتهِ لانهُ وان كان فقيرًا في الزمنيات فيحوي جميع كنوز حكمة الله وعلمهِ . ولذا طهري شفتيك لتقبليهِ واغسلي عينيكِ الدمعتين لتبصريهِ ونقّي يديكِ لتلمسيهِ وابسطي ذراعيكِ لتعانقيهِ وخرّي على ركبتيكِ بتواضع لتسجدي لهُ *

حبّذا لو كان لكِ الآن مهدٌ لا عيب فيهِ مزيّن بالذهب والجواهر لتضعي فيهِ الاله الصائر طفلاً . ولكن لا محل اليق واجدر بقبولهِ من قلبكِ اذا كان طاهرًا من كل دنس لان هذا الاله لا يطلب ظواهر الزينات بل ان ما يسرّ بهِ ويرتضيهِ بلا نهاية هو ما تدل عليهِ تلك الظواهر من المعاني الروحية *

٩ : ولكن كيف نستعد بن لقبولهِ كالواجب وانتِ

كريهة المنظر سمجة . وهو غير متناهٍ في الجمال واللطف . ماذا تصنعين ? ان ابتعدتِ عنهُ كان ابتعادكِ شرًّا لكِ ومع ذلك لا يليق بكِ ان تقربي منهُ وانتِ نجسة . فكيف تكونين طاهرة وانتِ مقيدة برذائل لا تعداد لها *

ولكن لا تفرطي في خوفكِ ولا تقطعي رجاءكِ من جرَّآء جروحكِ . لكن اكرهي حالتكِ وابكي خطاياكِ واغسلي ادران ضميركِ بدموع توجع باطنيّ واساليهِ تعالى ان يمن عليكِ بزيت الرحمة وبغفران كامل ويهبكِ نعمة جديدة فلا تعودين تيأسين اذ ذاك وان كانت ادناسكِ كثيرة . ان هذا الطفل الالهي هو الذي يطهّر الاوساخ وينفي الادناس ويسكن القلق ويحلّي ما كان مرًّا ويخفف ما كان باهظاً ويبيد ما كان فاسداً ويهب القلب الفرح والسلامة عاجلاً جدًّا *

هذا هو الذي لا يبلغ اليهِ دنس ولمسهُ يبرىء المرضى

ويقوّي الضعفاء . فهيئي اذن الآن في قلبكِ مذودًا نضيرًا تضعين فيهِ يسوع ابن الله *

التأمّل السابع

في افراح عيد الميلاد – تادية فرائض التقوى ليسوع المسيح

فرحًا افرح بالرب . وتبتهج نفسي بالهي (اشع ٦١ : ١٠)

١ : يا يسوع الكثير الحلاوة . يا طفلاً محبوبًا في الغاية . فرحي وتاج راسي . ان نفسي تروم الابتهاج والترتيل اكرامًا لك ولمجدك. فدعني اقضي يومي معك بفرحٍ وحبور وانهي نهاري هذا المقدّس بافراح روحية ايضًا وسرور. لان يوم ولادتك مع قصرهِ وسرعة زوالهِ يجمع فيهِ مادة وافرة تنزع بالنفس الى التعبد وهو اشبه شيء بنار دائمة الوقود على مذابحك فيا حبذا لو كان هذا النهار طويلاً وكنتُ انا في عبادة غير العادة لكيلا

تزول حرارتي مع الزمان بل تزداد نموًا بتامل مجدكم *

فيا يوم الافراح . يا يوم الملك الابدي لا تغادرني سريعًا لكن كن لي بمنزلة ينبوع افراح دائمة *

ليت شعري متى يُقبل ذاك النهار الذي لا يعقبهُ ليلٌ . متى ياتي اليوم الذي لا يطرأ عليهِ تعاقب الاعصار وتغييرها لكن ينير ويضيء ابدًا . وفيهِ يشاهد الانسان الاههُ وجهًا بوجهٍ ويحبهُ بكمال المحبة ويمدحهُ مديحًا تامًّا . ولا يشغلهُ عنهُ شاغل ولا يدنّس محبة قلبهِ شيء دنس لكن يكون هو نفسهُ عزّ وجلّ كلاًّ للكلّ *

ان هذا العيد الزمني انما يُحتفل بهِ لاجل ذاك اليوم الابدي . وقد ارتضى تقدّست اسماؤُهُ ان يصير انسانًا لكي اكون معهُ في السماء الى الابد *

٢ : فيا يسوع المسجود لهُ والمحبوب غاية الحبّ . يا طفلاً مجيدًا واهلاً ان نعانق ارقّ المعانقات ونكرّم أبقى التكريمات ونعظّم ابدًا . انك حبيبي الوحيد

الذي ابتغيهِ واحبهُ اكثر من الكلّ وفوق الكل. اني لك بكليتي. وكل ما اتمنى ان اعطيك فوق ذاتي فلا يزال دون رغبتي لانك افضل جميع الكائنات فكل عطية يدركها عقلي هي دون القليل بل شبه لا شيء. اني اعرف واعتقد اعتقاداً وثيقاً بانك لاجلي قد اتيت الى هنا ولاجلي اردت ان تضجع بتواضع في هذا الموضع اذ انك صنعت كل ذلك لاجل خلاصي الابدي ولكي تعزّني محبتك العظمى وتتعهّدني اكثر ما يكون *

٢: ليت شعري كم يجب عليّ ان احبك واباركك وامدحك مع الملائكة ورؤساء الملائكة ومع القديسين والناس ذوي الارادة الصالحة. اذ انك لاجلي قد تجسّدت وصرت انساناً فكيف يسعى بعدئذٍ ان انحرف عنك بفكرتي وانّى يسوغ لي ان اهوى شيئاً آخر غيرك بعدما ذقت بعض حلاوتك *

لا جرم انك المنّ الخفي ذو الطعم الألذ والفائق

بعذوبتك كل عذوبة وانك جنةُ لذّات طاهرة وروضة افراح كاملة وينبوع حكمة وشمس البرّ ونور العالم وفرح السماء وسلامة القلب وتعزية النفس وانك رجاءٌ في الشدّة وملجأ في التجربة وعون في كل حاجة *

ان حضورك علة افراحي وغيابك سبب اكثر آلامي . وهذا كلهُ فعل الحب الذي لا يترك ابدًا المحب يستقرّ في غيرك لكنهُ يسوقهُ امّا الى الفرح بك واما الى البكاء عليك بهدوّ *

ومن الذي اتى بي الى هنا غير الحب . ومن اجتذبك اليَّ من السماء غير الحب ايضاً . فيا لَلحب يا للحب ما اعذبهُ واشدهُ هنا *

فمن هذا الحب ينشأ في النفس ذاك الصراخ العظيم وتلك الحرارة الشديدة التي تجعلها لا تسرّ بغير يسوع ولا تستطيب غير يسوع الحب الازلي فانما هو الذي يجعل المرء يحتقر العالم وينظر الى كلّ شيء بعين

العدم · ويترك خيراتهِ الذاتية ويحيا خاضعاً لنير الطاعة · ويستهين بلذات الجسد ويعتنق برغبة عناء التوبة · ويهرب من شغب العالم ويتفرّغ للتامل في الله على خلوةٍ · ويموت عن العالم ويحيا لله فقط *

٤ : ان الحب الالهي يجتذب قلبي الى المغارة ويريد ان اؤدي فرائض التقوى ليسوع ربي فماذا اصنع لهذا الصبي الحبيب لربي والهي الصائر طفلاً لاجلي · هل انك يا رب تحتاج اليَّ ولك ملك السموات والارض · انك وان كنت غير محتاج الى خدمي فانا احتاج الى خدمك ويجب عليَّ ان اخدمك على حدّ طاقتي اذ انهُ بك تزداد نعمتي وفضيلتي وبك تتعلّق كل سعادتي *

فيا ليتني اقدر ان اصنع شيئاً يرضيك فهذهِ هي السعادة التي اتوق اليها بكل رغبتي · اني وان لم اكن اهلاً لاخدمك في حياتك على الارض فيمكنني مع

ذلك ان اعمل كل شيء برغبة قلبي وسعي ارادتي الصالحة . لاني بخدمتي لاخوتي من اجل اسمك اقدر ان اقضي كثيرًا من الاعمال الصالحة تنظرها مصنوعة لك *

ع : ولاني اريد ان انشّط عبادتي لطفوليتك المقدّسة باقوال حبٍّ . فلا ابتعدنّ من هنا لكن اجلس على مقربة منك واتامل قليلاً في وجهك الصبيح لكي احسن بذلك نسيان شقاءي *

ففي هذا المحل اهذّ بشرائعك واروّض نفسي في ذكر عجائبك والقي عني الهموم الارضية واشترك في الاشياء السماوية * وافكر في الايام القديمة واتذكر السنين الدهرية * (مز ٧٦ : ٦) واتامل بالتنهّدات عواقبي الاخيرة وسني حياتي واسكّن عينيك بصلواتي وعدلك بتوسّلاتي واذكر اعيائك واحساناتك الغير المحصاة التي انعمتها على الجنس البشري *

هناك اجد قلبي وانسى ذاتي بكليتها . لانهُ خيرٌ لي ان يملك يسوع قلبي من ان املكهُ انا لانهُ مع يسوع يكون في راحة وان بقي معي كان في قلق واضطراب . هناك انام واستريح واستطيب جدًّا رُقادي . هناك استيقظ نصف الليل لامدحك واوجّه اليك تضرّعاتي عن خطاياي *

اني سابكّرك وارتل لاسمك نهاري كلهُ . ان خرجتُ عزمتُ على الرجوع عاجلاً . وان تاخرتُ زمنًا طويلاً اللهمّ لا تحرمني الغفران . ثمّ اعود اصليّ واسكّن وجهك واشكر لك على الدوام . اني ساقوم بتعجب عظيمٍ وامدح اسمك الحلو المبارك في جميع الاجيال *

ثم اعود اجلس بفقري وعلمي بعدم اهليتي وجدارتي للتفكّر في خيراتك الغير الموصوفة والفائقة بالعذوبة اشهى شيء في العالم واسجد لك باحترام

مقدماً لك جميع خيراتك وراغباً في ان تمدحك جميع اعمالك وان كانت عاجزة عن القيام بذلك كالواجب. فلذلك اسالك ان تقدّم انت تسابيحك لذاتك لانك ان لم تسبّح ذاتك بذاتك فمن المحال ان تمدحك خليقة مديحاً وافياً لائقاً *

فباركي الان يا نفسي الرب سبحي الهكِ يا صهيون سبحي مخلصكِ يسوع فانكِ وان كنتِ عاجزة عن ان تسبحيهِ تسبيحاً وافياً فلا تنفكّي تسبحيهِ على حدّ ضعفكِ وبكل قواكِ *

٦ : اني اسبحك يا يسوع الصالح يا طفلاً وديعاً وحبيباً اني اسبحك في حياتي وارتل لك ما بقيتُ. لانك دعوتني الى مغارتك الكلية القداسة حيث ارتضيت ان تضّجع لاجلي انا غير المستحق. فمن يقدر ان يبعدني منها. لا احد. لانك انت يا يسوع ربي وحبيبي الذي لا اروم الانفصال منهُ ابداً *

فسأظلّ اذاً هنا خادماً سيدي وسيدتي مريم القديسة ومربيها القديس يوسف . ان احتاجوا الى خدَمي (١) *

التأمل الثامن

في الشوق الى روية يسوع ومعانقته

ارني وجهك . واسمعني صوتك . لان صوتك لذيذ ووجهك صبيح (نشيد ٢ : ١٤)

١ : هذه هي الاقوال التي توجهها النفس المحبة اليك

(١) ان المولف يدرج ببساطة في ما تبقى من هذا التامل بعض خدم مادية يروم القيام بها للذوات المقدسة المشار اليها . كايقاد النار واعداد المائدة وكنس البيت وتنظيف اثاثه وحراسة الباب خشية ان يدخل هيرودس فيسرق الطفل ونحو ذلك . كانهُ مقيم معهم في المغارة بصفة خادم . فعرضتُ عن استخراجها مخافة ان اشكلك بها اقوالاً شديدي الميل الى التنديد والازدراء بما تسترسل اليه قلوب السذج واصحاب الورع * (المترجم)

يا يسوع الحلو في الغاية غير اني اسألك يا شفوق ان تمنحني وان كنتُ خاطئاً ان اقولها لك ايضاً بشوق نفسي . فمتى يا خوذة راسي والهي اقدر ان اشبع من الافتكار بك والتكلم عنك فأرني اذاً وجهك فتخلص نفسي *

ارمقني بانظارك وارحمني في احزاني فتتعزّى نفسي * لانك انت يا ربّ متّكلي منذ حداثتي * (مز ٧٠ : ٥) واياك ارتجي ايضاً الى ان يدركني الشيب ويحين يومي فلا تهملني . يا ما اعظم ما ابديتهُ للبشر من الحب واللطف اذ تنازلت وجعلت نفسك طفلاً حباً بهم . اجل انك تجذبني اليك بحبك هذا وتربطني بودّك وايّ ربط *

٢ : فيا يسوع الطفل الحلو والمحبوب في الغاية ارتضِ ان تقضي معي اليوم بعض سويعات طيبة . ان نفسي تحبك لانك سبقتني الى الحب اذ انك

ارتضيت بحبك العظيم لي وحلمك الذي لا مثيل لهُ نحوي ان تنحدر من علو قدسك المحتجب الى ظلمة هذا العالم لتفتقدني وتسليني *

اجل انك احسنت بمجيئك . وبحكمة وحلم تصرفت بظهورك على هذا المنوال . انك اتخذت لك صورة احسن الاطفال اذ لبست طبيعتنا البشرية وانت القائم في لاهوتك طاهر بسيط منزه عن الاشكال بعيد عن الادراك *

ولما كنت عاجزاً لجهلي عن ادراك كنهك الذي ينافي كل هيئة وشكل سايرتَ ضعفي واقترنت بطبيعتي اذ اتخذت صورة الانسان لكي تظهر لنا حبّاً اعظم بدونك من طبيعتنا وتهدينا هدية اليد الى جوهر اللاهوت الغير المنظور بواسطة رويتنا الانسان المنظور *

٢ : فيا ما اعذب حكمة الله المتجسد وما الذّ اجتذابهُ اياي بواسطة طفوليتهِ المحبوبة . فأمل اليّ الآن وجهك

يا يسوع الحلو ولا تنفني من زمرة اولادك لكن اهتشّ بي لكي يفرح قلبي بمشاهدتك فرحاً جديداً *

يا ما اسعد الزمان الذي فيهِ تنظر اليّ بعين حنوّك وتباديني بجميلك المرغوب مني فوق كل شيء فبهذا عملك استدل على رأفتك وبهِ احصل على الثقة والتعزية واتقدّم لأُقبّل قدميك ويديك وفمك المبارك *

يا رجليْ سيدي يسوع المسيح المقدستين والمستحقتين ان تُغشَّى بالقبلات . انكما الآن صغيرتان رخصتان ومحصورتان في مغارة ضنكة . ولكنما ستسيران عن قريب لاجلي وتتعبان كثيراً . واحسرتاه انكما تكابدان الآن بصبر شدّة البرد لانهُ ربما لم يكن لكما فراش يغطيكما ولا نار تدفئكما . فهتان الرِجلان انما هما رجلا الاهي ومخلصي الناعمتان والعزيزتان للغاية والعتيدتان ايضاً ان تثقبا على الصليب بمسامير حادّة

فتتضرّجان اذ ذاك بالدم بالم شديد . هتان هما الرجلان الكاملتا الاستعداد للمشي في بشارة السلام والمتأهبتان لتسهيل الطرق الوعرة والمتهيّئتان لاظهار سبيل الخلاص الابدي للعالم كلهِ . هتان هما رجلا الرحمة والعدل اللتان سوف تطردان الشياطين وهما تكفّر الحبشة وتسجد الملوك والامراء فيدنو منهما اذ ذاك الخطاة التائبون فيقبّلونهما بحب فينالون عفواً ونعمة *

٤: ايها الطفل المحبوب اعطني لا رجليك فقط بل يديك وراسك وجميع اعضائك ايضاً لاقبلها واباركها وامدحها *

يا ما اجمل يديك وما اشدها نقاوةً واتقنهما صناعةً . فهتان هما يا رب يداك اللتان صنعتاني وجبلتاني وقد جاءتا الان لتصلحا خللي . انهما سوف تساعداني على حسن العمل وتقوّياني لاقاوم بشجاعة

التجارب المختلفة وتسنداني في سُبُل الصلاح كيلا اسقط . وتنقذاني من دركات الشر لكيلا اياس . وانهما سوف تباركان الصبيان وتشفيان كثيرًا من المرضى وتقاتلان ابليس وتبيدان كل سلطنهِ . وبعد سنين كثيرة سوف تُسمَّران على الصليب فينشل منهما حينئذٍ سيول دم منسفحة ٍاذا ما انبسطتا على الصليب وانفتحتا بالجراح تضرعتا لاجلي ونالتا لي الصفح عن خطاياي . انهما سوف تفتحان ابواب الفردوس وتسدّان افواه الجحيم وتخرجان منها المسجونين . وبالاجمال انهما سوف تظهران للبشر في يوم الدينونة بآثار جروحهما وتبيّنان جليًا عظيم ما عملهُ الله وكثير ما تألمهُ لاجل خلاصهم *

«لتكن شمالك تحت راسي ولتعانقني يمينك» (نشيد ٢ : ٦) فما اسعدني وما اكثرني حبورًا او وُجدتُ اهلاً لغبطة هذا عظم مقدارها *

٥ : اني ساجسر في ما ياتي على الدنو منك باعظم ثقة لأُقبّل فمك والصق بجسارة حبي شفتيَّ بشفتيك المقدستين واذا كانت جلالة الوهيتك تفزعني فناسوتك ووداعتك العجيبة خاصةً يستميلاني اليك *

فيا ما اقدس وما اطهر فم سيدي المملو حكمةً ونعمةً . انك سوف تعلّمني سُبُل الحيوة وتفعمني حبوراً وتعزّيني بكلامك العذب . لانهُ ان كان المرء كثيراً ما يستطيب مباحثة رجل عالم فكم لا يلتذّ بكلام النعمة الصادر منك *

يا فم سيدي الذي يفوق العسل حلاوةً . ما اجمل شفتيك واشد بياض اسنانك وما احلى واعذب الكلام الذي سوف يصدر منك *

ان هذا الفم السيديّ سوف يتكلم بموجب الحلم والعدل وكلام شفتيهِ سوف يضرب المنافق

ويحطّم خطاة الارض ويوضّح معاني الكتاب المستترة ويوحي بالاسرار السماوية ويظهر افكار القلوب ويبيد حكمة البشر ومشوراتهم *

امامك تصمت الجزائر باسرها . وجميع ملوك الارض وامرائها يذهلون متحيرين . اليك تلتفت اعيان الشعب وعامتهُ وكل الادباء يلازمون السكوت لان العالم باسرهِ يصمت لصوت الرب وجميع قوات السماء لسلطة فمك تخضع *

٦ : يا فم قدوس القديسين المعبودي . يا وجهاً الهيّاً . من تراهُ اهلاً ليقبّلك ولو قبلة واحدة او يلمس قمة راسك ؟

النفس الطاهرة والبسيطة القائلة : « ليقبّلني من قبلات فمِهِ » (نشيد ١ : ١) ان النفس المحبّة تطلب قُبلةً اما الخائفة فلا تجسر على الدنوّ *

لا شيء يسالم الله ويسكن غضبهُ مثل محبتهِ

الخالصة واحتقار الذات *

فيا ايها الطفل اللطيف الكثير العذوبة يا طفلاً صغيراً وعظيماً معاً . ابتهل اليك ان تمن على عبدك بان يلاطفك بتواضع ويعانقك ويقبلك قبلة الحب ما دمتَ رضيعاً ومضجعاً في مغارة لانك لا تخيف الآن بجلالتك هذهِ بل تدعو المرء الى ان يحبك ارق حب ويمسك بك باجزل وُدٍّ ويحملك باعظم خفة . فاذا صرت رجلاً لا تسمح لنا بان نعاملك على هذا المنوال بل يجب علينا ان نتدرَّب باعظم رصانة ووقار . «ولكل امر اوان» (جامعة ٣ : ١) *

فالآن وقت المعانقة وسوف ياتي وقت البكاء حينما يقدّمون لك عوض التقبيل كاس مرارة . اننا الآن نفرح بولادتك احسن فرح ولكن غبَّ زمان مديد سوف يكون اعظم الم التوجع لك عندما تمتد عرياناً على الصليب انت الملفوف الآن بقمط

والمضجع في مغارة *

٧ : فيا ايها الطفل المحبوب في الغاية قبّلني من قبلات حبك وارتضِ بتقدمتي الذليلة *

انظر الى شوقي وقبّلني من قبلات فمك المقدسة ولتكن لي قبلتك هذه علامة الامن والسلام ووثاقاً لا ينفصم لمصافاة بعضنا بعضاً *

اني اعرف واعتقد بان لمسك يشفي العليل ومعانقتك تجمع المتفرّقين وقبلتك ترسم الحب في القلوب وعليهِ فمن لمستهُ في الباطن ابرأتهُ من المحبات الجسدية ومن عانقتهُ جمعتهُ اليك . وانك تقبّل قبلة طيّبة من تضرمهُ بسعير حبك *

فاسالك الآن ان تقول لي ما يبدو لك في ذلك وتفهمني ما جاء في الكتب *

— اجاب : اليك هذا السرّ فافهمهُ . لأن ما من احدٍ يدرك ان لم يُعطَ الفهم وما من احد يؤتى الفهم

ان لم يتعلم السلوك بالروح . فاعلم اني اقبلك متى اسبغ عليك آلآء حبي . واعانقك متى اجتذب اليَّ جميع عواطف حبك بحيث لا يستطيع شيءٌ مما في الخلائق ان يفصل بيننا او يبعدك عني . امَّا انت فتقبلني لما تحبني من كل قلبك حبًّا صادقًا ولا ترجو تعزية من خليقةٍ ما . وتقبّل رجليَّ اذا اقتفيت آثار تواضعي بالحب احرى منهُ بالخوف . وتقبّل يديَّ متى تعزو اليَّ لا اليك جميع اعمالك الصالحة المصنوعة او العتيدة ان تُصنع . وانك تعانقني متى تشعر من صميم قلبك بانك متحدٌ بي بكل عواطفك بحيث انك تريد ان تكون لي بكليتك من دون ان تبقي لك شيئًا من حبك الذاتي *

فاذ ذاك تقدر ان تقول لي نظير عروس نشيد الانشاد : « حبيبي لي وانا لهُ الذي يرعى في السوسن » (نشيد ٢ : ١٦) *

انك ان تركت ذاتك من تلقآء نفسك وازدريت بجميع الارضيات صادقتُك واغنيتُك بالفضائل . لان من يبذل ذاته كلها لاجلي ويهبها لي بكليتها اهبهُ انا ايضًا ذاتي بكليتها واعلنها لهُ اعلانًا تامًّا لاني لم آتانس الّا لاجعل الانسان سعيدًا فيَّ الى الابد *

اني وهبتُ الانسان ذاتي بكليتها لكي يهبني مثلما وهبتهُ « لان نعيمي هو مع بني البشر » (امثال ٨ : ٣١) وقد اتيتُ لاعطيهم الملكوت السماوي واقودهم بواسطة احتقار العالم الى صحبة الملائكة الابدية . آمين *

التأمّل التاسع

في الالتماس من العذرآء الطوباوية ان تريَنا ابنها يسوع

وتتهلل روحي بالله مخلّصي (لو ١ : ٤٧)

١ : افرحي اليوم ايتها العذرآء مريم القديسة الواهبة

لنا فرح الخلاص الجديد. افرحي يا امًّا لا عيب فيها لانكِ حفظتِ زهرة البتولية المجيدة . افرحي يا عذراء امًّا لانكِ سلمتِ من لعنة النسآء وخزيهنَّ *

اجل يليق بكِ ان تفرحي بيسوع مخلصكِ اذ انكِ تحملين في حضنكِ من لا تستطيع السماوات ان تسعهُ وتضعينهُ في المذود بيديك المقدستين . ويجدر بكِ ان تسجدي للذي وُلد منكِ في الزمان وهو يفوقكِ بكونهِ ابن الله . وان تقومي بخدمة الأُم لمن جعلكِ تلدين من دون ان تفقدي شيئاً من طهارتكِ . فبكل صواب اذن تتهلل روحكِ فرحاً غير متناهٍ بمن رفعكِ بنعمتهِ وصيَّرك سماوية بهذا الحدّ *

فلتطنب السماء والارض في مدحكِ ولتشكرا لكِ باسرهما . لتمدحكِ نفسي يا سيدتي العزيزة كل المدح وكل ما في باطني ليفرح امامكِ بتوقير جزيل *

يا مريم ان لساني قاصر عن اطراء محاسنك وقلبي عاجزٌ عن التأمل في عظائمك فلذلك انحني امامكِ يا والدة الله بتواضع لا مثيل لهُ راغباً اليكِ ان تقبلي ابتغائي وتنظري الى اشواق قلبي بمحبة ورقة *

٢ : ان نفسي تطلب روية يسوع لانهُ هو خبزي . واريني هذا الكنز الذي خبأتهِ قريباً منكِ . اني اومن بان يسوع هو ابن الله الوحيد وبكر بتوليتكِ المخصبة واعتقد بانهُ هو الاهي وخالقي وفاديَّ وقد وُلد اليوم لاجل خلاصي . فاريد ان اراهُ بواسطتكِ واسجد لهُ بتجيل . انكِ لفيتهِ بالقمط ولذا يتعذَّر على الغرباء ان يروهُ ويعرفوهُ لانكِ ان لم تظهريهِ انتِ لمن يستحق ان يشاهدهُ . اذ اننا لا نقدر ان نتقرَّب الى الابن الَّا بواسطتكِ ولا نقدر ان نتقرَّب الى الاب الَّا بواسطة الابن فاريني اذن اياهُ مرَّة وحسبي . اني لا اطلب ولا التمس تعزية غير يسوع

ابنكِ وملجإي الخاص وفرحك الفريد . يا سيدتي مريم القدّيسة اني ارغب كلّ الرغبة في ان ارى يسوع الذي تحبينهُ اكثر من الكل . فقلبي يتوق الى يسوع وحبي يصرخ نحو يسوع *

اجابت : ان كنتَ تريد روية يسوع فيجب ان تكون عيناك طاهرتين لا عيب فيهما . ان رغبت في روية يسوع اجتهد بان تكون عابدًا متواضعًا في كل شيء . ان كنت تريد ان تعاين يسوع فاترك كل شيء واحتقر ذاتك *

يا مريم حبيبتي اني لعارف باني دنس وغير مستحق في الغاية ان ارى يسوع ابنكِ غير اني لا اقدر ان احصل على الراحة ان لم ارَهُ ولا يمكنني السكوت التام بل تلجئني شدّة حبي الى الالحاح . لاني اعرف بانهُ يريد ان يُسأَل وانكِ تحبين مساعدة المتوسل اليكِ فلذلك لا يتيسَّر لي الامتناع عن التوسُّل والتضرّع *

٢ : فاسالك يا يسوع ابن الله ان ترحمني . ارِ ذاتك للنفس التي تطلبك وتتوق الى روية وجهك . لماذا شئت ان تاتي الى العالم ان لم ترد ان تراك الناس . ولماذا ارتضيت ان تولد ان لم تحب ان تكون معروفاً . ولماذا اخترت هذا الموضع الّا لنجدك باعظم سهولة ونمسك بك ونعاينك احسن معاينة . اني لم اكن قادراً على الارتفاع اليك في السماء لاراك فلذلك اتيت انت اليَّ في هذا العالم لتكون نصب عينيَّ . فلا تحرمني مشاهدتك ولا تكرهني على البكاء *

انك لو لم ترد ان يراك احدٌ . فلمَ اوحيت بذاتك الى الرعاة الذين بادروا الى المجيء اليك فابصروك . وان كنت تريد ان تبقى مخفيّاً فلمَ دعوت المجوس الى مذودك من اقاصي الشرق بهداية النجم *

كلا انك تحب ان تراك الناس لانك تسوق كثيرين الى طلبك . فانا ايضاً اريد ان اراك لاني

ولئن لم اكن راعياً ولا ملكاً فانا مع ذلك من الراغبين في الانضواء الى نعاجك والانقياد الى رعاتك. كلّا اني ان لم ارك لن انال راحةً ابدًا. وان لم امسك بك لن اسكت البتة. فاعطني ان اراك فتجدني حاصلاً في راحة. لانك انت هو ذاك الحبيب الذي اتوق الى رويتهِ. واذا قدرت ان اراك مرة واحدة فلا اعبأ بمشاهدتي السماء والارض والبحر وما فيها لان كل شيء يلوح لي صغير حقير بالنسبة اليك حتى استحق ان اشاهدك واحظى بك *

اني اطلب ان اراك مرة واحدة لا غير ولكنني ساذكر دائماً هذه المرة. اني اطلب قليلاً ولكنني ارغب ان يدوم هذا القليل ولا يزول *

فكمّل اذاً الان بغائي واملني فرحاً برويتك. انك ان امسكت عني النعمة افعمتني حزناً وان انت احزنتني فمن يسليني. اليس لاجل تسليتي قصدتك لأراك

فأجد في رؤيتك فرحاً لا يوصف *

٤: اجاب: هلم ايها الانسان ذو الرغبة الصالحة هلم انظر. انا هو يسوع الذي تطلبهُ. ولكنك ان كنت تلتمسني فدع جانباً ما سواي. اصغِ بقلبك اليّ وانظر الى سيدك *

انظرهُ بالروح كما نظرهُ سابقاً الانبياء القديسون الذين انارهم الايمان فتنبأُوا باني سأُولد من عذراء. لان عين القلب هي التي يُحتاج اليها الآن وهي التي تراني. اما عين الجسد فلا حاجة اليها فضلاً عن انها تضرّ كثيراً. لان من يؤمن بي يراني ومن يحبني يحظى بي وعليهِ فانك تراني بايمانك بي وتحظى بي بحبك لي *

فانظر الآن واعتبر ملياً. فتتعزّى نفسك. انظر الى فقري وتواضعي فتجد نموذجاً جليلاً. انظر الى كلّ ما يُحدق بي فلا تجد فيهِ شيئاً يستلفت الانظار. انظر كيف صرتُ فقيراً ومحتاجاً لاجلك وانا غني مثرٍ.

وكيف اصبحتُ غريبًا سائحًا على الارض، ولم اشأ ان اولد في منزلي الذاتيّ لكن في مذود حقير فتامل *

٥ : اه يا سيدي يسوع المسيح ان نفسي تتوجّع لك عند مشاهدتها فاقتك وضميري يوبخني توبيخًا شديدًا على قلة صبري وإبطالي. وان كانت هذه اوائلك فما عسى ان تكون اواخرك. ولكنك قد انبيت المتالم فاخترت الفقر والذل عوض الغنى والشرف *

- انظر فضلاً عن ذلك الى يديّ ورجليّ وانا مقيد كانسان لا قدرة لهُ ومتروك لتدابير امٍّ وباكٍ شان واحد من اولاد البشر فكيف يسوغ لك الضحك ان افتكرت بان الهك يبكي لاجلك *

انظر الى وجهي الصبيح اللطيف الانيق في الغاية والجدير بان يزيل كل حزن وقلق ولكن لا تكتفِ بمشاهدتك هذا الجمال الخارجي فقط الذي يسوغ للاشرار والاخيار ان يشاهدوهُ على السوآء والذي سوف

بشوَّهةُ اعدائي لكن وجّه نظر قلبك الى جمال باطني الدائم. فانظر باي محبّة احببتك انا الذي اردت ان اصير انساناً مائتاً لاجلك *

شاهد حكمتي التي لاتزال باقية فيَّ اذ اني اتخذتُ طبيعتك بدون شوائبها وكابدت عقابك بغير ذنب انظر الى كثرة النعم التي آتيتها العالم بمجيئي والنور الفائق عجباً الذي انرتُ بهِ جميع المومنين *

لم يتق احدٌ من القدّيسين ولا من سائر البشر الى تجسدي مثلما تقتُ انا اليهِ لانهُ حالما ادرك الوقت المعيَّن بالاحكام السماوية واتمَّ الملاك اوامرهُ واعطت مريم رضاها تجسدتُ وصرتُ الهاً وانساناً. فانظر الى محبتي الفائقة كل ثمن اذ اني رغبتُ في خلاص الانسان وافتدائهِ ولم انكر عليهِ شيئاً ما يجديهِ نفعاً او ما هو ضروري لهُ *

٦ : انك لو رايت الآن اشواق قلبي الشديدة

وشعرت ولو قليلاً بهذا الحب الالهي الذي احببتك به لما فتئت تحبني وتسبحني ابداً ولما كنت لتستثقل البتة اتعابك واوجاعك *

انظر بعين الايمان الباطنة الى طبيعتيَّ الالهية والبشرية المتحدتين في اقنوم واحد والى هذا الاتحاد الجزيل الشرف والغير المنفصل . تامَّل في طبيعتيَّ ما استطعت واستطبت ذلك لان جميع كنوز حكمة الله مكنونة فيَّ وبغيري لا يوجد خلاص للانسان الحيّ ولا رجاء بالحيوة الباقية للمريض المدنف *

فلتكن عيناك دائماً عليَّ وليمكث قلبك فيَّ مؤثراً السكنى فيَّ على كل ما في العالم من الاشياء الشهية لاني انا الرب الاهك الذي صنعتك واتخذت طبيعتك لأجتذبك اليَّ *

فهلمَّ الي بغير خوف . اني اخوك ومسعدٌ لأموت عنك . فلمَ تتأخر . تقدم واسرع واطرح عنك كل

شي خارجيٌّ يعيقك . انك ان عملت هكذا وجدت حبيبك الذي بهِ تفرح اعظم فرحٍ وحملت ما يشقّ حملهُ باعظم سهولة *

تحذَّر خاصة من ان يلج قلبك شي يخلّ او دنس يشينك ويقلقك او يشغلك باطلاً او يعمي بصيرتك ولا يكوننّ بيننا موبق يمنع الارتباط او يضعّف المحبة او يقيّد الحرّية او يدنس الطهارة او يقلق باطن القلب *

ومن تراهُ يبلغ ذلك ؟

ذاك الذي يعتقد بان لا شيء يكفيهِ غير الخير الاعظم الذي هو انا ومني يأتي كل خير وفيَّ جميع الخيرات مما في السماء وعلى الارض وفي البحار وسائر الاعماق *

ومن يطلبني انا فقط قبل كل شيء ويلهج بي دائمًا ويحتقر ذاتهُ لاجلي ويُخلص لي الحب فذاك

يقدر ان يتبصر فيَّ ويسبحني ويتهلل فرحاً في الروح القدس مع مريم العذراء الآن والى الابد *

التأمُّل العاشر

في فقدان يسوع و وجدانهِ في الهيكل

فلمّا قضوا الايام ورجعوا . تخلَّف الصبي يسوع في اورشليم . ولم يعلم ابواهُ . (لو ٢ : ٤٣)

١ : لقد سمعتِ ايتها النفس المومنة ما اصاب ابوي يسوع المحبوب من الفرح قبلَ ايام قليلة اذ اظهر ذاتهُ للرعاة والمجوس . وانتِ ايضاً لم يكن فرحكِ بقليل عند استماعكِ هذهِ الاخبار السارة . لكن واحسرتاه لقد حدث اليوم حادثة موءلمة في الغاية تذعر بصواب كل القلوب وتحيّر جميع سامعيها . قيل ويا للاسف ان يسوع الحبيب قد فقدهُ ابواهُ في نفس ذهابهما الى

الهيكل في العيد الكبير *

فيا لهُ من تغيير عجيب مفاجئ غيَّرتهُ يمين العلي. ليت شعري اي فرح يبقى للانسان اذا ما فقد يسوع اذ ان من يفقد يسوع يخسر اكثر مما لو خسر العالم كلهُ. أفليس المكوث بالبيوت اولى من فقدان يسوع في الطريق. وكيف يُقضي ذاك العيد الذي تُكدّر صفوهُ مصيبةٌ هذا عظمها. وعليهِ أفيوجد مصيبة اعظم من ان يقال: ان فرح الحزانى قد فُقد *

فلا يخامرنَّ الشك قلب نفسٍ من النفوس المتورّعة بان مريم لم تحزن غاية الحزن على فقدانها ابنها. اجل انها لو كانت ابقتهُ في الناصرة لكان اصابها من الفرح اكثر مما اصابها بمجيئها بهِ اليوم الى اورشليم. غير انها ارادت ان تتمسك بعادة الشريعة المقدسة وتعطي جميعنا نموذج طاعةٍ كاملة ولذا تركت منزلها ومدينتها واتت لتزور هيكل الله مع

يوسف ويسوع ابنها *

فسمح الله بان تفقد مريم ابنها وتطلبهُ بتوجع ثمَّ تجدهُ في الهيكل بعد ثلاثة ايام وتعود بهِ بعد ذلك باعظم سرور وحبور ليظهر صبرها ويجدينا نفعاً عظيماً بمثالها *

٣ : ان[1] الرب يسوع حضر حفلة عيد ناموسيٍّ لا لكي يقدس ذاتهُ حسب الناموس ويطهر ضميرهُ بالصلوة اذ انهُ وُلد في القداسة والبرارة لكن لكي ينال لنا المغفرة ويعلمنا التردّد الى الكنيسة لننال فيها المواهب السماوية *

فدخل الهيكل ليسمع من المعلّمين والشيوخ وهو رب الجميع ومعلّمهم وذلك لكي يعلّم الاولاد والاحداث ان يدرسوا الكتب من صغرهم ويترددوا

(١) اعلم اننا قد عدلنا عن ترجمة العدد الثاني للسبب الذي اشرنا اليهِ في نهاية التامل السابع *

الى المدارس ويتفرّغوا للدرس ويصغوا الى المعلّمين ولا يجولوا في الساحات صارفين اوقاتهم بالتنزّهات الباطلة لان احدى مزايا الشبان ان يبالغوا في معرفة الفنون التي تزيدهم فهمًا لكي ينجحوا في درس الكتب الالهية فيكون الله محبوبًا بقدر ما يكون كلامهُ مسموعًا ومشروحًا شرحًا صريحًا على يد المعلمين ومحفوظًا في اذهان السامعين احسن حفظ *

فقد اعطى يسوع الطفل مثالاً للاولاد والشيوخ ليواصلوا اكتساب علم مفيد ولا يلبث احدٌ في سبات الكسل مستمعًا لاشياء باطلة لكن ليسمع الاولاد معلّميهم بتواضع وليطلبوا التفقّه باجتهاد ونظام. وعلى الشيوخ ان يفرغوا الجهد حسب موهبتهم وطاقة تلاميذهم في ان يعلّموا بفطنة ويسلّموا لخلفهم بامانة قواعد الايمان التي تسلّموها هم من الانبياء والرسل القديسين حتى يعرف جميع سامعي الكلمة يسوع الجالس بين المعلمين

ويتقدموا دائماً في سبل الصلاح اكثر فاكثر ويسجدوا بعبادة واحدة الاله الذي وهب المعلّمين نعمةً كهنهِ. وكما ان هولآء يفوقون الناس علماً وحكمةً كذلك يجب ان يفوقوهم ايضاً بفضل حياتهم وحسن آدابهم *

فليجتهد العلمآء ومثلهم الجهلآء ان يقتدوا بامثال تواضع الرب يسوع المقدسة وطاعتهِ وان يخضعوا لارادتهِ عزّ وجلّ وهذان الامران قد بينهما لنا الرب يسوع في اقنومهِ وهو يعلم في الثانية عشرة من عمرهِ. اذ اصغى كالاولاد الى المعلّمين واذعن لهم باحترام. ولما ونبّتهُ امهُ الطوباوية بغاية اللطف اظهر خضوعهُ الاختياري لابويهِ وقفل راجعاً معهما وهو لبّن العريكة طائع للشرائع الالهية والبشرية في الامر والنهي كما ينبغي ويليق *

٤ : فليتك تعطيني يا رب ان اتامل في اجلّ تفاصيل هذهِ الاحدوثة من احاديث حياتك لاني

كثيراً ما اشعر في باطني بنفس المعاملة التي عاملت بها والدتك في حياتك الفانية اذ فقدتك ثمَّ وجدتك *

ويحي كم من مرةٍ فقدتك لتطلبات خطاياي. وكم امسي حزيناً اذ تتركني نعمتك في بوسي بلا تعزية فلا غرو ان توجعتُ وقتئذٍ ونحتُ بالم لكوني محروماً عذوبتك المفيدة وموشكاً على الياس من وجدانها ثانيةً. يا ما اطول الزمان واثقل الساعة التي اراني فيها محروماً التعزية الالهية لان يسوع حبيبي ومعزّي نفسي يكون قد ابتعد عني ولا اعلم متى يرجع *

فماذا اعمل والى اين اذهب في طلب يسوع حبيب نفسي. واين هو الآن ذلك الذي يفرحني عادةً فرحاً عظيماً. اني نعم اني لعارف بانهُ ان اراد ان يحتجب فلا يستطيع احدٌ ان يجدهُ ويبلغ اليهِ ويمسك بهِ لان ساعتهُ لم تاتِ بعد. ولكنهُ ان

ارتضى ان يكشف نفسهُ فيحضر في الحال على الباب ويدخل والابواب مغلقة ويفتقد مسكن النفس ويعلمها بنفسهِ بعلاماتٍ حقيقيةٍ بحيث لا يبقى حاجة الى هذا السؤال : من انت · لان النار التي تمتد في القلب تعلن بان يسوع قد جآء وانما هو صانع الكل *

اني احزن غالباً واتكدر باطناً عند وقوعي في بلية كهذهِ واستمرّ متعجباً من احسانك هذا السرّي · ولكن اسالك يا يسوع الكثير الحلاوة لماذا كثيراً ما تروضني بغتةً بهذهِ المحاربة وانت العذوبة بالذات لا مرارة فيك *

ان من اصابهُ مثل هذهِ البلوة يفهم كلامي · وانها ستصيب عما قليل جميع الراغبين في ان يتلمذوا لك وهذا التصرّف لا ينشأ عن حيلة او جهل بل عن غيرةٍ صائبة على تقدّمنا الروحي ولهذا اني افوّض كل ما يفوق ادراكي الى حكمتك التي لا تصنع شيئاً

بغير داعٍ وان كنتُ اجهل هذا الداعي *

وعلى كل حال فاني اجد في نسق هذهِ الاحوال تسلية عظيمة لشقائي وهي ان سيدتي مريم الحلوة قد فقدت قديماً يسوع ابنها وحصلت من جراء ذلك في منتهى الحزن ولم تكن تقدران تعمد للرجوع الى مسكنها قبل ان تجد يسوع فرحها الخاص واذ لم تجدهُ حيث ظنت فوجدتهُ حيث لم تظن. لانها لو علمتهُ جالساً بين العلماء يثير دهشتهم غاية ما يكون لقلَّ حزنها من هذهِ الحادثة بل انها كانت تفرح بهذا العمل الذي حاز شهرةً لا مزيد عليها باجوبة ابنها الطوباوي *

فينتج مما تقدم اننا لا نجد دائماً يسوع حيث نطلبهُ وكثيراً ما يوجد حيث لا نظن *

٥ : فلا يتكبرنَّ احدٌ كانهُ هو وحدهُ يملك يسوع . ولا يحتقرنَّ احدٌ قريبهُ لانهُ لا يعرف عظم سرور الله بقريبهِ في الباطن وان كانت الناس تجهل

ذلك وتحتقرهُ في الخارج لان يسوع نفسهُ كان كثيرون يجهلونهُ وقتئذٍ وقليلون جدًّا كانوا يعرفون حسبهُ ونسبهُ . وكان يظهر نفسهُ امام من يشآء ويحجبها متى يشآء ويصنع كل ذلك بسماح مفيد فطن *

فليس اذًا في فقداني يسوع من شيء عجيب جديد غير اني اعلم بان هذا الفقدان يضرّ بي ويولم قلبي شديدًا . فاعترف اذ ذاك باني قد اذنبتُ واستوجبتُ قصاصاً عظيمًا لاني لم احسن حراسة قلبي اذ اني سرتُ بتراخٍ وفتور فائق الحد . ولذلك فقدتُ نعمة يسوع ولا اعلم من يردها اليَّ ان لم يرتضِ هو ويرحم ايضًا عبدهُ المسكين *

فساعديني يا والدة الله الجزيلة الرافة في هذهِ البلية . وهلمي يا سيدتي الى معونتي . اسعفيني ابنها العذرآء مريم الحبيبة يا باب الحيوة ومدخلها . اني اطلب منكِ ان تعزيني واسالكِ ان تعينيني لانك

تعرفين احسن من غيركِ كم يشق فقدان يسوع وكم يسرّ وجدانهُ . ولكن ان كانت هذهِ البلية قد المّت بكِ ايضاً وانتِ بريئة من دنس الخطية فلا غرو ان لم تاتني نعمتهُ عزّ وجلّ وفقاً لاشواقي انا الخاطئ الذي يهينهُ كثيراً *

فما العمل اذّ لاجدهُ ثانيةً . لانهُ ان وُجد بعض الامل لاجدهُ ايضاً فلا يكون ذلك الاّ بمشورتك واستحقاقاتكِ انتِ المقرَّبة منهُ والعزيزة عليهِ اكثر من الجميع . فعلميني اذاً كيف اجد حبيبي ورافقيني حتى اجدهُ واذا ما رايتهُ ووجدتهُ سارتل معكِ في بهجة قلبي قائلاً : هنئوني جميعكم بوجداني من احبتهُ نفسي فانما هو الذي ولدتهُ مريم العذراء الكلية الطهارة*

٦ : اجابت : اليك مشورة صالحة : افتدِ بمثالي فتتعزّى نفسك . ان فقدت يسوع فاياك وان تياس وتفرط في الاضطراب . اياك وان تسقط في البلادة

وتترك الصلوة ونسعى في طلب تعزيات خارجة فالاولى بك ان تختلي وتبكي على ذاتك فتجد في هيكل قلبك يسوع الذي فقدتهُ بخطاياك واستلذاذك بالاباطيل . لان يسوع لا يوجد في الساحات ولا في دائرة المشعبذين ولا في ارض العائشين بالرغد لكن في جماعة الابرار ومجلس القديسين *

٧ : ينبغي لك ان تطلب ببكآء من فقدتهُ بتراخٍ وان تحفظ باعتنآء جزيل من تركتهُ يبتعد عنك بعدم فطنتك وان تتوسل بخوف واحترامٍ الى من يكره الكسالى والكافرين بالنعمة . انك تسترجع بالتواضع ما تفقدهُ بالكبرياء وتسكّن بصلوة منتبهة متواصلة من سدّ اذنيهِ عن استماع صوتك لتشامخ نفسك . وينبغي لك ان تسبّح بشكر لا مزيد عليهِ المستعدّ في كل حين ليهب نعمهُ . وان تقبل باشدّ الحب من يرحم الجميع ويغفر لهم ويسبغ مواهبهُ مجانًا

وهو المشهور بكرمهِ نحو كل من يفصدهُ وانهُ ان تأخَّر مرارًا فلا يهمل مع ذلك ابدًا من يثابر على الصلوة لكنهُ يفتقدهُ بدون علمهِ ويزيد فيهِ انوارهُ ويخرجهُ في فطنة عظمى لكي لا يعتمد على ذاتهِ ابدًا بل يثق بهِ تعالى بتواضع وعبادة *

انك ان احسنتَ الانتباه لهذه الاشياء سكّنت يسوع عاجلًا ووجدتهُ في اورشليم لان مظلّتهُ في ساليم واذا ما دخل يسوع هيكل قلبك سيعظك بكلام فمهِ الاقدس ويمكث فيك النهار كلهُ مكوّنهُ بفراش العرس ويعلمك كل ما يتعلق بالخلاص . فهو مصدر كل ما في الملائكة والبشر من النعم والفضائل وكل ما في الخلائق من الصلاح . فسبيلك اذًا ان تستغيث بيسوع دائمًا ولا تزال تطلبهُ وتتوق اليهِ وتذكرهُ وتمدحهُ وتكرّمهُ وتحبهُ على الدوام وتجنّب اهانتهُ وتعظّمهُ وتسجد لهُ بكل قداسة وطهارة. انهُ هو الاله المبارك فوق الكل

ومدى الدهور. آمين *

التأمّل الحادي عشر

في اربعة انواع بها نرى يسوع حسب شعائر العبادة

واما انتم فطوبى لعيونكم لانها تبصر (متى ١٣ : ١٦)

١ : ينبغي لنا ان نكثر من ذكر هذا الكلام الالهي العذب ونرفع بالروح اعين انفسنا الباطنة الى يسوع ربنا الذي فيهِ يحب الملائكة انفسهم ان يتجلوا بواسطة المعرفة اذ ان افراح رويتهِ تفوق افراح البشر. والحظوى بهِ تكمّل جميع اشواق النفس. وحضورهُ يسعد جميع قديسي السماء *

ولكن نرى ماذا يصنع اولئك الذين لا يزالون بعد سائحين على الارض غير قادرين على التنعم بمجد

الضياء الابدي · انهم سوف يرونهُ ولكن ليس الان · انهم سيرونهُ عن بُعد ولكنهم لا يرونهُ بعد عن قرب لانهم يرونهُ الان بالايمان لا في ذات شخصهِ ويرونهُ ايضاً شأن من يرى في مرآةٍ ومن خلال حجاب ولكنهم سوف يرونهُ يوماً وجهاً بوجهٍ · انهم يلمحونهُ الآن لمحة فاْئتة ولكنهم سوف يتبصرون فيهِ على الدوام · انهم يرونهُ الآن روية مبهمة ناقصة ولكنهم سوف يرونهُ جهراً وعلانية · انهم يرونهُ الآن حقاً لانهم يومنون بهِ ايماناً حسناً ثابتاً لكنهم سوف يعاينون يومئذٍ الكلمة الازلية بلا حجاب وفيها يشاهدون الكل *

فطوبى اذاً للعيون التي تبصر الآن يسوع بنور الايمان لكي تبصرهُ من ثمَّ في ملكوتهِ مع ملائكة الله · فمن كان على هذهِ الحالة تكون مباحثتهُ في السموات وبموجب الروح وان لم يزل جسدهُ ملتصقاً بعد بالارض *

٢ : والآن قولي لي ايتها النفس المومنة التي تحب يسوع غاية المحبة وتسعى في الاقتداء بهِ قولي لي باي هيئة تحبين وتفضلين ان تشاهدي يسوع لو خُيّرتِ بذلك وكان الامر ممكناً . أمضجعاً في مغارة او جالساً بين العلماء او واعظاً الشعوب او معلقاً على الصليب . فاية حالة من هذهِ الحالات تعجبك وتلذّ لك اكثر وتؤثر فيك اشد تاثيراً *

اجابت : اني لا اريد ان اميّز بين هذهِ الامور ولا ان احكم بشيء بذاتي فلا اريد ان اتبع هوائي وميلي الذاتي . بل ان ما اريدهُ هو ان اتبع في كل شيء مسرة يسوع الذي ينساب حسناً في خفايا قلبي وينفذهُ نفوذاً غير منظور ليكون لي كلاًّ للكل بموجب احتياجات ضعفي . فليصنع بطيبةٍ ما يسرهُ اكثر من غيرهِ وليرني ذاتهُ كما يشاء لانهُ مهما صنع يسرّني واذ أُحسنُ الانتباه لصنيعهِ يصبح لي كلاًّ في الكل لان اختلاف الاحوال

والعمر لايغيّر ايمان الحق اذ ان يسوع المسيح لا يتجزأ ويحق له السجود في كل من تلك الحالات *

هذا واني اشعر بانهُ آمن لي كثيرًا ان اتمسك بمسرّتهِ الصالحة تاركًا مسرّتي على حدة. غير اني ارغب ولا ازال ازداد رغبةً في ان اتبصر فيهِ بحب. واذا اعطاني ان ابصرهُ على احدى تلك الحالات التي سالتهُ عنها لعددتُ ذلك بالحقيقة احسانًا من احسانات نعمتهِ الجليلة الثمينة غير اني في هذا الامر اخضع سلفًا لرضائهِ وعدم رضائهِ لكي يكون كقولهِ في كل ما يسرني او يحزنني عدا الخطية. فلتكمل مشيئتهُ وليرني ذاتهُ لا غير واذا قدرتُ ان ابصرهُ في لاهوتهِ فلا تهمني كيفية الهيئة البشرية التي يتخذها *

ولكن من حيث ان هذا النوع من التبصّر رفيع جدًّا ومختص بالطوباويين فاكتفي في اثناء ذلك بان اعمل كسائر المومنين إن استخفيت ان ابصر يسوع في

هيئة ناسوتهِ كما ظهر مراراً لبعض المتورّعين في روية سرّية. وعليهِ فانهُ ان ظهر بزيّ طفل مضجع في مذود سجدت لهُ من كل قلبي سجودي لاله صائر طفلاً ومتلاشٍ لاجلي ومدحتهُ وهنأتهُ بحبهِ الفائق واحسان طفوليتهِ المملوء فرحاً وعذوبة الذي لم يُسمع نظيرهُ منذ البدء ومن ذا لا يودّ ان يرى طفلاً في غاية اللطف تعظمهُ الملائكة نفسها. وان يعانق ذاك الطفل البريء في الغاية من كل دنس وقد زارهُ الرعاة القديسون وسجد لهُ بوقار المجوس الجزيلو الشرف فهذا ما اشعر بهِ بفرح وهذا ما يثير فيَّ عواطف الحب الشديد. نعم اني عند تاملي في استهلال ذاك الطفل في مذودهِ الصغير يتأجج حبي اكثر مما يتأجج عند تاملي في سائر اعمالهِ بل وفي عجائبهِ ذاتها التي اعلنت للعالم كونهُ الهاً حقاً وانساناً حقاً. فهذا المشهد يقتضي عيناً طاهرة ونفساً متضعة وايماناً وثيقاً وضميراً لا عيب فيهِ لكي نرى

آلِه المجد في جسد واهن وخالق السمآء والارض بصورة عبد *

٣ : ولكن أليست هذه المجالسة بين المعلّمين هي حكمة الآب الازلي نسمع منهم وتجيب الى اسئلتهم . فليتك كنت ترى ذلك الصبي الجميل في الثانية عشرة من عمره وهو يسطع بصدق آدابهِ ويبين من خلال ظاهره طهارة غير قابلة الفساد . ليتك كنت تراهُ وهو يتكلم بكمال نادر الوجود ويجيب اجوبة في حينها ويُظهر في كل امر جودة طبيعية بحيث ان الجميع كانوا شاخصين اعينهم وقد اخذهم العجب اسرع مأخذٍ وكانوا يتوقون الى التمتع بحضرتهِ ومباحثاتهِ العذبة *

وانا ايضاً ارغب مشوقاً بفضول مقدس ان اشخص نظري في وجه يسوع واجمع من فيهِ اقوال الحكمة *

٤ : فها هوذا يسوع الطفل رب الملائكة جالس

بين العلماء يسمع من معلمي الارض وهو معلم الملائكة في السماء . ويسال الشيوخ ليعلّم الشبان ان يوقروا الشيب ويسكتوا امامهُ . كان ظاهرهُ محتشماً وخلقهُ دمثاً وسكونهُ وقوراً . اذا سالوهُ اجاب برصانة بدون ان يبدو منهُ خفة في اقوالهِ او في حركاتهِ وكان بين الحكماء انفسهم كالانسان البالغ اشدهُ وهو في السنين الاولى من عمرهِ *

انك لو كنت جلت اورشليم كلها لما كنت تجد صبياً يشاكلهُ في حسنهِ وحكمتهِ الفائقين كل قياس . كلاَّ ثم كلاَّ بل ولم تكن لتجد لهُ نظيراً في اسرائيل كلهِ ولو قابلتهُ مع سليمان وجميع بني الملوك . حاشا تجد ليس لهُ مثيل لا في السماء ولا على الارض ولا بين واضعي الشرائع والمعلمين كافةً *

فاذن لا غرو اذا حزنت مريم العذراء كل الحزن على فقدها هذا الابن العزيز والجميل في الغاية فوق سائر بني البشر . وعلى وجههِ كانت تلوح

سماء عذوبة عجيبة وعيناه كانتا رائقتين وشفتاه طاهرتين وكلامهُ عذباً واجوبتهُ مملوءة حكمة . اذا سكت كان سكوتهُ نموذجاً صالحاً واذا اجاب كان جوابهُ تعليماً راهناً ومهما قال وعمل كان ذلك فضيلة . وعليهِ فان كان هذا الفرع ياتي بثمار في غاية العذوبة وهو كثير النعومة فباي ثمار ياتي اذا بلغ اشدهُ *

٥ : فيا ما احلى للنفس المحبة ان تتامل في يسوع الناصري المختار من الله والساطع بين الشعوب بعظمة عجائبهِ ومعجزاتهِ والواعظ تلاميذهُ بكلام الحيوة الذي يفوق بحلاوتهِ الشهد اللذيذ . اني لكنت اعدّ ذاتي سعيدًا لو أُعطيتُ في هذا العالم ان احادث ربي يوماً واحدًا لا غير ولم اكن لانسى هذا اليوم ابدًا لسمو تعاليم ابن الله ومحادثتهِ لبني البشر المفعمة تواضعاً كيف لا وهو الذي لم يرذل فقيرًا ولا مريضاً بل وكان من عادتهِ ان ياكل مع العشارين والخطاة *

فيا ما اعظم حماقة من يردّ نظر قلبهِ ولو هنيهة عن هذا المثال الكثير القداسة الساطع في العالم العمري انهُ سيبقى زمناً طويلاً في جهلهِ وحماقتهِ ذاك الذي لا يقتدي بتواضع الهٍ متضع . ولقد اصاب الرسول المنوّر بقولهِ : « ان يسوع المسيح هو حياتي والموت ربحٌ لي » *

وعليهِ فاني ساجعل عينيَّ على ربي يسوع المسيح في كل حين لانهُ هو قاعدتي وحكمتي وفيهِ يتلالأ كمال جميع الفضائل تلألؤهُ في مرآة لادرن فيها . وليس من كتاب وعلم يجد فيهما الانسان ما يثقفهُ ويصلح لتاملاتهِ افضل واكمل مما يجدهُ في هذا كتاب الحيوة في هذا النور الحقيقي الذي ينير كل انسان ويحوّل الى حبهِ الفقرآء بالروح خاصةً *

٦ : وفوق جميع الطيوب النفيسة يفوح شذا الآم سيدي يسوع المسيح التي تجمع في خلاصتها ينبوع

جميع النعم فلذلك يلذ لي في حد الغاية ان اشاهد يسوع معلقاً على الصليب يريني جروح جسدهِ المقدسة التي قد ازرقّت بالوجع غير انها تلمع حباً وتؤثر فيَّ اشد تاثيراً من بقية احاديث حياتهِ كلها بحيث اني من اجل يسوع المصلوب لااقدر بعد ان افتكر واقرأ واتكلم واسمع شيئاً البتة. فليمنّ عليَّ الاله الذي لا يمسك رحمتهُ عن الخطاة لكن يسند ويساعد بجودةٍ عواطف النفوس التقية ان لاازال اتذكر ابداً الآم سيدي يسوع الكلية القداسة وان ينفذ قلبي حبّ حبيبي المصلوب وتوجعهُ وبجرحاهُ ويلهباهُ ويتمكنا منهُ كل التمكن لكي يحقر العالم باسرهِ في عينيَّ فلا اعود اجد شيئاً من الحلاوة الاَّ في يسوع المصلوب الذي اسالهُ ان يوقفني على اسرار الآمهِ الباطنة وقوفاً سرّياً متواصلاً *

٧ : ان يسوع الحبيب يوحي نفسهُ ايضاً بانواع

أخر كثيرة عجيبة . بموجب توقان النفس المحبة ويثقفها تثقيفاً اوسع في حياتهِ المقدسة وموتهِ الكريم وقيامتهِ المجيدة بحيث ان ما نعلمنا اياهُ الاناجيل المقدسة وتبينهُ لنا بالكلام الحسي يوحيهِ يسوع نفسهُ في الباطن بروحهِ وحياً روحياً محسوساً وان كان عارياً عن الصوت الخارجي وذلك بغزارة تلك انارة الحق السامي الذي يهب حتى ادراك المجد الالهي للانفس الطاهرة على قدر ما يسعها ان تتمتع بهِ مراراً على سبيل الانخطاف تسلية لضعفها البشري كما وعد بذلك الرب يسوع نفسهُ اذ قال : « انا هو الباب . واي انسان يدخل فيَّ يخلص ويدخل ويخرج ويجد المرعى » (يو ١٠ : ٩)

التأمّل الثاني عشر (١)

في الشواهد التي جاءت في العهدين على تجسد يسوع المسيح

قال الرب «فتشوا الكتب» (يو ٥ : ٣٩)

١ : يا سيدي يسوع المسيح الكثير الحلاوة هب لعبدك غير المستحق ان يعتبر بتقوى سرّ تجسدك ويتبحر فيهِ ببصيرة ويدركهُ كل الادراك ويكرّم بتواضع ما لا يدركهُ ويشكرك دائمًا على جودتك العظيمة ومحبتك الغير الموصوفة . لان سعادتي العظمى هي ان اتامل هذا السرّ الذي يسرّني في الغاية فوق جميع عجائبك ويؤثر فيّ تاثيرًا شديدًا ويجتذبني اجتذابًا بليغًا حتى انهُ يسلب اليك عقلي كلهُ *

(١) اننا طبقًا للنسخة التي بيدنا قد اثبتنا هنا هذا التامل الذي اصل وضعهِ في اول التاملات *

فاعطني اذاً ان اكثر من التفكر في هذا السرّ وابالغ في البحث عن كيفية معرفة الانبياء القديسين لهُ قبل حدوثهِ وعن كيفية تنبئهم عنهُ « اكشف عن عينيَّ فابصر عجائب شريعتك » (مز ١١٨ : ٨١) لانك انت واضع الشريعة وملقّن الانبياء ومعلمهم وقد بشروا بك باياتهم العجيبة ومثّلوك برموز عديدة متنوعة وانبأُوا عنك تارةً بمضمون الكلام واخرى بصريحهِ كما تبيّن لنا ذلك جلياً جميع الاسفار الالهية . وبالحقيقة ليس في هذهِ الاسفار الاّ ما يحدثنا عن هذا السرّ اذ انهُ فيها محتوبة ارهن الحجج على لاهوتك وناسوتك ذاتهِ. وانك وان كنت غير محتاج الى شهادة الانسان لانك الحق بالذات وتصنع من الناس انبياء متى تشاء. فمع ذلك اردت لاجل تثقيفنا وتوطيد ايماننا ان يورد لنا قديسوك هذهِ الامور ويتنبأُوا عنها قبل وقوعها بزمن مديد . واعطيت افواهم سلطةً هذا عظمها حتى انهُ لم

يجسر احد ان يقاومها باي وجهٍ كان . وهكذا ساغ للانسان عند ظهورك بالجسد ان يقر معترفاً بانك انت ملك اسرائيل ومخلص العالم وانت الذي بشّرت بمجيئهِ الكتب مراراً عديدة *

ولذا اجبت معلمي الناموس الذين لم يومنوا بك بل كانوا يترصدونك بفضول ويجربونك بخبثٍ قائلاً : « فتشوا الكتب » التي تومنون وتعتقدون انكم تجدون فيها الحيوة الابدية فانها تشهد عني[1] *

٢ : وهذهِ الشهادة عن تجسدك قد اداها الآباء والانبياء وسائر الابرار . فابراهيم شهد عنك بقبولهِ الوعد الآتي : « ويتبارك في نسلك جميع امم الارض »

---

(١) ان المولف قد اسهب الكلام في هذا التامل واكثر من الشواهد في حقيقة سر التجسد فمخافة ان يفضي اسهابهُ هذا بعض القراء الى الملل الممل استاثرنا ان نختصر الاقوال غاية ما يمكن ونحافظ في الوقت نفسهِ على المعاني الجليلة *

(تك ٢٢ : ١٨) فلا ريب ان هذا النسل الذي فيهِ تتبارك جميع أمم الارض هو انت يا رب اذ انك بتجسدك ورسمك سرّ المعمودية باركت جميع امم الارض بركةً « اعطيت الذين آمنوا سلطانًا ان يصيروا بني الله » (يوا ١ : ١٢) *

واسحاق شهد عنك بمولدهِ المفرح من امّ عاقر بموجب بشارة الملاك . وبخشب المحرقة الذي حملهُ الى الجبل ومُدّد عليهِ الآ انهُ لم يُذبح لانهُ كان الرمز وانت كنت الحقيقة (تك ٢١ و٢٢) *

ويعقوب شهد لك اذ بارك ابنهُ يهوذا وقال لهُ بروح النبوّة : « يهوذا اياك يحمد اخوتك يدك على قذُل اعدائك يسجد لك بنو ابيك » (تك ٤٩ : ٧) فهذه الشهادة قد كملت فيك اذ انك وُلدتَ من سبط يهوذا وذلك بعد انقراض مملكتهِ واتيت لا بالصفة التي كان يخالها اليهود اي ملك زمنيّ بل بصفة الَه

حقّ وانسان حقّ لتخلص العالم باسرهِ *

٣ : وموسى شهد لك بقولهِ لشعبك : « يقيم لك الربّ الاهك نبيّاً من بينكم من اخوتك مثلي له تسمعون » (تثنية ١٨ : ١٥) وقد دعاك نبيّاً لان هذا الاسم كان اعظم الاسماء *

وشهد لك ايضاً باعمالهِ اذ انهُ اخرج اسرائيل من مصر وادخلهُ ارض الميعاد بعد ان عبر بهِ البحر الاحمر حيث غرق فرعون . وبصنيعهِ هذا اومأ اليك اذ انك انقذت مختاريك من كثرة شرورهم وادخلتهم منازل ابيك بعد أن محوتَ الخطية الاصلية بمياه المعموذية *

اياك كان يمثل الحمل الفصحي وقربان العجول والكباش وعطر البخور والحفلات المتنوّعة ودم المحرقات المنضوح والمنارة الذهبية المزدانة بسبعة مصابيح والحبر الاعظم وصخرة موسى والمنّ السماوي وحية النحاس وعصا

هارون *

ونجد ايضاً مثالاً عجيباً عنك في يشوع ذي الشهرة الطائرة وفي جدعون الذي طبق الامصار ذكر غلباتهِ وفي شمشون الذي ذاع صيت باسهِ في الآفاق وفي سموئيل الذي فاق الانبياء بامانتهِ. وفي جميع الفضائل التي زهت في كل من الناصريين والقضاة *

وداود ايضاً شهد عنك وعظّمك بكلام صريح وتاق اليك بتقوى وحرارة اذ قال في مزاميرهِ: « يا ربّ طاطئ سماوتك وانزل (١٤٣ : ٥). ايقظ جبروتك وهلمّ لخلاصنا (٧٩ : ٣). اظهر لنا يا رب نعمتك وخلاصك اعطنا (٨٤ : ٨). اين رحمتك القديمة يا رب التي بها حلفت لداود بامانتك (٨٨ : ٥)*

٤ : وعنك قال اشعياء: « قد وُلد لنا صبيّ. وابناً أُعطينا وتكون الرئاسة على منكبيهِ ويُدعى اسمهُ عجيباً. مشيراً. الاهاً. قديراً. ابا ابدياً. رئيس السلام.

لنكثرن سلطنتهُ وسلامهُ ليس لهُ انتهاء » (٩ : ٦ و ٧) *

ان اشعياء شهد عن طبيعتيك فقال عن لاهوتك: « رايت الرب جالسًا على كرسيّ رفيع سنيّ واذيالهُ تملأ الهيكل » (٦ : ١) وقال عن ناسوتك: « نظرنا اليهِ ولم يكن منظر فنشتهيهُ.... ونحن حسبناهُ كابرص مضروبًا من الله ومخضعًا وهو مجروح لاجل اثامنا مسحوق لاجل معاصينا » (٥٣ : ٢ - ٥) (١) *

وشهد لك ارمياء فقال: « ان الرب خلق امرًا جديدًا في الارض: انثى ستحيط برجل » (٣١ : ٢٢) *

اجل يا رب اي شيءٍ احدث من تجسدك من روح القدس واي شيءٍ اعجب من ولادتك من امّ

(١) ان شواهد اشعياء كثيرة فان احببت الوقوف على اكثر ما اوردناه فراجع اشعياء: ص ٢ : ٢ * وص ٤ : ٢ * وص ١١ : ١ و ٢ و ١٠ * وص ٢٨ : ١٦ * وص ٤٠ : ١ و ١٠ * وص ٦٣ : ١ * وص ٦٤ : ١ *

عذراء . فيا لها من معجزة فريدة فاقت جميع المعجزات وجلبت لنا الغبطة والقداسة ومحت منا الخطيئة الاصلية *

وانتِ يا مريم الام العجيبة افرحي وتهللي لانكِ انتِ هي تلك الانثى المباركة التي اشار اليها ارمياء وقد استناهلتِ الفرح المجيد الناشيء عن تلك الولادة السعيدة في الغاية . انكِ فقتِ كل خليقة فحصرتِ في مستودعكِ من لا تستطيع خليقة ان تحويهُ وبقيتِ مع ذلك طاهرة . ثم انك وان كنتِ حملتهِ زمناً مديداً في احشائك العفيفة وخولتهِ اعضاء ضعيفة فكان هو مع ذلك رجلاً لا بالجسد لكن بالقوة ولا بعدد الايام لكن بكمال حكمتهِ والاجدر بنا ان نقول انهُ كان رجلاً منذ حبلت بهِ اذ انهُ كان ممتلئاً نعمةً وحقاً وهذا ما اوما اليهِ النبي بقولهِ : « انثى ستحيط برجل » *

وشهد عنك باروخ فقال : « هذا هو الهنا ولا

يُحسب اخر البهِ . وبعد روئي في الارض وعاشر الناس » (٢ : ٣٦ و٣٨) *

وشهد ايضاً حزقيال فقال : « ونظرتُ واذا في القبة التي على رؤوس الكروبيين شيء كمثل حجر العقيق الازرق كمنظر شبه عرش ظهر فوقهم » (١٠ : ١) وقال ايضاً « واذا في وسطهم رجل واحد بلباس كتان ودواة الكاتب على خصرهِ » (٩ : ٢) *

واشار الى ولادتك بقولهِ عن الباب الشمالي : « ان هذا الباب يكون منغلقاً . لا ينفتح ولا يجوز فيهِ احد من الناس من اجل ان الرب آله اسرائيل جاز فيهِ فيكون منغلقاً » (٤٤ : ٢). فانت هو الرب ومريم هي الباب المنغلق اذ انها استمرَّت عذراء دائمة البكارة قبل الولادة وعند الولادة *

وتنبأ دانيال عن مجيئك اذ فسَّر حلم بختنصر الملك فقال : « فحلمك ورؤيا راسك على مضامك هي

هذهِ ... فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجرٌ من جبل بغير يد بن فضرب التمثال على قدميهِ اللتين من حديد وخزف فسحقهما ... اما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً عظيماً وملأَ الارض باسرها (٢ : ٢٨-٣٥)*

فاليك يشير هذا الحجر انت الذي انقطع من الجبل اي من مملكة يهوذا بغير يد بن اذ انك وُلدت من عذراءَ لم تعرف رجلاً . وانت هو الذي ضرب التمثال على قدميهِ اذ اخضعت بنوع عجيب المعالي البشرية الى طاعة الايمان وصرت مثل جبل عظيم وملأْت الارض باسرها بعد ان كنت مجهولاً حقيراً *

وهذا النبي نفسهُ يشهد عنك شهادةً اخرى اذ يقول : «وكنتُ ارى في رؤْيى الليل واذا مع سحاب السماءِ مثل ابن بشر جاءَ ووصل الى القديم الايام . وقدَّموهُ الى قدامهِ فأُعطي سلطاناً وكرامةً وملكوتاً لتتعبَّد لهُ كلُّ الشعوب والامم والالسنة . ان سلطانهُ سلطان ابدي لن

يُنزع وملكوتهُ ان يُفسد (٧ : ١٢) *

فاي شيء اوضح من هذهِ الشهادة التي تنبئ علناً عن مجيئك في الجسد وفي يوم الدينونة *

٥ : وقد شهد عنك ميخا النبي شهادةً لم يستطع الكتبة والفريسيون ان ينكروها لانهم اذ سئلوا عن موضع ميلادك اجابوا قائلين : « في بيت لحم يهوذا » حسب قول النبي المذكور : « وانتِ يا بيت لحم افراتا ولوانكِ صغيرة لتكوني في الوف يهوذا . فمنك يخرج لي الذي يتسلط في اسرائيل وخروجهُ من القديم منذ ايام الازل » (٥ : ٢) فهذهِ الاقوال تثبت ولادتك الازلية من الاب وولادتك الزمنية من العذراء مريم *

وقام حبقوق على مرصدهِ وانتصب على الحصن وشهد وقال : « ان الرؤيا للميقات وفي النهاية تتكلم ولا تكذب . ان ابطأت فانتظرها فانها ستأتي اتياناً ولا تبطئ » (٢ : ١-٤) وقال ايضاً متكلماً عن الآلهة :

« وصار لمعان كالنور. لهُ من يدهِ شعاع. وهناك مستترة قدرتهُ. قدام وجههِ مسلك الموت... خرجت لخلاص شعبك. لخلاص مسيحك » (٣ : ٤ و٥ و١٣) *

وحبقوق هو الذي ما بين جميع انبيائك اشار الى اسمك الكلي الحلاوة والفائق كل اسم فقال: « فاما انا فافرح بالرب. وابتهج بالله مخلصي » (٣: ١٨) *

وشهد صفنيا فقال معزّياً النفس التعبة من الانتظار: « ترنمي يا بنت صهيون. تهلل يا اسرائيل افرحي وابتهجي بكل قلبكِ يا بنت اورشليم... ملك اسرائيل الرب في وسطكِ... فهو يخلص » (٣ :١٤-١٧) *

وشهد حجي وقال: « انهُ من الان الى قليل ازلزل السماء والارض والبحر واليابسة. وازلزل جميع الامم ويأتي المشتهى لجميع الامم. واملأ هذا البيت مجداً يقول رب الجنود » (٢ : ٧ و٨) *

وشهد زكرياء وقال: « احمدي وافرحي يا بنت

صهيون لاني هاءنذا اجيء واسكن في وسطكِ قال الرب» (٢ : ١٠) وقال ايضاً : «ها هوذا ملككِ يأتيكِ هو عادل ومنصور. وديعٌ وراكب حماراً وجحشاً ابن اتان» (٩ : ٩) واضاف قائلاً : «ويتكلم بالسلام مع الامم وسلطانهُ من البحر الى البحر» (٩ : ١٠) وهذا ما نرى اليوم حقيقتهُ راي العين *

ويوجد شواهد اخر غير هذهِ اورد الانجيليون خلاصتها ولذا لا يجب على قارئها ان يرتاب في صحتها اذ يرى بعض الاختلاف في تعبيرها. لان الانجيليين اوردوا بالاختصار ما اوردهُ الانبياءَ باسهاب وابهام. ولا يجب عليهِ ايضاً ان ينظر دائماً الى ظواهر النبوات لان منها صريحة ومنها مجازية وهي الاكثر *

وعليهِ فانك يا رب تخرّج في الايمان بواسطة النبوات الصريحة القلوب البسيطة وترفع العقول البصيرة بواسطة النبوات المجازية الى التبحر في اسمى

الاسرار. فهذه النبوة: «ثقبوا يديَّ ورجليَّ واحصوا جميع عظامي» هي صريحة واما هذه الاخرى: «انا دودة ولستُ انسانًا» فهي مجازية *

فما اجلَّ رحمتك عن الوصف يارب فانك قد اظهرتها في البشر ظهورًا يفوق ادراك العقل اذ انك بذلت وسعك بل حياتك ذاتها في طلب الذين لم يعرفوك ولم تترك الذين تركوك . انك صفحت بجودة لا مزيد عليها عن الذين اساؤوا اليك واظهرت طريق الخلاص للذين كانوا زاغوا بعيدًا عنهُ . وعليهِ فان كان هذا تصرّفك مع اعدائك فكيف يكون تصرّفك مع اصدقائك . اجل يا رب انك تجعل ذاتك كلاًّ للكلّ لكيلا يعوز شيء للذين ياكلون ويفرحون معك في ملكوتك *

٧ : فيا يسوع رغبة الانبياء الوحيدة اني اعتقد اعتقادًا وطيدًا بانك انت المسيح ابن الله الوحيد ومخلّص العالم وقدوس القدّيسين وقد ظهرت بصورة

جسدنا وانت اله وولدت من مريم العذراء ميلاداً لم يخسرها بتوليتها . فماذا اقول فيك وكيف اصف اعمالك وانت تجلّ عن كل وصف وتمجيد فانت هو الحقّ النابت من الارض والعدل الذي يتطلع من اعلى السماوات والصانع السلام بيننا وبين ابيك . انت النبي الذي بشّرت بهِ الانبياء وتاقت اليهِ الملوك والآباء . انت الهنا وملكنا منذ الازل والصانع الخلاص في وسط الارض . انت انسان تفوق بحسنك جميع اولاد ادم واسمك ثابت الى الابد . وكمثل الندى على الجزّة انحدرت في مستودع مريم وكمثل غيث مفيد بثيت نعائمك في كل انحاء المسكونة . انك شربت من سيل الطريق بتكبدك لاجلنا الآم الموت وبموتك الاليم انشقّ ستر الهيكل فظهرت الحقائق المستترة التي طالما اشار اليها الانبياء برموزهم واومأ اليها الآباء الابرار بالغازهم ومراسمهم *

بيد ان اليهود ابوا الايمان بك ورفضوا تعاليمك ولا غروَ فانهم كانوا جسدانيين ومادّيين وشريعتك روح محض لا يدركها ولا يانس بها غير الروحانيين محبي السماويات ، اما نفسي فتفرح وتتهلل بك انت فرحها وخلاصها وتشكرك من صميم قلبها لانك ميزتها بمجرد جودتك ورحمتك من بين كثيرين واتيت بها من تيه الاباطيل الى معرفة اسمك القدوس العذب اللطيف *

فلك الحمد والشكر ايها الرب يسوع المسيح « لتجثُ باسمك كل ركبة مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض وليعترف كل لسان انك في مجد الله الاب » (فيلبي ٢ : ١٠) . آمين *

: شواهد اخر تابعة ماخوذة من العهد الجديد :

٨ : هلموا بنا الان نفتش العهد الجديد ونطلب فيهِ بعض الشواهد عن تجسد المسيح لان كل ما كُتب

فيهِ ينطق بحقيقة هذا السرّ نطقاً صريحاً عارياً عن الرموز والاشباه *

وهذهِ اول شهادة : « فالقدوس المولود منكِ ابن الله يُدعى» (لو ١ : ٣٥). وقال الملاك ايضاً للرعاة: « انهُ وُلد لكم اليوم مخلص الذي هو المسيح الرب في مدينة داود » (لو ٢ : ١١) *

وشهد يوحنا المعمذان وقال : « سياتي بعدي من هو اقدم مني الذي لا استحق ان احل سيور حذائهِ » (لو ٢ : ١٦) وقال ايضاً : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم » (لو ١ : ٢٩) *

ان يوحنا المعمذان كان مصباحاً مضيئاً لامعاً وكنت انت يا رب النور الحقيقي الذي يضيء لكل انسان اتٍ الى العالم. كان ذاك المبشّر وانت الديان. كان ذاك العبد الوضيع وانت رب الكل . كان يوحنا صديق الختن وانت ختن الكنيسة . كان ذاك

نبيّ العلي وانت ابن الله الوحيد المساوي لله الآب في الازلية . وكما ان الزُهَرة تنبيّ بالصبح هكذا سبقك هو مهدًا لك الطريق فتبعته انت كالشمس في رائعة النهار وافيًا للعدل الالهي بكل دقة واتخذت اشعةً لك الرسل المغبوطين وبعثتهم الى العالم كله لينيروهُ بنورك ويبشروا الشعوب ان ما انبأ بهِ الآباء الاولون والانبياء الصديقون قد تمّ وحاز الكمال *

وقد شهد عن سر التجسد الآب نفسهِ اذ اعلن قائلاً من علوّ قدسهِ : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ » وشهد ايضاً الروح القدس اذ حل عليهِ بشبه حمامة *

٩ : ان بطرس هامة الرسل اعترف بالمسيح وشهد وقال : « انك انت المسيح ابن الله الحق » واستحق من اجل ثبات ايمانهِ ان يُكنى بالصخرة *

وشهد ايضًا رسول الامم واعترف وقال : « فلما

بلغ ملء الزمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني » (غلاط ٤ : ٤) *

وشهد اندراوس اخو سمعون بطرس وقال : « قد وجدنا مسيّا الذي تاويلهُ المسيح » (يو ١ : ٤١) فيا لهُ من ايمان وثيق بسيط استقاهُ من معين كل حق وشارك بهِ اخاهُ بطرس *

فيا للعجب العجاب اني ارى السُّذج يومنون بالمسيح والكتبة والفريسيون يشاهدون الايات ويسمعون الاقاويل ولا يومنون ولكن مهلاً ايها الكفرة والجهلة ان سذاجة المومنين وبساطتهم سوف تُخجلكم في يوم الدين وتقضي عليكم وعلى كل القائلين نظيركم : « ليس الهٌ. وجاهل كل من يخدمهُ » *

وشهد ايضاً يوحنا الرسول وقال : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله كان الكلمة » .

وزاد قائلاً : « والكلمة صار جسداً وحل فينا ورأينا مجده مجداً مثلما للوحيد من الآب المملوء نعمةً وحقاً » (يو ١ : ١٤) . اجل ان هذا التلميذ هو الذي « شهد من اجلك بهذه الامور وكتبها ونحن نعلم ان شهادته هي حقٌ » (يو ٢١ : ٢٤) *

« كل روح يعترف بان يسوع المسيح قد اتى في الجسد فهو من الله وكل روح يحل يسوع فليس من الله » (١ يو ٤ : ٢)(١) *

١٠ : الهي انك قلت : « انا هو نور العالم من يتبعني لا يمشِ في الظلام بل يكون له نور الحيوة » (يوحنا ٨ : ١٢) فاني اسمع بطيبة الانبياء يتكلمون عنك غير ان اقوال فمك تطنّ في اذنيّ بعذوبة عظمى . ان شهادة الانبياء تسرّني بيد ان شهادتك عن نفسك

(١) ان شئت شواهد غير هذه فراجع : يو ١ : ٤٥ و ٤٩ * ويو ٣ : ٢ * ومرقس ١٥ : ٣٩ *

تسرّني اكثر. لاننا ان كنّا نصدّق شهادة الانسان فكم بالحري لا نصدّق شهادتك انت الحق بالذات الذي لا يغش والحكمة التي لا تجهل شيئاً. الاّ انك مراعاةً لضعفنا اقمت انبياء لننتفع نحن بهم لا لكي تنتفع انت بهم ولذا اجبت البعض قائلاً: «ليس من اجلي كان هذا الصوت بل من اجلكم» (يو ١٢: ٣٠)*

فيا يسوع المحبوب في الغاية اني افرح بكل ما قالتهُ الانبياء ونقلهُ عنك الرسل والانجيليون فهؤلاء لم يكن لجميعهم غير ايمان واحد وروح واحد ومعرفة واحدة لان الروح القدس كان يملأ قلوبهم ملأً يجعلهم يخوضون في الاسرار العابرة والمستقبلة على السواء. وعند قراءتي او استماعي كتاباتهم تستولي عليّ عبادة الايمان كل الاستيلاء واشعر في باطني بوهج حب اسمك وان كنت خاطئاً غير مستحق هذه النعمة*

الهي اني انتفع بكلام الانبياء ورؤياتهم وعظاتهم

السماوية وانما لفائدتي قد كتب الانجيليون وتلاميذهم الذين رأوك راي العين وسمعوك ولمسوك . اجل ان الذين استحقوا ان يروا كان رويتهم لاجلي والذين سمعوا ما كانوا عتيدين ان يخبروا بهِ كان سماعهم لاجلي والذين كانوا مزمعين ان يثبتوني في الايمان انما لمسوا لاجلي *

١١ : ان شهادة الانجيليين تتبعها شهادة الشهداء القديسين واكتفي بذكر واحد منهم الا وهو القديس اغناطيوس تلميذ يوحنا الرسول فهذا القديس الشهير جُلد بسياط منتهية بكرات رصاصية ومُزّق جسمهُ باظافير حديدية ومُدّد على جمرات نارية . فاعلن بصبرهِ الجميل على هذه انواع العذابات ثبات ايمانهِ بيسوع المسيح . واظهر شدّة حبهِ لهُ بهذا الجواب المفعم حرارة وهو : « لا شيء يقدر ان يطفىء فيَّ محبتي ليسوع المسيح لا النار الشديدة ولا الماء المغلي » *

فيا ايها الشهيد الشهير الذي الجأت بثباتك القيصر تراجيانوس الى التعجب فهتف قائلاً : « ايُّ انسان من اليونانيين يحتمل اوجاعاً كهذه في سبيل الهِهِ » . انك تستحق حقاً ان نكرّمك ونعظمك باناشيد تقوية . لانك ما برحت تستغيث في وسط عذاباتك الاليمة باسم يسوع الشهي الحلو ولما سُئلت عن هذه الاستغاثة الدائمة اجبت قائلاً : « ان هذا الاسم مرسوم في قلبي ولذا لا انفك اترنم بهِ » . وبالحقيقة ان قلب هذا القديس أخرجهُ الوثنيون من جسدهِ بعد مماتهِ وشقوهُ نصفين فوجدوا محرّراً على الوجهين باحرف ذهبية : « يسوع المسيح » *

فيا يسوع الصالح ما اشهى اسمك وما احلاهُ لمحبيك . وما اكثرني احتياجاً الى الاستغاثة بهِ في وسط التجارب الكثيرة التي تكتنفني فارتضِ يا يسوع ربي ان ترسم في قلبي اسمك الحلو لأَذكرهُ دائماً . واضرم فيَّ

نار حبك بحيث لا يفصلني عنك فرح ولا حزن (١) *

(١) ان المولف قد اطال نفس الكلام في هذا الفصل ويقدم لنا في ما بقي منهُ شواهد اخر ماخوذة من جهاد الشهداء واقوال المعترفين والمعلمين القديسين بل ومن الكائنات الجامدة ذاتها كالسماء بواسطة نجم المجوس والارض التي تزلزلت لموت المسيح والبحار التي سكنت لصوتهِ وغير ذلك. فخشية من اطالة مملة عدلنا عن استخراجها مكتفين بشواهد العهدين لعلمنا ان المومن الحقيقي لا يحتاج الى شواهد عديدة وحسبهُ شهادة واحدة من شواهد الكتاب المقدس اما غير المومن فان كان لا يقتنع بكلام الله فلا يقنعهُ ايضا كلام البشر *

الباب الثاني

في اسرار الحزن (للصوم)

التأمّل الثالث عشر

في وضع الصوم المقدس على مثال ربنا يسوع المسيح

هوذا الان وقت مقبول . هوذا الان ايام خلاص

(٢ قورنثية ٦ : ٢)

١ : ها قد اقبل الصوم الاربعيني المقدس الذي وضعتهُ الكنيسة وضعاً مفيداً للخلاص ويجب على جميع المسيحيين ولاسيما الرهبان ان يقبلوهُ بعبادة . فاعدد اذاً ذاتك يا خادم الله في هذا الوقت لترتب سيرتك وتضبط صومك وتدمن على الصلوة وتنشط ترانيلك لتستحق في عيد القيامة ان تشارك المخلص في افراحهِ

بقدر ما ازددت شظفاً في عيشك . فاقبل بفرح الصليب الذي حملهُ مخلص العالم على حبك . لان الصليب يذلّل كل جسد ويميت محبة اللذّات الجسدية التي يجب قمعها على الدوام لئلاّ تنهض ضد الروح *

غير ان هذا الصليب يضحي عذباً خفيفاً بنعمة ومحبة يسوع المسيح الذي علمنا كيفية الصوم بمثالهِ ومثال قديسيهِ . فلا تخف اذن ايها الانسان الضعيف ولا تجزع من الصوم . اذ اننا نصوم في سبيل يسوع المسيح نموذجنا وهو يساعدنا على حسن العمل وقد سنّ هذهِ السنن الكثيرة القداسة فما تعملهُ انما لاجلك تعملهُ واذا صمت فلاجل خلاصك تصوم *

٢ : فماذا تخاف ايها اللحم والدم . ان القديسين الاولين ايضاً كان لهم لحم ودم وقد قضوا مع ذلك زمناً طويلاً في الزهد والامساك انك اذا لا تريد ان تشعر

في هذا الوقت ببعض التكلف والصعوبة فكيف يُدعى هذا الزمان زمان توبة وانى يكون كذلك *

فيجب ان تصنع توبة في هذا الصوم الاربعيني الوجيز لتعوّض عن اهمالاتك الماضية . وان تذلل نفسك لاجل الله لتفي للعدل الالهي بواسطة السهر والصوم والصلوة والعمل والصمت والاختلاء وسائر مراسم الكنيسة المقدسة التي تفرض علينا الآن خاصة اماتة الجسد . وهي نفسها تُطيل في كل مكان السهر والصيامات وتكثر تراتيلها وصلواتها وسجداتها وتبالغ في تذليلها نفسها وتكمل فروضها بحرارة وتسجد بوقار وتقرا بانتباه وتعظ بشدّة وتنادي بصوت رصين وتجلبب بظواهر التقوى وتتمسك بالاحتشام والادب وتزيد جميع مراسيم القداسة *

وعليهِ «فان كل انسان لا يذال نفسهُ في هذا اليوم عينهِ يقطع من شعبهِ» (احبار ٢٣ : ٢٩) لان من يابى

الاقتداء بالقديسين في زهادتهم لا يستحق ان يُحسب من جماعتهم *

فيجب الآن ان نبدل السيرة القديمة باحسن منها ونقمع الجسد بعقوبات ملائمة لكي يعود بزهر بتجديد الحيوة يوم عيد القيامة . ويجب ان نقتدي ايام تغافلنا ونلزم انفسنا ببعض اشيآء زائدة بحرارة الروح لتذليل الجسد «فانما الروح هو الذي يحيي والجسد (اي اللذة الجسدية) لا يغني شيئاً» (يو ٦ : ٦٤) *

فوجّه اذاً جميع افكارك الى الرب فتغتذي بكلامهِ احسن من اغتذائك بالاطعمة الارضية . لانهُ «ليس بالخبز وحدهُ يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤ : ٤) *

ان الخوف الذي تشعر بهِ هو حبك لذاتك الشديد الوجَل غير ان الخوف الشديد وغم القلب بسبب الامساكات كثيراً ما يفوقان صعوبة الصوم ذاتها .

اننا ان لم نجد في الصوم بعض التكلف فايّ فضل لنا · ان التوبة لا تُصنع برغد العيش وطيبتهِ · فمن كان حارًّا في العبادة ومستعدًّا للعمل بشجاعة يجد كل شيءٍ هيّناً قليلاً · لانهُ لا يرغب فقط في ترك ما كان زائدًا ومضرًّا بل وفي الامتناع عما كان مباحًا ايضاً · فتشجّع اذًا يا هذا وبادر الى الصوم واليك مشجعًا مثال جميع الصائمين معك · اعزم ان تحسن الصوم يوماً واحدًا وفي الغد اضف الى اليوم الماضي يومًا آخر وصمهُ بعبادة عظمى فتبلغ هكذا باسم الله الى غاية الايام الاخر *

الا يليق بنا حبًّا بيسوع المسيح ورغبةً في ملكوتهِ ان ننظر الصوم كلهُ خفيفًا وجيزًا · فلا سبيل هنا الى التقهقر وما الفائدة من الاهتمام بهذا الشان « يكفي كل يوم شرّهُ » (مت ٦ : ٣٤) · ان كنت لا تريد ان تضاعف اوجاعك فاعدد نفسك لتجارب جديدة ·

وكلما بادرت الى القنوت خففت احزانك وصيَّرتها شهية لديهِ تعالى. ربما هذا الصوم الاخير من حياتك فسيفعمك فرحًا ان احسنت انجازهُ. كثيرون صاموا في السنة الماضية وهم مدروجون الان في الاكفان وقد صاروا الى خبر كان. فانك اذن ترضي الله كثيرًا ان عملت بطيبة وفرح ما تلزمك بهِ الضرورة على كل حال *

٤ : فاقدم اذًا على الصوم المفيد للخلاص بشجاعة وسرعة نابذًا عنك هلع الجسد. سِرْ بروح الحرّية فلا تكتنفك هموم الجسد. اعتبر مليًّا مثال موسى وايليا ودانيال الانبياء القديسين الذين عاشوا بزهد عجيب وحافظوا بطيبة على الاختلاء زمنًا مديدًا. اعتبر ايضًا الطوباوي يوحنا المعمذان ذاك الرجل الفاضل الذي ملأهُ الروح القدس وهو في بطن امهِ وذهب بهِ وهو صغير الى البرية حيث عاش وحدهُ زمنًا طويلًا

بزهدٍ مضنٍ وشظف عيش شاق للغاية . واعتبر ايضاً فوق جميع القديسين مخلصنا يسوع المسيح واتخذهُ لك مثالاً خاصاً في الزهادة . انظر كيف ان قدوس القديسين وملك الملوك وخالق الاجيال ومنشئ جميع الازمنة ومقدسها صام اربعين يوماً بدون ان ياكل شيئاً البتة وعلمك بمثالهِ القدوس ان تصوم وتقاوم بشجاعة تجارب الشيطان *

فاي شيء لا يصيرهُ مثالهُ محتملاً ومحبوباً اذا ما اعتقدنا انهُ لاجلنا صام لا لاجلهِ . فلا تعتبر صومهُ فقط بل اجتهد بان تتخذ اختلاءهُ المستطيل مثالاً لك متاملاً كيف انهُ استمرَّ محتجباً في البرية وكيف عاش بين الوحوش بحلمهِ الواسع وكيف جرَّبهُ الشيطان ثلاث مرات فانهُ يقدّم لنا في هذهِ الحالات مثال السيرة المتوحدة ويعلمنا ان نهرب من العالم ونتجنب الطيش والتلاهي ونكثر من الصلوة ونُخرّج انفسنا في

التامل ونحيا لاجل اللهِ ونختلي في ذواتنا ونصون قلبنا *

٥: انك لو كنت قدرت ان تقضي في البرية بعض الزمان مع الرب يسوع معتزلاً عن الخلق كل الاعتزال لاستعذبت جدًّا الامساك عن الاكل من تلك الايام وكم كنت تصبح سعيدًا لو قدرت ان تقاسم ابن الله وحدتهُ وتتمتع بصحبة من كانت تخدمهُ الملائكة. ولكن ترى اين كان ماواهُ وايةَ مغارة كانت سكناهُ وما كان فراشهُ؟ ان الحضيض كان مجلس ومرقد وفراش من يدبر السماوات والارض . فكنت تراهُ تارةً واقفًا واخرى ساجدًا يصلي الى الله ابيهِ القادر على كل شيء فشاركهُ اذًا بعبادة وتقوى والبث منفردًا معهُ بطيبة جاعلاً اياهُ تعزيتك الوحيدة . لان صحبتهُ هي افضل لديك من صحبة جميع ملائكة السماوات . فمن يكون يسوع الكثير الحلاوة معهُ لا يبقى وحدهُ ابدًا ولا يُخذل

خذلاً تامًّا . وبلا يسوع العالم باسرهِ يكون شاقيًا مضجرًا *

فاعتبر عظم حلم يسوع وصبرهِ في تلك الخلوة الرحبة واي طريق نيّر انهج للرهبان الى الخلوة بتبيينهِ انهُ ينبغي لهم باديء بدء ان يهتموا بالله وبانفسهم قبل ان يظهروا في العالم *

٦ : ولكن اسالهُ عن سبب تلك العيشة وقل لهُ : ايها الرب يسوع ماذا كنت تصنع هنالك ولِمَ اعتزلت عن الخلق ومن المحال ان تجد فيهم ما يحول دون مرامك لماذا تجنبت المجمع المشغل وقلبك لا يمكنهُ ان يشتغل بشيءٍ *

وما بالك تصوم صومًا شاقًا في الغاية وتعاقب جسدك هذا العقاب وليس فيك ما يستوجب العقاب . ألاجلنا وابتغاء خلاصنا تصنع كل هذهِ الاشياء *

اجاب : نعم ان الامر كما قلت . فقد تعذبتُ وعملت كل هذه الاشياء لاجل اصفيائي كي يبلغوا الخلاص الابدي . لاني جئت اقدّم للجميع نموذج السيرة مبينًا لهم في شخصي بأي طريق وباية اتعاب واثمار يبلغون ملكوتي ليتنعموا فيهِ الى الابد *

٧ : فاسألك ايها الرب ان لا تخذلني في برية هذا العالم بل كن لي في النهار سحابةً مرطبة تخمد نار التجارب وفي الليل عامودًا نيّرًا يبدّد ظلمات عقلي . ليسِر دائمًا امامي الرب او ملاكهُ وليذهب بي الى الارض التي يجري فيها الحليب والعسل اعني بهما العذوبة الباطنة التي تذوقها النفس *

اجاب : اني اجيب الى طلبتك ان عملت ما اقولهُ لك . فقد اظهرتُ لك طريق التوبة التي بها يصير الانسان الى المجد الابدي فاتبعني بالتعب والشدة ان اردت الحصول على الراحة والتعزية . اني صمتُ

وجهدتُ وجُرِّبتُ ولم ازل ثابتًا . اني احتقرت العالم ومجدهُ وغلبت الشيطان ووساويسهُ لكي تقتدي انت بمثالي فتصوم وتسهر وتصلي وتحتقر العالم وتقاوم ابليس وتكبح الجسد وتثبت في الطاعة الى المنتهى *

ان كنتُ انا البريء من كل خطية قد جاهدتُ كثيرًا وعشتُ بزهدٍ لا مزيد عليهِ وذلك من اجل خلاصك فكم بالاكثر يجب عليك انت المولود بالخطية وفيك ايضًا موقد الخطية ان تميت جسدك وتقطع كل وصال مع اسباب الخطية فاجتهد اذًا حسب طاقتك بان تحفظ وصية الصوم المفروضة عليك وتمقت شهوة الجسد اولى من مقتك لاحتياج الطبيعة ومن جهتي فاني اقبل بطيبة التقدمة الاختيارية التي تقدّمها لي وان كان الشيء الذي تصنعهُ يسيرًا جدًّا الّا ان التقدمة الوضيعة الطاهرة تسرّني دائمًا *

التأمّل الرابع عشر

في انهُ ينبغي لنا الان ان نبذل كل جهدنا في تهذيب سيرتنا

قد اتت ايام الافتقاد . اتت ايام الجزاء (هوشع ٩ : ٧)

١ : مبارك الرب الذي اعطانا وقتاً وطريقة لنتوب قليلاً على خطايانا فاننا بتوبتنا هذه نستحق رحمتهُ تعالى ونعمة عظمى والمجد الابدي *

فيا الزمان التوبة المقدس الممنوح لجميع الناس لاجل خلاصهم . يا لهُ زماناً يامر بحسم الرذائل ويعدّ الطريق الى الفضائل ويسوق الى التخشّع ويغذي العبادة ويزيل العجز وينعش النشاط ويشجع المرء على انواع الخيرات *

فيا وهج العبادة والشوق الى الاصلاح اظهر الان قوّتك وبيّن بالافعال ما ابكر اليهِ فكرك *

ليتك يا هذا تقدر في هذا الوقت ان تغلب

تماماً ولو شائبة واحدة من شوائبك او تفقد شيئاً من عوائدك السيّئة . فما اسعدك لو قدرت ان تصعد درجة في الفضيلة او تقبل من الرب نعمةً خصوصية . انك ان لم تشتغل الان في تقدّمك فمتي تتقدّم و نصطلح بعض الاصطلاح *

بالحقيقة نادرًا يصبح الانسان متعيّداً في وقت اخر ان لم تزدد عبادتهُ في هذا الوقت . ان من يجتنب في وقت اخر ما كان ممنوعاً يستحق الثناء أما من لا يمتنع الان حتي مما كان مباحاً فيستحق المذمة . ان الوقت المقدّس يطلب حيوةً مقدّسة . والامثلة التي يقدّمها لنا كثير من المسيحيين تحثنا اشدّ حثّ على التشبه بهم . ان كان يليق بكل مسيحيّ ان يحيا باعظم قداسة في هذه الايام فكم بالاكثر يجب ذلك على راهب ملتزم بان يُعطي الاخرين مثال القداسة والزهادة *

فسبيلنا ان نقوم على قدم النشاط بتقوى جديدة ونبالغ في ضبط حواسنا مصلحين انساننا الباطن والخارج باجمعهما اصلاحًا تامًّا . لتكن نفسنا عابدة وصلاتنا طاهرة وتاملنا متواترًا وقراءتنا بانتباه وكلامنا وجيزًا نافعًا واختلاؤنا عزيزًا دائمًا لتمرّن ايدينا بالشغل وعقلنا بالتقوى وليكن يسوع في قلبنا على الدوام *

لانهُ يجب الان ان نتيقّظ كل التيقّظ لنتخلص من مكامن العدو الذي قد اعتاد في هذا الوقت ان يحارب ويجرّب العابدين باعظم شدّة ليلقيهم في العجز والضجر فيجعل شغلهم بلا فائدة وتوبتهم شاقة والخورس مملًّا . ولا عجب ان تجاسر على امتحاننا اذ انهُ لم يخشَ من امتحان الرب ذاتهِ . ولكنهُ اخزاهُ الله قد غلبهُ الرب فتركهُ خجلان لكي نُعطى نحن رجاء النصر عليهِ ولا نخشى منهُ ابدًا اذ اننا بمعية المسيح الغالب *

٢ : لنقاوم اذاً بشجاعة ولنستمر ثابتين في جميع الشدائد . لعمري ان الكنيسة لا تزال غالبا بغير باعث ما ياتي : لنكن جميعاً فاضلين بصبر جليد متدرّعين بسلاح العدل وقوّة الله . فلا بدّ من الصبر الان اذ انهُ لا بد ان يعرض لنا مخالفات كثيرة لا نحسن احتمالها بدون النعمة الباطنة ٠ وربّ شيء يستثقلهُ الواحد اكثر من الاخر حسب عظم مخالفتهِ لاخلاقهما او ملكاتهما فسقياً لمن يكون قد جمع من التجلد والصبر كفايتهُ ٠ ما اعقلهُ . لان الدواء الانجع للانسان ان لا يسلم ذاتهُ للخوف ولا يهرب من امام عدوّهِ بل يعمل بقوّة ونشاط ويتأهب بطيبة لاحتمال مشقّات عظمى لاجل الرب *

هكذا عمل القديسون آباؤُنا الاماجد المضطرمون بحب الله لما وضعوا هذه الاشياء وتركوها لنا لنمارسها على مثالهم وبالاجمال ان الرب يسوع كابد عقاب

الصليب الاليم وقدّم لنا صبرهُ تسليةً ومثالاً نقتدي بهِ على الدوام *

فكل من يعمل جميع اعمالهِ الان بحسن العبادة يحتفل بلا ريب بالفصح المقدّس بفرح اجزل ومثلهُ من يمارس الان باعظم دقة الزهد والاختلاء لاجل تقدّمهِ الروحي *

فيا يسوع الصالح . يا ضيفاً عذباً وصديقاً اميناً التفت الى اشواقي وتنهداتي وقوِّ ضعفي في هذا الصوم المقدّس الذي قدّستهُ تقديساً صائباً . شجّعني وخوّلني نعمة العذوبة الباطنة لكي اتبرّر بهذا صوم الجسد من خطاياي . أعطني ان امسك عن الطعام المادّي امساكاً بهِ امتنع في الباطن عن كل رذيلة وهوى . احفظني من مكامن العدو الذي يجتهد بكل الوسائل ان يبطل القصد الذي قصدتهُ ويخمد حرارتي المقدّسة . اعضدني بيمينك يا يسوع الصالح لكي ازهر في هذ

الايام امام حضرتك المقدسة بغير ضجر وبلا عُجب ولا طيش وأقدّم لك بتقوى وبكل امانة عُشر ايامي . امين *

التأمّل الخامس عشر

في صعود موسى الكليم الى جبل سيناء

وصعد موسى الى جبل سيناء ... واقام هناك اربعين يوماً واربعين ليلة (خروج ٢٤ : ٤ و ٢٨)

١ : ترى ماذا عمل هناك عند الرب ذاك الرجل القديس . ليت شعري من ذا يطلعني على هذا السر . فيا حبذا لو كنت هنالك واستحقيت ان اسمع موسى يناجي ربهُ . اذ ان موسى كان يخاطب الرب . فهنالك اذن كان يتنعّم وحدهُ بمناجات الهية في معزل عن البشر . هنالك تسلّم الوصايا العشر وتفرّس في غوامض

الله وفي اسرار كثيرة من اسرار ديانتنا . في تلك الخلوة تعلَّمَ ما كان مزمعاً ان يعلّمهُ للشعب . وتفقّه في تشييد العرش ورتبة الذبائح ودرجة الكهنوت . هناك عرف وفهم بالروح معنى هذه المراسيم الخارجية والمنظورة والامور المقبلة التي كانت تشير اليها اشارة روحية . هناك حصل في راحة ونجاة من جميع هموم العالم فذاق عظم حلاوة الرب وسعادة الانسان الساكن في جبل قدسهِ *

هناك اغتذى بخبز الحيوة وقوت العقل بدون ان يشعر بدنهُ بضعف البنية . في تلك الخلوة هبّ عليهِ روح الكلمة الالهيَّة العذب واستحق ان يملأهُ حكمة وفطنة . ولامتداد اقامتهِ على الجبل وكثرة مفاوضتهِ الرب حدث هذا الامر العجيب وهو ان وجههُ صار مُشعّاً من معاينة الله وظهر هو للعيان بقرنين نيّرين بحيث ان بني اسرائيل لم يتمالكوا ان غمّضوا

عيونهم وابتعدوا منهُ مذعورين حتى جعل على وجههِ برقعاً فكسف ضوءهُ . فيا رجل الله المجيد الشهير ما اجمل ضوء النور الالهي الذي يحدق بك ويملأك بالكلية باطناً وظاهراً *

٣ : فعلى هذا الوجه نرى بعض المحبين ليسوع المسيح الورعين اذ يختلون مع الرب يسوع في التأمل يتغيرون احياناً ويتوشحون برونق حيوة جديدة ويعودون بوفور نعم لامزيد عليهِ بحيث انهم يصيرون للآخرين سبباً للتعجب والهيبة بما يظهرون من شدة الحرارة وغنى العلم السماوي . ولكيلا يثقلوا على الضعفاء يحجبون بفطنة نعمة الزيارة السماوية ولا يقولون في تواضعهم سوى ما كان نافعاً واقرب للاذهان . اما ما كان مبهماً غويصاً فيحفظونهُ مخبياً في قلبهم راغبين ان لا يعرفهُ احدٌ غيرهم وغير الله الذي لا يزالون يشكرونهُ من صميم قلبهم باعظم الشكران *

٣ : فيا ليتك تقدر الان ان تصعد انت ايضاً مع القديس موسى على جبل الفضائل وتقضي هناك مع الرب بعض ساعات من هذا الوقت المقدس لتسمع صوتهُ تعالى المتكلّم من وسط السُحب والبروق فربما تُعطى هناك نعمة خصوصية في معرفة الله وانواراً باطنة تحملك بعد ان تكون امتلأت وسكرت منها على احتقار جميع الارضيات وحصر محبتك في السماويات التي لا يعلو عليها شيء . بحيث انك تنظر بعين العدم الى كل ما يختصّ بالجسد وتختبر فيك عظم حقيقة هذا الكلام الموسويّ : « ليس بالخبز فقط يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » *

٤ : ولكن لماذا موسى فقط أُمر بالصعود وعدد صغير من شيوخ اسرائيل معهُ . بالحقيقة ان هذا ممّا يدلّنا على قلّة الكاملين وسمو الحيوة النظرية اذ ان جميع الناس على التقريب لا يانسون الاّ بالاشياء

الارضية والمحسوسة. ولذا لم يصعد احد من اولئك الشيوخ الى راس الجبل ويدخل في الغمام الكثيف عند الله غير موسى الذي دعاهُ الرب بنعمة خصوصية وامرهُ بالتقرّب منهُ قائلاً: « اصعد في الغداة الى جبل سيناء وقف لديّ هناك» (خروج ٣٤ : ٢). فالنعمة دعتهُ والطاعة اصعدتهُ والثبات ابقاهُ *

فلا ينبغي لنا الصعود الاّ بمبادرة النعمة الينا تلك التي تجرّد الانسان من كل التذاذ خسيس دنيء. واذ ذاك يجب ان نتبع اجتذاب النعمة لنا فان غايتها الاتحاد بالله. ونبطل كل تبصّر حتى نعود ايضاً بامر الله الى افعال المحبة. لان موسى نفسهُ بعد ان اقام مع الرب زمناً طويلاً يتفاوض في تثقيف شعبهِ أُمر بالانحدار الى هذا الشعب ليرعاهُ باعتناء ابويّ وعلّمنا بذلك ان كل نفس منقطعة بتامل سامٍ عذب يجب عليها بعد ان تذوق هذه الحلاوة ان نعود

بتواضع الى افعالها التقوية لاجل منفعة اخوتها وبهذا الصعود والنزول لا تزال تتقدّم وتتخرّج بحيث انها لا تلبث بطّالة ابدًا بل تشتغل اما بالله في الباطن واما بمنفعة القريب في الظاهر *

٥ : قال الرب لموسى : « هلمّ انزل فقد فسد شعبك » (خروج ٣٢ : ٧) ان حب موسى لله كان يمسكهُ قريباً منهُ تعالى غير انهُ التزم بالرجوع خوفاً على شعبهِ. كان صعد بالتأمل ونزل بالشفقة. اجتذبهُ حبهُ لله الى فوق وسحبتهُ محبة القريب الى اسفل. لم يكن ليفتكر على الجبل الاّ بالاشياء السماوية وفي السهل كان يحسم الدعاوي والمنازعات. هناك كان يشاهد الله مشاهدة صريحة وهنا قلّما يسلم من ضجة الشعب. هناك كان يخطف بالروح وهنا كثيرًا ما يضنك بالضجر الآتي لهُ من شعبهِ هناك كان يتسلّم الوحي بالاشياء الالهية وهنا لا يسمع غير التذمرات.

هناك كان ورعاً ساكناً وهنا ينبغي لهُ ان يجدّ ويجاهد ليكون حليماً صبوراً *

فما اطيب وما اشهى الاقامة على الجبل مع الرب والتخلي عن الهموم بالاشياء الخارجية . يا ما اتعس وما اشقى حالة من يجب عليهِ الاختلاط بالعالم والارتباك باشغال عابرة . فطوبى للنفس التي لا يقيّدها فعل عالمي ولا تذلّلها محبة جسدية بل ترتفع الى الله دائماً بنية طاهرة ابداً *

التأمل السادس عشر

في كلام يسوع وطهارة القلب

والكلام الذي كلمتكم بهِ هو روح وحيوة

(يوحنا ٦ : ٦٤)

١ : ان رغبت في ادراك كلام يسوع المقدس

فادخل مخدع قلبك وتعلَّم ان تسلك بحسب الروح.
ان كلام يسوع يحوي الحيوة وفي كلامهِ فقط تجد
حياة عقلك لان يسوع نور الجاهل وتعزية الحزانى
الوحيدة. فاسمع اذاً كلام الله واصغِ الى ما تفوه بهِ
شفتا يسوع المباركتان *

قال الرب يسوع الجزيل الطهارة : « طوبى
للانقياء القلب فانهم يعاينون الله» (مت ٥ : ٨). فيا
لهُ كلام رفيع نطق بهِ العليّ العظيم ويا لوعد جليل
ثبّتهُ الحق المطلق *

٢ : « طوبى للانقياء القلب » . يا ما اعذب هذا
الكلام الذي يدعو النفس احسن دعوة الى الغبطة
الموعود بها . لان الله هو المكافأة وفي هذه المكافاة
لا شيء ارضي . ان كنت تسرّ بالسعادة الموعود بها
فلتسرّك ايضاً طهارة القلب لكي تعاين اله الآلهة في
صهيون . كن كثير الانتباه في بالك ولتضطرم صلاتك

المتواني فيطهر قلبك لان القلب النقي موعود بخير غير متناهٍ *

فاحتقر اذاً العالم تنل السماء . اترك الخليقة تجد الخالق . دع الزمنيات تربح الابديات . ان السماء لا تقاس بقياس الارض ومن المحال ان نتمتَّع بالله وبالخليقة سوية . من يركن الى الخلائق يمنع نفسهُ عن الاشتغال بالله . ومن يتجرَّد من الاشياء العالمية ويسلم من الاهواء يصبح اهلاً للمعاينة السماوية . لان الانسان يكون شبيهاً لديهِ تعالى بقدر ما يكون طاهراً في قلبهِ *

ان الله نور ويحب الممتلئين نوراً . ان الله طهارة ويهلك الدنسين . ان محبة العالم واهية والتمتع بالاشياء كلها لا يغني شيئاً . اما ما يبقى الى الابد فهو هو خير النفس الحقيقي . ان محبة الخير الاعظم تنمو باحتقار الاشياء العالمية باسرها . وان قاومت الرذائل بشجاعة سمعت في داخلك صوتاً باطنياً . وكلما لا تتوق الى

شيء عابر يضيء لك باعظم بهاء ضياء النور الابدي *

ان احتياجات الطبيعة تثقل على النفس القدّيسة. ولذّات الجسد هي تعاسة جهنّم للنقي القلب. لان افراح الجسد لا تولد غير لهبات النار الابدية. فليمنحنا الله ان نتجنب تلك الافراح ونتمسّك بفضل طهارة ملكية *

٣ : انّ ما يساعد خاصة على اكتساب طهارة القلب هو احتقار العالم التام والكفران بالذات حبًّا بيسوع المسيح والتامل المتواتر في الكلمة المتجسد. فنظّف اذاً مرآة قلبك ان شئت التبصّر في الله. ولا ريب ان التامل في الحق وفي الحكمة الازلية هو شيء شهي بما لا نهاية لهُ *

ان الانسان الباطن اذا تهذّب تهذيباً حسناً ينتقل الى طهارة عظمى بيد ان تطلّب الاشياء المحسوسة ومحبة البحث عنها يخدعان النفس ويزعجانها. فلتجذبك

سلامة النفس المرغوبة كل الانجذاب الى ذوقِ الاشيا. الروحية لان من يسير سيرة طاهرة يلتذ متنعماً بهاتيك الاشياء . ان شئت ان تذوق افراح هذه الطهارة فاحترز من القلق ومن كل باعث اليهِ. لا ترغبنَّ في شيء من كبرياء العالم ولذّاتهِ وغرائبهِ ولا في شيءٍ اخر عابر فتكون قد حسمت اعظم اسباب القلق لان من يبتعد عن كل شيء زمني يتوجّه الى الله باعظم حرّية ومن لا يعيقهُ شيء يرتفع الى الله بسهولة في الصلوة ولا يؤخّرهُ عن ذلك ثقل العالم ولا عجز الجسد . فالحارس الساكن لضمير طاهر يخرق قوات الاهوية ذاتها *

فيا ما اشهى تلك طهارة القلب التي تجتلب وُدّ الله وملائكتهِ . فينبغي لنا ان نحارب بشجاعة ونصلي بتواتر ونشتغل بلا فتور لنحصل على هذه نعمة الغبطة . ان غبطة الطهارة تتأصّل في وادي التواضع وتُكتسب

بالصلوة وتغتذي بالدموع .

٤ : ليت شعري ما اجمل واشهى هذه الفضيلة التي ترتفع فوق جميع الاهواء وتقصد الاتحاد بالله الذي لا يوثر فيهِ امر اذ ان امام الطهارة يضمحل كل اثم وينخفض كل مخلوق . اجل ان الطهارة تعمل مع الله بخلوص وعفاف ولذا لا تُغلب البتة لكنها تفوق كل شيء في الله القادر على كل شيء . هذا وان القوات العلوية تاتي لخدمتها وقوات الارض نفسها تعاونها على الخير . ان الشياطين تدبر هاربة من امامها والملائكة يحسدونها والجسدانيون يوقرونها والروحانيون يعانقونها *

ان الطوباوي داود الملك بعد اقراره بخطاياهُ بتواضع طلب طهارة القلب بقولهِ : « قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله » فانهُ بكى على خطاياهُ الماضية واعترف بانهُ تصرَّف تصرُّف الجهلة وطلب ان تُمحى آثامهُ .

لكي يعود الى ما كان عليهِ من الطهر امام الله ويمتلئ من بهجة الخلاص ولا يرتكب ثانية ما كان محرّما *

٥ : ان هذه طهارة القلب هي سلّم قويم نيّر ثابت في الغاية يرتفع الى اعلى السماوات وينتهي الى معاينة مجد الله وهي ايضاً مجد جميع القديسين *

يا يسوع الجميل في الغاية ومصدر كل طهارة يا من وعد جميع الانقياء القلب بالافراح الابدية هبني ان اقتني الى الابد هذه الفضيلة المختارة والثمينة والفائقة بالضياء على الذهب والجواهر لكي اخدمك بشكر وحريّة الروح في جسدي الواهي وابتعد عن عدوى الخطية ايًّا كان . امنحني اللهم ان ارذل كل ما يحول دون الطهارة والتصق بك جهدي ما شئت ان احيا تعساً بين ضجيج هذا العالم وحتى تاذن لي بالمثول امامك . وإذ ذاك اسالك يا رب ان ترتضي وترأف بي برحمتك الواسعة *

التأمل السابع عشر

في محبة يسوع والكفران بالذات

من احبَّ نفسهُ فهو يهلكها (يو ١٢ : ٢٥)

١ : هذا ما قالهُ يسوع المحبوب في الغاية ليجرّدك من هموم العالم وجواذبهِ حيث المحبة الرديّة والهلاك . ان كلمة الآب الازلي يقول لك ذلك وانهُ لا يغشّك ابداً لكنهُ يشير عليك مشورة الخلاص *

وعليهِ فمحبة العالم هي الهلاك ومحبة يسوع هي خلاص النفس. محبة الجسد جنون ومحبة يسوع حكمة. محبة الخليقة تضعف محبة الخالق . ومحبة الخالق تنفي جميع الخلائق. لان هاتين المحبتين تختلفان باميالهما ومن المحال ان تجتمعا معاً *

ان محبة الذات ممتلئة خوفاً واحزاناً واما الكفران بالذات فهو حريّة لا توصف . محبة الذات شرٌّ

باطني وقلّما يُقهَر بغير محبة الله الكاملة · احتقار الذات علامة الخلاص ومن ابتدأ بهذا الاحتقار يحصل على كمال محبة يسوع · محبة الذات تصيّر القلب معتمًا وتنشئ المخاصمات وتحول دون النجاح والتقدّم · اما من يكفر بذاتهِ لاجل يسوع يصبح حرًّا ساكنًا · محبة يسوع ثابتة قوية لا تساكن الشهوانيين وطالبي ذواتهم · محبة يسوع تهبنا الفادي الالهي وكل ما لهُ ولا تطلب سوى ما كان شهيًّا لديهِ تعالى *

٢ : ان اردت ان تحوز كمال الطهارة وتتنوّر في الباطن فاحتقر ذاتك وكل شيء لاجل يسوع · انظر بعين العدم الى كل ما يبان لك عظيمًا في العالم · ولتكن جميع افراحهِ مرّة لديك لكي تستعذب الله فقط ويسوع الحلو فوق جميع الاشياء *

وبالحقيقة ان محبة يسوع ليست الاّ احتقار ذاتك وجميع الاشياء حبًّا بهِ تعالى وهذه المحبة هي التي توجد

في الله وفيهِ تجد كل خير *

ان شئت خلاص نفسك فاحتقر الحيوة الحاضرة وان سرت الان في الطريق الضيّقة انتهيت الى الحيوة الابدية. ان الجسدانيين ومحبي الدنيا يستصعبون التجرّد والكفران بالحيوة الحاضرة اما المحبين ليسوع فيجدونهُ احلى من العسل الكلي الحلاوة. لان الكفران بالذات الحقيقي من اجل الله يعدّ لنا ملكوتاً ابدياً. ان محب يسوع يحسن احتمال الشرور الحاضرة ويقدر على نبذ الخيرات الزمنية. ولا يخاف احتقار الناس لهُ ولا يهوى الكرامات ابداً. ويحسن الامساك عن الكلام امام الشتائم ولا يفتكر في ان يقاوم بالمثل من اهانهُ *

٢ : ان محب يسوع يتمتَّع بتعزية غير منظورة ويتوخَّى ثمرةً لا يستطيع شيء ان يفسدها. قال الرب: انا اخترتكم من العالم بدعوة نعمتي لتنطلقوا بعيداً عن

ذواتكم بتركّكم ارادتكم الذاتية وتأتوا بثمار المحبة بحبكم لي فوق كل شيء وتدوم ثماركم في بركتي الدائمة اذا ما ملكتم معي *

وعليهِ فان ثمرة الجسد موت فدودٌ لا يموت فنارٌ لا تُطفأ ابداً *

فليحفظنا من ذلك الذي علّمنا احتقار العالم وقمع الجسد اعني بهِ يسوع المسيح حبنا وفداءنا *

الفصل الثامن عشر

في انهُ ينبغي لنا ان نتبع فقر يسوع المسيح ونترك الاهتمام بالامور الحاضرة

للثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكار. اما ابن الانسان فليس لهُ حيث يسند راسهُ (متى ٨ : ٢٠)

١ : ايها الراغب في العيشة النسكية عليك ان

تعتبر غالباً هذه الاقوال الربانية وترسمها باجتهاد في قلبك . انّ الربّ يسوع يوصيك بفقرهِ الشريف الذي بهِ يُشترى الملكوت والذي اختارهُ هو اذ انّهُ عاش فقيرًا في العالم وحفظ الفقر بدقةٍ . هذا وانهُ لم يشأ ان نطلب تعزية ارضيّة لانهُ هو جلّ اسمهُ لم يطلب راحةً زمنيّة البتّة ولم يبنِ لهُ على الارض بيتاً ماديًّا يسكن فيهِ *

للثعالب اوجرة ياوون فيها ولطيور السمآء اوكار تستمهد الراحة فيها امّا يسوع فلم يصنع لهُ قط خيمة ولم يستكرِ لهُ منزلاً ولا مائدةً بل انمّا عاش كصعلوك مسكين وسار في طريق هذا العالم كسائح مسرع ثمّ غادرهُ شأن غريب يحلّ ساعاتٍ بمكان ثم يرحل . انّ يسوع الذي هو الحكمة الازليّة لم يبنِ لهُ بيتاً عمل الايدي ولم يستاجر لهُ مسكناً في البلاد ولا في المدن ولا خارجا عنها ولا على مقربة من الاماكن المخصبة

بل اكتفى بمشاركة اصدقائهِ بالسكنى وتشبه في كلّ شيء ببساطة ذوي الفاقة ولم يطلب ابدًا السكني في مظالّ الخطاة البادخة واذا قُدّم لهُ شيء لاجل احتياجهِ جعلهُ مشاعًا وامر بان يعطى للغير. ولم يكن ليريد ان يختصّ بشيء واستعمل باقتصاد ما كانت تلزمهُ احتياجات الطبيعة باستخدامهِ . واذ زاد عندهُ دراهم او طعام وزّعهُ على الفقرآء وبهذا الصنيع حرّم على تبعتهِ الكاملين الاهتمام المفرط بالاشيآء العالميّة واباح بجودتهِ ورافتهِ لاخوتهم الضعفآء بالاشياء الضرورية للحيوة *

٢ : اشار بطرس ذات يوم الى يسوع ان ينصب ثلث مظالّ حينما كان يتمتع تمتعًا عجيبًا على الجبل بالرؤية السماويّة وكان عقلهُ قد فتن بحضور يسوع المنير وبرفقة الطوباويين موسى وايليا . بيد انّ طلبتهُ لم تستجب لانّها كانت غير ملائمة إذ ان يسوع

والطوباويين لا يسكنون في مظال ارضيّة ولا تحت اشكال مادّيّة بل في مقرّ السعادة الابديّة التي تجلّ عن كلّ ادراك ومعرفة بشريّة *

وبالحقيقة انّ يسوع المسيح خالق السمآء والارض والمدعو ابن النجّار كان يقدر بسهولة ان يتخذ لهُ بيتًا او يقيم لاسمهِ هيكلاً يغبر الآن بيد انّ المعلم السماوي وصانع جميع القوّات العظيم لم ياتِ الى العالم ليصلح الاشياء الارضيّة فلم يهتم بالخشب ولا بالحجارة ولا بالغنم ولا بالاملاك ودخلها بل انّما اهتمّ بالنفوس ليشفيها ويثقفها ويفتديها *

وعليهِ فانهُ اظهر قدرتهُ احسن ظهور بمنحهِ الشفاء التام بمجرّد لمسهِ او بكلمة واحدة . وعلّم الحكمة ايضًا باعمالهِ وعظاتهِ الحسنة وكلّم الناس عن ملكوت الله واحادهم عن افراح العالم الزائلة . اختار المتواضعين والسذّج امّا الاغنياء المتفقرون غيرهم فتركهم بعدمهم*

٢: فسبيلك انت ايضاً أن تعدل عن كل اهتمام باطل بالاشياء الزمنية مشتغلاً كل الاشتغال بالدخل الابدي . وجّه جميع افكارك الى الرب بتأمّلك الالحان السماوية ولا تشتغل بطمع وبخل لاجل احتياجات معيشتك ابتغاء ان تكون ذا ثروةٍ . دع الغير يشتغلون لاجل ذواتهم ليكون لهم ما يقتاتون بهِ اما انت فاشتغل لنفسك ولاكتساب النعمة اكثر منهُ لتلذيذ جسدك الذي سوف ياكلهُ الدود . احترز من ان تفرغ كل مجهودك في الاشياء الزمنية وتتراخى في اعمالك الروحية *

جيدٌ هو ان تطلب الخير العام ولكن آثر الروحي منهُ على الارضي . حسن هو ان تاكل خبزك بعرق جبهتك لكن اياك وان تنسى الخبز السماوي . قال الحكيم : « تمتّع بثمرة اتعابك الآن زهوك لئلاّ تترك الكل لانسان متوانٍ ناكرِ الجميل » انك لا تستطيع

وحدك ان تُغني خَلَفك كلهُ وتمنع جميع الآفات فاجتهد ان تترك بعدك مثال فضيلة احرى من ان تترك اراضي واملاكًا عامرة. ومن اعلمك بان حصولك على اكثر مما لك يجديك ويجدي غيرك نفعًا. فلا تتُق الى اشياء مبهمة. لان شوقًا كهذا لا يعرف الشبع. والطمع لا يُطفأ ابدًا بكثرة المال *

٤ : فعليك ان تقتدي بفقر يسوع المسيح وتكتفي بضعف حالك على حب من لم يشأ ان يكون لهُ قنية ولا دخلٌ ولا اثاث ثمين ولا منزل *

واأسفاه ان كثيرين يقضون زمان حياتهم بهموم باطلة وقلّما يختلون بانفسهم ولذا يمسون جافين في الباطن لا يؤثّر فيهم شيء *

فارتقِ بقلبك الى فوق ولا تمكث في الارض مع البهائم. تقوّت بخبز الملائكة واعلم ان كلام الله هو قوت النفس وخبز الحيوة الذي يقدّمهُ لك الرب

يسوع لكيلا تسقط في البرية من الضعف . ان الرب الصالح الرؤوف الذي وعدك بالابديات لا يمسك عنك الزمنيات . فاطلب ما كان سماويا ولا ريب انهُ يعطيك فضلاً عن ذلك ما تحتاج اليهِ مدَّة حياتك كلها *

التأمل التاسع عشر

في اتعاب يسوع المسيح وفي تعليمهِ المفيد للخلاص

وكان يسوع قد اعيا من تعب الطريق
فجلس هكذا على البير (يو ٤:٦)

١ : ان الرب يسوع الجزيل الصبر ارتضى ان يتعب لاجلنا . فلم يستخدم في اسفاره عربة ولا عجلة ولا فرساً بل انما كان يمشي راجلاً باسم الرب . انهُ لم يُرَ غير مرَّة واحدة يستخدم جحشاً غير ان ذلك كان

لوقت يسير والافضل ان نقول انهُ قدّم لنا بذلك مثال تواضعٍ احرى من انهُ طلب راحتهُ وعمل ذلك ايضاً ليتمّ آيات الانبياء لا رغبةً في الكرامات . فيعلَم اذاً بهذا العمل الواعظين القديسين والرهبان ان لا يسيروا راكبين فرساً بأُبّهة ولا يُسرفوا مالاً طائلاً في اسفارهم لئلاّ يشككوا عامّة الناس ويكونوا باعثاً للتفهقم في ادبرتهم *

٢ : فامعن النظر في ذلك يا اخي الراهب واعتبر ان الرب لمّا اعيا من الطريق لم يجل هنا وهناك طلباً للتنزه ولو على سبيل عابر طريق . فاذا احتجت الى ترويح لا تذهب في العالم ولا الى امكنة بعيدة لئلاّ تشكّك الغير بقلّة رصانتك فالاولى بك ان تتوجّه الى ميراث القديسين لتسمع كلام الله وتقبل امثلة قداسة . ان من يفقد فرح ضميرهِ في تنزهِهِ يكون قد تنزّه بئس تنزّهٍ ومن يتساهل في الجولان يكون باطنهُ

فارغاً وعبادتهُ ضعيفة جداً . ان عيسو مع خبرتهِ بالصيد خسر حق البكورية لتأخرهِ في الحقول . اما يعقوب فكان بسيطاً ملازماً مظلّتهُ طائعاً لامهِ متواضعاً مجتنباً الجولان الخالي من الفائدة فنال بركة ابيهِ لسرعتهِ العجيبة . وهكذا أُخذ بحيلتهِ الرجل الماهر الذي كان قد وضع رجاءهُ في قوسهِ وجعبتهِ . اما الرجل البسيط البار المتّحد بالله فقد وجد من يساعدهُ عند الحاجة *

ان من يكون كثير الاعتناء بنفسهِ يصبح عادةً قليل الاهتمام بالامور العالمية . اما المتراخون فيهزلون كل يوم ويضعفون حتى يقصروا عن ضبط انفسهم لكثرة الهموم الزمنية وشدّة القلق . فمن احب الشفاء من هذا الطيش واسترجاع نور القلب فليتيقّظ على حفظ نفسهِ ويفكّر في آخرة ايامهِ وفي الديونة المهولة *

٢ : فاستنتج من هذا العمل الرباني انهُ ينبغي لك ان تكون فطناً في الفضيلة والشغل على السواء

لان مشاركة الاخوة باشغالهم واتعابهم قياماً بمشورة المحبة وامتثالاً لامر الطاعة لهو من شان الفضيلة ودليل على فضل عظيم . لكن اذا تامل الانسان في الوقت المناسب وجدّد قواهُ بالطعام الروحي او قوّى نفسهُ بقراءة مقدّسة فتلك قاعدة مُثلى لان يقرن الحياة الداخلية بالخارجية . فيجب اذن على المرء ولاسيّما المتورّع ان يحني كاهلهُ للتعب والنصب لاجل اسم الرب . كيف لا وكثيرون لا يكاد يحصى عددهم يتعبون للعالم واي تعب . ولكن ليكن شغلنا مقروناً بفطنة لئلا يضنك الضعيف منا او يصيرهُ غير قابل لاعمال التقوى لان ما يُصنع برفق واعتدال يطول بقاؤهُ . انهُ يجوز لنا ان نستريح قليلاً لنجدّد قوانا متذكّرين ضعفنا . بل ان يسوع نفسهُ بعد ان اعيا من تعب الطريق جلس على البير ينتظر طعاماً او يطلب قليلاً من الماء بتواضع *

٤ : فينبغي لنا بمناسبة هذا البير ان نعتبر ايضاً تعليم يسوع الكثير الفوائد في الحيوة العابرة . فيعلّمك يا هذا ما يجب عليك فعلهُ ان ابطلت شغلك واحتجت الى تنزيه فكرك *

لانك ان كنت لا تستطيع ان تشتغل ايضاً فلا يليق بك ان تقضي وقتك باقاويل باطلة او برقاد تستلذّ بهِ او بجولان في الاسواق بين المعامل *

فما العمل اذاً ؟

اجلس على البير واطلب تعزية الروح اطلب مع السامرية مواهب الحكمة الخلاصية وقف على ضفّات انهر الكتاب المقدّس وراجع قراءتها لتقوّي نفسك وتنبذ عنك العجز وتجانب البطالة وتحصل على تخشّع جديد . حافظ على السكوت في الخارج لتغتذي نفسك في الباطن . لا تسأم الاكثار من الصلوة والتأمل في يسوع الصالح . تعلّم الانتقال من المادّيات الى

الروحيات والارتقاء بواسطة الخلائق الى تسبحة الخالق لانهُ هكذا صنع يسوع نفسهُ *

وبالحقيقة انهُ جلّ جلالهُ انتهز الفرصة بمناسبة ذلك البير الارضي واسئلة امرأة اتت اليهِ ليعظ الناس بكلام الخلاص ويقدّم لهم كاس النعمة السماويّة. كانت اتت تلك المراة لتستقي مآء من البير فرجعت طربة بتعاليم الحيوة المفاض عليها من الساقية السماويّة. انّها تقوّت وفرحت بمباحثة يسوع العذبة بحيث انّها نسيت جرّتها عند البير فاسرعت تبشّر اهل وطنها باعمال الله العجيبة *

وعليهِ فمن يتخشّع في القرآءة والصلوة والتامّل تخشّعاً بهِ ينسى الفوائد الزمنيّة فيتدفّق حبهُ ليسوع ينبوع الحيوة يكون قد اكتسب نعمة عظيمة ولذا نسمع الطوباوي داود يرتّل بقلبهِ الظمآن قائلاً : « كما يشتاق الايل الى ينابيع المياه كذلك تشتاق نفسي

اليك يا الله » (مز ٤١ : ٢) *

٥ : وكذلك الربّ يسوع لمّا اقبل اليهِ الرسل من المدينة ودعوهُ ليأكل اظهر انّ خبز الطاعة الذي تغتذي بهِ النفس الخاضعة لله اغتذاءً شهيًّا في الغاية يُفضَّل على كلّ مأكل زمنيّ وغنيّ . وبالحقيقة ليس مشرب اعذب من النعمة السماويّة التي تطهّر الادناس وتشفي غليل الذائب عطشًا وتُخمد وهج الشهوات . ولا طعام الذّ ولا مائدة افخر لدى المحبّ من حفظ الوصايا كما قال الربّ يسوع نفسهُ الجزيل الطاعة : « طعامي هو ان اعمل مشيئة من ارسلني » *

لانّ ما يلذّ خاصة المحبّ هو ان يطلب مسرّة الله الصالحة في جميع اعمالهِ . وهذا ايضًا ما يقوت التلميذ الطائع قوتًا كاملاً ويملأهُ فرحًا روحيًّا لفضل طاعتهِ ذاتها . فعلى هذا الوجه لمّا سار ايلياء النبي في البراري وابتعد وهو مالك ذاتهُ بالتمام نهض لمشورة

الملاك وأكل . وبطاعتهِ لأوامرِ الملاك تقدّم الى جبل الربّ متقوّيا بذلك الطعام *

لانّ الطاعة الحقيقيّة تذهب بصاحبها بعد تعب قليل الى قمّة الكمال والى جبل الراحة الابديّة حيث يبطل كل تعب وكل شغل بطلاناً تاماً وتسود غبطة تامّة بحضرة الاب والابن والروح القدس آمين *

التامل العشرون

في الأحرف التي حررها يسوع المسيح وفي رحمتهِ نحو خاطئة

فامّا يسوع فاطرق وكتب باصبعهِ على الارض

(يوحنا ٨ : ٦)

انّ يسوع الحبيب والمعلم القدّيس والاستاذ الصادق والحاكم العادل والمخلّص الرحيم يقدّم لنا

بصفة كاتب ايضاً . فكتب لا بحبر بل باصبعهِ على الارض. فيا لهُ كاتباً ماهراً منح الرحمة البائسة والغفران لخاطئة . ولم يصنع ذلك خلاف الناموس اذ انهُ لم يعمل سوى تخفيف شدّة الناموس . لانّ الاشقياء يحتاجون الى رحمة . ويجب ان يمنح الغفران للتائبين الصادقين *

فما اجمل تلك الاحرف . وما احذق اصبع الله التي حررتها اذ كان المخلص يعزّي بكلامهِ العذب خاطئة غارقة في دموع التوجّع ويخزي بحكمة اشراراً محتالين سُقي قلبهم حقداً وعداوةً وانكروا كلّ شفقة وحنوّ. فقال لهم مبيّناً استحقاقهم للخزي والخجل : « من كان منكم بغير خطية فليرمها اوّلاً بحجر» قال ذلك للمشتكين ولكي ينجّي التائبة من فم الذئاب *

٣ : امّا الان فماذا تقول يا يسوع الصالح لهذه المرأة المذنبة. انها تنتظر كلمة جيدة فأبدِ رايك فانها

تخضع لحكمك. فاجبها جواب تعزية وبما انك مطبوع على الرحمة فارحم الآن ايضاً . قال لها يسوع : « انا ايضاً لا ادينك » *

فاي جواب اغزر رحمة ورافة من هذا كلام يسوع · فتعزّي ايتها المعترفة بذنبها عند استماعكِ هذا كلام الجودة · اذا كان الله معكِ فمن يكون عليكِ ان يسوع هو الذي يحلّك فمن يدينكِ · ولكن ماذا يكون صنيعك وماذا تعطين فداءً عن ذنبكِ . انكِ تندمين على خطيّة ماضية · ولكن ينبغي لكِ في ما ياتي ان تكثري من التحفّظ خوف ان تسقطي ثانية *

قال الرب الرؤوف : « اذهبي ولا تخطئي ايضاً » *

فما اوجز وما اجزم هذا الغفران الممنوح لتوبة كاملة . ان فاحص القلوب كان يعرف عظم ندامة تلك الخاطئة . فعاملها برافة عُظمى لئلا يزيد في ثقل حزنها لان شهرة اثمها كانت قد سبّبت لها خجلاً

ليس بيسير *

٢ : فقد شاهدتَ يا هذا ما ابدى المخلّص من الرافة تعزية للخطاة . فاجتهد بأن تعرف خطاياك وتبكيها بكاء مناسباً قبل ان تمسك بك الارواح النجسة فتكرهك في الدينونة المقبلة على اعطاء الحساب عن كل شي وقل مع العشار : « ارحمني يا رب انا الخاطئ » ولا تشك في رحمة الفادي ان قصدت من كل ارادتك ان تجتنب في ما ياتي الخطايا الماضية وتصلح سيرتك اصلاحاً تاماً (١) *

(١) قد عدلنا عن استخراج تتمة هذا الفصل لانها تختص بنساخ الكتب الذين لا حاجة اليهم في يومنا هذا *

التأمّل الحادي والعشرون

في حفظ التواضع واعتبار ضعفنا الذاتي

اذا فعلتم كلّ شيء أُمرتم بهِ فقولوا: « نحن عبيدٌ بطالون » (لوقا ١٧ : ١٠) *

١ : انّ هذا الكلام الالهي لخليقٌ بان يدرّبنا في حفظ التواضع ومجانبة كل مجد باطل وكبرياء . وانهُ ينبه خاصةً الراغبين في الارتفاع ان يتذكّروا ضعفهم الذاتي وعجزهم ولا يفتخروا باعمالهم وان استحسنها الناس بل يخافوا من حكم الله الموشك ان يحل بهم فيفكروا في استرحامهِ بتذلل اولى من ان يثقوا باستحقاقاتهم *

فعلى هذا الوجه هتف داود القدّيس المتواضع الى الرب قائلاً لهُ برعبة : « لا تدخل في المحاكمة مع عبدك لانهُ لن يتزكى قدامك كل حيّ » . فيجب عليك ان تستخف بذاتك نظيرهُ وتجزع من دينونة الله العظيمة

انت الذي تبعد عن قداسة داود النبي والملك الجليل بُعداً شاسعاً. انك لم تستحق بعد ان تدعى ملكاً او نبياً او قدّيساً او مختاراً حسب قلب الله مثلهُ ومع ذلك فانهُ اعترف بكونهِ عبداً بطالاً قياماً بكلام الرب بل وكنّى ذاتهُ بذبابة وكلب ودودة ولم يجنِ من اعمالهِ العظيمة فكر كبرياء البتة *

٢ : تذكر خطاياك الماضية ورذائلك الحاضرة والاخطار المقبلة وعوض ان تنتفخ كبرياء تاخذ في الخوف وتعترف بكونك عبداً بطالاً لا فضل لك. « اذا فعلتم كل شيء أُمرتم بهِ فقولوا : نحن عبيد بطالون » *

فاذا كان واجباً عليك ان تتفوه بذلك بعد ان تكون قد فعلت كل شيء أُمرت بهِ . واذا كان الافتخار لا يحق لك ابداً . فاي احتقار يجب ان تحتقر ذاتك اذا ما اعتبرت كثرة خطاياك اليومية

وتقصيراتك التي لا تعداد لها *

قل لي ناشدتك الله متى استطعت ان تسير امام الله والناس يوماً واحداً بل ساعة واحدة باستقامة وانتباه هذا حدهما حتى انك لم تهمل شيئاً مما كان واجباً عليك فعلهُ . او انك قمت حق القيام بواجباتك فهذه هي حالة الضعف البشري الذي بهِ لا تكاد تسلم افعالنا من بعض الشوائب وان بدت للناس انها حسنة . فاطرح عنك كل عُجب وكل كبرياء واعتبر عظم بطلانك *

٣ : افحص عن فساد افكارك وتقلباتها فتجد ذاتك ليس فقط بلا نفع للخير بل معرَّضاً لشرور لا تعداد لها واهلاً للاحتقار والعقاب وعليهِ فالدواء الوحيد والتعزية الفريدة لفكر مضطرب هو ان يتضع الانسان حق الاتضاع لاهمالاتهِ الكثيرة وادناسهِ العديدة ويعتبر ذاتهُ احقر الجميع وبلا نفع لهم ويقتدي باعتناء

خطاياهُ الماضية واهمالاتهِ اليومية بدرهم الاعتراف وفلس الارادة الصالحة ويكثر من حضور تلاوة صلوات تقوية *

فسبيلك ان تقاوم بشجاعة سورة شهواتك لان التقدُّم في الفضيلة يكون على قدر بغضنا ارذائلنا ومحاربتنا اياها اشدَّ محاربة. انك ان جُرّبتَ وسقطتَ غالبًا فيجب عليك مع ذلك ان تهتمَّ ايضًا بالقيام مجدّدًا عزمك الصالح باعظم فطنة وانت قائل مع النبي: «اقسمتُ وسأُنجز ان احفظ احكام عدلك» (مز ١٨: ١٠٦) *

فكل مرّة تخالف فيها قصدك وتشعر بعجزك عن انجازهِ لا تيأس ابدًا ولا تفشل بل ثق بالرب واهتف قائلاً بتواضع والحاح: «اعنّي فاخلص وانظر في رسومك كل حين» (مز ١١٨: ١١٧) *

التأمل الثاني والعشرون

في احد الآلام

نجيب على آلام المخلص

يا جميع عابري الطريق . تاملوا وانظروا هل من وجع كوجعي . (مراثي ١ : ١٢)

١ : ان الكنيسة تحتفل اليوم بتذكار آلام الرب ويحقّ باولادها ان يتوجَّعوا لمخلصهم الذي ارتضى ان يموت لاجلهم لكي يحيوا بالروح والجسد الى الابد . فلا يكونوا اذًا ناكري الجميل ولا يعدّوا انفسهم غرباء عن هذا الاحسان بل ليتذكروا بورع انهم كنيسة المسيح وعروسهُ ويُدعون اولادها اذا تعلقوا بيسوع المسيح تعلّقًا بنويًّا وتفانوا تفانيَ الايمان لا غير*

يا الله ما اعظم محبة الآب ومودّة الابن الوحيد وجودة الروح القدس التي فاضت على الجنس البشري.

ماذا تقولين في ذلك يا نفسي . انكونين كافرةً بالنعمة ايمكنك ان تنسي محبة هذا عظمها . كيف يتيسر لك ان تتركي من طلبك بحب لا مزيد عليهِ وانّى يسعك ان لا تحبّي من احبكِ بحرارة فائتة الوصف . احبي اذاً من احبكِ حبّاً بهِ فضّل الموت على هلاككِ . احبّي من احبكِ حبّاً لم يكن من فوقهِ حبٌّ وقد حملهُ على ان يفي عن الجميع وفاءً تامّاً *

فماذا تصنعين يا نفسي وبماذا تكافئين الرب على موتهِ فلا بد ان تصنعي شيئاً ولو كنتِ قاصرة عن ان تكافئيهِ مكافاتهُ اذ ان جميع الخلائق والقديسين لا يقدرون ان يثمّنوا حقّ التثمين الموت الذي احتملهُ الفادي من تلقاء ذاتهِ لاجلك فتذكّري اذاً الامهُ المقدسة وافرغي القليل الذي في وسعكِ لتفتدي بهِ اذ ان من يحتمل لاجلك المكاره بطيبة يحقّ لهُ ان تشكريهِ شكراً وافراً *

فابعد اذاً يا هذا عن قلبك جميع الهموم الخارجية ووجّه كل فكرك نحو ايقونة ربّك المصلوب فيسهل اليك بنعمتهِ ان تغلق باب ذهنك في وجه التصوّرات الغريبة ويسوقك تاثير تلك الصورة المقدسة الى احتمال انواع الاوجاع الجسدية بعذوبة عُظمى *

ولما كان من اللائق وفقاً لأزمنة الكنيسة أن نتفكر في الام الرب وجب عليك من ثمّ ان توجّه الى هذه الآلام اعمالك باعظم انتباه. وان كنت قد تماهلت في ايام الصوم فانتعشك عبادة جديدة افلما يكون في هذا اسبوع الالام . وان كنت تشهد لنفسك بانّك قد عملت بعض الخير فاجتهد بان تصنع احسن الان . كن كثير الانتباه شديد الحرارة لانّ هذا ما يفرضهُ عليك ذكر آلام المخلّص الخصوصي وتوجّع الكنيسة الجامعة لموت فاديها *

٢ . فلا تستثقلنّ التفكر في آلام يسوع المسيح

المولمة التي احتمالها لاجلك برغبة ولا تانف من ذلك. تعال اجنِ في كلّ من هذه الايّام من جفنة رب الجنود باقة مرّ صغيرة وخذها معك واخفها في صدرك لصيانة قلبك لانهُ يفوح منها رائحة الحيوة واذا عصرتَ عصارتها حسناً انالتك قوّة عجيبة فبال الشدائد والاهانات . وبالحقيقة انّ كثيرين لكثرة تفكّرهم في آلام المخلّص وجدوا في كلومهِ وجروحهِ المباركة عذوبة عظيمة بحيث ان الدموع كانت تنهل من عيونهم لشدّة توجعهم. اجل انّهم اختبروا ذلك وعلموا بهِ ولعظم حبّهم وتوجعهم كانوا يذوبون شوقاً الى احتمال الاهانات والاحزان على حبّ يسوع المسيح . وماذا اقول عن الذين كانت انفسهم طائرة وعقلهم كلهُ مسلوباً من الحبّ وهم يتوقون الى التعمّق في باطن يسوع نفسهِ ليشعروا بكآبتهِ حتى موتهِ على الصليب ويرغبون من صميم قلبهم ان يحتقرهم الجميع

وبذلّلوهم ليكون يسوع وحدهُ ممجَّدًا في انفسهم وهم فقط يكونون محتقرين *

٤٠ انّ الدم الذي اهرقهُ يسوع المسيح على حبّ البشر محرق يُضرِم المحسن التامّل كل الاضرام ويجعلهُ ينسى ذاتهُ نسيانًا بهِ يستحقر الفرح ويعدّ شبه لاشيء ما يحزن الجسد . فعلى هذا الوجه يتأدّب المحبّ المغرم اي بكثرة الاوجاع تشبهًا بحبيبهِ وبتقدمة ذاتهِ بكلّيتها بطيبة لمن لم يصفح عن نفسهِ في شيءٍ ليفتديهُ *

فمن هنا تتولّد المحبّة العظمى وتنمو العبادة نموًّا وتفنى المحبات الجسديّة ويرتقي الروح الى الله ويتنوّر العقل ويشعر الانسان بأشهى التعزيات ويختبر حقيقة هذا الكلام النبويّ وهو : « قد مسحت راسي بالدهن وكاسي مرويّة » (مز ٢٢ : ٥) *

ولما كانت هذه الحالة سامية رفيعة لا يستطيع

احدٌ ان يبلغ اليها بذاتهِ وجب عليكِ يا نفسي ان تسألي وتطلبي وتقرعي حتى برحمك يسوع الكثير الحلاوة والمملوّ من روح القدس والقادر على كلّ شيء والذي يجود بغناهُ على جميع المستغيثين بهِ ويطلعك على هذا الكنز الثمين المخفي فيهِ ويسبغ عليك من جراحاتهِ المقدسة عرف العبادة الجزيل الثمن لكي تتعلّمي انت ايضاً ان ترشفي العسل من الحجارة والزيت من اصلد الصخور وتفوزي بمنّة مخفيّة عن المتكبّرين وموحيّة للقلوب المتضعة العابدة. يجهلها الجسدانيّون والارضيّون وتلتذّ بها القلوب الطاهرة البسيطة. هذا هو تصرّف الله العجيب انّ الودعاء والمتواضعين يُعطَون ما يُمسك عن النقّابين والمتكبّرين *

٥. كثيرون يقرأون كثيراً ويفحصون الاشياء الغويصة ويطلبون الرفيعة غير انهم يكادون يخلون من العبادة لآلام يسوع المسيح لتطلّبهم مخالطة اهل

العالم وتعزيات الارض ولذا يجفّ قلبهم في الباطن ويفقد مذاقهُ ولا يعود يشعر بما كان من امر يسوع المسيح . تراهم مهتمّين بامور كثيرة لا يجدون النفع الاّ في القليل منها يهملون ما كان نافعاً ويتركون ما كان ضرورياً . يحبّون ما كان دقيقاً ويحتقرون ما كان بسيطاً . ينجذبون الى اشياءَ كثيرة مختلفة ويستقصون في طلب الاخبار غير انهم لا يجدون على هذا الوجه الراحة ولا يشبعون ممّا يسمعون لأنّهم طالما لا يطلبون يسوع بآلامهِ وصليبهِ لا يبلغون ابدًا الى الحلاوة الباطنة الحقيقيّة ومعرفة اللاهوت الصادقة اذ انّ يسوع وحدهُ يقدر ان يقرّبنا من لاهوتهِ بواسطة ناسوتهِ وهذا ما شعر بهِ القديس بولس اذ قال : « جميع ذخائر الحكمة والعلم مكنونة في المسيح » (قولس ٢ : ٣) ولذا كفر باقوال الحكمة البشريّة واخذ يتروّض في حياة المسيح والآمهِ قائلاً : « انّي لم اقضِ

على نفسي انّي اعرف شيئًا بينكم الّا يسوع المسيح واياه مصلوبًا » (١ قور ٢ : ٢) *

٦. فاعتبري ذلك حسنًا يا نفسي واضربي صفحًا عن الاباطيل والمداخلة في امور لا تعنيك ووجّهي باصرة قلبك الى يسوع المصلوب . بالغي الان في السهر واسالي الاب بمعية يسوع على جبل الزيتون ان يعطيك محبة حارّة لتتوجعي لالام ابنهِ الوحيد توجعًا حبيًّا كما انهُ اعطى هذا الابن الوحيد ان يشرب كاس الالام المباركة . لانّ ما تجدينهُ في جروح يسوع المسيح يفوق حصولك على العالم كلّهِ هذا وانّ الام يسوع المسيح وحدها تاخذ منك عجبًا يسمو على عجبك الناجم عن تبصّرك في جميع المخلوقات *

واقول ذلك ليزداد حبكِ تاجّجًا لآلام يسوع المسيح وتشغلي فيها فكرك بانتباه اعظم ليس فقط الان بل وفي كلّ يوم وساعة . لانّ ما تجدينهُ في حياة يسوع

المسيح والامهِ يفوق غزارة وعذوبة كلّ ما نقرإِبن وتتعلمين في تعليم القدّيسين او في سيرتهم *

وبالحقيقة انّ الام يسوع المسيح الموقّرة هي افضل من جميع آلام القدّيسين من جهات كثيرة اذ انّ آلام جميع القدّيسين لم تتقدّس الّا بالآم يسوع المسيح ولم تكن ذات استحقاق ومقبولة لدى الله الّا بموت المخلّص لانهُ هو قدّوس القدّيسين ولهُ سلطان ان يترك للناس خطاياهم ويكافئهم على جميع اعمالهم الصالحة وقد قدّم ذاتهُ لله ضحيّة مقدسة لمغفرة جميع الخطايا *

٧. وعليهِ فالآم يسوع المسيح تفوق اوجاع مختاريهِ من ثلاثة اوجه خاصة اي من حيث قيمتها وشدّتها وثمارها او فائدتها *

فتفوقها من حيث قيمتها لانّ الشخص المتألم يفوق الجميع اذ انهُ ابن الله . وتفوقها من حيث شدّتها لانّ جسدهُ كان اسرع تأثرًا من غيره لشرف فطرتهِ الفائق

ولذا عذاباتهُ ايضاً كانت اشدّ العذابات *

وتفوقها من حيث ثمارها اعني بها افتداء الجنس البشري اذ انّ الرب يسوع بموتهِ عن غير ذنب نجّانا من الموت الابدي واستحقّ لنا الحصول على الغبطة السماويّة ومجدها *

ولذلك يدعو بلسان نبيّهِ جميع المومنين ليعتبروا عظم اوجاعهِ قائلاً: «يا جميع عابري الطريق تاملّوا وانظروا هل من وجع كوجعي» *

٨ • وا اسفاه يا رب كم يعبرون امامك ولا يلتفتون اليك • يعبرون امام صورتك بعين جامدة وقلب جافٍ وبالكدّ ينظرون عن بعد الى ايقونة المصلوب . فيركضون في الكنائس بدون احترام وهم اسرع في الخروج منهُ في الدخول ويلذّ لهم التكلّم اكثر من الصلوة ويجتذبهم العالم احسن اجتذابا الى الساحة ممّا تجتذبهم الى المحراب التراتيل الالهية والسماويّة

وبالكد يصرفون بعض الوقت في الثناء عليك وقد استمريت انت ساعات مستطيلة معلّقاً على الصليب لاجل خلاصهم غائصاً في بحر من الاهانات والاوجاع *

اين سماعنا وابصارنا يا رب لكي لا نلتفت اليك الاَّ بعض الالتفات فارجعنا اليك لاننا لا نلبث ان نبتعد منك وننسى المحبة العظيمة التي اظهرتها لنا في الآمك المباركة انك كابدت عن غير ذنب اوجاعاً اليمة شنيعة كابدتها من قبل الناس ولاجل الناس الذين خلقتهم انت بذاتك بل كابدتها من قبل امّتك الخاصّة وشعبك الذي اكثرت من الاحسان اليهِ في الازمنة القديمة وفي الايام الحاضرة ومع ذلك لا نزال مقيمين على صلابة قلوبنا . انّ العناصر الجامدة اهتزّت لموتك وقلوب بني البشر لا تتأثر *

٩ . الويل لي انا الشقي ليبوسة قلبي وصلابتهِ .

الويل لي انا الذي اتأثر كلّ التاثير من اخفّ الشتائم ولا تعمل في قلبي اهانات مخلّصي يسوع المسيح العظيمة في الغاية . اشعر باصغر جرح يحدث في جسدي ولا ابالي باوجاع سيّدي القاسية للغاية . فما اقلّ حبّ من يرى الراس ممزقًا بقساوة وقلبهُ لا يحزن على ذلك *

ان كنّا اعضاءَ بعضنا بعض فما بالنا لا نتوجّع ولا يتمزّق قلبنا ألمًا . ربي ماذا اقول في ذلك . وماذا اعمل انا التعس . لماذا احزن بعض الاحيان على انسان مائت فوق حزني عليك يا خالقي وعروسي الغير المائت . ولماذا حبّ الاطلاع على الامور الباطلة ينشّطني ولا ينشطني عذابك على الصليب *

ليت شعري انّ الباعث لألمي هو تباطؤ قلبي عن التوجّع لآلامك وعدم انفعالهِ كالواجب *

آه ما اخجلني لكوني سريع الميل الى الضحك

وشديد التأثّر من المثالب وكثير التأخّر عن سجم الدمع على آلام ربي المرّة للغاية لصلابة قلبي ويبوستهِ. واحسرتاه اني ان شعرت مرارًا ببعض التخشّع فلا البث ان اتراخى ايضًا فلذا لا انقدّم ابدًا ولا يشعر قلبي في الباطن بعذوبة كاملة . الهي انك كثيرًا ما تكلّمني كلامًا حسنًا ولا اعمل شيئًا يستوجب الاستحقاق اني اشاهد العذابات التي كابدتها وأرى في اليبوسة تغلب على التخشّع والليونة وما ذاك الا لنقصان حبي فحتّامَ ابقى جامدًا لا اتوجّع لاوجاعك *

١٠ : فيا يسوع حبيبي الامين في الغاية والمعلّق على الصليب ممتقع اللون يا ايها الرجاء الوحيد للنفس الكئيبة امنحني في هذا الوقت الكلّي القداسة ان احتفل احتفالًا لائقًا بذكر آلامك والج جروحك الواسعة بتوجّع حبّي حتى انسى هناك ذاتي وافكّر في وجعك فقط فلا اعود افشل في الشدّة لكن اخضع

لارادتك بطيبة الخاطر *

كيف اقدر ان اعرف بانّي احبّك الّا باحتمالي الاحزان لاجل اسمك لانّ التألّم بحبّ واحتمال الاحزان بدون تذمّر اعظم دليل يمكنهُ الانسان ان يظهر بهِ حبّهُ لك . اذ انهُ باحتمال الاحزان يُعرف محبّ الصليب المحقّ *

وعليهِ فانك يا ربّ وان كنت الآن معصوماً من التألّم سالماً من كلّ وجع اذ انك مكلّل بالمجد والكرامة ومرتفع فوق جميع السموات فخيرٌ لي ويُفيدني جدًّا ان اتذكّر اوجاعك المباركة زمن اوجاعي واعتبرك بالحالة التي كنت حاصلاً فيها زمن تألّمك في الجسد اي ممسوكاً وموثوقاً وعرياناً ومهاناً وملطوماً وممزّقاً بالسياط ومكلّلاً بالاشواك ومحكوماً عليك مع لصّين ومعلّقاً على الصليب ومحتقراً ومتروكاً ومخذولاً من الجميع تارةً يُستهزأ بك واخرى تُسقى

خلاًّ ومرارة . هذا يعنّفك وذاك يجدّف عليك حتى مُتَّ في آخر الامر على الصليب ودُفنت بحزن وكآبة . كلاّ لا يسوغ لي ان اغفل عن ذكر واقعة واحدة ولكنّي سأجمع من حقل الانجيل بأمنيّة جميع اقوالك واعمالك غير مكتفٍ باعتباري اعمالك العجيبة بل ساعانق باعظم حبٍّ بذراعيّ العقليّتين اوجاعك واهاناتك لانّها اكثر ضرورة لخلاصي *

١١ : يا يسوع العظيم الشان انّ عجائبك تخرّجني في الايمان وفي توقير اسمك الاقدس غير انّ اهاناتك وعذاباتك القاسية المحتملة لاجلي تنشطني وتضرمني اشدّ اضرامٍ لممارسة الصبر الجميل والتواضع والمحبّة الكاملة . فمن لا يكرّم غير عجائبك ولا يعتبر فيك سوى عظائمك عليهِ ان يخاف كثيرًا من ان يكون موتك الشنيع موضوعًا لسقوطهِ . اجل انّك عجيب في اعمال قدرتك الالهيّة ويجب ان تُمدح عليها فوق كلّ شيء

بيد انك مع ذلك لم ترفض الصبر على التوبيخات واللعنات ولذلك فانت محبوب غاية المحبّة *

١٢ : فانظر في ذلك ايها المومن وكن شاكرًا لله . اتخذ تواضع يسوع وفقرهُ الشديد وخذلان الله والبشر لهُ تعزية لك في جميع شدائدك وضيقاتك . ايها المسيحي العبد الكسلان البطّال لست انت افضل من سيّدك ولا اقدس منهُ . فان كان هو البار قد احتمل كثيرًا لاجلك فماذا يجب ان تعمل انت وايّة تقدمة لائقة تقدّمها لهُ تعالى . وان كان هو ابن الله الحبيب قد خُذل هكذا وصار هدفا للاحتقار فلمَ تتشكّى انت بمرارة اذا احتقرك الناس بعض الاحيان وتركوك وانت عبدٌ كثير الرداءة فانظر الى مثالك الالهي الى تلك المذكّرة الابديّة *

يا يسوع ابن الله الجميل والحبيب في الغاية ايّها اعجب فيك أعظمتك ام ذلّك . وايّها اكثر

اعتبارًا أجلالك ام خزيك *

ولكن لمَ لا اعتبر كلتا الحالتين على السواء زيادةً في الحق . فاني ارى جمالك وعظمتك في الطبيعة الالهيّة وذلّك وخزيك في الصورة البشريّة فالحالة الاولى ثابتة فيك ابدًا اما الثانية فلم تحصل فيها الاّ لوقتٍ وفضلاً عن ذلك فانّي انصوّرك جميلاً في الباطن ومحبوباً طاهرًا لا عيب فيك اذ انّك معصومٍ من كلّ خطإٍ ولو كنت مشوّهاً للغاية ومجرّحا في الظاهر نعم انّك من اجل خطاياي قد ثُلبت وضُربت وصُلبت *

١٢ : ربمّا اعين الحمقآء والمتكبّرين الجسديّة تتشكّك من ذلك لكن ليس كذلك النفوس التقيّة التي تحبّك فانها تتوجع باكيةً . فشوقي هو ان احيا مع هذهِ النفوس التي تحبّك من كلّ قلبها وتتبعك الى عار الصليب . كلاّ لست انت موضوعًا لسقوطي

بل انّما انت فرحي ومجدي الاعظم . اذ ان عارك جمالي وكلومك وكلًّا من جروحك خلاص لنفسي وموتك حياتي نعم حياتي ومهجة روحي انك ستعاقبني ان لم اتذكّرك واتخذ آلامك مبدأ لفرحي لانّي اعرف من انت . انت قدّوس الله الذي اراد ان يكابد هذه العذابات ويكابدها بفرح عن خطاياي كما اومن بذلك *

١٤ : فسأبكي اذًا ليلاً ونهارًا بكآءً مرًّا ودموعي تنهمل على خدّيّ امام اوجاع سيّدي وآلامه الاليمة . انّ داود انتحب شاول ويوناثان ابنهُ وانا لا انوح على موت سيّدي وملكي *

ان يعقوب اذ شاهد قميص ابنه يوسف مزّق ثيابهُ وبكى وانا ايمكنني ان انفك من البكآء عند تاملي موت سيّدي الاليم *

وكذلك يوسف اذ رأى اخاهُ بنيامين منتصبًا

امامهُ استعبر في الحال وسال دمعهُ ولم يقدر على حبسهِ وانا لا اجد دمعاً افيضهُ على سيّدي عند علي بموتهِ الاليم *

فلا يردّني احدٌ عن قصدي ولا يصدّني عن تسليم ذاتي للتوجع والزفرات فانهُ بذلك يزيد الي الما *

ليت شعري انّ ربي اهراقَ دمهُ الثمين لاجلي وانا لا افيض عليهِ بعض الدموع باكياً متنهّداً . فيا ليتني اقدران ابكي وانوح نوحاً يعمل في قلب جميع الناس *

انّ هبة البكآء لا تمنح للجميع لكن من شان القلب المتديّن ان يئنّ على الرب بعاطفة التحنّن لا اعجاباً بنفسهِ بل رغبة في نعمهِ عظمى *

١٥ . يا يسوع الحبيب العظيم الرافة يا ضيآء المجد الابدي وشمس البر كيف تشآء ان نحطّ هذا

الحظّ . فلترثك نفسي ولتتلين صلابتي بشعائر توجعها الحميمة . ليشتغل اليوم قلبي اشتغالاً رصيناً بذكر آلامك ولترافقك نفسي بامنيّة بروح الاتضاع وبقلب منسحق في جميع امكنة آلامك وهي تعتبر بحزن كلّ ما كابدتهُ من الاوجاع . ليضطرم شوقها الى التألم والموت معك متفكرة في كلام داود عن ابنهِ ابيشالوم : « يا بنيّ يا بنيّ ابيشالوم يا ليتني متّ عوضاً منك » (٢ ملوك ١٨ : ٣٣)*

ان محبّة داود التقوية سادت على موت ابنهِ الذي كان يضطهدهُ بحيث انهُ بكى موتهُ بحزن ورغب في الموت عوض من كان يسعى في قتلهِ . فكم يجب عليّ ان احزن واتوجّع واشفق على موتك الذي كابدتهُ لاجلي على الصليب عن غير ذنب . فيجب عليّ ان اتاثر نظراً لما عانيتَ لاجلي من الصلب والموت اكثر مما لو وُهب لي العالم باسرهِ وجُعل تحت تصرّفي المطلق*

١٦ : فلتمت اذن نفسي ميتة مغبوطة ولتكن آخرتي آخرة مولاي. جُدْ عليّ يا رب بميتة صالحة واجعلني اجد فيك راحة مغبوطة . فالموت معك على هذه الصورة اعذب لديّ من ان ابقى بدونك ولو ساعة واحدة . انك ان رفضتَ عليّ ذلك عملتُ بموجب ما يشير اليهِ عادةً حبّ تقوي: اي اني اذهب الى البرية وهناك ابكي باعظم حرّية واتذكّر خاصةً موتك الاليم واكثر من تقبيل جميع اثار جروحك بقبلات قلبي الباطنة. فلا يكلمني اليوم احد ولا يضجّرني بتعزية ويسبّب لي اقلّ طيش لاني لا اقبل تعزية الخلائق خشية ان تمنعني من البكاء على آلام سيّدي المرّة للغاية. ابعدوا عني يا جميع اهل الخارج والداخل دعوني اجالس الخلوة والحزن لأبكي قليلاً حبيبي المصلوب لاجلي . لينفذ الحزن دمعي باسرهِ ولا يحاولنّ احدٌ ان ينشّفهُ ويعزّيني غير الذي ابكيهِ *

ابكوا معي يا ايتها الشمس والقمر وجميع الخلائق . لان اليوم قد مات ربنا ومن الواجب ان يتوجع الكل حينما يتالم مبدع الطبيعة · من الواجب ان يكتسي الجميع بحلل الحداد وقتما يكابد ابن الله اوجاعاً جليلة المقدار. فلا يمكنني التكلم ايضاً ولا يسعني غير البكاء لان الهي صاح صوتاً عظيماً واسلم الروح. فبادري بادري ايتها الدموع الغزيرة وانهلي بكليتك انهلي على جسد سيدي الحبيب المائت · واستمدي لنفسي روية باطنية لكي استحق ان اعاين يوماً بحالة الفرح من ابكيه الان بدموع حبية وهو معلق على الصليب · فليكن لي قبرهُ مقرّ راحة وسلامة لكي تكون قيامتهُ المجيدة نهاية كل حزن والم آمين *

التأمّل الثالث والعشرون

في الصليب الذي حملهُ يسوع بذاتهِ لاجلنا

فخرج وهو حامل صليبهُ الى الموضع الذي يسمَّى موضع الجمجمة (يو ١٩ : ١٧)

١ : هلمّوا بنا الان نعتبر هذا مسير الربّ المولم ونتبصَّر باعين النفس في هذا المشهد المرثي لهُ للغاية *

ها هوذا يسوع البار مسحوق تحت ثقل الصليب الشاق يتقدَّم بين لصّين وينسحب واحسرتاه بضجّة الى موضع العذاب العام. انهُ يحتضن هذهِ الخشبة الحقيرة بذراعي محبتهِ ويحني تحت هذا الوقر كاهلهُ المخدّش بالسياط وكتفهُ المقدّس وجميع اعضاء جسدهِ الكثيرة اللطافة . ويحمل ثقلاً كان قد اعتاد حملهُ الى الموضع المعيّن لياتي بثمرة خلاص هي ترياق ضد سمّ الموت الابدي *

٢: انّ صليبك باعث عظيم للهزوء لدى الاشرار غير انهُ سرّ مقدّس لجميع المومنين . انهُ للاشرار شهادة هلاكهم . لانهم صلبوا بارًّا . وللصالحين هو علامة خلاص لانّهم يتوجّعون لهُ ويبكون عليهِ . فضحك هؤلآئك سوف يستحيل الى بكآء . وتنهّدات هؤلآء الى فرح *

فسار الرب الحليم في طريق العار ومشى بوداعة عظيمة . وترك ان يقودوهُ خارج اورشليم التي كان بكى عليها في احد السعانين وحمل بصبر عار عقابهُ الذي اعدّهُ لهُ شعبهُ الخاص ولم يقم الحجّة ضدّ الشتائم التي اشبعوهُ منها ولم يرد على الذين كانوا يسوقونهُ ولو انهم عاملوهُ شرّ معاملة ولم يستجر بالملائكة ولا باصدقائهِ لكنهُ تقدّم بدون تباطوٍ وخضع بسرعة لمعذّبيهِ الشرسين وحمل وحدهُ وقرًا شاقًا للغاية . وقبل وحدهُ شين الخجل بيد انهُ الى ان يستخصّ

بافراح المجد والكرامة اذ انهُ يريد ان يشرك في استحقاقات آلامهِ جميع المؤمنين بهِ · ولم يعدل عن طريق الصليب لمودة امهِ · ولم تعقهُ دموع اصدقائهِ ولم يبالِ لا بجلبة الجمع الغفير ولا بسخريات اعدائهِ وتهددانهم بل ولم يتوقف عن العمل الذي بداهُ لنحول بدنهِ ولم يكلَّ من المشي لسقطاتهِ المتواترة · فكنت تراهُ دائمًا في حالة واحدة حرّ الفكر ساكن الجاش يتقدّم الى مكافحة العقاب الاخيرة ويحتمل بروح متساوية عار الصليب بلا مبالاة الى مجد العالم · وكان متفرّغًا لمجد ابيهِ الازلي · محبًّا للجميع راغبًا اشدّ رغبة في تكميل ارادة ابيهِ المحتوم بها منذ الازل وفي انجاز عمل فدائنا الذي الزم نفسهُ بهِ وذلك بواسطة آلامهِ وصليبهِ *

٣: وقد اثبت بهذا المثال الساطع ما سبق وعلّمنا اياهُ تعليمًا خلاصيًّا بقولهِ: « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني » فهاهوذا امامك يسوع

ابن الله رئيس الامم وربها يسعى في نجاة شعوبهِ . فيا ايتها العبد الامين اقتفِ اثار سيدك . ايها التلميذ تمثَّل بمعلمك . ايها العضو الضعيف اقتدِ براسك الشريف لتبلغ بارشادهِ الى ملكوت السعادة الابدية . لانَّ من يرغب في السعادة والفرح لا ينبغي لهُ ان يخشى من الشدَّة والغمّ . ايها الخاطئ احذُ حذو البار . ايها الانسان استنهج سبيل الاله . ايتها الخليقة اسلكي منهاج الخالق . ايها المنفي اتبع قصد فاديك اكفر بكل خوف ارضيٍ تمنطق بالقوَّة وجاهد جهاد جندي باسل في قهر الطبيعة . بواسطة الصليب يبلغ الانسان الخلاص وبواسطة الاحزان ينتهي الى اكاليل المجد . فلا تخجل من عار المسيح ان اردت النبصُّر في وجههِ المجيد انهُ لاجلك حمل هذا الصليب ولأجلك عانى موت الخشبة بعينهِ . فيقدّم لك مثال الصبر ويسهّل امامك اوعر الطريق ويعلّمك اعتناق عار الصليب

لا الهرب منهُ *

انَّ يسوع المتواضع حمل صليبهُ للكفرة ليقدّسهم وتألم لعبيد حقيرين ليصيّرهم شركاء في ملكهِ . فمن ذا لا يتوق الى احتمال مثالب الناس وفيما يرى يسوع البار يحتمل من قبلهم اهانات لا تعداد لها وعن غير استحقاق *

انَّ المجاهد يحتمل بصبرٍ ما يرى ملكهُ يحتملهُ وعليهِ فالملك الشريف بل ملك الملوك وربّ الجميع قد تقدّم لمحاربة رئيس العالم بلا ترس يحميهِ ولا سيف يدافع عنهُ لكنّهُ كان متدرعًا ومحامى بسلاح الصليب ليصلب ويموت اخيرًا عليهِ لاجل احبائهِ *

فتقدّم نحو الجلجلة مع راية الصليب واراد ان يرفع هناك اسمهُ ويكمّل سرّ خلاصنا وهو يعلم حسنًا بسابق علمهِ بانَّ هذا المكان الملعون سوف يشتهر بمعجزات باهرة وانَّ خشبة صليبهِ ستستحيل الى خشبة

مجد وكرامة. اذ انهُ سينادي بها عن قريب في العالم كلهِ ولها تسجد جميع ملوك الارض وامرائها *

٤ . وبالحقيقة انَّ راية الصليب هي مكرَّمة عند الاجناد المسيحيّين وهي مجدهم العظيم وسور حصين وترس منيع ضد شرّ ابليس واهوائهِ لايضاهيها سلاح من جميع الاسلحة *

فهنالك اذاً على مقربة من تلك الحفيرة المنتنة الكريهة المدنسة بجثث المعاقبين وقف يسوع حاملاً صليبهُ وهو راس وشفيع جميع الذين حملوهُ بعدهُ . هنالك عُرّي حالاً من ثيابهِ ورُفع عرياناً على صليب مجرّد وصلّى من اجل صالبيهِ . هنالك ترك ان يمدّدوهُ على هيئة صليب ويسمّروهُ بمسامير ويطعنوهُ بحربة ويستهزىء بهِ الاشرار شان رجل لاقدرة لهُ وهو القادر على كلّ شيء . هنالك حُرم كلّ تعزية بشرية فخلّف لنا مثال تجرّد كامل ونموذج الفقر الزمني . هنالك

قدّس شجرة الحيوة بملامسة جسدهِ المقدّس ودشّن مذبح الصليب باهراقهِ دمهِ الثمين . هنالك انهى جميع قرابين العهد القديم المشيرة الى الآمهِ وقدّم ذاتهُ الى ابيهِ تقدمة ذات اريج شهيّ لاجل خلاص العالم . هنالك ختم حياتهُ بنزاع مغبوط وهو طاعة الصليب وقهر الموت بموتهِ وفتح باب الفردوس وقاد معهُ الى السعادة الموعود بها اللصّ التائب في اخر عمرهِ *

٥: فاذا كان يسوع البريء من الخطإ قد حمل صليبهُ على منكبيهِ فسبيلك ان تحمل صليبك ايضاً انت الذي كثيراً ما اهنت الله بكبائر واستحقيت بعدل العقاب الابدي *

انّ طريق الصليب يظهر للضعفآء مملوًّا مرارة واحزاناً ولكن من يسر فيهِ يجنِ منهُ اثمار الفرح ويكون التعب طيباً نافعاً . اما هو خيرٌ لنا ان نعيش الآن في حزن وتعب من اجل يسوع المسيح ونشاركهُ في

عذاب صليبهِ من ان نكون في آخر الامر معذبين الى الابد في الجحيم مع الشيطان عقيب فرح قصير نتنعم بهِ في حيوة عابرة . اذ انك تزداد قبولاً لديهِ تعالى واهلية لمجد اعظم في الملكوت السماوي بقدر ما تحتمل الان لاجل اسم يسوع اوجاعاً واتعاباً عظمى وتزدري بالتسليات الوقتية ملتفتاً الى آلام يسوع وطريق القديسين الشاق اولئك الذين ابتلوا مدة حياتهم ببلايا عديدة *

كلّ حزن على الارض يعبر وكلّ اهانة تزول كظلّ سريع . امّا في السماء فيبقى مجد المكافاة الذي سوف تعطاهُ على صبرك الجميل ان شآء الله *

فاجتهد اذن بان تسلك طريق الصليب المقدّس وتحمل في قلبك صورة يسوع المصلوب المزعجة وتقتدي بهِ بشجاعة في جسدك الضعيف حسب استطاعتك . اخضع بطيبة لارادة الله الذي عمل

واحتمل كثيراً لاجل خلاصك واستودعهُ بثقة كلّ ما يختصّ بك . انك لا تقدر ابداً ان تشكرهُ شكراً لائقاً على اخفّ ألم من آلامهِ وإن احتملت اوجاع واحزان جميع القدّيسين والشهداء . ولكن ليت شعري كم يحقّ لك النياح على جبانتك العظيمة في اتباعك صليب سيّدك وعلى رخاوتك العظيمة في توجعك لآلامهِ وعلى برودتك الشديدة في اتّباعك ايّاهُ وعلى قلّة شكرك لهُ هو الذي اعزّك كثيراً واحبّك فوق جميع الخلائق بحيث انّهُ اراد ان يموت لاجلك وينجّيك من الموت الابدي بموتهِ البريء اذ انّهُ لو لم يُصلب المسيح ويمت لاجلك لكنت تكون هالكاً الى الابد . آه من كان امكنهُ ان يفي عن جميع خطايا البشر غير يسوع المسيح ابن الله الحيّ والحمل البريْ من كل عيب *

التامل الرابع والعشرون

في استحقاقات آلام الرب يسوع وفي عظمة الصليب المقدس

« اما نحن فحاشا لنا ان نفتخر الاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح الذي فيهِ خلاصنا وحياتنا وقيامتنا » .

(غلاط ٦ : ١٤)

هذهِ هي الاقوال التي تنطق بها الكنيسة المقدسة وترتّلها عن الصليب المقدّس . هذهِ هي الاقوال التي بها اصبحت استحقاقات آلام الرب جليلة فاضلة تلك الالام التي تفوق حقًّا جميع قرابين الشريعة وكل استحقاقات القدّيسين وفضائلهم . لانّ في آلام يسوع المسيح وصليبهِ خلاصنا الحقيقي بمائهِ وفداء الجنس البشري اذ انّهُ بتلك الالام افتدانا الرب يسوع ووفى لله ابيهِ عن خطايانا وفتح لنا الفردوس بقهرهِ

الموت كما يتضح ذلك من كلامهِ للص المصلوب «انك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣ : ٤٣) *

فيا لرافة الله العجيبة. يا لجواب كثير العذوبة يا لبركة الصليب المفيدة التي بررت اللص من جميع خطاياهُ وادخلتهُ الفردوس اول جميع القديسين *

٢ : فليشكر الرب يسوع جميع المسيحيين المومنين الموسومين بعلامة الصليب المقدس المغسولين المبررين بدم المسيح المفتدين بالامهِ الحاصلين على الحيوة بموتهِ المتعافين بجروحهِ المهذبين باوجاعهِ المتشحين بحلل المجد والكرامة بواسطة اهاناتهِ *

ليقل جميع المومنين وكلٌّ منهم بقلب دين وصوت واحد تلك الاقوال الكثيرة الحلاوة والمقدسة حقًّا والاشهى لدى الله من جميع العطور وهي : «اما نحن فحاشانا ان نفتخر الاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح» نعم ليقولوها وليقرأُوها وليرتلوها وليتنادوا بها وليفكروا

فيها وليلهجوا بها دائمًا لمجد المصلوب وخزي الشيطان وارتفاع الصليب المقدس ونوال رجاء الخلاص الابدي والحصول على ثقة وثيقة في ساعة الموت *

٣ : طوبى لمن نفذت قلبهُ الآم يسوع المسيح الشديدة الاوجاع ويتروض فيها كل يوم بواسطة التامل والقرآءة والصلوة . طوبى لمن يحمل صليبهُ ويكفر بجميع الارضيات . طوبى للرجل الذي يحتمل بصبر وسكون كل ما يعرض لهُ من غموم وهموم في الباطن والخارج لاجل يسوع المسيح . لان من يفرح من اجل يسوع في الشدة ويمتنع من ملذات الجسد ويهرب من الكرامات ويترك ارادتهُ الذاتية ويطيع بتواضع حتى الموت فذاك يفتخر بالصليب ويقتدي بيسوع على الصليب ويحبهُ حق المحبة . فبهذا يعرف يسوع من يخصهُ ويحبهُ اكثر اي باجتهادنا في مطابقتنا الآمهُ لا بالفكر فقط بل بالاماتة اليومية ايضاً *

٤ : ولكن ليت شعري من تراهُ خليقًا بذلك هل يوجد احد متاهب لاحتمال صليبهِ . فيا لسر عظيم غويص سر كلمة الصليب التي لا يفهمها الجميع بل ان الاكثرين يكرهون الصليب ويهربون منهُ وهو الذي يهدي الى الحيوة الابدية *

فيا ايها الصليب المغبوط اية عذوبة تحوي فيك واية قوة تهب تلقاء الضعف الناشئ عن جميع الرذائل وتجاه احزان القلب . يا شجرة حيوةٍ ثمينة حقًا وشهية نافعة . يا شجرة مباركة فوق جميع اشجار الفردوس يا شجرة تكرّمها الملائكة وتسجد لها البشر ولا يسوغ لنا ان نقبّلها الاّ بفم ورع ونعانقها الاّ بذراعين مبسوطتين اننا بواسطتكِ صرنا احرارًا وتسالمنا مع الله بعد ان كنا ابناء المعصية وعبيد الشيطان طبعًا وبواسطتكِ دخل الفرح الى العالم والحزن الى الجحيم . انتِ خلاص المومنين ومجد الرسل وترس الشهداء ونسجة

المعترفين وتاج العذارى وتعزية الارامل وقوة الشيوخ وطريقة الشبان ومرآة الرهبان وملجأ الحزانى *

ه : يا صليبًا المع من الكواكب واجمل من القمر واسطع من الشمس انك تنير السمآء وتنفذ الهاويات وتسحق الشياطين وتحفظ الناس وتخيف الاشرار وتفرّح الابرار وتضع المتكبرين وترفع المتواضعين *

يا صليبًا مجيدًا وعلامة عجيبة وراية لا تُقهر وترسًا منيعًا . يا عودًا حلوًا يستحق كل كرامة . انك حملت ملك السموات وسندت بذراعيك ابن الله المدنف وبسببك تُكرَّم جميع الصلبان وتُعظَّم من اية مادَّة كانت وفي ايّ موضع وُضعت . امامك تحني رقابها الملوك والامرآء . السيّد والسيّدة . الخادم والأمة . الغني والفقير . الراهب والاكليريكي . المعلّم والتلميذ . ولك يسجد جميع المؤمنين في ايّ عمرٍ ومن ايّ جنس كانوا ويسجون لك ويباركونك من اجل يسوع المسيح

الذي سُمّر عليك وافتدانا جميعاً *

٦ : يا صليباً مباركاً بهِ يتبارك كلّ ما في الكنيسة من شيء مقدّس . وبهِ يرتقي الكهنة الى درجة الكهنوت وبهِ تُدهن المرضى ويحامى عن الموتى . انّ رسمك هو الذي يُنقش على الجدران وبهِ تتزيّن المذابح *

٧ : يا صليباً بارعاً في الجمال دشّنهُ جسد يسوع المسيح وجملتهُ اعضاؤهُ بحجارة كريمة . يا صليباً احمرّ بدم يسوع القرمزي وثُقب بمسامير ودُفن في عمق الارض . انك تبسط ذراعيك نحو اربع جهات العالم مجتذباً اليك وشاملاً كلّ ما في السماء وعلى الارض *

٨ : يا صليباً شريفاً للغاية يفوق قوّة كلّ نوع من الشجر ويقهر العالم والشياطين ولا يخشى العذاب أيّاً كانت انك ترويح مشقّق وتعزية فريدة في كلّ شدّة وكلّ عوز مدّة الحيوة وعند الممات *

٩ : يا صليباً محبوباً في الغاية اختارهُ يسوع المسيح وحملهُ على منكبيهِ الى موضع الجمجمة ولم يفارقهُ حتى الموت . بقربك كانت واقفة مريم امّ يسوع ممتلئة حزناً ومعها التلميذ يوحنا الحبيب والمجدليّة النقيّة *

فاسألك ان تسعفني وتحاميني دائماً هنا وفي كل مكان ليلاً ونهاراً خشية ان يقوى عليّ عدوّي القاسي قتّال النفوس . فحامني وقوّني بعلامة قدرتك المقدسة حتى اثبت في الايمان الصحيح والرجاء الوطيد والمحبة الكاملة للذي مات عليك لاجلي *

١٠ : ايها الصليب القادر على كل شيء والمستحق كل اكرام ها ان الجحيم ترتعد امامك والممالك تطاطئ راسها تحت سلطنك ولك تخر ساجدةً كل ركبة في السماء وعلى الارض لانك تصنع بقوتك ايات ومعجزات في كل مكان وتطفئ الرعود والصواعق وانت احسن

حرس وآمن ملجأ في الحروب والاماكن المظلمة وفي اخطار البحر والارياح *

١١ : يا صليباً مقدساً في الغاية ومكرماً يجب على كل انسان ان يسجد لهُ سجوداً لائقاً ويحبهُ حباً قلبياً ويكتبهُ على قلبهِ ويرسمهُ على جبهتهِ وصدرهِ. اني ابتهل اليك بتقوى واسالك بحرارة ان تنعطف عليَّ في جميع ضيقاتي. خلّص جميع اعضائي ونجّها وباركها وقدسها. رتّب حواسي وجميع اقوالي واعمالي ما حييتُ لكي يقبلني بواسطتك من افتداني بك اعني بهِ يسوع المسيح ربي المصلوب لاجلي *

١٢ : يا ايها الصليب شجرة الخلاص المرتفع فوق جميع الاشجار انك تفوق الارز ارتفاعاً والسرو ذكاءً والنخلة جمالاً والبلسم والزيتونة غنىً والكرمة خصوبةً والتينة حلاوةً والبنفس خضاراً والورد احمراراً والاطياب منفعةً وجميع الادوية والعقاقير تاثيراً *

انك تشفي الانفس والاجساد وتسكّن الاوجاع وتعزّي الباكين وتهب الرجاء للاشقياء وتعد الابرار بالمكافاة وتتكفل بالغفران للتائبين ولكل من يلتجي اليك وتوزّع النعمة والرحمة وتسبغ بركة واسعة على العابدين لك وتشرق نورك على الضالين وتخشع قلبهم ولا تزال تفيض زيت التعزية على جميع المومنين المتبدّدين في الارض ولن تزال حتى انتهاء الدهور تعطي ثمرة الحيوة الابدية بقوة ربنا يسوع المسيح المصلوب لاجل خلاص العالم *

١٢ : ايها الصليب الكثير الحلاوة والعظيم الاوراق يا من لا تزال انوارهُ تتقد واثمارهُ تكثر . انك قد نلت قصبة السباق وفقت شرفاً على جميع الصوَر التي تمثّل لنا الالآم المقدسة حيثما أُنذر باسم المسيح وسُمع لهُ . فبكل صواب يُسجد لك وتُكرّم اجلالاً للسلطة الالهية المستترة ضمنك *

انك تسِمُ في كل مكان سمة قدرتك . فالكنائس والمعابد . الاديرة والقصور . المدن والبراري . الدهاليز والابواب . الشبابيك والجدران . الابراج والسقوف . الشوارع والقبور . الروافد والمذابح . الحلل والبطرشيلات . والخلاصة سائر امتعة الانسان على التقريب موسومة بك *

فيحقّ بك ان تُزيَّن بالذهب والفضة والالماس والحجارة الكريمة وان تُلفت بالارجوان والكتان الناعم والانسجة الفاخرة والحرير وتحفت بالزهور والورد باحترام من اجل صورة فادينا الذي سُمِّر على ذراعيك وانتصر بك فبكل صواب يقدّم لك المومنون جميع تلك دلائل الاحترام التقية لانهُ قد اصابك من اليهود الكفرة مدة الآم يسوع المسيح اهانات شنيعة لا تليق بشانك فمن العدل اذن ان نشارك ايها الصليب المجيد المقدس يسوع المسيح في امجادهِ ورفعتهِ كما

شاركتهُ في حزنهِ واوجاعهِ *

ولكن ليس من يقدر ان يوقرك توقيرك ويمجدك تمجيدًا يليق بجلالك وان كان مزدانًا ببهاء فضائل الملائكة او بقدرة القديسين الصانعة العجائب . فكل تسبيح وكل كرامة هما دونك وقاصران عن استيفاء وصف عظمتك . لانهُ ينبغي لك اجلّ الاكرامات من اجل احسانات يسوع المسيح المفاضة علينا بغزارة جليلة المقدار ومن اجل دوام اتحادك بيسوع المسيح في ساعة موتهِ *

١٤ : ان امانة الصديق تُعرف خاصةً بهذا اذا اجار الصديق صديقهُ عند مسّ الحاجة وسلاّهُ وقام بخدمتهِ واستمرّ معهُ في صحبتهِ الى النفس الاخير . فهكذا حقًا تصرّفت ايها الصليب الكثير الامانة نحو مخلصنا وسيدنا يسوع المسيح الذي حملك هو اولاً بصبر على منكبيهِ ثمّ قبلتهُ انت بوقار بين ذراعيك

قبولك خالقك ولم تترك في أخر الامر هذا الصديق الحنون الذي عانقك برافة عظيمة وحملك من مسافة شاسعة فاصبحت من ثمّ لخدام يسوع وللمقتدين به المحقين مرآة صبر في احزان الجسد · ثمّ ان محبي الصليب الصادقين ينادون في اثنية وشكور بكونك غالب الاحزان وواهب المكافآت الابدية كما يظهر ذلك جلياً في الرسولين الطوباويين بطرس واندراوس اللذين بلغا كلاهما الى يسوع المسيح بواسطة الصليب*

أ٥ : ايها الصليب المغبوط بلا نهاية يا صليباً شهياً فوق جميع التعزيات الروحية لقد ينبغي لنا ان نجعلك نصب اعيننا ونستحضرك بالفكر دائماً · ان قدوس القديسين قد توسدك لعدم وجود ما يسند اليهِ راسهُ المشدوخ واتخذك فراشاً اتكأ عليهِ ظهرهُ المجرَّح . نعم فراشاً لا ليّناً ومزيناً بالزهور بل خشناً ومولماً وحرجاً للغاية · انك لم تشأ ان ينتصب احدٌ معك

ويستريح بين ذراعيك متكئاً عليك فقبلت وحدك جسد يسوع المقدّس الالهي الذي وُلد من مريم العذراء وحظيت بهذه الغبطة وهي ان تُقدَّس وتنضح بدم الكريم في مواضع شتّى . انك كنتَ موطئ قدمي ابن الله المقدَّستين في نزاعهِ ومذبح الحبر الاعظم الذي عليهِ قدّم المسيح ذاتهُ الى الله ابيهِ عوض خطايانا تقدمةً ذات اريجٍ زكيّ . انت تابوت عهد الرب الحاوي منشئ العهدين . انت الجرَّة الذهبيّة الحاوية المنّ الخفي اعني جسد يسوع المسيح الحقيقي المذبوح لاجلنا . انت كنز الملك العلي المملو خيرات سماوية والجامع فيهِ اقدس ذخائر الارض كلها اي جسد الرب والمسامير المدماة واكليل الشوك وجميع جروحهِ الثمينة *

١٦ : ايها الصليب المقدّس حقاً بايّ عظمة استحقيّت ان يجمّلك الله ويكرمك ويغنيك اذ انكَ

محمّل بخيرات كثيرة وببقايا مقدّسة لا يضارعك شيء من الاشياء النفيسة الفاخرة . فبكلّ صواب تسجد لك الارض بملئها بكلّ ورع وتعظّمك وترتّل لاسمك مدى الدهور باناشيد والحان اجلالاً للمصلوب عليك *

فلتقرا اذن كلّ نفس مومنة ولتذكر غالباً ما كُتب عن الصليب المقدّس ولتقل مع القديس بولس الرسول والكنيسة المقدّسة : « اما نحن فحاشى لنا ان نفتخر الاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي فيهِ خلاصنا وحياتنا وقيامتنا » امين *

التامل الخامس والعشرون

في الاثمار التي يجنيها الانسان من تذكره الآم الرب وفي المعروف الذي يجب ان تثيره فينا

« افتكروا بنفوسكم في ربنا يسوع المسيح الذي لم يحتمل من قبل الخطاة مخالفات شديدة الاّ لكي لا تفشلوا انتم ولا تضعفوا »

١ : ان تذكر الآم يسوع المسيح ينيل الانسان خيرات جزيلة نذوق حلاوتها ونشعر بتاثيرها كلّما ثابرنا عليهِ بنشاط. وبالحقيقة ان التفكر في هذه الآلام يحث على الحب الآلهي ويعلّم الصبر. ويزيل الاحزان ويبدد الافكار الفاسدة ويحمل على التخشع المقدس. وانهُ رياضة العبادة الباطنة. يطرد الياس ويولي الرجاء الوطيد بغفران الخطايا وبهِ يُعوّض عن سوء استعمال الزمان. وهو احسن اطمئنان للانسان في ساعة موتهِ يقيهِ من قطع الرجاء

وبسالمهُ مع العدل الالهي ليوم الدينونة . انهُ يسكن قلقًا مملوًّا غمومًا . ويخفف احتمال تبكيت شديد . ويطرد الافكار الرديئة . ويردع عن الاشياء الجسدية . ويدرب على خضوعٍ في اتضاع . ويفرّج عن غموم الجسد . وينفي كرامات الدهر وزهوَ الدنيا . ويشير بالفقر الاختياري . ويعلّم الكفران بالارادة الذاتية . ويمنع التطلبات الزائدة . وينشّط السيرة الفاترة . ويسعر في الانسان رغبة اصطلاحٍ نشيط . ويُجزل لهُ النعمة . ويرشدهُ الى التعزية السماوية . ويبلو شفقتهُ الاخوية . ويأهبهُ للتبصر في الالهيات . ويزيد غبطتهُ المقبلة . ويخفف احزانهُ الحاضرة . ويصونهُ من نار جهنم . ويفي عن خطاياهُ اليومية وفاءً وافرًا *

اننا ان قدّرنا الآم يسوع المسيح قدرها بعبادة وقراناها بتواتر وتاملنا فيها مليًا اصبحت لنا ينبوعًا فائضًا زاهرًا تجري منهُ جميع تلك الخيرات وغيرها

كثيرة · هذا ما تعلمهُ وتشعر بهِ النفس المنقطعة لخدمة الله المُبغضة للعالم المُحبة للاختلاء الحافظة لسانها المتواضعة القلب المتجردة من هموم الارض *

ان ذكر آلام الرب المقدسة يسرّ الله كثيراً ويبهج الملائكة ويحمل الناس على الفضيلة ويطهر الضمير ويستجت العدو ويسكّن الاوجاع ويحوّل المرارة الى حلاوة ويردع الغضب ويقمع الشهوة · فآلام المسيح هي بالحقيقة كنز الله السرّي وملء جميع الفضائل وكمال الراهب وخلاصة كل قداسة *

٢ : ولكن ليت شعري ما اعظم جحود الانسان وما اجسم فتور قلبهِ وتراخيهُ في تذكرهِ احسانات الله العظيمة الجزيلة الثمن بحيث لا يقدر احد ان يقدّرها قدرها او يفصح بالتعبير عنها *

فارجع اذاً الى قلبك يا خادم يسوع المسيح وتذكّر احسانات الله لك عارضاً عن الاشياء الباطلة الزائلة.

وعلى الخصوص تململ غماً واياباً في الآم يسوع المسيح لكي تزداد بذلك اضطراماً بحبهِ انك ان تذكرت احسانات الله وشكرت بعبادة الذي منهُ قبلت جميع الخيرات اصبحت شهياً لديهِ تعالى مفعماً سروراً وهدواً في الباطن. ومتى ندمت على خطاياك وشكرت عطايا الله احسنت استعمال وقتك. وعليك خاصةً بالاكتئاب الشديد على انك لم تشكر ابداً الله على احساناتهِ اليك الجليلة المقدار شكراً لائقاً بل انك لا تقدر ان تشكرهُ شكراً وافياً وان قضيت وقتك كلهُ في الحمد والثناء فينبغي لك والحالة هذهِ ان تجتهد بان ترفع قلبك الى الله وتقدّر احساناتهِ قدرها بكل ما يمكنك من الانتباه *

٢: يا ما اشدّ الحب الذي احبك بهِ من اظهر لك في حسن خلائقهِ عجائب عظيمة ليسهل لك دائماً الارتقاء بواسطة الاشياء المحسوسة الى الشكران لهُ تعالى

خالقك وخالق جميع الحسنات *

فاعكف اذن على خدمة الله بوقار سامٍ وقلب جذلان كما يخدمهُ الملائكة القدّيسون في السمآء وذلك على وسع جسدك الواهي وحالتك الحاضرة التي بالنسبة الى السعادة المقبلة يجب ان نسمّيها بالأحرى سجن النفس ولذلك ارتضى الله ان يتأنس ويتألّم ويصلب ويموت لكيما يُظهر لك بذلك عظم حبهِ لك انت الذي لاجلك عمل وتألّم كثيرًا . فلا تكن كافرًا بالنعمة ولا تنس ابدًا ما صنع الرب يسوع على الارض بل تذكّر باعتناءٍ اعمال الله العظيمة التي صنعها بجود واسع لخير الانسان . ولا ريب انهُ سوف يعطيك في السماء خيراتٍ عظمى كما وعدك بذلك ان شكرتهُ الان على الخيرات الحاضرة واستمريت الى الموت امينًا في القليل *

٤ : ان نكران الجميل ارذيلة جسيمة تستحق كل

الاستحقاق ان تُمقَت امام الله والناس . لان من لا يشكر الله بقلب ورِع لا يستحق احساناتهِ الالهية . ومن يرتفع بشيء لا يستحق ان ينال اكثر . ومثلهُ من يحيا بتراخٍ وان كان قد أُعطي وزنة واحدة . لعمري انهُ لامر عظيم ان يتنازل الله ويعطي الانسان بعض العطايا ولا يجب ان نعدّ شيئاً قليلاً ما يهبهُ الله الجزيل الشان والمرتفع فوق جميع الاشياء للانسان الخاطىء المسكين الذي ليس لهُ شيء لائق يقدمهُ لهُ تعالى بدل احساناتهِ اليهِ *

فليكن الله محبوباً كل الحب ولتكن في كل حين تسبحتهُ في الافواه . لنستعظم القليل الذي يهبهُ . وليُعَد وليُعزَ كل شيء لهُ هو واهب الكل والسابغ على الانسان خيراتٍ لا يستحقها . ان الله لا يطلب منّا سوى ان نحبهُ كل الحب ونحمدهُ حمدًا لائقاً على كل شيء حتى اذا ما احبهُ الانسان فوق كل شيء

وسبحهُ وعظمهُ وشكر لهُ يصبح مغبوطاً الى الابد في يسوع المسيح آمين *

التامل السادس والعشرون

في انهُ يفيدنا التفكر في الآم يسوع المسيح

« انا لحبيبي والي اشتياقهُ » (نشيد ٧ : ١٠)

١ : ان مكالمة الاحباب لشهية جدًّا . ويودّ الانسان ان يعرف ما يحدث غالباً في الخفية بين النفس العابدة ويسوع المصلوب وعليهِ فاليك ما تقولهُ النفس: انا لحبيبي ما انا عليهِ ولا اطلب حبيباً غيرهُ. اني لا اريد ان احب سواهُ واني اهب لهُ ذاتي بكليتها لانهُ هو بذاتهِ يهتم بي ولا ريب ان قلبهُ يميل اليَّ فلا اروم اذاً ان التفت بانظاري الى غيرهِ بل لتشخص باصرة قلبي في حبيبي الذي تالم وصُلب لاجلي بل وقد

اكتسى بالجروح والقروح على حبي . اني طلبتهُ قبلاً في المغارة وهو طفل يستهل والان اريد ان اتاملهُ وهو معلق على خشبة . لاني مثلما ذهبتُ اذ ذاك لاسجد لهُ وهو رضيع فكذلك اليوم اقتربتُ منهُ لابكي عليهِ وهو ميت لاجلي *

ففي كل هذهِ الاحوال هو حبيبي الذي وهب لي ذاتهُ بكليتها بولادتهِ وتالمهِ وموتهِ حبًّا لاجلي . انهُ اذرف مرارًا دموع الشفقة ولكنهُ اليوم يعطيني دمهُ الثمين فهكذا احبني الذي اسلم ذاتهُ للموت لينجيني من الموت افلا يحق لي ان اعرض عن كل شيء سواهُ واتفرغ لطلبهِ والحظوى بهِ وتقبيلهِ هو الذي لا يزال يحبني حبًّا اعظم من ان يوصف *

والحال ان قلبهُ يتجه خاصةً نحوي حينما يدفعني بمهماز الحب الداخلي الى ان اتذكر الامهُ ويطلب مني ان اشكرهُ عليها واطابقهُ من صميم القلب لان ليس من

شيء كالفهُ مثل هذه الالآم. فبها يكشف لي سر الفداء وبعلمي احسن تعليماً ان اشعر بما لله اذ ان الحكمة الاتية من العلاء تفوق الانسان وهي التي تعلم وتحقق انهُ لا يسوغ الافتخار الا بصليب ربي يسوع المسيح عمدة خلاصي كلهِ وافتدائي وبهِ ايضاً صُلِب العالم لي وانا صُلِبتُ للعالم (غلاط ٦ : ١٤) بحيث انهُ يسوغ لي ان اقول لهُ بثقة: «انا لحبيبي والي اشتياقهُ» *

اني ارى في هذا الكلام حلاوة عظيمة لا ايأس من الحصول على شيء منها وان كنتُ لا افطن الآن بسعتها. ليلتفت فقط اليَّ حبيبي وليقل ما يشاء فاني اعلم انهُ لا يتكلم باطلاً *

٣ : فكلمني يا يسوع حبيبي كلّمني عن كلمة صليبك والآمك وسرك الذي كملتهُ في الجسد تكميلاً بيناً لان الجميع لا يفهمون تلك كلمة الصليب التي تلوح لقومٍ عثرةً ولقومٍ جهالةً ولكنها للذي قوة الله

وحكمتهُ وهي ايضاً خلاص العالم وحياة الابد ومن افتكر خلاف ذلك كان جاهلاً غبياً ويجلب عليهِ قضاء الله *

٤ : قال الحبيب : ان الآمي هي نظير نبات عظيم الشان معطّر ذي اريج لا اريج اطيب منهُ وطعمٍ يفوق حلاوةً سائر الطعوم واذا تاملها الانسان ملياً في قلبهِ حيث تُسحن كما في هاون ينبعث منها رائحة ذات ذكاء قويٍّ خليقٍ بان يشفي من الاوجاع ومن ضعف جميع الرذائل · ولا ريب انك تجد فيها دواءً لنفسك وتعزيةً وافرةً تجاه جميع الشرور التي تضنكك ولكن يقتضي لك ان تثابر على النروض فيها وتجتهد من كل قلبك في الاقتداء بها لانك ان اقتديت بحياتي وموتي بواسطة التالم والصليب حييت حيوةً نقية وتقدمت حقّاً في سبل الفضيلة ومتَّ ميتة هادية · ولكن واسفاه اني محتقرٌ في مسكني عينهِ وملقىً ظاهراً ·

لاني ابان غريب جدًّا لكثيرين يرفضوني لان حياتي تفهة لديهم والآمي لا نؤثر فيهم ولا تجتذبهم نافذةً قلوبهم كما يقتضي ذلك. فتراهم مرتبكين في امور باطلة لا طائل فيها منتبهين الانتباه التام للتفكّر في شقائهم واحتياجاتهم اليومية مهتمين بمعرفة سبل التخلص من الشرور الزمنية. اما ما عانيتهُ لاجلهم من الاوجاع الكثيرة فلا يفتكرون فيهِ الاّ نادراً. او لا يكادون يفتكرون بهِ ابداً. والحق اقول لك ان الذين لا يكادون يقدرون على احتمال شيء لاجلي بل يتبعون اراداتهم في اشياء كثيرة ولا يكادون يعبأون بجميع الاتعاب لتتميم اشواقهم. فهولاء هم اشقياء تعسون تنغص عيشهم هموم وتبكيتات لا تعداد لها. واما عليهم انهم لا يجنون من الآمي ثماراً مفيدة لكنهم يسعون وراء هلاكهم لشدة تراخيهم وتوانيهم. لانهم لو ارادوا الشفاء التام والتخلص من اهوائهم لكانوا التجأوا بكل تواضع

الى ادوية النفس الشافية المختفية في الآلام وازدادوا قوةً بقوة هذه الآلام وفضلها وتعلموا الصبر على جميع الضيقات. ان الالم لا يذوق طعمها الا الذين ينعكفون على التامل فيها مليًّا ويرغبون رغبةً شديدة في الاقتداء بها. فانها شجرة حيوة للذين يدركونها. ومن يحسن اقتفاء اثارها يصبح مغبوطاً بذات فعلهِ. لانهُ ينال الان نعمًا اوفر وفي الاخرة يحصل على مجد اعظم *

٥: فاجمع اذًا حواسّك واختلِ بنفسك مبتعدًا عن كلّ ضوضاء وخذ لك من الالم قسمًا صغيرًا جدًّا تتاملهُ باعتناء في وقتهِ وساعتهِ . واذا ما ذكرتهُ هكذا كلّ يوم عظمت فيك حلاوة طعمهِ وشجّعك واضرمك في تاملّك لانّك في الآلام تجد التقدم الروحي والكمال . غير انّ جميع هذه الخيرات لا تذوقها الا النفوس المحبة المضطرمة غيرة مقدّسة على ذاتها *

انّ الالم تلوح مُرّة صعبة للجسدانيين والعلمانيّين

بيد انها عذبة معزّية الاتقياء والورعين. لانّ الذين يبغون كرامات الارض وخيراتها ويطلبون في كلّ امرٍ عوائدهم الشخصيّة لا يذهبون الى الآمي ولا يبلغون حلاوتها الباطنة. اما من يحتقر العالم ويضنيّ بجسدهِ ورذائلهِ وشهواتهِ فذاك يجد تسلية عظيمة جدًّا وتخوّلهُ الآمي عبادة فريدة. فلهذهِ النفس اقول: « يا حمامتي في اكناف الصخر في خفآء الكهوف تنفردين » (نشيد ٢ : ١٤) ولها أعيد غالبًا ما قلتهُ لاحد تلاميذي: « هاتِ يدك الى هنا وانظر الى رسم المسامير » ولا تكن جبانًا خائفًا بل قويًّا شجاعًا في الاقتداء باوجاعي *

من يجتهد في ان يكفر بذاتهِ ويتجرّد من كلّ مودّة للخلائق يجد ايضًا ملجأهُ الوحيد في جرح جنبي اليمين الواسع. وبقدر ما يعظم عدم اكتراثهِ للتعزيات البشرية بقدر ذلك يزداد عنفًا ليزورني في جرح حبي البليغ لانّي اجتذب اليّ جميع قواهُ الباطنة بحيث

ان من يشعر بقلبي المطعون لا يعود يشعر بذاته ابداً . فغضّ النظر اذن عن كلّ الاهتمام ارضيٌّ واحتقر الهموم الباطلة . ابتعد عن اصدقائك ومعارفك واحفظ نفسك طاهراً حرًّا من كلّ شيء لكي يتيسّر لك البلوغ الى الحبيب بباب جرح جنبهِ . احببني بتلك المحبة التي احبّتني بها النساء القديسات اللواتي رأينني معلقاً على الصليب فبكين عليَّ بكاءً مرًّا شان امّ على وحيدها . فلو كان لك احشاء امي الحبيبة وتحقّقت من كل قلبك انهُ لا يجب ان يُحب شيء نظيري لاستطعت حقًّا اذ ذاك ان تعرف الامي وتقدّرها قدرها في قلب محب اذ ان شدة التوجع تنجم عن عظم الحبّ *

٦ : ان اقاويلك يا يسوع تسرّني اي سرور ولذا اسالك ان تعطيني ان اتوجع لك ولو بعض التوجع وان كنت غير قادر على الاقتداء التامّ بك في كل شيء . فالى ربي المعلّق عرياناً على الصليب ارفع عيني

قلبي وفي كلٍّ من كلومهِ وجروحهِ الصغرى اريد ان امعن النظر ثمَّ اني احتضن واقبل بعبادة واحدة يديك ورجليك المثقوبات ومسامبرك الحادة وادخل الى جرح جنبك المفتوح دخولي الى المخدع الذي يرقد فيهِ حبيبي وهناك احيا حيوة سرّية واكون في امنٍ من كل ما يضرّ بي واسكن بالسلام متنعماً باسعد راحة. اني لن اعود اخشى الشرور ايًّا كانت ولا الاقوال ولا شعائر الاحتقار الموجَّهة نحوي ان بقيت انت ماكثاً معي *

اني اضع فيك ثقتي وساسكن في جنبك ليلاً ونهاراً انك الصديق الآمن في كل هذا العالم. وصورٌ تفوق حمايتهُ على حماية جميع الاجناد السماوية ولذلك لا يجب عليَّ ان انساك ابداً. بل ساتذكر بوجع الامك المرَّة للغاية على قدر وسعي وضعفي. تلك الآلام التي لا يجدر بخليقة من الخلائق ان تستوفي الفكر فيها ولا

الكتابة ولا التكلم عنها ولو اجتمع جميع البشر على التفرغ لذلك فقط. لان تنازلك ايها الاله خالق جميع الاشياء الى ان تتأنس وتموت لاجل البشر يفوق طور كل عقل مخلوق *

٧: فاتذلل اذن اليك يا رب واسالك ان تنظر بالرحمة الى خاطيء وتنيرهُ في الباطن بنعمتك الغير الموصوفة. افتقدهُ غالبًا وانضحهُ بالدموع. اسحقهُ بالتوجع وطهّرهُ لكي يتجدّد ويُضرم بواسطة التامل الحسن في الامك هو الذي افتديتهُ بدمك الكريم. هبني ان اتقدّم في هذه العبادة واستقي منها دائمًا ادوية شافية لجميع الآمي. آه ليتها تنفذ قلبي نفوذًا اعظم وابلغ من الماضي وتعمل فيهِ وتصلحني كما اضرمت غالبًا كثيرين من القدّيسين والقديسات واثارت فيهم تاثيرات التوجع لكي يظهر في حياتي ذاتها شبه موتك بواسطة اعمال الروح واماتة الجسد فيسوغ لي ان اعيد هذا الكلام الرسولي

المشهور وهو: « قد صلبت مع المسيح» (غلاط ٢: ١٩) *

وذاك الكلام الاخر الذي ليس هو دون السابق طرافة ويخزي الجسدانيين وحكماء العالم المتفوهين بالترهات وهو: « فلا يعنني احد فيما بعد فاني حامل في جسدي سمات الرب يسوع » (غلاط ٦: ١٧) *

اجل ان ذاك الرسول المغبوط كان يحمل سماتك المجيدة النفيسة مرسومة في جسدهِ ولم يكتفِ بتذكرهِ الامك دائماً بل كان يفرح من كل قلبهِ بكونهِ في الخارج مغموماً محتقراً لاجل اسمك . وكلّ ما كان يثقّل على جسدهِ ويحزن قلبهُ كان ينظرهُ خفيفاً محتملاً للغاية عند اعتبارهِ جروحك بحبّ . ولذا كان يحثّ جميع محبيك الامينين قائلاً لهم : « نحمل في الجسد كل حين امانة يسوع لتظهر حياة يسوع ايضا في اجسادنا المائتة » (٢ قور ٤ : ١٠) *

فاجتهدي يا نفسي بان تصنعي انت ايضاً كذلك لاسيّما في هذهِ الايّام حيث تحتفل الكنيسة بذكر الآم المخلّص المكرّمة . ارفعي باصرة عقلك بقلب كئيب وحسن الانتباه الى الموضع الذي فيهِ تعرفين ان يسوع قد تألم لاجلك اشد تألمٍ . قولي بودٍّ مع العروس وانت متذكّرة دائماً عريسك المصلوب على حبّك « انا لحبيبي والي اشتياقهُ » *

التامل السابع والعشرون

في سبعة اقسام اجلّ اعتباراً من غيرها في الآم يسوع المسيح

« تاملوا وانظروا هل من وجع كوجعي » (مراثي ١ : ١٢)

ان الآم يسوع المسيح تفوق جميع احسانات الله المحسن بها الى الجنس البشري وتنفذ القلوب اشد

نفوذاً فوجب من ثمَّ على النفس ان تنتبه دائماً لتتذكر احساناً عظيماً بهذا المقدار وتفتكر ملياً وبتوجع قلب شديد في مرارة الآم المسيح لان ذلك يسرّ الله ويفيد المشتغل بهِ *

وبالحقيقة ان كلاً من جروح يسوع هو دواء للنفس . وضربات السياط القاسية للغاية مع ما تشير الى حبهِ فانها تطهرنا من خطايانا ايضاً . فكم يجب عليَّ ان اشكر يسوع المسيح على جميع الضربات والجروح القاسية التي قبلها في جسدهِ لاجلي انا الخاطئ الغير المستحق *

٢ : فاعتبر بادئ بدء من هو هذا الذي يتالم هكذا . ثانياً : من يولمهُ . ثالثاً : كم يتالم . رابعاً : لمن يتالم . خامساً : كم من الزمان يتالم . سادساً : اين يتالم . سابعاً : في اي اعضاء يتالم . لان لا شيء اجدر بان يحرّك توجع النفس من اعتبارها هذهِ الاقسام

العظمى بترتيب ونظام *

فان اعتبرت اذاً اقنوم المتألم فلا تجد اقنوماً افضل واعظم واقدس واشرف منهُ . اذ انهُ ابن الله ذاتهُ . الابن الوحيد لله الاب . وبكر العذراء مريم المحبول بهِ من الروح القدس والمملوءْ نعمةً وقداسة والمتلألئ بفضائلهِ ومعجزاتهِ . وقد عاش على الارض بدون ان يقترف اثماً . انهُ حمل الله حقاً البريء من العيب والمشار اليهِ في الناموس وقد انبأ عنهُ الانبياء وتاق اليهِ كثير من الملوك والابرار . وقد اعدَّهُ ابوهُ للتألم في العالم لاجل خلاص العالم وتهيأ هو من تلقاء ذاتهِ الى الصليب والموت وذُبح لله ابيهِ على مذبح الصليب عوض خطايانا *

فهذا الاقنوم العظيم جدًّا . هذا الكاهن الحقيقي والحبر الاعظم القدوس البريء من كلّ عيب . هذا الملك ربّ الملوك ومبدع جميع الاشياء وخالق الملائكة

وفادي البشر لم يمنع الناس من ان يحتقروهُ ويقبضوا عليهِ ويكتّفوهُ ويجلدوهُ ويصلبوهُ ويميتوهُ ويدفنوهُ كما يعلمنا ذلك جليًّا نصُّ قصّة الآمهِ المقدسة *

٣ : فيا لهُ مشهدًا يرثى لهُ معروضاً على جميع العابرين في طريق هذهِ الحيوة ليعتبروهُ في الخارج ومعطًى بصفة مثال لجميع المومنين ليقتدوا بهِ في الباطن *

تفكّر ناشدتك الله في كلّ من الاقوال والضربات المذكورة في قصة الآلام فكلّ ذلك قد تمّ لاجل خلاصك ويعبّر عن عظم محبّة يسوع لك ويعلّمك ان تتمسّك بعروة الصبر في كلّ محنة . أجل إنهُ لأمر لا يشوبهُ ريب انّ جميع الضيقات التي تلمُّ بك ليست بشيء بالنسبة الى اوجاع المسيح واحتقاراتهِ فخيرٌ لك اذًا ان تكثر من امعان النظر في ذلك وتطلب تعزيتك في آلام يسوع المؤلمة وتسكن كالحمامة في

اكناف الصخر وتنوح على اوجاع يسوع لانّ التسليات التي يفيضها يسوع وحدهُ على قلبك عند تاملّك الآمهُ المباركة تفوق وتسمو على التسليات التي يقدّمها العالم باسرهِ في وسط كراماتهِ وخيراتهِ *

انك في الآم يسوع تجد ما يجديك نفعاً ويطهّر ضميرك . اما ما تجدهُ في مودّة الدنيويين من الفرح والأُنس فهو قصير وضميرك لا يزال ملتطخاً بدنسهِ لان كلّ شيء ليس من الله باطل ويجب ان يُنظر اليهِ بعين العدم *

ان الآم يسوع المسيح هي موضوع مباحثةٍ مملوءةٍ حيوةً . وقراءةٍ مثمرة تودّب الانسان وتضرمهُ وتطهرهُ وتخلب قلبهُ خرقاً ولا خرق سيف ماضٍ وتبكّتهُ عن تراخيهِ وتلين صلابتهُ وتوهب القلب المحب الى التوجع بواسطة الجراحات. وكثيراً ما تعمل فيهِ عملاً يحمل على الدموع لان النفس العابدة تتخشّع وكانها تُجرح في

الباطن كل مرة تقرأ او تسمع عن الآم يسوع المسيح او تنظر الى الصليب او يلفظون امامها اسم يسوع المسيح المعلق عليهِ *

لعمري ان النفس اذا شعرت عند تاملها في الآم يسوع بذاك الوجع الذي حس بهِ جسدهُ واحتملهُ بانواع مختلفة فذاك تعزية عظيمة لها *

٤ : فانظر الان في المسيح الذي عانى لاجلك كل هذه الاشياء واعتبرهُ كانهُ نصب عينيك . افتكر بادىء بدء في جلالة الاقنوم واحزن حزناً عظيماً على ان الهاً متجسداً عاملهُ البشر معاملة لا مزيد على عارها . تامل انهم قد ذللوهُ تحت الكل وهو المتعالي فوق الجميع . قد اشبعوهُ عاراً وهو شريف في الغاية . شتموهُ وهو كثير الجمال . استهزأوا بهِ وهو الحكمة الفائقة . اوثقوهُ وهو القادر على كل شيء . جلدوهُ وهو عظيم البرارة . كللوهُ بالشوك وهو كثير القداسة . لطموهُ وهو الحلم

بالذات . افتقر وهو كثير الغنى . اختلسوا مالهُ وهو كثير الجود والسخاء . عرّوهُ من ثيابهِ وهو عفيف للغاية . جدفوا عليهِ وهو جليل الشان . احتقروهُ وهو كثير الصلاح . احتسبوهُ مجنوناً وهو فائق في العلم . ابغضوهُ وهو محب في الغاية . انكروهُ وهو صادق جدًّا . سقوهُ مرارة وهو وديع حليم . لعنوهُ وهو مبارك . اضطهدوهُ وهو ساكن هادي . قرّفوهُ وهو عادل . حكموا عليهِ وهو بار . جرحوهُ وهو طبيب . صلبوهُ وهو ابن الله . اماتوهُ وهو غير مائت طبعاً . علقوهُ على الصليب لاجل عبدٍ وهو رب ومعلّم *

فيا لهُ ذنباً غير مسموع . يا لخيانة اليهود الشنيعة الملعونة التي اعادها الله مع ذلك بصبرهِ ورحمتهِ الكثيرة الى خير عظيم اعني بهِ خلاص جميع المومنين . لانهُ بذات الامر نور العالم انطفأ هنيهة من الزمان فبوقتهِ انبثق نور الابدية في انفس المومنين . وبذات

الامر ايضاً ان الحيوة مانت يسيراً من الزمان فبوقتهِ ايضاً قُتل الموت الابدي للمؤمنين *

وبالاجمال ان الرب يسوع قهر الشيطان بواسطة آلامهِ واخزاهُ وسلب فرائس الجحيم وتوّب اللص وافتدى العالم واطلق انفس الابرار من الينبوس وفتح ابواب السماء وعوّض عن دمار الملائكة وبُشِّر العالم كلهُ بالخلاص الابدي الآتي منهُ *

٥: اعتبر ثانياً : من هو الذي يُذيق يسوع المسيح هذهِ الاوجاع ? لعمري ان الذي يذيقهُ اياها هو قومهُ الخاص هو شعبهُ الذي كان عزيزاً عليهِ بنوع خصوصي واقرباؤُهُ حسب الجسد . هم الاسرائيليون بنو ابراهيم الذين كان اغناهم بخيرات كثيرة ومجّدهم تمجيداً ممتازاً وهذبهم دون سائر الشعوب بالوصايا والشرائع والمراسيم . هم اناس خلقهم بذاتهِ واعطاهم احسن قسم من الارض ولاجلهم جاء الى العالم وفي خلاصهم كان

يرغب *

قد اجزل لهم الامتيازات ورفعهم اي رفعةٍ ومع ذلك فانما هم الذين احتقروهُ واهانوهُ وقرفوهُ ببغض وحقد واضطهدوهُ ظلماً وحكموا عليهِ في اخر الامر بشرّ ميتةٍ . انهم لم يذكروا قط كثرة مراحمهِ التي هي منذ الازل ولا المعجزات الباهرة التي صنعها لهم بعد ان كانوا اهانوهُ كثيراً ولم يعتبروا عظم تواضع عيشتهِ وتهذيبهِ لهم بنوع مجيد مفيد وكيف احب الفقر واحتقر الغنى وعاف الكرامات واختار المتواضعين والسذج . كم مريض ابرأ وكم اعمى فتح وشيطان اخرج وابرص طهر . وكم صنع من معجزات اخر باهرة ثبّت بها فعلاً انهُ ابن الله وبيّن في الوقت نفسهِ انهُ انسان حقّاً بخضوعهِ لحاجات الجسد *

فعوض جميع هذه الخيرات والقوات الباهرة التي صنعها بقدرتهِ الالهية كان يستحق المجد بدل الاهانات

والشكران بدل العقاب . والمحبة بدل البغضة . وكرامة جميع الناس بدل التخريبات .

ولكن واحسرتاه قد وُجد اناس اشرار لا ايمان لهم جاحدون بجميع الاحسانات فكافأوا خيراً عظيماً بشرٍ جسيم . ولكي يتناهوا في الشرّ ازلقوا كثيرين في ذنبهم فطلبوا موت البار بصراخات وتهدّدات اذ ان الشعوب هاجت بتوثقات المشايخ واغراء الكهنة لهم وجميعهم شيوخاً وشباناً كاشفوا المسيح بالعداوة فصرخوا بصوت مهول : « ارفعهُ ارفعهُ . اصلبهُ اصلبهُ » . لقد تحوّل الى حزن ذاك التسبيح وتلك الاكرامات التي كان قبلها وتعوّضت تهاليل الصبيان العبرانيين وجميع اناشيدهم بعويل تلك الذئاب الهائجة . فكنت ترى هنالك أُمّيين ويهوداً من كل عمر وجنس وحرفة يتشاورون معاً بطويتهم الرديئة واتفقوا جميعاً على ان يسلّموا يسوع الى الموت سريعاً ويعلّقوهُ على الصليب

وهو بارٌّ بريء *

ولذا جميعهم امسوا اهلاً للهلاك الابدي بموت يسوع المسيح اذ انهم اماتوا الرب بشدة القساوة فصاروا قاتلين حقًّا ولم يصفحوا في شيء عن ابن الله بل عاملوهُ بكل ما في وسعهم من الشر واخترعوا الاكاذيب واوّلوا بالشر كل ما عملهُ من الاعمال الصالحة المجيدة *

فيا ارافة الله العجيبة ويا لصبر يسوع المسيح الفائق اللذين لم يضعفا بالاهانات ولم يُغلبا بالعذابات *

اجل ان الرب يسوع يقدّم بذلك لجميع المظلومين اعظم مثال وتعزية ويعلم الذين لا يقدرون بعد على احتمال الاقاويل المزعجة ان يحتملوا اقلهُ بعض اقوال طائرة خفيفة *

٦ : اعتبر ثالثًا : كم يتالم يسوع المسيح وكم هم

الذين يذيقونهُ هذهِ الأَذيات الشاقة فلا جرم ان الانجيل الطاهر يشهد لنا شهادة لا يشوبها ريب وهي : ان احد تلاميذهِ باعهُ في اوَّل الامر بثمن بخس ثم اسلمهُ الى اعدائهِ بقُبلة صادرة عن محبة متصنعة . فشتمهُ الكهنة شتماً فضيعاً . وسمّاهُ رئيس الكهنة مجدفاً . وافترى عليهِ الكتبة والفريسيون . وقرَّفتهُ المشايخ . وسحبتهُ الشرط الى الحاكم . واستهزأ بهِ هيرودس واحتقرهُ . وحكم عليهِ بيلاطس بالموت . وامسكهُ الضباط واوثقوهُ . وجلدهُ الجنود وكللوهُ بالشوك . وشتمهُ الخُدام وتفلوا عليهِ ولطموهُ . ولعنتهُ الجواري القائلات لبطرس : « حقاً انك منهم . انت ايضاً كنت مع يسوع الناصري » (مرقس ١٤ : ٧ و١٧) . وبالاجمال لم يبق انسان مهما كان فقيراً وحقيراً الاَّ وفرح بعذابات يسوع *

فيا للالم المولم ويا لوجع يسوع المسكين المتواضع الذي لم يكن لهُ معزٍّ ولا عاضد بين البشر . ان اقرباءهُ

هربوا واصدقاؤُهُ تنحوا ولم يكن في استطاعتهم ان يدافعوا عنهُ بل ان يبكوا عليهِ لا غير . قد تُرك يسوع بين اشد اعدائهِ والجميع كباراً وصغاراً طلبوا موتهُ . قد سيق خارج المدينة بصياح وجلبة وهو حامل خشبة الصليب . وجُرّد من ثيابهِ وصُلب عرياناً مسمراً بين لصين . وسُقي خلاً ومرارة . لعمري ان كفر صالبيهِ صعباً كان على مسامعهِ واصعب منهُ كان الجلد الذي اسقطهُ تحت عقاب الصليب الشنيع *

فانهم اخزاهم الله اذاقوا هذا الجسد اللطيف القدوس الطاهر البتولي لحد الغاية عذابات مهينة بحيث انهُ « من اخمص القدم الى الراس لا صحة فيهِ (اشع ١ : ٦) فحسبناهُ ذا برص » (اشع ٥٣ : ٤) *

فانظر يا هذا الان واعتبر هل من وجع كالوجع الذي قاساهُ الرب الاله لاجلك . احصِ ان امكنك جميع الضربات والجروح والكلوم والشتائم والاهانات

التي اذاقهُ اياها كثيرون فاحتملها بطيبةٍ . واتحد بقلب متوجع مع من تألم هكذا بصبرٍ لا مزيد عليهِ . اكتب كل ذلك على الواح قلبك واتخذهُ مذكرةً ابدية *

وفي جميع ضيقاتك انظر بباصرة قلبك الى يسوع المصلوب . لان هذا الصليب فاق جميع عذاباتهِ عاراً ومرارةً وشدةً *

وقد شق عليهِ كثيراً ابتعاد اصدقائهِ الواقفين على ناحية غارقين في الدموع لانهُ كان ينظر حزنهم وحسراتهم بمنزلة حزنهِ الذاتي *

وما اشد ذلك الوجع الذي سببهُ لهُ اعداؤُهُ بسخرياتهم وشتائمهم وفرحهم بموتهِ وعدم تحرك قلبهم شفقةً عليهِ بكثرة تلك الاوجاع والشرور *

فقد عرفت الان كم تألم يسوع المسيح وكم هم الذين آلموهُ . فهو الذي لهُ يجب ويحق ان يتوجع كل انسان مسيحي *

وبالحقيقة ايّ انسان يرى اباهُ او واحداً من اعزّ اصدقائهِ يُمزّق نصب عينيهِ بعذابات شديدة ويُشنق امام الجميع عند باب المدينة ولا تتحرّك محبتهُ للحال فيخوض في بحرٍ من الاوجاع وتخور قواهُ *

فكم بالحري يجب ان تغلب آلام يسوع المسيح احشاءك وتحركك على انسجام دموع نافعة لك *

فاجتهد اذاً بان تنبذ عنك كل محبة جسدية وتغلق باب قلبك في وجه كل فرح باطل لتستحق ان تُعدّ بين محبي يسوع الانقياء الذين يتروضون كل يوم في آلامهِ ويتخذونها كآلامهم بحيث انهم ينظرون شبه لا شيء بل لاشيء اوجاعهم واهاناتهم الشخصية . فعنهم تكلّم ذاك الرسول المغرم بالآم المخلّص اذ قال: «لتكن فيكم شعائر يسوع المسيح الذي اخلى نفسهُ واخذ صورة عبدٍ وطاع حتى الموت موتاً بالصليب» (فيلب ٢ : ٧ و٨) *

٧ : اعتبر رابعاً : لاجل من تالم يسوع المسيح ولماذا مات ميتة قاسية في الغاية . كان ذلك من اجل خطايانا التي ورثناها من ابوينا والتي ارتكبناها بردائتنا في كل عمر وحالة ورتبة ووظيفة . لان الجميع اخطأوا وأُعوزوا مجد الله كما يقول الرسول : « نعم الجميع : يهوداً واميين . عبيداً واحراراً . فقراء واغنياء . ملوكاً وامراء . دينيين ودنيويين . كهنة ومعلمين . رؤساء ورعاة . وسائر اولاد آدم الذين كانوا بالطبيعة ابناء الرجز» (افسس ٢ : ٣) ولكننا صرنا احراراً بنعمة يسوع المسيح وتبرَّرنا بمعموديتهِ ونجونا من الموت الابدي بموتهِ*

فسواء قلنا : الآم يسوع او دم يسوع او صليب يسوع او موت يسوع فكل ذلك واحد من حيث الفاعلية وسينفعنا على السواء للخلاص لاننا بايماننا بيسوع المسيح وحبنا لهُ نتحد معهُ ونستحيل اليهِ لان الراس تالم وحزن عوض الاعضاء وصلى على الصليب

لاجل الاعضاء ايضاً واستمدّ لهم النعمة *

ففد مات يسوع المسيح لاجل الجميع لكيما بمكابدتهِ الموت الزمني يقهر الابدي ويشجب الخطية بالخطية اي انهُ وفى جميع ديون خطايانا باوجاع الآمهِ وعليهِ فاذ اراد القديس بطرس ان يظهر الى البيان نعمة يسوع المسيح وفضل آلامهِ قال: ان المسيح ايضاً أُصيب مرّة واحدة من اجل خطايانا. أُصيب البار بدل الاثمة ليقرّبنا الى الله. مماتاً في الجسد ومعاشاً في الروح. (بطرس ٣ : ١٨) *

وعن ذلك ايضاً نقرأ في سفر الرؤيا. ان نفوس الابرار تخرّ امام الكرسي بشكر لا مزيد عليهِ وتعطي الحمل الجالس عليهِ مجداً وكرامة لانهُ افتداها قائلة : انك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وامةٍ وصنعتنا لالاهنا ملوكاً وكهنة (رؤيا ٥ : ٩) *

ولهذا ايضاً اذ تصلي امنا الكنيسة المقدسة من

اتى ليخلص الجميع ويعوّض عن الجميع حبّاً منهُ . فاراد ذلك بجنوّه وقدر عليهِ بلاهوتهِ وكمّلهُ بناسوتهِ . وعليهِ قال الرسول : « ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم مع نفسهِ وهو لا يحسب لهم خطاياهم . واضعاً فينا كلمة المصالحة » (٢ قور ٥ : ١٩) *

فقد رايت وسمعت يا هذا لاجل من تالم يسوع المسيح . ولأي داعٍ ارتضى ان يقاسي الموت . فكان ذلك لجميع البشر المتوالدين من ابراهيم من اي عمر وجنس كانوا *

٨ : اعتبر خامساً كم من الزمان تالم يسوع المسيح وكم كانت مديدة مدّة تالمهِ . لانّ ذلك مما ينوط بطول اناتهِ ويخوّل الضعفاء والحزانى قوّة عظيمة *

اعتبر واقرأ بانتباه الاناجيل المقدّسة فيتضح لك ان الرب يسوع قضى حياتهُ كلها في فقر عظيم وفي الاضطهاد والتجربة والشغل والتعب والذل

ومقاومة الاشرار وختمها في اخر الامر بموت الصليب وعلى هذا الوجه لم تمضِ عليهِ هنيهة من مدة حياتهِ على الارض بغير شدة وضيقة *

ولو اعتبرنا يوم الآمهِ لا غير لرأينا انهُ منذ مساء الفصح المقدّس اخذ يحزن من جرّاء الامهِ القريبة وموتهِ المقبل وذلك لما كان ياكل الفصح مع تلاميذهِ وانبأهم بان احدهم سيسلمهُ في تلك الليلة ذاتها الى ايدي الخطاة. وحزنهُ ذاك استمر الى حين دفنتهِ بل الى يوم قيامتهِ من بين الاموات فانهُ ظهر اذ ذاك لتلاميذهِ حيًّا ممتلئًا فرحًا ومجدًا *

فعظيمة جدًّا كانت خطية الانسان اذ انهُ بالكد وُفي عنها بعد زمنٍ طويل واوجاع لا تحصى. واقتضى للوفاء عنها ان يُصلب ابن الله ويموت *

فاذن لما كان الضعف البشري عظيمًا جدًّا والانسان يميل الى الشرّ منذ حداثتهِ. ويسقط في

الخطية باسباب وتجارب لا تعداد لها في كل وقت وزمان . ليلاً ونهاراً . بمعرفة او بغير معرفة . بحيث انهُ لا يكاد يقضي يوماً واحداً بل ساعةً واحدةً بدون ان يزلّ بعض زلاّت ويهين الله . ارتضى مخلصنا ان يتكبد لاجل جميعنا اشد الاوجاع وذلك زمناً طويلاً وفي اوقاتٍ مختلفة لكيلا ييأس الانسان من الغفران لكثرة ذنوبهِ . وعمل بصبر اياماً كاملة لاجل خطايا بني البشر وهو يهرق دمهُ الثمين *

فاراد اذاً فادينا وسيدنا يسوع المسيح ان يحتمل في جسدهِ الكلي القداسة اوجاعاً شديدة مدة مستطيلة ليلغي الحكم بهلاكنا وينشّطنا لتوبة شديدة ويقدم لنا مثال صبر عظيم كل ايام حياتنا *

وبالحقيقة لابد من الصبر لجميعنا ما حيينا هذهِ الحيوة التعسة الممتلئة تجارب ومحن . لان لا احد يامن يوماً واحداً بل ساعةً واحدةً من مكامن الشيطان

ودمار الخطيئة في ايّ مكان ورتبة ووظيفة وُجد ان لم تضيء له نعمة الله ورحمتهُ وتسنداهُ في كل وقت وساعة *

وعليهِ فينبغي لنا في وسط هذهِ الشرور والمخاطر ان نستجير خاصةً بآلام المخلص ونستتر مستريحين تحت شجرة الصليب استتارتنا تحت ظل الحمامة الالهية. وندمن التامل الحسن في صبر يسوع المسيح لان من شان هذا الصبر الالهي ان يسكن ويطيب جميع مرارات اوجاعنا ويخفف اثقالنا ايًّا كانت *

ع : فاجتهد اذًا اقتداءً بمثل يسوع المسيح وقديسيهِ ان تحتمل بروح متساوية مصائب هذهِ الدنيا متدرّعًا بدرع الصبر. واياك وان تتشكى من طول الزمان او شدة الحزن. بل افتكر ان يسوع المسيح قد توجّع لاجلك اكثر مما تتوجع انت. وقد استطال وجعهُ اكثر من وجعك. وانهُ من الصواب ان تحذو حذوهُ

لانك بذا الملك لاجلهِ تزداد اجرًا وتجني فوائد جمة *

فانك بادي بدء تكرم الله احسن اكرام ان قبلت منهُ بطيبة كل بلية وتجربة. وتفرّح الملائكة الذين يفرحون في السمآء لصبرك. وتعطي القريب نموذجًا صالحًا بسكوتك ازاء الاهانات. وتخزي الشيطان ان شكرت الله على احتقار الناس وظلمهم لك. وتضاعف اكليلك اذ انك تنال في هذا العالم نعمًا اوفر. وتزداد في الابدية مجدًا وسعادةً لان الاحزان الحاضرة صغيرة باجمعها وهذه الحيوة قصيرة جدًّا. اما المكافاة العتيدة فهي عظيمة والسعادة غير متناهية. وبالحقيقة انك تصبح شهيدًا لله كل مرة تحتمل فيها بطيبة بعض الاحزان لاجلهِ تعالى *

فان كنت مغمومًا او مظلومًا في هذا العالم لا تظنّ ابدًا بان الله قد اضحى ضدّك. بل الاجدر بك ان تفرح بكونك مهانًا معذّبًا هاهنا لكي تتمجد غير

ذلك مع يسوع المسيح الى الابد . لان السرّاء تضر غالبًا اكثر من الضرّاء . والتملّقات توهم اسرع من توبيخات عنيفة . فاحترز اذًا من ان تضعف في الشدائد التي تكابدها على حب يسوع المسيح واسمهِ القدوس . بل احتمل كل شيء بثبات وبروح التوبة كما عمل يسوع المسيح وجميع القديسين الذين قهروا العدو باحتمالهم الاوجاع *

ان الانسان باحتمالهِ الشدة يصبح افضل مما كان عليهِ . واجمل من الذهب . واسطع من البلور . وابعد من الرذائل . واكمل في الفضائل . واشهى في عينيْ يسوع المسيح . واشبه بالقديسين . واقوى على اعدائهِ . واحب لدى اصدقائهِ . ويزداد ايضًا انتباهًا على صيانة نفسهِ . وميلاً الى التوجع . واتضاعًا في قلبهِ . وحبًّا للرصانة . وحرارةً في الصلوة . وتأهبًا الى الاشياء السماوية . وامنًا من نار الابدية *

فهذهِ هي بذور الصبر المقدس الجيدة التي تنالالا

خاصةً في آلام يسوع المسيح الكثيرة المرارة المقدمة لنا نموذجاً . اذ ان هذه الآلام الكثيرة القداسة كانت اشد الماً من جميع اوجاع القديسين . وفاقتها اتضاعاً وحباً وطاعةً وصبراً وطهارةً وفائدةً واستحقاقاً . وكانت انجع بادويتها . وارق باستعطافاتها . واشهى بتقدماتها . واثمر من حيث الافتداء . واملأ اسراراً . واعذب بعرف جميع الفضائل . وافضل من جميع العلوم والصنائع والادوية . وفائضةً بتعويضاتها عن الجميع *

ان آلام فادينا هي عظيمة رفيعة واسعة بليغة حلوة حنونة عاملة في القلب مغرمة موثرة معزية لذيذة مملوة فضائل بحيث ان الانسان يعجز عن تعظيمها . والملاك عن وصفها كالواجب . فهي لا تزال حديثة منشطة تصلح وتشجع وتهذب وتضرم لاسيما الذين يحتقرون الكل فيطلبون تعزيتهم في جراحات

يسوع المسيح *

١٠ : سادساً : سرّح النظر الى جميع الاماكن التي احتمل فيها يسوع بعض الاهانات وبعض الاحزان لاجلك . فانهُ صلى ثلاث مرات على جبل الزيتون · وهنالك عرق عرقاً دموياً لحزنهِ وخوفهِ · ولما انتهى الى اخر صلاتهِ خضع خضوعاً تاماً لارادة ابيهِ · طلبهُ اليهود في البستان فوجدوهُ فلم يهرب من امامهم بل ذهب الى لقائهم · خانهُ يهوذا وقبّلهُ قبلة مرائية · قبض عليهِ الجنود واوثقوهُ وسحبوهُ بشدة وذهبوا بهِ الى المدينة في ليل دامس بمشاعل ومصابيح مع جماعة سفيهة كانهُ شرّ اللصوص وحرسوهُ احسن حراسة لكيلا يهرب او يسرقهُ احد *

ثم ان مبغضيهِ امتحنوهُ بادئ بدء في بيت حنانيا · وسالوهُ عن تعليمهِ وعن تلاميذهِ . ومع انهُ احسن الاجابة ضربهُ احد الشرط على خدّهِ ضربة اليمة · وساموهُ

الشتم والذل الوانًا في بيت قيافا رئيس الكهنة حيث كان قد اجتمع ضدهُ جمٌّ غفير. فغطوا وجههُ واكثروا من البصق فيهِ. ولطموهُ وهم يصرخون انهُ مستوجب الموت *

وعند بلجة الصبح ساقوهُ بين الشوارع وهو موثوق اليدين الى محكمة بيلاطس حيث قرفوهُ ذلك التقريف الجسيم بانهُ مجاوز الناموس ومهيج الشعب ومن ثم جاءوا بهِ الى هيرودس الذي انزلهُ منزلة معتوه فالبسهُ لباسا لماعًا استهزاءً بهِ وردهُ الى بيلاطس *

فحيثما ذهب كانوا يستهزئون بهِ ويكثرون من من اهانتهِ ويتهددونهُ. حيثما ذهب كان محاطًا بالاخطار ببغضة الجميع ومقتهِ. لم يُسمع في الخارج غير صراخات ولم يلقَ في الباطن سوى اوجاعًا. وبعدما اصابهُ ضربات وجراحات عديدة اخرجوهُ خارج المدينة وهو حامل خشبة العار شان رجل لا يستحق الحيوة. ثم علقوهُ

على الصليب فوق الجلجلة عريانًا بين لصين *

وبعد ان تمّ كل ما كُتب عنهُ دفنهُ باحترام القديسان يوسف ونيقوديموس في قلب الارض اي في قبر منحوت جديدًا ورثتهُ النساء القديسات بدموع وتنهُّدات غزيرة *

فهذه هي الامكنة التي بها مرّ يسوع المسيح في الامه وفيها اهراق غالبًا دمهُ الثمين. هذه هي الاهانات الكثيرة العدد والضربات التي قاساها ليقدّس شعبهُ ويطهّر الامكنة الدنسة التي يخطا فيها الناس كثيرًا ويهينون الله عزّ وجلّ *

١١ : ليت شعري من يستطيع ان يحصي جميع الذنوب التي تُرتكب الان في امكنة كثيرة عامة كانت او خاصة . في البيوت والشوارع . في البساتين والبراري. فوق الجبال وفي الاودية . في الحقول والغابات . في الدهاليز والقصور. ففي هذه الامكنة لا يُرى يسوع المسيح

ولا نُسمع فيها التنهدات على الآم المخلص بل ترى باطلة الاباطيل وملاهي مادبة هيرودس مع وزرائهِ وضحكهم *

ويل للذين يبتعدون هكذا عن فاديهم ويتجهون نحو العالم جاعلين الله وراء ظهرهم غير ان الرب الرحوم لا ينفك مع ذلك يصرخ اليهم ويعيد الخراف الضالة الى التوبة. لانهُ قد ترك للبشر رجاء رحمة وثيق. وذلك بحسن احتمالهِ جميع الشرور والاوجاع مع الامهِ الشديدة الالم. ولاسيما في الاماكن التي شتموهُ فيها وخانوهُ. انهُ تعذب في جسدهِ الكلي القداسة عذاباً قادحاً وبانواع مختلفة لكي يبيد شرّ البشر ويطهّر الامكنة الدنسة. ومع انهُ كان قبلاً يلعن العالم من جراء خطايا البشر نراهُ اليوم يعد جميع التائبين بواسطة اهراق دمهِ المقدس بالبركة وبغفران الخطايا *

١٢: ثم انهُ فضلاً عن ذلك هدم بانذارهِ اصنام الأُميين وهياكل الشياطين وقلب المذابح ومحى اسماء

الآلهة الكذبة وجعل عوض طقوس الوثنيين النفاقية وعجول اليهود ذبيحة جسدِ الثمين الحديثة والحقيقية لكي يُحتفل بها في اماكن كثيرة · ولذا شيّد هياكل ومذابح في مواضع شتى لاكرام اسمهِ واسم قديسيهِ واثباتاً لايمان المسيحيين واذاعة عبادة الله بتسبيح الاناشيد · ولكي يزيّن تلك الهياكل ويجملها بافخر الذخائر نصب فيها علامات الامهِ التقوية الجيدة تذكاراً مخلداً · ونصب فيها ايضاً اشارة موبقة لانتصارهِ على الموت الصليب المقدَّس الموصوف بتابوت العهد والسلام بين الله والناس وبقوس نحاس ازاء مخاوف الشيطان *

٣ : فوجب من ثمّ على جميع المسيحيين كباراً وصغاراً · فقراء واغنياء · علماء وجهلاء · اقوياء وضعفاء · امراء ومامورين · وعلى سائر الشعوب ان ينذروا بالمسيح المتالم على اختلاف السنتهم بابّهة وفي العالم كلهِ · وان

يسبحوهُ ويمجدوهُ ويرفعوهُ فوق كل اسم في السماء وعلى الارض. وذلك بدل الاهانات والاحزان التي كابدها في اماكن عديدة ومن اشخاص كثيرين *

ويجب عليك ايضاً في هذه ليلة اليوم العظيم المقدسة ان تتنشط بشعائر العبادة. وتمثل لذهنك جميع اماكن الآلام الشريفة. وتطوف بالروح في اورشليم. وترفع غالباً الحاظك الى صورة المصلوب. وتعتبر بتوجع باطنيّ كثرة جروح يسوع المسيح المقدسة وعظمها ووسعها. ثم استغفرهُ عن جميع مآثمك التي اقترفتها في اي وقت او مكان كان. ذلك لكي يتراف الله عليك برحمتهِ. ويحسن بك ايضاً ان تزور مذابح كنيسة بلدتك. وتخرّ على الارض. وتقبّل الحضيض او درجات المذبح ثلاث او خمس دفعات تذكاراً لدم يسوع المسيح المسفوك على الارض *

١٤ : ويجب عليك فضلاً عن ذلك ان تحترم

دائماً جميع الاماكن المقدَّسة المخصَّصة لله وذلك حباً وكرامة ليسوع المسيح . ويجب ان نفرح بالخير الذي يُصنع فيها ونقاسمها ما يصيبها من الشرور . لكي نستحق هكذا ان نشترك بجميع الخيرات التي تُصنع فيها ليلاً ونهاراً لمجد الله *

من يندم حقاً على خطاياهُ ويعزم عزماً مكيناً بان يصلح ذاتهُ ينل عاجلاً من الله غفران خطاياهُ . ومن يستجر في كل امر وطلبة بآلام يسوع المسيح ويثق باستحقاقاتها وبتشفعات القديسين أكثر منهُ باعمالهِ وفضائلهِ الذاتية يكتسب ايضاً ثقة عظيمة في رحمة الله . لو فحصنا اعمالنا بدقة لرايناها نادراً مزدانة بكمال الطهارة . ولذا فلا بد ان نلتجيء دائماً الى التواضع وسر التوبة واستمداد الرحمة الالهية . ونجعل كل رجاء خلاصنا في يسوع المسيح الذي هو وحدهُ كامل في كل شيء . اذ انهُ هو الذي يشفي عاجلاً اسقامنا شفاء تاماً . ويعطي

المتواضعين والمنكسري القلوب نعماً وافرة *

١٥ : سابعاً : يجب عليك في اخر الامران تفتكر بالم عظيم في الاعضاء التي تالم فيها يسوع المسيح . وفي الاوجاع التي كابدها لاجلنا في كلٍّ من مفاصلهِ وفي حواس جسدهِ الخمس *

فيا ما اشد تلك ضربات السياط في جلدهِ . وما اكثر الجروح التي اصابتهُ . كم ضُرب في موضعٍ واحد . وكم المتهُ جميع هذهِ الاوجاع . ومع ذلك كان ساكناً . فانهُ لم يدافع بيدهِ ولم يمنع الضرب ان يصيب رجليهِ وبقية اعضائهِ . لكنهُ ترك جسدهُ كلهُ لجلاديهِ باختيارهِ وارادتهِ ليفي وفاءً تاماً عن خطايا جميع البشر . اذ انهُ كان يقدم في الحال كل ضربة تصيبهُ لله ابيهِ حباً بنا طالباً اليهِ ان يغفر لنا خطايانا كما راى ذلك احد الرهبان في رؤْية *

كلاَّ فان هذا الابن الحبيب في الغاية لم يتذمر

هنيهةً من الزمان على ابيهِ لانهُ اسلمهُ لشرور عظيمة بهذا المقدار. ولم يتهدد الذين كانوا يعذبونهُ بشراسة. ولم يغضب على الذين كانوا يشتمونهُ بخزي. ولم يلعن المشتكين عليهِ زوراً. بل انهُ كان يتاسف عليهم ويعذرهم ويحتملهم ويطلب لهم المغفرة قائلاً: «يا ابتِ اغفر لهم لانهم ما يدرون ما يعملون» (لو ٢٣: ٣٤)*

١٦: ولكن ترى ما هو سبب هذهِ البلية العظمى وهذا الوجع الشديد بهذا الحد. لعمري ان سبب ذلك هو كثرة خطايا البشر الذين كثيراً ما يخطأون بحواسهم وفي جميع اعضائهم فيهينون الله اهانةً جسيمة. لان هذهِ الاعضاء التي بها كان واجباً عليهم وممكناً لهم ان يخدموا الله ويصنعوا خيراً عظيماً يسلمونها واحسرتاه بجسارة ووقاحة الى الاباطيل والافراح السيئة بدون ان يمنعهم عن ذلك خوف الله. وبفعلهم هذا يبيتون عبيد الرذائل والآت الشياطين واعضاءهُ. فلذلك ان المسيح ابن الله

شفقةً منهُ على البشر ورغبةً في ان يبرّر الخطاة ويخلصهم من فخاخ الشيطان اصابهُ في جسدهِ الكلي القداسة عذابات طويلة قاسية لكيما يداوي نفوسنا بواسطة هذه الاوجاع التي احتملها في حواسهِ الخمس . ويعلمنا ان نعاف ونميت جميع تلذذات الجسد التي تقاوم الروح *

فقد ارتضى اذاً يسوع المسيح الرب الصالح الرحيم مع كونهِ باراً من كل خطية ان يخضع للعقاب الزمني وموت الجسد المحتومين علينا من جرّاء خطايانا لكي يسكّن بذلك غضب ابيهِ وينجينا من العذابات الابدية التي استحقيناها بخطايانا اذ انحرفنا عن الخير الاعظم وجنحنا الى الخلائق *

١٧ : فوجّه الآن باصرة قلبك الى كل من اعضاء يسوع المسيح الكثيرة الجروح وبعد ان يتحرّك قلبك شفقةً عليهِ اعطِ ميداناً لدموعك *

فابتدئْ من القدم وانتهِ الى قمة الراس اذ ان جسد

يسوع كلهُ مملوء وجعاً مؤلماً جداً. انك لو كنت تقاسي وجعاً كهذا او كنت ملقى على سرير معذباً بالاسقام اما كنت تسرّ بمن يتوجع لك وتكره بالعكس من يجتاز بك ولا يلتفت اليك . وعليهِ فانظر الى الرب يسوع المعذَّب والمجروح والمائت لاجلك واسكب على جميع هذه الاوجاع ولو حسرات ان كنت لا تقدر ان تسكب دموعاً *

ان اسطيفانوس الطوباوي اذ رجمهُ اليهود رثاهُ كثيرًا اناس ورعون ومومنون . وهاهنا اعظم من اسطيفانوس بل اعظم من جميع القديسين فهو القديس الافضل وقد عُلّق على خشبة الصليب واصابتهُ جروح لا تعداد لها. ولذا وجب على كل مومن لاسيما الراهب الورع الزاهد في الدنيا ان يشاركهُ في اوجاعهِ الاليمة *

فاعتبر اذاً باديً بدء كم تالم وجُرح يسوع في

رجليهِ الجسمانيين والطاهرتين للغاية . فانهُ بهاتين الرجلين مشى على الارض مبشراً بكلام الله حتى اعياهُ التعب مراراً كثيرة . وبهما وطيء امواج البحر اذ عبرهُ بدون سفينة وبلا مساعدة بشر . وبتلك القوّة والقدرة الالهية التي بها خلق كل شيء قدر ان يزجر الرياح والبحر ويخضعهما اهـ *

ولكن واحسرتاه ما اعجب تغير الامور وما ابعد تدابير الله عن الادراك . ان مبدع جميع الكائنات وطبيب النفوس والاجساد المطلق الذي ابرا في الحال عرجاً ومرضى كثيرين تراهُ الان مجروحاً في رجليهِ جرحاً قاسياً جدًّا ومسمرًا تسميرًا شديدًا بحيث انهُ لا يقدر على المسير ولا على التحرّك عينهِ . فكان معلقاً على الصليب مربوطاً باغلال غليظة شان لصّ شنيع فياوجاع كذا اوثقت على الصليب رجلا يسوع البار الذي يكسر قيود المسجونين على قول النبي وينير

العميان وينهض الساقطين ويحب الابرار. ولمَ ذاك؟ فلا ريب ان ذاك كان ليكسر قيود خطايانا ويغسل الادناس التي كثيراً ما نتلطخ بها ارجلنا في الركض والرقص واللعب والتنزّهات *

١٨ : اه يا للذنب المخجل الذي يرتكبهُ اولئك الذين يدوسون الفقراء بارجلهم . ويمشون بتبهرج . ويسببون الضوضاء في الكنيسة . ويمنعون عن الصلوة . ويشككون كثيرين بخفتهم وتشتت افكارهم وهيئتهم التيارة. الويل لاولئك الذين انضجرهم من عمل الخير وقلة عبادتهم يطلبون تعزيتهم في الضوضاء والامور الخارجية. لان هولاء لو كانوا ممسوكين باحد مسامير خوف الله لاستمروا بطيبة الخاطر مختلين بانفسهم يتفكرون في آلام يسوع المسيح او يقرأون قليلاً في الكتب المقدسة فتتحرك شفقتهم فيضطرمون حبًّا ليسوع الذي بهِ يغلبون حكم العالم ولذاتهِ *

طوبى لأَرجل المستعدين لاستماع كلام الله الذين يعرضون عن الاشياء الباطلة فيبادرون الى الكنيسة ويكثرون من الصلوة ويضبطون حواسهم عن الطيش لكي يسوغ لهم ان يقولوا بضمير سليم: «من كلّ طريق خبيث منعتُ رجليّ لكي احفظ اقوالك» (مز ١١٨: ١٠١) *

طوبى للارجل التي تطأ آثار يسوع الى الجلجلة. وتفضل الوقوف هنالك بالبكاء مع مريم على الذهاب الى المادبات وحضور المشاهد *

١٩: ان يسوع المسيح قد تألم ايضاً وجرح كثيراً في يديهِ المقدستين اللتين كثيراً ما اسبغتا البركات. ولمستا المرضى وشفتاهم. فبهاتين اليدين اخذ خبزاً واكل واحالهُ الى جسده وقدمهُ تعزية لتلاميذه *

ولكن لماذا يا الاهي سمحت بان تثقب يداك بالم شديد جدّاً. وتخضبا بدم غزير وانت الذي

بسط بلا عناء السماوات وجمّل الارض بحسن عجيب . واحسرتاه أيها الاله القدوس القوي والغير المائت ها ان يديك اللتين جبلتا الانسان الاول في الفردوس بدون عيب ولا شائبة ها انهما الان مثقوبتان بمسامير ثقبهما اناس اشرار وايدٍ اثيمة امام اصدقائك . ها انهما الان مبسوطتان على خشبة الصليب التي كانت في اعين الجميع موضوع لعنة واعظم عثرة . ولكنك يا يسوع الصالح والحلو للغاية قد عانيت بصبر جميل هذه الاهانات وهذا الظلم لاجل ابوينا الاولين واولادهما لكي تبطل القضاء المحتوم علينا وتغسل بدمك الخطية الاصلية المرتكبة بلمس الشجرة المحرّمة واكل الثمرة المميتة. وهكذا الخشبة التي ادخلت الموت الى العالم بواسطة الخطية اعادت الخلاص بواسطة العقاب . ولذا امتثلت حكم العدل الالهي فبسطت يديك على خشبة الصليب لتمحو خطيئتنا . وقد ساقك حبك الى ان تصلي بهاتين

اليدين المخضبتين بالدم من اجل جميع الخطاة *

٣٠ : فيا يسوع المحبوب للغاية وابن الله الوحيد يا ما اعظم فائدة ومنفعة تلك تقدمة ذاتك التي قدمتها لاجلنا ذبيحة مخلّدة لتسكّن غضب الله الرب الضابط الكل الذي اهناهُ جميعنا في اشياء كثيرة لا نقدر ان نتبرّر منها بذواتنا بدون توسط الآمك المقدسة وموتك على الصليب الذي اثمر قداستنا وفداءنا باكتسابنا الخلاص الابدي *

اعتبر هنا جسامة خطايانا وعظم جروح يسوع المسيح انظر في رقة محبتهِ وفي تضرّعاتهِ لاجل اعدائهِ وفي جودتهِ نحو جميع معانديهِ *

ان الرب يسوع قد صلى كثيرًا وعلم تلاميذهُ ان يصلوا تارة راكعين واخرى شاخصين اعينهم الى السماء . ولكن لم يرهُ احد يصلي بدموع غزيرة وحب عظيم مثلما صلى (كما مرّ الان بك القول) من

اجل اعدائهِ على مذبح الصليب ويداهُ مبسوطتان ورجلاهُ منقوبتان . وجميع اعضائهِ مجرّحة مجرورة بشدة. اجل انهُ صلى اذ ذاك اعذب صلوة في اذني الاب بطلبهِ منهُ ان يغفر لمهينيهِ *

فقد اصاب اذاً يسوع المسيح جروحاً بليغة واسعة في يديهِ لكي نزجر شر الناس السريعي الغضب على اعدائهم . المتراخين في الاحسان اليهم ويعلمنا جميعاً ان نصنع الخير ونحتمل الشر اذ انهُ ينبغي لنا ان ننظر ربحاً عظيماً ان نقابل خصومنا بمنفعة الصلوة بثار الانتقام *

فاحتذر اذاً ايها الانسان التعس الضعيف الرديء من ان تجرح احداً او تحزنهُ باقوال ثقيلة او افعال رديئة اذ ان يسوع قد تالم ومات لاجل الجميع. وثمينة جداً في عينيهِ كل نفس تومن بهِ وتحفظ حقاً وصاياهُ. فمن الصواب اذاً ان تحسن الظن في قريبك

ونرجو منهُ خيرًا لانهُ اما ان يكون صالحًا واما انهُ يستطيع ان يصطلح بواسطة النعمة . فاظهر اذًا لهُ المحبة واسال ايضًا الله الآب ان يصلح خصمك ويصيّرهُ بمنزلة اخٍ لك *

اذا اضرّك قريبك اعتذرهُ من كل قلبك على حب يسوع المسيح الذي سامحك في اشياء كثيرة · لانهُ كان صالحًا ورحيمًا نحو الجميع · ولم يحتقر الفقراء ويانف من البرص ويهزأ بالضعيف ابدًا · بل بعكس ذلك انهُ سلّى الحزانى · وسكّن الغضوبين · واحتمل الاشرار · وقبل التائبين · وعلم الجهلة · ودافع عن الابرار · وثبت اقدام المترجرجين · واظهر حبهُ للجميع · وما هو اكثر عجبًا انهُ لم يزل يصلي مع كثرة ما اصابهُ من الجروح والضربات *

فانظر كيف ان يسوع المسيح باحتمالهِ الاشرار وتعزيتهِ الابرار علّم الاقوياء والضعفاء في الآمهِ احسن

النعاليم واكملها . فانهُ عانق الاعداء والاصدقاء على السواء بذراعي محبتهِ صافحًا عن زلّاتهم بشرط ان يريدوا المصالحة مع الله ويغفروا لمن اخطأ اليهم ويثابروا فضلاً عن ذلك على محبة متبادلة *

٢١ : وقد تالم ايضاً يسوع المسيح كثيرًا في راسهِ الجزيل القداسة بما انهُ اخص عضو في الجسد وذلك من اجل جميع الاعضاء الدنيا التي هي نحن الذين آمنا بهِ واتحدنا معهُ بالايمان والحب. ولذا يجب على كلّ مؤمن بصفة عضو حيّ ومتعافٍ ان يقاسم في الباطن يسوع المسيح راسهُ في اوجاعهِ وجروحهِ لان كل عضو لا يشارك راسهُ المريض الجريح في اوجاعهِ واحزانهِ كان هو بنفسهِ عليلاً قريحًا *

فان كنت اذًا عضو يسوع المسيح وتحيا بروحهِ وتستنشقهُ فتأمل الان راس ابن الله الحي وانظر بكم من الاشواك الحادّة قد تجرّح في كل مكان لاجل

خطاياك . لعمري لا يتيسر لنا ان نقول كم كان عظيمًا ومديدًا واليمًا الم راس يسوع الشريف المبارك الذي يفوق قداسة رؤوس جميع القديسين والناصريين. ولم يجز فيهِ موسى ابدًا ولم يسقط منهُ شعرة على الارض. اللهم الّا وقتما نتف شعرهُ اليهود الاشرار وجنود الحاكم بحدة وغضب ولكموهُ بايديهم الدنسة لكمًا عنيفًا. اه انهُ ينبغي لنا ان نعتقد بانهم ساموا يسوع ضربات واهانات عديدة لم يُذكر عنها في الانجيل مفصلاً بيد ان لوقا البشير يقول: « وكانوا يقولون عليهِ اشياء اخر كثيرة مجدفين » (لو ٢٢ : ١٥) لان البعض كانوا يعبثون بيسوع جهرًا عبثهم بمعتوه . والبعض اردأ من الاوّلين كانوا يقرنون بهذا الهزل اقوالاً مهينة . وغيرهم اشرس من الوحوش كانوا يحدّون عليهِ مبالغين في ضربهِ وجرحهِ وربما رفسوا بارجلهم رجلي يسوع المقدستين اللتين بلّتهما المجدلية بدموع غزيرة زمنًا طويلاً *

اه ايها الرب الالهي كم تعمقت الاشواك في راسك الكلي القداسة . وكم مزقت بقساوة جلدك اللطيف للغاية وعظامك وعروقك ايضاً . اجل ان الجروح التي سببتها فيك كان يسيل منها سواقي دمٍ على عنقك وعينيك واذنيك ووجهك . وكانت تشوّه وجهك الصبيح للغاية وجمالك القديم *

فيا ايها الجيل الغير المومن الاعوج لماذا تعاقبون باراً بهذا العقاب الشديد القساوة . ولماذا تظلمون الرجل التقي المتواضع وتعذبون راسهُ مضيّقين عليهِ بدائرة الاكليل . بالحقيقة يقتضي لكم ان تكذبوا لتنسبوا لهُ ذنب الادعاء بالملوكية . اذ انهُ لم يتردَّا قط برداء الملوك بموجب اقتضاء هذا المنصب العالي . بل كان يمشي حافياً . ولم يطمع . بالتاج ولم يهن احداً لا قولاً ولا فعلاً . بل بالعكس انهُ ابرأ المجروحين وانقذ المظلومين من الشيطان ظالمهم *

٢٢ : يا بنات اورشليم وانتن ايتها النساء العابدات هلمّ وانظرن الى الملك المسيح يسوع الناصري الى سليمان الوديع الحقيقي المولود من ذرية داود الملك. شاهدنهُ كما في يوم تتويجهِ مكللاً باكليل من شوك كللتهُ جماعة اليهود الأُمّ الجافية الرديئة مسوقةً باغراء الشيطان وحسد الكهنة . فاذ ذاك كانت تبكي كثيرًا امهُ مريم الكلية القداسة والقديسة مريم المجدلية وجميع رفيقاتها الصائرات فريسة كآبةٍ لا مزيد عليها. وكان يبكي ايضًا وقتئذٍ تلاميذهُ المختلطون بين جماعة اليهود لِما اعتراهم من الخزي والالم عند مشاهدتهم اكليل الشوك الذي غُرِس بقساوة شديدة في راس يسوع المقدس ربهم ومعلمهم وعند استماعهم صوت الحاكم الى الشعب الهائج قائلاً : « هوذا ملككم » *

٢٣ : فانظروا الان ايها المومنون هل سمعتم او قرأتم ان احد الملوك الأوّلين او الانبياء القديسين

اصابهُ اهانة كهنةٍ او عقاب قاسٍ كالذي خضع لهُ رب الانبياء وملك الملائكة وحبر الاحبار وحمل الله الآتي ليرفع خطايا العالم بانواع العذابات التي تكبدها في جسدهِ *

ها هوذا الذي كان قبل قليل يبهر لامعاً بعجائبهِ وفضائلهِ الساطعة يُعامَل الان باحتقار كانهُ معتوه . ويُضرب بسياطٍ وعصي . والذي كان واجباً على الروساء ان يؤدوا لهُ اعظم الاحترامات . ويقبلوهُ بصفة ملك حقيقي وحبر الاحبار يُشبع اهانات غير مسموعة ويُعذَّب باكليل ذي اشواكٍ حادة للغاية اذ ان اليهود كانوا يبالغون كل المبالغة في العمل ضد الاحسانات الكثيرة العدد التي اسبغها عليهم وكانوا يعاقبون شرَّ عقاب مبدع خلاصهم *

فكنت تراهم يقدّمون لهُ اشواكاً ممزِقة عوضاً عن ورودٍ وزنبقٍ . ولطمات شديدة عوضاً عن الماس ولولوء .

وباقة قصب عوضاً عن تاجٍ ملكيٍّ. والكمة شديدة عوضاً عن طوق من ذهب. ورداء مجنونٍ لاجل العار عوضاً عن ثوب من كتّان ناعم. ودمهُ الذي تخضب بهِ عوض الارجوان الملكي. وعصيبة قصفة عوضاً عن حمالة من فضة. وقصبة تحرّكها الريح عوض الصولجان الملكي. مركوبهُ كان حماراً ولجام حمارهِ حبلاً. أُعطي عصاً بدل السيف. وسياطاً بدل الترس. وعرية الساق بدل الخفاف. والسلاسل بدل الكفوف. ومسامير من حديد في رجليهِ عوضاً عن مهاميز ذهبية. وصليباً يعلوهُ عنوان عوض راية الحرب. وثوباً منسوجاً بدل الدرع. وعصبة على عينيهِ بدل الخوذة. وحربة جنديٍّ بدل فاس الملك الحربي. وكفناً قصيراً بدل تاج حبر الاحبار. وعموداً من رخام بدل منبر التعليم. واسفنجة عوضاً عن كاس. وجرعة خلٍ عوضاً عن جام. وهذا الخل بدل الشراب. وأُعطي مراً

بدل السلسبيل . وعلقماً بدل الترويح . وتفلات بدل القبلات . وسهم الاستهزاء بدل الشفقة . واللعنة بدل الوداع الاخير *

٢٤ : وفضلاً عما مرّ بك ذكرهُ اسمعني ايضاً اصف لك كآبة لا حدّ لعظمتها . ان الاب الازلي ترك يسوع في اعظم الشدائد كانهُ ليس ابنهُ الحبيب . وتركهُ اصدقاؤهُ وجميع تلاميذهِ شان غريب وسائح . انهُ فقد رفاقاً فضلاء ولم يلقَ سوى اعداء حقودين . ففقد القديس بطرس محاميهُ . واعطي المخلّص المشتكي على بطرس! *

وماذا اقول ايضاً . تلميذهُ كان لصّاً . وكاتم اسرارهِ خائناً . وحامل الراية سمعان القيرواني الذي حمل صليبهُ . ورفيقهُ رجلاً اثيماً فضيحاً اكثر من تبكيتهِ .... ومقرّ راحتهِ قبراً . وفراشهُ صخرة صمّاء منحوتة *

هذا ولم يُحرم يسوع في وسط هذهِ الشرور الموجهة نحوهُ من تحبيب اصدقائهِ المشفقين. فانهم كانوا مختفين وواقفين بعيدًا يبكون صامتين. كلاَّ لم يُرَ قط رزءٌ كذا في اسرائيل منذ ولادة يسوع المسيح في بيت لحم. وذلك كلهُ حدث بامر الله ولاجل خلاصنا وتكميل آيات الانبياء المقدسة *

فهذهِ هي الاسلحة التي تدرَّع بها ملكنا يسوع الناصري ليحارب رئيس العالم ويفتدي بدمهِ الثمين الجنس البشري. انهُ جاهد حتى الموت وقهر كبرياء ابليس بتواضعهِ. ورداءة العالم بصبرهِ. وعصيان الجسد بعذاب الصليب الشديد القساوة *

وترك لنا امثلة مقدسة لنحسن سلوكنا. واقوالاً قدسية لنتامل فيها. واعطانا تلقاء كل رذيلة ادوية فائقة لنجتنب الخطية ونبلغ بواسطة الصليب الى مكافآت الحيوة الابدية *

فلهُ حمدٌ ومجدٌ على كل خيرٍ في السمآء وعلى الارض الى ابد الابدين ودهر الداهرين. امين*

التأمّل الثامن والعشرون

لعيد الشعانين

في دخول يسوع هيكل اورشليم بظفرٍ وفي ستة انواع من الاشخاص الذين يكرّمونهُ

فاخذوا سعف النخل وخرجوا للقائهِ (لو ١٢ : ١٣)

ان الناس يحبّون في هذا عيد الشعانين ان يشاهدوا رتبة الكنيسة المقدسة الاحتفالية وعبادة الشعب اليهودي المبادر الى اداء الواجبات ليسوع المسيح بفرحٍ عظيم واكرام لا مزيد عليهِ. لان ما عملهُ اليهود في سالف الزمان ليسوع المسيح وهو عائش على الارض يجب علينا ان نصنعهُ الان بالروح وهو مالك في

السماء · ويجب ان نصنعهُ بمودّة والحان واناشيد تقوية على قدر ما يفضّل الله اكرام القلب الباطن ويرغب في ان يذهب بنا الى اورشليم السماوية · انهُ قد جاء على الارض ليدعو خاصة سكّانها الى السماء ولذلك بادر الى موضع آلامهِ ليعدّ لنا عرشًا في مقرّ السعادة الابدية *

واثباتًا لذلك امر ان يؤتى لهُ باتان وجحش ابن اتان · فركب بتواضع وسار بهما هكذا الى اورشليم الارضية المشيرة الى الغبطة السماوية لكي نرجو نحن الرجوع الى الحيوة الابدية مع الملائكة القديسين بواسطة يسوع المسيح الذي سوف يقيم من التراب اجسادنا الحيوانية ويلبسها مجد عدم المينونة في قيامة الابرار الآتية *

ولكن من نراهُ اهلاً لنيل احسان كذا ؟ ينالهُ حقًّا من يتضع مثل صبيٍ ليجتمع مع الاولاد العبرانيين

عل ذاتهُ مثل دابة وضيعة تحت ارجل المسيح وذلك
ظهار تاهبهِ في كل مكان وزمانٍ لعمل مسرّة الله *
لعمري من يكون متواضعاً وديعاً بين اخوتهِ
نسب ذاتهُ مثل جحش بليد وعبد بطال لبعض
نقص او عجز يشاهدهُ فيهِ فذاك يسرّ يسوع المسيح
طائعهِ الوضيعة ويتقرّب منهُ اكثر جدًّا من ذاك
ريسي المتجرف الذي كان يفتخر باعمالهِ الصالحة
ن فرسٍ ممتلىء تصلّفًا . فبساطة الحمار اذا عثر
عذر من شموس الحصان المتكبّر اذا كبا *
فقد اختار إذًا يسوع المسيح الحمار مركوبًا لهُ
داعتهِ . ولم يشأ استخدام حصان يصهل ويؤذي
اقة . فكذا يصنع الان ايضاً فانهُ يدعو الى خدمتهِ
رجل البسيط المتواضع ويحمّلهُ نير ديانتهِ المقدّسة
يًا بواسطة شريعة الحيوة والنظام يبلغ بعد موتهِ
طريق مستقيم متساوٍ الى اورشليم السماوية *

٢: اعتبر جزيل فضيلة اظهرها لنا يسوع المسيح في ناسوتهِ زمن آلامهِ. فانهُ مع كونهِ عظيمًا مثريًا في الغاية واقدر من الجميع اذ انهُ ابن الله حقًّا بطبيعتهِ الالهية لم يطلب ان يظهر فضل عظمتهِ امام الشعب بأُبَّهة عالمية . بل تقدّم نحو البلدة الماردة بحلم وتواضع عظيم *

فهذا هو ملكنا الذي اشار اليهِ يوحنا المعمدان بالحمل المنتظر في العالم . وقد جاء الى موضع الآمهِ لاجل خلاص البشر وتتميم عمل فدائنا كما اوحي بذلك الى الاباء والانبياء القديسين انهُ لم يهرب عند رويتهِ اعداءهُ . ولم يبتعد بهول من المكان المقدس من اجل رداءة الشعب بل انهُ جاء بجودة ومحبة لا مزيد عليهما الى اناس حسودين وشهوانيين ليسكّن حدّة شهواتهم وتالمّ وبكى على مآثمهم وعلى الشرور التي كانوا مزمعين ان يفعلوها *

انهُ لم يقف عند مديح البشر وثنائهم عليهِ . لكنهُ وجّه نظرهُ الى اخطار اولئك الخائنين المقبلة قائلاً للذين كانوا يفرحون آمنين : آه لو علمتم انتم ايضاً ما يتهدّدكم لكان الاحرى بكم ان تتنهّدوا وتبكوا معي لان الحزن رفيق الحكيم والفرح صاحب الجاهل . وبالحقيقة ان الحزن يصلح روح الاثيم وكثيراً ما تفقد النفس بواسطة الفرح تدينها وتقواها . والانسان يبتعد عن الله ويفتر على قدر ازدياد اهتمامهِ بالامور الخارجية واستمرارهِ فيها *

ان الرب يسوع قد اعطى مشورة فائقة المكرمين في هذا العالم والمتلذذين بحسن ظن الناس فيهم وبصحبة اصدقائهم المانوسة وهي ان يعرضوا عن الاشياء الحاضرة ويفتكروا مليًّا في سرعة زوال هذه الافراح الباطلة . وعليهِ فلينعطف الفكر الطائش الى ما صنعهُ يسوع في هذا النهار . وليدع جانباً الهموم الدنيوية . وليجن

من الكتب المقدسة زهور الافكار الصالحة . ويبادر الى لقاء الملك السماوي برياضاتهِ الروحية كما باغصان خضراء . وان استلفت نظرهُ شيءٌ من رتب هذا العيد او اثرت فيهِ الانغام فلا يكتفينّ بذلك . بل ليطلب باجتهاد ما تحوي تلك الاشياء من الاسرار *

٢ : لنعتبر ان يسوع المسيح بدخولهِ الهيكل في هذا النهار صادف ستة انواع من الصالحين الذين اكرموا مجيئهُ ببعض افعال تقوية . فقومٌ منهم تقدموهُ . وقومٌ تبعوهُ . واخرون قطعوا اغصاناً . وجمعٌ فرشوا ثياباً في الطريق . وجمعٌ حملوا الملك العظيم . واخرون رافقوهُ . فلا يُرى هنا احدٌ بطالٍ او منشغل باحاديث كاذبة . كل واحد كان لازماً مكانهُ . متمماً بفرح وظيفتهُ . فيمكننا حسناً ان نؤوّل ذلك تاويلاً روحياً ادبياً ونفسرهُ على الوجه الآتي لتهذيب واصلاح الآداب *

فالذين يتقدمون المسيح هم الآباء والانبياء الذين تنبأوا للشعب باسرارٍ كثيرة بخصوص المسيح ورغبوا كل الرغبة في روية المسيح *

والذين تبعوا المسيح هم تلاميذهُ وسائر المومنين المهتدين بواسطتهِ الذين كفروا بخيراتهم وبالامور العالمية فاقتدوا بيسوع المسيح اقتداءً تامًّا وساقوا كثيرين غيرهم باقوالهم وامثالهم الى حسن السيرة *

والذين يقطعون اغصان الاشجار هم روساء الكنيسة والمنذرون بكلام الله في المسكونة كلها · فانهم يجنون بالدرس من الكتب المنزلة ومقالات المعلمين شواهد جميلة مفيدة كانها ورود واوراق شجر يلقونها في الكنيسة على سماع المومنين بواسطة عظاتهم · وخشية ان تصدم بحجر الشك ارجل السامعين الضعفاء والجهلاء لصعوبة الشرائع فيقدّم لهم المعلمون الصالحون كثيرًا من امثلة القديسين الشبيهة بزهرة الورد وسوسن

الاودية . فيذكرونهم تارةً صبر الشهداء . وتارةً اتعاب المعترفين . وأُخرى طهارة العذارى . وذلك لكي يسهّلوا امامهم وعر الطريق المودية الى الحيوة السماوية *

والذين يفرشون ثيابهم في الطريق هم موزّعو الاشياء الزمنية الصالحون الذين يساعدون الفقراء والمتسوّلين باعطائهم لهم الماكل والمشرب لئلاّ يضعفوا في الطريق لتعبهم اليومي . فياخذون من فضلات ثيابهم كمن كيسٍ لهم تلك الاشياء الضرورية للجميع . ويعطونها برحمة للعراة والمحتاجين لكي ياخذوا في ملكوت الله بعد موتهم المكافآت الابدية عوض صدقات ارضية صنعوها لاجل يسوع المسيح . وكان في سالف الزمان مومنون كثيرون في الكنيسة لم يكتفوا بتوزيع خيراتهم الزمنية على الفقراء ولا بكفرانهم بالكل بموجب نذر بل اسلموا اجسادهم في ازمنة الاضطهاد الى انواع العذاب لاجل ايمان يسوع المسيح

وذلك لشدة اضطرامهم بحب الله . فهولآء بالحقيقة فرشوا اكثر من سائر المبغضين للعالم اجسادهم التي كانت في اعينهم مثل ثياب لانفسهم وكمثل حمل ثقيل . انهم فرشوها في طريق الله وتحت رجلَي يسوع المسيح بل القوها على الارض لتدوسها الناس لكي يقبلوا اكاليل ابدية في الغبطة السماوية مع الملائكة القديسين بدل جميع العذابات الزمنية التي تكبدوها *

واللذان يحملان يسوع المسيح اي الاتان والجحش ابن الاتان الموضوع عليهما ثياب الرسل والسائران بامر يسوع المسيح يمثلان الصالحين والرهبان الاتقياء الذين دعاهم تعليم الرسل الى يسوع المسيح فكفروا بالعالم ودخلوا ديرًا من الاديرة . فهولآء يقبلون على ذواتهم نير الرب الطيب الخفيف ويحملونهُ بموجب القانون بمحبة العفة وحفظ الطاعة وسلوكهم بموجب تهذيب روسائهم لاجمين شفتيهم بلجام السكوت ومُحنين

كل التعجب من امرٍ خارق العادة بهذا المقدار *

والحاصل اننا نقرأ عن يسوع المسيح انهُ كان يذهب غالباً الى المدن والقرى يبشر بكلام الله. فكثيراً ما اعياهُ تعب الطريق ولكني مع ذلك لا اراهُ يستخدم مركوباً رغبةً في سهولة عظمى او لكي ينتهي باوجز وقت الى غاية سفرهِ. ولكن من عرف فكر الرب او من كان لهُ مشيراً في ذلك. اني اعتقد معتبراً ان ذلك كان من احكام الله السرية ليكمل كلام النبي المقدس المقول قبل زمنٍ طويل وهو ان المسيح ملك اسرائيل سوف ياتي بظاهر وضيع وبروح الوداعة. فربما كثيرون كانوا يجهلون الذي عنهُ تكلم النبي. ولكن لما اكمل الرب بذاتهِ ما سبق النبي وعبّر عنهُ باقوالهِ تعبيراً حرفياً فاذ ذاك اقتضى ان يومنوا بلا ريب ويفهموا حسناً ان ذلك كان مكتوباً عنهُ وهكذا صار كما يحقق ذلك مار يوحنا *

فليأت اذن المسيح الملك ورب الملوك لا ببهاء القدرة ليخيف الناس كما يفعل سلاطين الارض بل ليعطيهم مثال التواضع الذي يسهل لهم البلوغ الى الملكوت السماوي. وبالحقيقة شتان بين ملك السماء وملوك الارض . وبين يسوع المسيح الفقير وسليمان المثري . فسليمان اذ أوشك ان يصير ملكاً على اورشليم حملوهُ على بغلة داود ابيهِ . والمسيح اذ اوشك ان يحارب الشيطان ركب عفواً اتاناً . ان الاول تقدم بصوت الابواق . والثاني بترتيل الصبيان . ذاك كان لابساً ثياباً ناعمة . وهذا بكى على البلايا الموشكة ان تحل بالمدينة التي ملك فيها داود ثلاث وثلاثين سنة . وبعمله هذا اظهر كونهُ من ذرية داود اذ انهُ ادّعى بوراثة ابائهِ فدخل هيكل سليمان واثبت اصلهُ مجلاً اباهُ بتعليمهِ وعجائبهِ المجيدة . وبشفائهِ المرضى . وتثقيفهِ الشعب . ولذا ابدى الشعب فرحاً عظيماً بقدوم المسيح ملكهِ فهتف

قائلاً : « مبارك الآتي باسم الرب ومباركة مملكة ابينا داود الآتية اوشعنا في العلى » (مر ٢١ : ١٠) *

٧ : ولكن يا للعجب العجاب كيف ان شعباً ساذجاً وجاهلاً لم يخجل من ملكٍ فقير في الغاية ولم يهان بظاهره الفائق بساطة اذ انهُ كان خالياً من كلّ بهاء العظمة الملكيّة . ومثلما كان يمشي عادةً حافياً ومكشوف الراس هكذا ايضاً يتقدّم الى مدينة الملك بدون حلّة ملكيّة . ومثولهُ هذا بزيّ فقير لم يكن ليشكّك شعبهُ . بل انّهم وجّهوا انظار عقلهم الى علامات لاهوتهِ فازدادوا اعتبارًا لبساطة هيئتهِ *

فانظري يا اورشليم الى تواضع ملككِ ووداعتهِ والى عدلهِ وفقرهِ التي ترفعهُ فوق جميع ملوك الارض . فها انهُ ياتي مستغنياً عن قوّة الاسلحة الملقية الهيبة والرعبة . وعن كلّ عُدَد الحرب ... لانّ ذلك كلّهُ ليس من اجهزة الآتي لينذر باحتقار العالم فعلاً وقولاً .

فانهُ لم يستخدم مركوباً سوى حيوان حقير ذي نير دلالة على الفقر والبرارة . لكيما بهيئتهِ الوضيعة البسيطة يرى الناس جودتهُ فيحبونهُ احسن ممّا لو راوهُ ملكاً مهولاً وربّاً قاسياً يخيفهم . وصاحبَ اناساً فقرآء لا اسلحة لهم واعرض عن الاغنياء والمقتدرين . لانّ ملكهُ ليس من هذا العالم بل من السمآء ومنذ الازل . وقد اختلف جدًّا عن ملوك الارض وامرائها في امور كثيرة لانهُ اتى ليدعو المتواضعين والمساكين كتلاميذهِ الذين وعدهم بالملكوت السماوي الذي لا يقدر احدٌ ان يغتصبهُ منهم *

فليرتضِ يسوع المسيح مخلص العالم وملك المجد والالَه المبارك فوق الكلّ ومدى الدهور ان يذهب بنا الى ملكوتهِ السماوي بنعمتهِ القديرة آمين *

التأمّل التاسع والعشرون

في انّ يسوع المسيح لم يجلس في عربة فرعون بل فوق جحش بتواضع

« اذهبا الى القرية التي امامكما والوقت تجدان اتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلّاهما واتياني بهما »

(مت ٢١ : ٢)

١ : لماذا يا يسوع المحبوب في الغاية يا ملكي والهي ترسل تلاميذك ليأتوك بجحش لا بفرس تستخدمهُ في هذهِ الطريق التي كثيراً ما سرت فيها حافياً . لماذا تظهر في كلّ شيء بالفقر والحاجة ولك كلّ ما في السماء وعلى الارض من اناس وبهائم *

انك لمّا ولدت في بيت لحم لم تطلب لسكناك ومقرّ راحتك قصراً فاخراً لكن اصطبلاً حقيراً ومذوداً ضيقاً . والان اذ تذهب الى اورشليم ارسلت تطلب

جحشاً تستخدمهُ ساعاتٍ قليلة. انَّ فقرك يسبّب على السواء حزني وتعجبي كونك يا ملك الارض كلها تباشر امورك ببساطة عظيمة وتجعل سعادتك في ان تظهر بغير دلائل ملكك *

فيا لهُ منظراً غريباً نادراً لم يُرَ مثلهُ منذ بدء الاجيال . وهو انَّ ملك الدهور لم يجد في كلّ جيشهِ فرساً يحملهُ هنيهةً من الزمان فوجد عفواتان لم يركبهُ احدٌ ولم يكن لهُ سرج للجلوس عليهِ ولا لجام لقودهِ . يا لرافة الله العجيبة. ان فاطر الكون ارتضى ان يركب جحشاً اذ اقبل الى اورشليم المدينة العظيمة *

٢ : وعليهِ فيوجد اسبابٌ صوابيّة وقويّة جداً حملت يسوع المسيح على ان يفضّل الجحش على الفرس . فانهُ عمل ذلك بحكمة الآب لكي تتمَّ نبوّة مجيئهِ ليس فقط من حيث الكلام الروحي بل ايضاً بواسطة فعل ظاهر يكون شهادة لجميع الناس . وقد اعطى

ايضاً بذلك مثالاً عظيماً في تواضع حقيقي وفقر مقدس ليقمع كبرياء وبخل الناس الذين يأنسون بالغنى والكرامات وكثرة الحشم طالبين على هذه الصورة المجد الزمني وعائدات الملذات المترفة . لانهُ لو كان ملكنا الربّ يسوع استخدم فرساً جيّداً فايّ انسان مهما كان فقيراً لم يكن ليطلب ان يسير راكباً قائلاً : انّ المسيح عمل هكذا فلمَ لا اعمل انا ايضاً مثلهُ . لانّ حواس البشر تميل الى الشرّ والجميع على التقريب يرغبون في المعالي*

فقد اكتفى اذن الان يسوع ملكنا الوديع المتواضع بان ياتي راكباً على جحش كما انبأ بذلك روح القدس وهو الذي يحلّ على الانسان المتواضع الساكن ويخفض بسلطتهِ الذاتية كبرياء المتكبرين والمتجبرين خفضاً تامّاً . ويقلب الملوك . ويخزي القلوب الخبيثة المرائية . فاذن ملكنا الالٓه الازلي والمتجسّد في اخر الازمنة اراد

منذ ولادتهِ حتى موتهِ ان يظهر نفسهُ للبشر في جميع اقوالهِ وافعالهِ وحركاتهِ ظهوراً يكون مثال فضيلة وقداسة للجميع روساء كانوا او مرؤوسين · فاظهر طريق التواضع الحقيقي بابهة فقر عظيم . ذلك الطريق الذي بهِ يقدر كل الناس حتى افقرهم ان يذهبوا الى اورشليم السماوية بدون فرس ولا عربة ولا شيء اخر من عُدد السفر اذ انهُ تعالى جعل ذاتهُ القائد والرفيق والدليل في هذهِ الطريق المقدسة وهو حارسها ومحاميها . وقد ارسلهُ ابوهُ فجاء الى هذا العالم ليسهل ويمهد طريق التواضع المودية الى السماء بامان *

٢ : لينظر الفقراء في ذلك وليفرحوا · ليسمع ذلك الودعاء وليتعزوا · ان الرب يسوع المسيح ملكنا مع كونهِ مثرياً ورب الكل ارتضى تسليةً للفقراء ان يصير فقيراً ويتالم لاجلنا لكي يغنينا بالنعم بواسطة فقرهِ ويرفعنا من حالتنا الوضيعة الى عظمة المجد الابدي *

انهُ جاء الى البشر بهيئة فقير وعاش بينهم فقيراً ومات لاجلهم فقيراً ايضاً . لم يترك لهُ ابواهُ لا بلدةً ولا حقلاً ولا بيتاً يكون لهُ ومع ذلك فقد قبلهُ اليوم الفقراء والبسطاء بكرامة . واعلنوا بصوتٍ عالٍ انهُ ملك اسرائيل . (ولكي يُظهر لجميع امراء العالم شرف فقرهِ ويجعلهِ محبوباً لديهم لم يشأ في دخولهِ اورشليم بظفر الاّ التواضع والبساطة فركب جحشاً وسار مع تلاميذ فقراء مساكين غليظي الاخلاق ولم يانف من صحبة شعب بسيط ولا من اصوات الصبيان الصارخين اوشعنا وهم حاملون اغصان زيتون وسعف نخل دلالةً على الفرح والسلام) (١) *

فقد جاء اذاً المسيح الملك الشريف الوديع وابن الآب الازلي الوحيد الحبيب ابتغاء ان يسالم الله مع الناس والملائكة مع الخطاة واليهود مع الوثنيين *

(١) ان هذه التي بين هلالين استخرجناها بتصرف *

فلا تخافي ابدًا يا بنت صهيون بل افرحي وتهللي يا اورشليم المدينة المقدسة لانهُ تعالى لم يأتِ ليعاقبكِ بل ليصلي من اجل خطاياكِ . ولم يأتِ ليبطل شريعتكِ بل ليتمها . ولا ليهدم نطاقكِ بل ليخلصهُ من حوزة ابليس . لا لينشيء خصومات بل ليهذب الآداب . لا ليظلم احدًا بسلطتهِ بل ليخلص الجميع برافتهِ . لا لينتقم لاهانا تهِ بل ليعاني عذاب الصليب والموت عن مآثم الجميع . فافهمي من معجزاتهِ عظم فضلهِ على جميع الآباء القديسين والانبياء واعتقدي انهُ ابن الله حقًا ومساوٍ للآب ومولود من عذراء لاجل خلاص العالم ومائت لاجل افتداء الجميع *

٤ : اعتبر يا هذا في اعمال ناسوتهِ اعتبر عظم وداعتهِ وتواضعهِ واحتقارهِ لمجد العالم واحتمالهِ الاهانات رفقًا ومنحهِ الشر بالخير . فكما كان هكذا يجب ان يكون خدامهُ ايضًا . انهُ دعا اليهِ جنودًا وشرفاء مزدانين

بفضائل لا بثياب نفيسة وهم يعرفون ان يقاوموا الشيطان بالصلوة ويذللوا الجسد بالصوم ويغلبوا الغنى وبني الدهر بالازدراء كما تعلموا من مولاهم وعلّموا كثيرين غيرهم ان يحاربوا بالروح *

فالى هؤلاء قد انضم صبيان صالحون منزّهون عن الشر والمنازعة . فاخذوا يرتلون مسبّحين لاسم الرب ويذيعون غظمة مجدهِ . لان الجميع من اصغرهم حتى اكبرهم لم يهتموا الاّ بتادية الحمد والشكر . وعند قدوم ملكهم ومشاهدتهم اياهُ اظهروا فرح قلبهم وصفقوا بالايدي ورقصوا ورتلوا بصوتٍ عالٍ يباركون الله على جميع العجائب والمعجزات التي راوها او سمعوا انهُ قد صنعها في بلدتهم *

يا ما اعجب وما امجد ذاك الظهور النقي يا ما اعذب ذاك فرح القلب اذ سار اولئك الصبيان الابرار بيسوع المتواضع ابن الملك الازلي الى هيكل

سليمان مقرّ المظلّة العجيبة . فهنالك قدّمت كهنة الشريعة الموسوية حيوانات ذبائح ومحرقات دلالة على آلام يسوع المباركة . غير انّ تلك الذبائح لم تكن بكافية لتطهّر احداً من خطاياهُ تطهيراً تامّاً حسب العدالة الجسديّة . فكان الناس ينتظرون بثبات غفران خطاياهم وتعزية افتدائهم بموجب ايمان مقرّبي الذبائح وبرجاء الخلاص العتيد ان يصدر من المسيح *

وبالحقيقة انّ يسوع المسيح بعد دخولهِ اورشليم وقبولهِ دلائل الاكرام الخارقة العادة بقليل من الايّام كابد اهانات واوجاعاً تفوق جميع الاكرامات التي قدّمتها لهُ الشعوب . وبالاجمال انّ اليهود بعدما اكثروا من ضربهِ واهانتهِ علّقوهُ على الصليب لكي يرى العالم واضحاً انهُ اخذ جسداً وفيهِ تمّ مثال الذبيحة الناموسية نسبة الى ذبح الحمل الفصحي *

٥ : فهذان الحادثان العظيمان من حياة يسوع

المسيح اعني بهما دخولهُ بالغلبة والآمهُ يحتفل بهما اليوم في كلّ الكنيسة المقدّسة. وينطويان على سرّين عظيمين جاد في شرحهما المعلمون القديسون . فبهما حقاً يمثّل اختلاف احوال الكنيسة المقدّسة التي قد اعتادت ان يبتليها الله كثيراً بالسرّآء والضرّآء *

فالدوران الاحتفالي المدلّ على الفرح يُصنع باغصان النخل ليحرّك خاصّة قلوب المومنين الى محبة الافراح السماويّة . لكنّهُ لا يصنع بالكمال التامّ الّا متى نقوم من بين الاموات . فيصعد جميع القدّيسين باجسادهم المجيدة في الفضآء امام يسوع المسيح . واذ ذاك يدخل المختارون قدس الاقداس بتراتيل الملائكة وهم ماسكون بايديهم اغصاناً ومصابح نيّرة مملوءة زيتاً . فياخذ كلّ منهم مكافآت ابديّة حسب اشغالهِ واستحقاقاتهِ ويتنعّم بكمال السعادة في المنزل الذي اعدّهُ لهُ *

امّا من حيث الآلام التي تنبع احد الشعانين وذاك الدوران الاحتفالي فتعلمنا اننا بواسطة الصليب وآلام يسوع المسيح وضيقات كثيرة نحتملها له تعالى نبلغ بعد موتنا الى ملكوت الله حيث يفرح الى الابد مع يسوع المسيح اولئك الذين يكرمون الآن بعبادة الآمهُ . وينوحون من التوجع . ويبكون من الحب . ويقشفون اجسادهم اقتداءً بهِ . ويقدّمون صلوات وتضرّعات شكرًا لهُ . ويحبون استماع القدّاس ويقدّسون بخوف واحترام . ويمسكون عن الاشياء الباطلة الواهية . ويتأهبون لقبول النعمة الالهيّة بصيانة قلبهم . ويزيّنون عقلهم بواسطة تذكّرهم آلام المسيح وقراءتهم وشغلهم وتاملهم المتواتر المقرون بالحزن . وتألّمهم في البلوغ بتقوى الى الحصول يوماً على اعظم مجدٍ مع يسوع المسيح بعد ان تشبهوا اشدّ تشبهٍ بآلامهِ لانهُ له المجد اذ يأتي ليكافئ اتعاب جميع مختاريهِ بمنشف

جميع دموعهم *

انَّ فرح هذا الزَّياح الحالي لقصير . ولكن زياح القدّيسين المقبل يدوم مجدهُ الى الابد. لانَّ لا عيد اكثر احتفالاً ولا صحبة اشهى ولا تلذّذ اعظم ولا تأمّل افضل ولا سعادة اكمل من روية المسيح في مجدهِ السماوي مع الملائكة القدّيسين المجتمعين في اورشليم العالية والسعيدة في حدّ الغاية مع جميع المختارين ليملكوا مع يسوع المسيح الى دهر الداهرين . امّا الاشرار وغير المؤمنين المحكوم عليهم بعدل يُطرحون مع الشيطان في النيران الابديّة *

فليرتضِ ربنا يسوع المسيح الذي اراد ان يفتدينا بآلامهِ وصليبهِ ان يقينا ويحفظنا من هذهِ الشرور ويجمعنا بالاحرى مع مختاريهِ ويقيمنا عن اليمين في ملكوتهِ آمين *

الباب الثالث

في اسرار المجد

التأمّل الثلاثون

في قيامة يسوع المسيح وفي تعزية النفس الروحيّة

« قد قمت وهاءنذا معكِ ايضاً هليلويا »

هذا هو كلام يسوع المسيح للكنيسة ولكلّ نفس مؤمنة حزينة كلّ الحزن على آلامهِ ومحرومة من كلّ تعزية . فاذاً يسوع المسيح القائم من بين الاموات يكلّم بالروح هذهِ النفس ويعزّيها بجودةٍ لا مزيد عليها بتلك كلمات فمهِ الشهيّة قائلاً لها : « قد قمت وهاءنذا معكِ ايضاً » اني لم انساكِ بل تذكّرت وعدي فاظهرت لكِ ذاتي غالباً ظافراً بالموت والآن ابشّرك بافراح السعادة الابديّة لكي تهنّئيني على المجد الغير الموصوف

الذي نلتهُ في قيامتي والذي لن افقدهُ ابدًا اذ اني لن اعود اموت بعد ابدًا . انك في الامس بكيت كثيرًا وحزنت جدًّا على آلامي · ولكن قرّي عينًا لاني قمت حقًّا وهاءنذا معك ايضًا بعظمتي وعزّتي بعد ان تالمت في جسدي الواثي . هآءنذا الان بثياب بهآء عدم الميتونة مكلّل بمجد لا مجد اعظم منهُ · وقد كنت في الامس معلقًا على الصليب محكومًا عليّ باشنع الميتات . لقد بقيت ثلاثة ايام ملقى في القبر ولكنّي احيا الآن يقول لك الرب فاديك لكي تحيي لاجلي *

٢ : اني قد قمت اليوم من بين الاموات بمجد ابي وانتِ سوف تقومين في اليوم الاخير مع مختاريّ وتنهضين من القبر بالقوّة الالهية لتتكلّلي على حدّ استحقاقاتك. فافرحي اذًا باناشيد الفرح وسمّعي بشكر عظيم ترانيل الحمد بقولك هليلويا وبارتفائك بالروح الى الاعياد السماويّة. افرحي يا بنت صهيون بقلبكِ

وصونك لانّ ساعة الحزن الزمني قد مضت وعاد يوم الفرح الابدي ورجاه مجدك المقبل . دعي الحزن لليهود الذين صلبوني . والخجل للأُميين الذين عبثوا بي . والاهوال لجميع الذين رفضوا الايمان بي . وليبتهج المومنون الذين يحبوني وليتعزَّ جميع الشعوب الذين توجعوا وسالت دموعهم عند استماعهم خبر آلامي . ليات الىّ تلاميذي الذين هربوا وتبددوا وتركوني في وسط العذابات . لياتِ الىّ المتواضعون والورعون . ليتقدّم الكهنة مع شمامستهم وهم متّشحون بثياب بيض . ليدنُ جميع المسيحيين من مائدتي باحترام عظيم ولتحتفل جميع الشعوب بهذا يوم الفصح الذي قمت فيهِ *

٢: لاني انا القيامة والحيوة . انا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء ويهب الحيوة للعالم . انا الراعي الصالح ارعى البسيطة والطائعة من نعاجي التي تكفر بارادتها الذاتية وتتبع ارادتي في كلّ شيء . انا المنّ الخفي وفرح

الملائكة وفصح المسيحيين وسعادة القديسين · اني افرّح الملائكة الذين يرونني عياناً · واهب ذاتي على الارض للبشر في سرّي فلا تقلقي ابداً شان من يكون محتقراً في العالم ولا تحزني كانّ الله قد تركك ولا تخافي كانّ الاعداء قد احاطت بك · فاني ما تركتك وان اتركك · اني ما رذلتك ولن ارذلك ابداً · لكني سوف امتحنك في أشياء كثيرة · وأمارُك بانواع التجارب · واختبرك واطهرك بالنار كالذهب · وفي زمن الشدة اظهر لك · واعزّيك بحضوري مفيضاً عليك نعمة العبادة · فاسكرك اولاً بخمر الانسحاق ثم امسحك بزيت الفرح لكي تردفي الدموع وتشعري بعذوبتي العجيبة فتضطرمي بنار حبي وتفني بكلمتكِ *

فعلى هذا الوجه اسلي الباكين عليّ في هذا وادي الدموع والذين يجتنبون الخفة ويختلون بقلبهم · اني اهتمّ بكِ وعيناي على المومنين بي لكي يجلسوا معي في

ملكوت ابي ويشاهدوا ضياء مجدي الذي حزتهُ منذ الازل واعددتهُ لاصفيائي. اني سوف اكافئهم مكافأةً تامة لما يقومون من بين الاموات ليكونوا هم ايضاً ممجدين ولابسين ثياب عدم الفساد. واذ كنتُ قد احتملتُ الموت وكسرتُ ابواب الجحيم وغلبتُ الشيطان الرجيم واخرجت الآباء القديسين من الينبوس وفتحت ابواب الفردوس فذلك كان لكي ادخل جميع مختاريَّ في الغبطة الابدية *

: ٤ وعليهِ فلا تظني انك سوف تُحرَمين هذه خفة الاجساد المجيدة وصحبة القديسين المغبوطة. اذ انكِ وان كنت بعدُ مسجونة في هذا الجسد البالي وعائشة في وسط المحن فمع ذلك انك سوف تتنعمين برؤيتي ان استمريت امينة مثابرة على اتّباع خطواتي الى النهاية كما ثبتُّ انا في محبة ابي طائعاً لهُ حتى الموت *

فكوني اذاً قوية في التجربة صابرة على الضيق لكي

تشاركيني في مجدي الابدي. ولا تيأسي ابداً مهما تهدَّدتك الشدائد او حُرمتِ كلَّ تسلية بشرية لانهُ ليس من عادتي ان اترك الحزين واحتقر المصلّي . لكني استجيب رافةً مني الصارخ اليَّ بزفرات واعضد المكافح واكلّل الثابت الى المنتهى *

اني اسمح بان يُلقى العزيز عليَّ في الشدَّة بعض هنيهات من الزمان . ولمّا يكون على غير انتظار او يحتسب ذاتهُ غير اهل لكلّ تعزية اظهر لهُ فجأة وانير جهلهُ . فاني هكذا صنعت مع تلاميذي وزائري قبري المقدَّس المحبوبين اذ انهم كانوا غارقين في لجَّة من الحزن فاقدين كلَّ رجاء وتعزية غير عارفين ماذا يصنعون ولا الى اين يتوجهون . فلم يكن لهم والحالة هذهِ شيء اعذب من البكآء بمرارة والاستفسار عني بعض الشيء . ولمّا لم يبقَ لهم من يعينهم ويساعدهم بادرت اليهم بتعزيتي الالهية فاصبحوا بقبولها اسعد

جدًّا مما ظنوا لاني ارسلت امامي ملائكتي يبشرونهم بالبشائر الحسنة خشيةَ ان يبقوا زمنًا طويلاً بلا تعزية ولكي يرتقوا الى رجاء الحيوة فينتظرون ملك المجد *

٥ : وعليهِ فاني اخّرت ظهوري لهم لازيدهم شوقًا الى طلبي وطهارةً ليروني . حتى اذا راوني يعظم فرحهم ويخدموني باعظم مودّة ويسجدون لي باجزل احترام . اني كنتُ اعرف الوقت والنوع الملائمين لتعزية الحزانى ووسع كلّ نفس للاحتمال . فاني لم ارذل اذًا رغبات العابدين ولم احتقر احزان الكئيبين . بل امتحنت الايمان وفنّهت الجهلة وشجعت الجبناء واضرمت الحب وابعدت الخوف *

فقد استحقوا اذًا بواسطة البكاء والصلوة والطلب والتضرع والثبات ان يشاهدوا ما تاقوا اليهِ . واني قد كملت الكلام الذي قلتهُ لهم قبلاً وهو: * اني سأراكم ايضاً وتفرح قلوبكم ولن ينزع احدٌ فرحكم

منكم » *

فعند استماعك هذه الاشياء تاهبي يا نفس لقبول نعمة العبادة . انتظري بالصبر ان آتي وافتقد ايضاً قلبك واخلصك من كلّ غمّ وافعمك بهجة جديدة فتقدرين اذ ذاك ان ترتّلي بفرح وتخبري عظم حقيقة وحلاوة هذا الكلام وهو : « اني قد قمت وهاءنذا معكِ ايضاً » *

التامّل الحادي والثلاثون

في الفرح بقيامة المخلص

« هذا هو اليوم الذي صنعهُ الرب لنبتهج ونفرح بهِ »
(مز ١١٧ : ٢٤)

اجل انّ عيد الفصح الكثير الحفلة يدعونا الى فرح عظيم روحانيّ . فلنفرح اذاً في هذا اليوم لا كما

يفرح الجسدانيون وبنو العالم بل بموجب روح الله . بروح الصدق والحقّ . فينبغي لنا اليوم ان نطلب نعمة عظمى ونحافظ على اكمل طهر ونرتفع بالروح الى رغبات سماوية بشوقنا الى حيوة جديدة . لانهُ ليس عن غير باعث قد خصّ الرب هذا العيد بقداسة واحتفال لم يخصّ بهما بقيّة الاعياد وصيّرهُ موضوع فرحنا *

فليقل اليوم جميعنا وليكرّر كلّ منّا : السلام عليك يا اصبح الايام الذي يضيء لنا بعد ظلمات الجحيم المعتمة . لانّ ربنا يسوع المسيح بذاتهِ ملك المجد ورئيس ملوك الارض قد قام اليوم من بين الاموات واعطى جميع المومنين بهِ رجاء الحيوة الباقية . اذ انهُ بقيامتهِ بالجسد الذي اخذهُ من العذراء مريم وقدّمهُ على الصليب لاجلنا مزّق صكّ هلاكنا وفتح لنا باب الابديّة بانتصارهِ على الموت *

فافتحي ايتها النفس العابدة فاكِ ورتلي بصوت رنّان مع كلّ الكنيسة الكاثوليكيّة قائلة بفرح قلبك الحقيقي: هذا هو اليوم الذي صنعهُ الرب لنبتهج ونفرح بهِ هليلويا *

٢ : طوبى لمن يشغل فكرهُ بخيرات هذا العيد ويوجّه بالهُ كلّهُ الى افراحهِ الروحيّة ليطلب المجد الابدي بواسطة الاعياد الزمنيّة كما يقول الرسول : « فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق ... واهتموا بما فوق لا بما على الارض » (قولس ٣ : ١) *

اني لا اعلم هل يرتّل في السنة كلّها تراتيل ابهج واعظم من التراتيل التي تقال في هذهِ ايّام الفصح لانّ جميع الاصوات والاناشيد تنطق دائماً بالتهليل وكلّ شيء يختم ايضاً بالتهليل. وهذا يشير لنا على ما يجب علينا فعلهُ في الحيوة الباقية لمّا نُعتق من الاحزان الزمنيّة ونُحمل الى الراحة الابديّة فنسبح الله مع الملائكة

القدّيسين ونحن ممتلئون من الخير الاعظم الى الابد *

فمن الواجب اذن ان تفرح السماء والارض وكلّ ما فيهما بقيامة المسيح. وان تحثّنا كلّ الحثّ على حمد الله الذي اعطانا خيرات النعم الروحيّة النفيسة للغاية ويذخر لنا اعظم منها ايضاً في نهاية الازمنة *

٣ : ها ان الكائنات المخدّرة ببرد الشتاء بدأت ان تنتعش شيئاً فشيئاً وتتاهب لهذا العيد بجمال ربيعيّ اعظم من ان يوصف. لأن الارض تنشر خصوبة قوتها وتتزين باعشاب مفرحة بعد ان كانت زمناً طويلاً عاقراً عقيماً والاشجار والادغال تكتسي باشهى الانوار وتتجمل باوراق خضراء كانها ثوب جديد. وطيور السماء تنفض عنها البرد المحزن وتظهر فرحاً عذباً وتطير في الحقول والغابات محيية بهشاشتها عودة الربيع وخصوبته. والشمس والقمر وكواكب السماء تبعث اشعة نورها باسطع نوع. وقُصارى الكلام انك لا

ترى خليقة الآن ونصفق بتجددها لقيامة يسوع المسيح *

فان كان هذا فرح الكائنات الجامدة فما عسى ان تكون بهجة الملائكة والبشر المرتفعين فوق سائر الخلائق ارتفاعاً لا يُطاق · فحقاً هذا هو اليوم الذي صنعهُ الرب كما يبين لنا ذلك هو نفسهُ بواسطة الكتب المقدسة والرموز والانبياء والملائكة والرسل والمعلمين الذين يشهدون لقيامتهِ ويبشرون بها · فلما كان الكل باتفاق والاشياء العليا كالدنيا تثبت هذهِ الحقيقة فلم يعد يبقى للعقل ادنى داعٍ للارتياب والشك اذاً ان الاله القادر على كل شيء يقدر جيداً ان يصنع بالتمام والكمال ما لا نستطيع نحن ادراكهُ ويخرج من العدم معلولاً جديداً *

٤ : وعليهِ فلما كان جسد المسيح قد حصل من ثمَّ على المجد · وبهِ تجدد العالم باسرهِ · فسبيلك ايها الانسان المائت ان تمجد الله انت ايضاً وتتجدد بروح

باطنهُ . اشكر فاديك ابدًا على عطاياهُ العظام التي اسبغها عليك وعلى جميع المؤمنين · ارفع قلبك الى العُلى وانظر الى الطريق التي فيها تقدمك يسوع خوذة راسك . اتبعهُ بخطوات حب الى باب السماء . ها ان امامك مرآة كل قداسة ونور الحيوة السماوية . فامشِ بثقة بعد يسوع معطي الغبطة الابدية والمتسلط على السماء والارض والفائق الجميع بقداستهِ وطهرهِ وضيائهِ وغناهُ وسلطانهِ « قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء وعلى الارض » (مت ٢٨ : ١٨) *

فليركن اذًا ايمانك بثباتٍ الى يسوع المسيح وليزهر رجاؤُك ولتحيَ محبتك . لتكن لك شجاعة الرجال · فكن قويًا . قاوم الجسد والعالم وابليس وجنودهُ بغير خوف من مكنة سلطتهم . لان ليث سبط يهوذا قد انتصر وسخطهُ لا يقاومهُ احد ولا يسوغ لاحد الفرار من بين يديهِ لان الكل قد وُضع تحت قدميهِ *

والان فالسماء تفرح والارض تصفق والشيطان يحزن والموت يهرب ولم يعد يبقى لهُ سلطان على المسيح. فيمكننا اذاً ان نحارب بامن في مملكة ملك كهذا. ومن الامور المستحسنة الشهية ان نكون خاصةَ هذا الراعي الصالح. ونغتذي من لبنهِ. ونُخرج على يدهِ. ونُساس بحكمتهِ. هو الذي لا ينقصهُ شيء ويغزر عندهُ كل خير *

٥ : فاقتدِ انت ايضاً بملك الملوك الرب الهك القائم من بين الاموات لكي نسير في ما ياتي سيرةً جديدة فضلى. ونطأ الرذائل. وننسى الشرور الماضية. ولا نعود الى جهالاتك القديمة. بل ترتفع باعظم حرارة الى الاشواق السماوية. لان المسيح بعد ان غلب الموت مرةً واحدةً لم يعد الى القبر مرةً اخرى. بل انهُ بعد ان افتقد على الارض احباءهُ الذين كان محتاجاً اليهم عرج الى السماء بفرح متحلّياً رافعاً صورة عبودية

فوق القوات الملائكية ومعلمًا ايانا ان نرتفع بانفسنا الى مجد السعادة الابدية بدرجات التواضع وبخضوع محكم *

انك ان رغبت في التعزية الالهية والفرح الدائم مع الارواح السماوية فاهرب من التلذذ الجسدي المولد الموت · واطلب قوت النفس الروحي الذي اعدهُ المسيح للذين يدنون من مائدة جسدهِ الثمين التي تفوق جميع الاطعمة الارضية عذوبةً . لاننا ان لم نخلع الانسان العتيق مع اعمالهِ خلعاً تاماً فلا تأتينا الحلاوة السماوية · وان لم نُخضع للعقل جسدنا ونعدل عن كل همّ ارضيّ فلا يحلّ علينا الفارقليط الموعود بهِ ولا يجدينا الحمل الفصحي نفعاً *

فلنقلع اذًا من قلبنا كل رداءة وميل الى الشر لكي تمتلىء نفسنا فرحًا روحيًا ونسير نظير الرضعان سيرةً جديدة مطهرين قلبنا بدموعنا ولابسين ثيابًا

بيضاء . لتكن آدابنا وضيعة وقورة . ونظراتنا مرتبة. ومحياتنا طاهرة. وصوتنا قويًّا . واذاننا منتبهة لكلام الله. وجميع حواسنا مصونة حسنًا من كل جهة لان الملائكة القديسين خدام الرب هم حاضرون هاهنا ينظرون الى افعالنا ليشاهدوا من يسبق الجميع بنهوضهِ ومن يصلي باعظم عبادة ويرتل باكثر نشاط ويطلب يسوع باشد حرارة. فليبتعد عن ضجة العالم واحاديثهِ الطفيفة ولتكن المخاطبات دافعة الى بناء القريب وجالبةً استحسان جميع السامعين لنستمطر على المتكلم البركة المتعلقة بها . لنتكلم في مخاطباتنا عن اعمال المخلص يسوع الناصري ولننعش تلك المخاطبات ببشاشة حسنة لتضحي للجميع داعيًا لفرح مقدس *

٦ : تذكَّر يسوع المصلوب دائمًا . ولا يبرحن من فكرك يسوع القائم من بين الاموات حيثما كنت . لاننا ان كنا غير قادرين بعد على رؤيتهِ عيانًا فنقدر على

التلميل ان نلمسهُ سرًّا بزفرات متواترة . فلا نفارقنَّ اذًا قبرهُ حتى يوحي لنا ذاتهُ في الصلوة . ولنطلب من الملائكة القديسين المتنعمين برؤيتهِ الجلية دائمًا ان يرشدونا بذواتهم الى محل الرب او ان يصلوا لاجلنا لكي يرتضي ان يظهر لنا في احزاننا فيسلينا بنعمتهِ الكلية العذوبة *

ايها الرب يسوع المسيح لِمَ لا تلهب قلبي لأطلبك باكرًا جدًّا مع مريم . لِمَ لا تثبتني في الايمان انت الذي بنفخة اعطيت الرسل روحك القدوس . فاكشف لي معنى الكتب وارفعني حسب وعدك الى ادراك كل حقيقة يا من هو اله مبارك فوق جميع الاشياء مدى الدهور آمين *

التامل الثاني والثلاثون

في اسم الفصح الروحي وفي اقامة حيوة جديدة

« قد ذُبح المسيح فصحنا من اجلنا » (١ قور ٥ : ٧)

١ : ان اسم الفصح المقدس هو ذو شهرةٍ عظيمة بين المومنين ويجب عليهم ان يوقروا توقيرًا خصوصيًا السرّ المحتوي فيهِ فلنبحث اذًا عن كل ما جرى ووُضع لاجل خلاصنا *

وعليهِ فكلمة فصح تدل على عبور الرب. وبالحقيقة ان المسيح قد عبر في هذا اليوم من الموت الى الحيوة ومن العالم الى السماء ليعلمنا احتقار الارضيات ومحبة السماويات . فينبغي لنا اذًا ان نحمد الآب السماوي جزيل الحمد لانهُ احيانا بابنهِ الحبيب الذي تألم وصُلب في جسدهِ واشفانا بموتهِ لكي نفرح ايضاً فرحاً عظيماً بقيامتهِ الكثيرة المجد بعد ان نكون قد خلصنا من الموت

الابدي بواسطة آلامهِ البارّة *

٢ : ان المسيح قد سبق وكابد وجع موتٍ اليم لينهي بغض المخالفة القديمة ويغسل جميع الناس خطايانا . ومن ثمَّ حصل على حلاوة فرحٍ لا يوصف وعظمة مجدٍ ابدي يعطيهِ لجميع الذين يولدون في يسوع المسيح بالمعموذية لما ينتقلون من منفى هذا العالم انتقالهم من عبودية مصر الى فرح الفردوس *

وبالحقيقة ان الاسرائيلي الروحي قد نجا بنضحية الحمل الحقيقي من عبودية الشيطان الجهنمية . وقد عبر شعب الله الجديد الى حرية المقرّ السماوي . اذ ان المسيح بقيامتهِ من بين الاموات ابدل الفصح القديم بالفصح الجديد . والحيوة الزمنية بالحيوة الروحية . فبصواب اذًا يقول الرسول وترتل امنا الكنيسة المقدسة في كل مكان بفرح : « قد ذُبح المسيح فصحنا من اجلنا » (١ قور ٥ : ٧) *

فينبغي لنا اذًا ان نتذكّر دائمًا آلام المسيح الموجعة وقيامتهُ المفرحة لاجل تسلية حياتنا الفانية لكيما باحتمالنا كثرة الشدائد لاجل يسوع المسيح ننال الرجآء والثقة بان نملك معهُ الى الابد. فلنجتهد في هذا الوقت المقدس المبهج ان نرتفع ايضًا الى شوق حيوة جديدة ونرتّل لله تسابيح فرح روحي لانّ المسيح قادرٌ ان يعاوننا اعظم معاونة ويضرمنا اكثر فاكثر بشوق الحيوة السماوية *

٢ وعليهِ فمن يسارع الى اكل اللحوم اكثر منهُ الى الاشتراك بجسد يسوع المسيح الثمين ينبوع العذوبة ووليمة النفس الحقيقيّة فذاك يصيرّ بهآء عيد الفصح معتمًا . لانّ مائدة الغني وان كانت محمّلة بعظمة فهي عقيمة فقيرة جدًّا خلوًّا من ذاك الماكل المقدّس . وكما ان النفس تفوق الجسد كذلك يسوع المسيح يفوق عذوبة كلّ عذوبة . وعليهِ وان كان يسوغ لنا

من حيث عظمة عيد قيامة المخلص ان نزداد فرحاً ونجيز لجسدنا ان يأكل اكلاً جيداً فمع ذلك يجب ان نكون قنوعين في الاطعمة ونقمع شهوة الجسد بخوف. وعلى هذا الوجه يجد الجسد والنفس في ذلك فوائد الخلاص ويصبح الانسان اكثر اهليّة للقيام بتسابيح الله *

فلا تغلبنّك شهوة الجسد بل اغلب انت بقوّة الروح القدس وعبادة النفس كلّ ما تقدمهُ لك الحواس من التلذّذات الجسديّة *

طوبى للنفس التي تنجذب بعطر اطياب يسوع المسيح الى الجلوس على المائدة السماوية وتهتف مع المزمر: «ان التنعمات في يديك ابداً... بيد اني لا اشبع الاّ عند ظهور مجدك» *

لعمري انّ كلّ من يملأ قلبهُ حكمة كاذبة يكون في خطاء مبين اذا ما احتقر الخيرات الحقيقيّة والسماويّة وطلب تعزياتهِ في الاشياء الارضيّة. وعوض

ان يلجم نفسهُ بقناعة صائبة تراهُ يتوق الى الاكثار من حطام الدنيا . كلاَّ يقول الرسول : « ان ملكوت الله ليس طعاماً وشراباً بل برّ وسلامة وفرح بروح القدس » (روم ١٤ : ١٧) *

٤ : فمن ذا يحتفل بالفصح احتفالاً روحياً حقّاً ؟ ذاك من يترك الرذيلة لاجل الفضيلة ويرتفع من حالة الانسان العتيق وعوائده السيئة الى عبادة جديدة *

ومن يكرم الفصح اكراماً لائقاً ؟ ذاك من يعاف كرامات العالم ويطلب مجد يسوع المسيح في كل نوع من الاعمال الصالحة *

ومن يذبح الجدي في عشية الفصح ؟ ذاك من يندم حقّاً على خطاياهُ ويعرض عن ارتكاب المنكر في ما ياتي *

ومن ياكل الحمل مسلوقاً مع الخسّ ؟ ذاك من يفتكر بتوجع في آلام يسوع المسيح على الصليب ويعاقب

ذاته ويحيا ببرارة *

ومن هو العبراني الحقيقي الذي يعبر البحر الاحمر؟ هو الذي يعبر من حاسيات الجسد الى حلاوة الروح وينسى الماضي ويُغير غارات جديدة *

ومن هو ابن ابراهيم الحقيقي؟ هو الذي ينتقل من خوف العبودية الى حرية بني الله *

ومن هو تلميذ يسوع المسيح الحقيقي؟ هو الذي يتواضع بطيبة حباً بيسوع المسيح *

ومن هو جدير بالدخول الى ملكوت السماء؟ هو الذي يحتقر ملكوت العالم وجميع مناصب الدنيا. فذاك هو صديق الله وساكن السماء وسيد العالم *

ومن هو حقيقٌ بالتفرّس في وجه يسوع المسيح وبالولوج في اعالي السماوات؟ هو الطاهر القلب والنشيط في الصلوة والمنكب كل الانكباب على الاشياء الروحية *

ومن هو عزيزٌ وشهيٌّ لدى الله؟ هو الذي يكون

حقيرًا في عينيهِ الذاتيتين ويحتقر كل شيء عابر *

التامل الثالث والثلاثون

في صعود ربنا يسوع المسيح الى السماء

« اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم » (يو ٢٠ : ١٧)

١ : ان يسوع المسيح الكثير الحلاوة ومسلّي الحزانى بعد ان قام من بين الاموات ارسل مريم المجدلية حبيبتهُ الامينة في الغاية تبشّر تلاميذهُ ببشارة الخلاص المفرّحة اولئك التلاميذ الذين كان قد دوّخهم امر موتهِ المًا : « امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم » *

لله درّها كلمةً حلوةً سماوية حقًّا ممتلئة فرحًا وحبًّا . فاي شيء يستحسنهُ سماع المومنين مثل صعود الرب الى السماء ورجوعهِ الى ابيهِ ليسال لنا ان ناتي اليهِ

بلا خوف بعد ان اهناهُ في اشياء كثيرة اذ ان خطايانا كانت موبقًا بين الله وبيننا. وكنا نحن عاجزين عن المصالحة لولا توسط يسوع المسيح. فبهِ دنونا من الآب. نعم بهِ هو الذي وفى عنا ديون خطايانا واعدَّ لنا مقرًّا في ملكوتهِ السماوي نساكنهُ فيهِ الى الابد فقال: اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم *

٢: يا لهُ تنازلاً عجيبًا تنازلهُ الله نحو اناس مساكين اشقياء. نحو تلاميذ هاربين. نحو نعاج متبددة اوشكت ان تقطع رجاءها. فانهُ لم يأتهم بقوة سلطتهِ ولم يفزعهم بصوت التهديد ولم يوبّخ المذنبين الى العزة الصمدانية والخائنين بل ذكر جودتهُ الطبيعية ليس الاَّ. فاظهر لهم رحمتهُ مؤجلاً انتقامهُ ونسي اثمهم الفظيع وطوى دون جبانتهم وروعهم كشحًا وما بيَّن لهم غير حلاوة المودة الاخوية باسطًا نحو الجميع محبتهُ الدائمة قائلاً: «قولي لاخوتي» *

يا للحلاوة الغير المتناهية التي ابداها يسوع الكثير الرافة في حياتهِ كلها . انهُ كان قادرًا على كلّ شيء وقد اهانهُ اصدقاؤهُ ونبعتهُ اهانةً جسيمة ومع ذلك لم يرسل جلادبهِ ليحبس المذنبين ولم ينزل احدًا عن المقام الذي كان رفعهُ اليهِ لكنهُ رفق بضعفهم واهتم بخلاصهم شان راعٍ صالحٍ يحبّ غنمهُ . فتارةً كان يوحي عن ذاتهِ بملائكتهِ واخرى بمريم ولم يزل يرسل مبشرين الى اخوتهِ الحزانى يبشّرهم بمجد قيامتهِ قائلاً:

«امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي» *

فالمعلّم الوديع لا يتكلّم الّا بعذوبة فالذين اهانوهُ قبلاً يسميهم اخوةً ليزيدهم اعتبارًا لمحبتهِ التي احبّهم بها الى النهاية فانهُ قد اجتذبهم بادئ بدء من تيهِ الاباطيل الى الايمان . وصنع بينهم معجزات باهرة . واسبغ عليهم خيرات عظيمة . وعلّمهم طريق الحق . وميّزهم من بين جميع القدّيسين ليرفعهم الى عظمة

الرسالة. ثم انهُ دعاهم الى التوبة بعد اضطراب التجربة وزلّة ضعفهم . ورفعهم الى اعظم قداسة . ومنحهم نعمة رؤيتهِ المفرّحة . وثبّت ارجل المتراخين في الايمان ببراهين واضحة وباظهارهِ لهم اثار آلامهِ ليساعدهم على المبادرة الى النهوض . واراهم الطريق التي بها يجب عليهم ان يرتقوا الى المجد الغير الفاني : « اني صاعدٌ الى ابي . لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون حقًّا بهذا الكلام . لانهُ خيرٌ لكم ان انطلق الى ابي الذي ارسلني لاعدّ لكم مكانًا في بيت ابي حيث تملكون مع جميع مختاريَّ الى الابد . لا تضطرب قلوبكم ولا تحزنوا كثيرًا على مضيّ . وانا اسال ابي فيكم فتُترك لكم خطاياكم . اني سوف اقوّيكم تجاه الشدة . واعزّيكم في منفى هذا العالم . واكللكم في الملكوت السماوي حيث يكون فرحكم تامًّا وتكونون آمنين من الاعداء . لانهُ قد سُرَّ لابي ان يعطيكم الملكوت انتم المساكين المتواضعين الذين

تبعتموني محتقرين جواذب الدنيا *

٣ : فمنذ ذلك الحين وبعد صعود الرب يسوع الى مجد ابيهِ ارتفع قلب الرسل الى السماء وامتلأ فرحاً برجاء الذهاب اليهِ متأكدين انهم حالما يُعتقون من وقر الجسد يتبعونهُ الى المجد . وكان لهم بالحقيقة ثقةٌ عظيمة بالوصول الى ملكوت السماء . اذ انهم وطئوا افراح الارض فعاشوا بفقر لاجل يسوع المسيح . وكانوا قد قبلوا فضلاً عن ذلك الوعد بروح القدس . وبعد ان تمكنوا بنعمتهِ لم يعودوا يخافون القيود ولا السجن ولا انواع الموت الاكثر شناعةً *

فيا لصعودٍ سعيد مجيد ارتفعت بهِ الطبيعة البشرية فوق الملائكة وامتلأت اماكن الارواح الشريرة الفارغة من عدد المختارين الموسومين بدم يسوع المسيح *

٤ : فانتبهي الآن ايتها النفس المؤمنة القارئة هذا الكلام انتبهي لاتباع يسوع المسيح بطريق الحب .

لان صعود يسوع المسيح الى السماء بالجسد يمثّل ارتفاع النفس الى الله بالروح . فلا يوقفنك اذًا على الارض فرح الحيوة الحاضرة بل بالاحرى انجذبي مع الملائكة القديسين الى المقرّ السماوي حيث تستريح نفوس القديسين من كل حزن وضيق بتبصرها في وجه يسوع المسيح الى دهر الداهرين . تذكّري غالبًا الكلام العذب الذي وجّهه يسوع المسيح الى تلاميذه قبل آلامه وهو : «اني انطلق لاعد لكم مكانًا» (يو ١٤ : ١٢) وافطني بانهُ ليس لكِ هاهنا مقرٌّ ثابت . تنهدي من صميم القلب للموانع الكثيرة التي تبعدكِ عن الاشياء السماوية واطلبي التخلص من الشرور الحاضرة والوصول الى يسوع المسيح باقدم يوم لان ذلك خيرٌ لكِ جدًّا من المحاربة اليومية تلقاء الرذائل ومن الخوف الدائم من اخطار جديدة . اهتفي مع عروس الانشاد قائلةً : «اجتذبني وراءك الى مقرّ جميع الخيرات والفرح الدائم»*

ولكن واأسفاه لم تأتِ بعد تلك الساعة السعيدة. وهذا الوقت ليس وقت التملك بل التألم. ولذا يجب علينا ان ننتظر زمان المكافاة المعيّن من الله. ونصلي دائمًا حتى ياتي ملكوت الذي عنهُ كان يتكلم غالبًا يسوع المسيح مع تلاميذهِ قبل صعودهِ الى السماء. لكيما بواسطة المواعيد بالمجد الابدي تزداد حروب الحيوة الحاضرة خفةً وتزداد النفس اضطرامًا الى الاشياء السماوية على قدر ازدياد حزنها في هذهِ الحيوة. اذ ان العلامة الواضحة في المختارين على اكتسابهم الخلاص هي الصبر على الشدائد والاحزان لاجل يسوع المسيح: «لانهُ كان ينبغي ان يتالم المسيح هذهِ الالام ويدخل الى مجدهِ» (لو ٢٤: ٢٦)*

٥: فاذًا بواسطة الصبر والصلوة يبلغ الانسان الراحة. اذ أن الآب لا يقبل احدًا في ملكوتهِ ان لم يكن قد تبع بالتالم والصليب ابنهُ الحبيب الذي

اسلمهُ الى الصلب لاجل خطايانا *

فارفع اذاً قلبك الى فوق وانظر الى السماء معتبراً المكان الذي ذهب اليهِ حبيبك . ابسط اليهِ ذراعيك وصلِّ راكعاً بحرارة وزفرات لكي يرسل الى قلبك اليابس الجامد روحهُ القدوس الفارقليط فيضرمك وينشّطك لانواع الاعمال الصالحة . آمين *

التامل الرابع والثلاثون

في عيد الفنطقسطي وفي مواهب الروح القدس

« فامتلأوا كلهم من روح القدس وشرعوا ينطقون بالسنة مختلفة كما كان الروح يؤتيهم ان ينطقوا »

(قصص ٢ : ٤)

ان الكنيسة المقدسة تحتفل اليوم بعيد الروح القدس المجيد . ففي هذا اليوم تفرح جماعة المومنين في

كل مكان فرحاً مقدساً بالتقوى . وصفوف الاكليروس ينتعشون ببهجة مقدسة في ترتيلهم الاناشيد والمزامير . والكهنة يقيمون القداس وجميعهم يسبحون الله سوية من صميم قلبهم في هذا عيد حلول الروح القدس *

حقًّا انهُ في هذا اليوم قد قبل الرسل روح القدس قبولاً ظاهرًا بشكل السنة نارية واضطرموا حالاً في باطنهم من الحب اضطراماً عذبًا فانذروا في الخارج بكلام الله بثبات *

في هذا اليوم اخذ الايمان المسيحي ان يظهر وبدأ عدد المومنين ان يكثر في اورشليم . في هذا اليوم صار فرح عظيم في الشعب وصنع الرسل عجائب كثيرة بها شفوا المرضى لانهُ منذ انشاء العالم لم يُسمع قط عن فيض افاضهُ الروح القدس بغزارة وافرة بهذا المقدار *

في هذا اليوم ابتدات الديانة المقدسة والعيشة

الرسولية التي اصبحت من ثمّ مرآة قداسة لجميع الرهبان ودستوراً للجماعات الزاهدين في كل قنيةٍ *

في هذا اليوم تنوّر الرسل القديسون بنعمة الروح القدس وتثبتوا في محبّة يسوع المسيح تثبيتاً مكيناً بحيث انّ نشاطهم لم يخمد بالشدة وعزمهم لم يرتخِ في اليُسر ولم ينخدعوا بالضلالة ويبتعدوا عن صحّة الايمان بقياس من القياسات الفاسدة *

في هذا اليوم قد امتلأ حكمة اناس بسطآء خاملو الاصل وصاروا معلمين عظاماً بعد ان كانوا صيّادي سمك مساكين. والشيء الذي لم يتعلموهُ في مناظرات المدرسة قبلوهُ من السمآء بصلواتهم النقيّة . في هذا اليوم اصبح اولئك الأُمّيون الخائفون فصحآء شجعاناً وطفقوا بالهام الروح القدس يتكلّمون عن الله بجميع الالسن وهم لم يكونوا يعرفون قبلاً غير لسان واحد. كانوا ارضيين فصاروا اليوم سماويين. كانوا محتقرين

فاصبحوا اليوم عجيبة لجميع الشعوب الموجودين تحت السمآء. كانوا يحسبون جهلة لا يعرفون الا النزر القليل فتراهم اليوم يشرحون شواهد الناموس والانبيآء في شان يسوع المسيح ويستشهدون بها *

في هذا اليوم بدأت الناس ان نعيش عيشة ملائكية على الارض . وصار سمآء جديدة في العالم . اذ ان المومنين تعلموا ان يرتفعوا في باطنهم من الجسد الى الروح ومن الفتور الى الحرارة ومن الارض الى السماء *

٢ : فيا ما اشد حرارة اولئك المكتفين بالقليل النافه . وما اعظم عبادة وطاعة اولئك الذين خضعوا من تلقاء ذاتهم للمشورات الرسولية . فهذه هي اعمال الروح القدس الذي جمع في ايمان واحد قلوب المومنين من شعوب كثيري التباين والاختلاف ورفعهم الى الاشياء السماوية برجاء الخيرات الابدية وسعرهم في الحال بلهبات حبه *

فبهولآء الرسل القدّيسين تايّدت وانتشرت في الارض كلّها الكنيسة الاولى وهي مستيقنة كلّ الاستيقان بالتعاليم المقدّس ومثبّتة بعجائب كثيرة . ومن هولآء الرسل القدّيسين وتبعتهم اقتبس النسّاك القدّيسون في بادئ الزمان قاعدة زهادة كاملة وخلّفوا تلاميذ كثيري العدد اصبحوا اليوم امثلتنا *

فبكلّ صواب اذاً يجب على جميع المومنين ان يكرّموا بعبادة خصوصيّة هذا اليوم الكلّي القداسة ويستمدّوا نعمة الروح القدس لكي يستحقّوا ان ينعزّوا بزيارتهِ ويضطرموا بمحبّتهِ ويطهّروا من جميع ادناس الرذائل بطلّ نعمتهِ *

٢ : وعلى هذا الوجه قد اجتُذب منذ انشآء العالم جميع القدّيسين والمختارين الى عبادة الله بالهام هذا الروح القدس وتخلّصوا من اضاليل الوثنيين. وجميع الذين حازوا هذه الموهبة الالهيّة ارضوا الله

بالتواضع خاصةً *

انّ الروح القدس يصنع ايضًا في المومنين اعمال محبةٍ صالحة عديدة يستحسنها وينتفع بها الغير . وانّهُ وان كان لا يصنع عجائب ساطعة فعلى القليل يهب غالبًا تعزيات العبادة الباطنة . ويكشف ايضًا للذين يصلّون ويرتّلون بانتباه اسرار الكتب المقدّسة التي هي اصحّ علامات حبهِ ومعرفتهِ . ويقدّم ايضًا ادوية القوّة الروحيّة المقدّسة ازاء تجارب الضعف البشري الكثيرة الانواع . لانهُ هو الذي يفقّه مومنيهِ باقاويل مقدّسة . ويرشدهم بواسطة الروساء الذين يوزّعون عليهم الاسرار بايدي الكهنة لئلاّ يزيغوا عن السراط المستقيم في سياحة هذه الدنيا وتخور قواهم لأحزانهم . وهو الذي يولّد الانسحاق في قلب الانسان على الخطايا الماضية . وينتهرهُ على اهمالاتهِ اليوميّة واصغر نقائصهِ . ولا يترك في ضميرهِ دنس هفوة صغيرة . وهو الذي

يسوق الى تجديد الحرارة والى الصلوة بعبادة والقرآءة بانتباه والطاعة بسرعة وممارسة التواضع وحفظ الرياضات الروحيّة. وهو الذي يجتذب من العالم. ويدعو الى راحة القلب. ويذمّ الاقوال الخفيفة. ويسكّن الغضب ويردع الشهوة. ويسحق الحسد. ويقمع الشراهة. ويدعو الى ترك الكسل وحفظ القانون. ويعلم ما يجب صنعهُ وما يجب تركهُ سواء كان ذلك في الباطن او في الخارج. وهو قريب من المنكسري القلوب. ويعزّي المتواضعين. وينهض عزيمة الجبانين. ويستجيب زفرات النائحين. ويرحم الباكين. ويغفر للتائبين *

٤ : فكلما وُجدتَ في الشدائد والمحن التجئ حالاً الى هذا المجير السماوي. ادعُ اليك بتواضع نعمة الروح القدس. واعرض عليهِ همك كلهُ. واستودع جودتهُ الحنونة ذاتك بكليتها لكيما يدبر برحمته جميع احزانك

تدبيراً يؤول الى منفعة نفسك العظمى . ويوجه الكل الى نهاية حميدة حسب مسرّتهِ الصالحة ومجد اسمهِ . لانهُ يعلم بكل شيء . وينظر الى كل شيء . وينفذ كل شيء . ولا يدع ان يعرض لك شيء بدون داعٍ . فانهُ يضرب فيشفي . ويضع فيرفع . لانّ ما يصنعهُ الروح القدس خاصّة في جسدنا الواهي المنتن بشقائنا البليغ هو انهُ يطهّر ادناس خطايانا بندامة نصوح . ويستخدم شرورنا الماضية ليزيدنا تواضعاً . وينجح الخير الذي ابتدانا بهِ . بحيث انهُ لايمضي زمان بدون بعض اثمار روحيةٌ . فكلُّ فعل وقول وفكر يتجهُ دائماً الى كرامة الله ومجد الثالوث الاقدس *

فليرتضِ الروح القدس الذي ملأ في مثل هذا اليوم قلوب الرسل بغزارة لا مزيد عليها ان يمنحنا بنعمتهِ الكثيرة الرافة هذا الاحسان الذي نستمدهُ منهُ آمين *

التامل الخامس والثلاثون

في تعزية الروح القدس

«وانا اطلب من الآب فيعطيكم فارقليطًا اخر»

(يو ١٤ : ١٥)

ان ربنا يسوع المسيح اذ كان يفارق بالجسد تلاميذهُ ورآهم حزانى لغيابهِ وعدهم بتعزية الروح القدس الباطنة. ذاك الروح الذي لن يبتعد من قلبهم ابدًا بل يثبت معهم الى الابد. فيا لوعد يسوع المسيح المغبوط الذي لا يتضمن فرح العالم بل تعزية الروح القدس. يا لهُ وعدًا نفيسًا في الغاية لا يشابههُ شيءٌ من الاشياء البشرية*

ان الرسل القديسين كانوا يتعزّون جدًّا بحضور يسوع المسيح بالجسد لاستماعهم من فمهِ الكلام الالهي ولرويتهم عيانًا عجائب مذهلة. فليس اذًا عن غير

داعٍ. كانوا يحزنون على مضيّهِ لانهم كانوا عتيدين ان يبقوا كاليتامى بعيدين عن صحبتهِ الحلوة للغاية وكانوا خائفين من ان يلبثوا بدون ناصرٍ بين فساد اليهود وشكوكهم . ولذا فالمعلم الحلو في الغاية العالم بالخفايا والعارف الاشياء المقبلة ازال عن تلاميذهِ المحبوبين حزناً لابدّ منهُ ووعدهم وعداً اكيداً ثابتاً بتعزية روحية دائمة عوض حضورهِ بالجسد . وكانوا حقيقةً يستحقون التعزيات السماوية والحظوى بالله بعد احتقارهم العالم حق الاحتقار واقتدائهم بحياة المسيح الوضيعة اقتداءً تاماً . فهؤلاء هم الذين يحبهم الآب وفيهم يسال الابن واياهم ينير الروح القدس والى صلواتهم يجيب *

٢ : فانظر الآن يا هذا الى نعمة الجودة الالهية الجزيلة الثمن واعتبر كيف ان ابن الله اختار لهُ اناساً فقراء سذجاً واشركهم في انذارهِ الشعوب ليهدوا العالم الى الايمان . وكيف انهُ عزم على ان ينعم عليهم عوض

الاشياء الوضيعة الحقيرة التي نركوها في العالم بمواهب الروح القدس الجزيلة الثمن *

ولِمَ ذاك ? ليعلمنا احتقار العالم ويُرينا ان التواضع يسمو فوق جميع الاشياء · فعند استماعك ايها الراهب هذه الاقوال الالهية اهرب من الكرامات والتلذذات. واحتقر هموم العالم · واعد قلبك بصلوات حارة لقبول مواهب الروح القدس · واذ كنت قد احسنت التاهب وعدلت عن طرق العالم فلا تعد تلتفت الى الوراء. ولا تكتفِ بالحاضر بل اطلب حالا اكمل واقدس لتستحق ان تنال منذ الان نعمة جديدة · اجتهد بان تحرك في قلبك التوجع والانسحاق واختلِ في قلاينك اختلاءك في العلية مع الرسل. لان احدى العلامات المحتملة على حضور النعمة الحالية هي ان يتوق الانسان بحرارة الى افضل حالة ويحزن في الباطن على زلاّتهِ اليومية ويمسك عن اشياء كثيرة ولو

مباحثة ويبحث باجتهاد عن تقدمهِ في الصلاح. ولا يحسب ابدًا نفسهُ كاملاً في شيءٍ ولا يعتقد انهُ عمل شيئًا صالحًا. فيجب حقًّا ان نكفر بجميع الاشياء الحقيرة كفرانًا تامًّا ان رغبنا في التمتع بتعزيات الروح القدس والتاييد بنعمتهِ والالتهاب بحبهِ *

٢ : ولكن يا ترى باي رياضات بلغ الرسل القديسون الى نعمة هذا عظمها. اذ انهم لم يرتقوا الى كذا كمال رفيع باهتداءٍ فجائي ولا في يوم واحد بل انهم نموا في الفضيلة شيئًا فشيئًا في مدرسة المسيح كتلاميذ صالحين اعتنى بتهذيبهم معلم صالح *

فانهم اذًا تركوا بادئ بدءٍ كلّ شيء بطيبة خاطر لاجل يسوع المسيح فكفروا باهلهم ومعارفهم وبسائر المحبّات العالمية. وكانوا مستعدّين ليكابدوا معهُ الاتعاب والفاقة ولعنات البشر ولذا قال لهم قبل آلامهِ : « انتم الذين صبرتم معي في تجاربي » *

فهذه هي اوائل الرسل الحسنة . انهم استمرّوا متحدين بيسوع المسيح مجرّدين من الفوائد الارضيّة مبتلين بالشدائد . وانّهم ولو ابتعدوا منهُ قليلاً وقت آلامهِ خوفاً من الموت فندموا اقلّهُ على ذلك جدًّا . واذ عرفوا احسن معرفة ضعفهم انعطفوا الى يسوع المسيح بابلغ تواضع واشدّ ودٍّ *

وقد زارهم ايضاً بعد قيامتهِ وشجّعهم باقوالهِ ومعرفة الكتب لكي يتقدّموا بواسطة ذلك اكثر تقدّم في الايمان وفي الحيوة الروحيّة . وبعد صعود ربنا الى السمآء جعلوا كلّ رجآئهم في السماويّات ولم يبقَ لهم حزن على ابتعادهِ عنهم بل بالاحرى انّهم كانوا يطوّبون انفسهم على عظمة مجدهِ بحيث انهم عادوا الى اورشليم بفرح عظيم . وهنالك اجتمعوا سويّةً في العليّة وانعكفوا جميعاً على الصلوة والتاملّات المقدّسة وكانوا يتأهّبون بالتواضع وباشواق حميّة الى نعمة

الروح القدس الذي كانوا مزمعين ان يقبلوهُ من العلآء . هنالك اقاموا مع مريم امّ يسوع وكانوا يتحادثون بورع عن أعمال مخلّصنا وتعليمهِ وعجائبهِ وحسبما يعلّمنا الاعتقاد التقوي انّهم سمعوا وتعلّموا من العذرآء الطوباويّة اسرارًا كثيرة عن يسوع المسيح *

٤ : هنالك في معزل عن هموم العالم واقاويلهِ الباطلة كانوا يوجهون جميع اشواقهم نحو الاشياء الروحية والسماويّة لكي يستحقوا قبول الروح القدس باعظم غزارة فضلاً عن المواهب التي كانوا حازوها . وتمّ الامر كذلك *

فانّهم بحلول الروح القدس امتلأوا جميعًا من مواهبهِ وازدانوا وتلألأوا بحيث انهم فاقوا الاباء ببهاء عجائبهم وفضيلتهم وتعليمهم . لانّ كلّ ما كان خفيًّا ونسكيًّا في الشريعة واسفار الانبيآء شاهدوهُ جليًّا بنور الروح القدس وقدروا ان ينذروا بهِ بالسنة

مختلفة *

وعليهِ فكان من الواجب لاجل تشييد الكنيسة كلّها ان يكون الاولون مخرَّجين تخريجًا تامًّا في جميع اسرار خلاصنا لانهم كانوا مزمعين عن قريب « ان ينطلقوا الى العالم كلّهِ ويكرزوا بانجيل يسوع المسيح للخليقة كلّها » ولذا اعطاهم الآب السماوي روحهُ الصالح حسب طلبتهم وافاض في قلب الرسل غنى بركة كذا وافرة حتّى انهم لم يعودوا يرغبون في شيء من الارضيات ويخافون ضيقة من ضيق العالم بل كانوا يفرحون بتحملهم الاهانات لاجل اسم يسوع المسيح *

وقد اعطاهم مع كمال العلم اسلحة الجندية الروحية لكي يقابلوا اضاليل الوثنيين بحكمة الهية ويفحموا فصاحة الفلاسفة ووهبهم غصن الصبر ليعبثوا بقساوة مضطهديهم *

اجل ان نعمةً عظيمة اضاءت في الرسل اذ ان

اناساً عظيمي البلاهة حسب العالم ارتفعوا في مدة وجيزة الى قداسة رفيعة بحيث ان كرازاتهم طبقت الارض بايد الروح القدس *

٥ : وعليهِ ايضاً انظر حسناً في ما مرّ بلك قولهُ ان الرسل القديسين الذين كانوا أعزّاء جدًا على يسوع المسيح لم يقبلوا هذهِ التعزية الروحية بدون شغل واستعداد ملائم لها . وانهم لم يعيشوا في هذا العالم بغير مجاهدة وبلا كآبة الجسد ، بل ان حرارة حبهم ليسوع المسيح ولخلاص اخوتهم كانت شديدة على قدر ما كانوا يعرفون احسن معرفة بانهم قد نالوا نعماً اعظم ممّا نال غيرهم . ولم يكونوا ليطلبوا من هذهِ المواهب مجدهم الذاتي ولا عائدات عابرة ولا مديح الناس بل كرامة الله والمجد السماوي بعد مشقات هذهِ الحيوة ليس الاّ *

اجل انهم في جميع علاقاتهم مع شعوب كثيرة كانوا يفرغون وسعهم في حفظ النعمة المقبولة من

فوق بوداعة وتواضع قلب. فلم تخمد همتهم بالراحة. ولم يرغبوا بحرص في راحة الجسد . بل عرفوا قيمة ربح النفوس فكانوا يبنون اخوتهم باقوالهم وامثالهم مقدمين لله اوفر الاثمار *

فيحسن اذاً جداً بجميع الرهبان والنفوس العابدة ان ينظروا في اعمالهم ودروسهم هم الذين عزموا على حمل صليبهم لاجل يسوع المسيح وممارسة العيشة الرسولية لكي يكونوا نشيطين ابداً للتقدم في افضل عيشة ويستطيعوا بنعمة الروح القدس وثباتهم في قوانين رهبنتهم ان يبلغوا الحيوة الابدية مع جميع القديسين . آمين *

التأمّل السادس والثلاثون

في قداسة واتحاد المؤمنين الاولين في اورشليم

وكان لجمهور الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفس واحدة في الله (فص ٤ : ٣٢)

يا ما اقدس وما اجمل تلك الجماعة المجتمعة في الكنيسة الحديثة تحت حماية روح القدس فلم يكن شيء ليقلقها طالما حفظت وحدة الايمان سالمة في رباطات المحبة *

ليس شيء اجدر لحفظ هذهِ الوحدة بالتمام والكمال من الكفران بكلّ قنية في الاشياء الزمنية . والاتفاق في الخير . وطاعة سريعة في المرؤوسين . وسيرة ذات عبرة في الرؤساء . وانعطاف تقويّ نحو الضعفاء . وحسم السيئات الشديد . والنظام المطلوب في جميع الوظائف . ولكي لا ينقص او يتلف شيء في الجماعة

يجب على الجميع حسب وسع كلّ منهم ان يشتغلوا للخير العام لكي تسطع المحبّة في الجميع باعمال قدسية ويتمجد الله بذلك تمجيدًا ساميًا *

اننا نرى الرسل القدّيسين قد حفظوا في البدء جميع هذهِ الاشياء الحسنة وتركوها بعدهم للمومنين اخرين واوصوا بها خاصة الرهبان الاساقفة لانهُ كلّما حافظ الراس واعضاؤهُ على العيشة الرسوليّة دام الخير معهم وحلت عليهم نعمة عظيمة في جميعهم. وبما انّهم كانوا يطلبون الله ويحتقرون الارضيّات فاضت عليهم الخيرات الزمنيّة مع المواهب الروحيّة . وحُسبوا لكرامة عظمى على قدر ما كان يزداد احتقارهم لانفسهم ولكلّ مجد عاليّ . وكانوا يستخدمون بقناعة عظيمة الخيرات المعطاة لهم . ولم يكونوا ليفتخروا بالمناصب ولا بالدخل الموهوب لهم . بل كانوا يدبّرون مرؤوسيهم بعناية ابوية تابعين الرسوم بدقة . وزيادة على ذلك كانوا يرثون

لحالة الفقرآء والمرضى ويساعدونهم بحبٍّ . وكانوا ايضاً يسلّون الحزانى والمجرّبين باقوال تسلية مقدّسة . وكانوا يمنعون ذواتهم وغيرهم عن الكلام الذي لا طائل فيهِ عارفين انّ كلّ كلمة بطّالة يتفوّه بها الانسان يعطي عنها دينونة في يوم الدين *

٢: ولكن من حيث انّ البعض بداوا ان يضعفوا في الايمان ويطلبوا بافراط فوائد الجسد ويتعلّقوا بالقنية ويبغوا الكرامات . ما لبثوا ان قام بينهم واحسرتاه تقمقمات وشكوك . واخذ ينمو زيوان الفتن التي بثها العدو برداءةٍ وخبثْ في حقل الرب ليفسد الزرع الجيّد . ولكنّ الرسل القدّيسين عالجوا بمشورة صالحة هذا المرض الوبائي وهذهِ البداية المرثي لها . فاختاروا شمامسة امينين ينظرون الى احتياجات معيشة تلك الجماعة المقدّسة . امّا هم فكانوا ينعكفون على الصلوة والوعظ موثرين الروحيات على الزمنيات حسبما عليهم

الروح القدس وكانوا يجيبون الى المسائل الناشئة والمشاكل الواردة بشواهد الشريعة والانبياء وقد سمح الروح القدس بان تفاض مواهبهُ بغزارة عظمى على الحديثين في الايمان ايضاً *

وبالحقيقة انهُ ملأ بعض المومنين من روح النبوّة لاجل تعزية الكنيسة الحديثة . واقام بعض جهابذة لتهذيب الجهّال وهدى ايضاً الى حقيقة الانجيل كهنة ومعلمين كثيرين وصنع بين الشعوب البعيدة ايات ومعجزات عديدة لانتشار الايمان الكاثوليكي *

غير انّ ابليس العدو القاسي راى ذلك فاغتار فاول ولولة وهيّج الملوك وامراء الارض فاخذوا الاسلحة بحماقة واضطهدوا المومنين في كلّ مكان . ولمّا كانت النعمة عظمى في اورشليم والحرارة الرسوليّة كانت قد انمرت فيها سريعاً . ولول الشيطان في تلك المدينة اوّل ولاول حنقهِ واجتهد بان يحطم بمقرعة الاضطهاد

مهد الكنيسة الحديثة ويرمي خِربها بين الشعوب الغريبة *
ولكن الله تعالى اعاد شرَّ الشيطان واضطهاد المسيحيين الوقتي الى خلاص كثيرين واظهار اسمهِ القدوس . وهذه شدَّة الابرار الوقتية نفعت لتطهير الرذائل . وما هياه المجرِّب المحتال للخراب والدمار اعدَّهُ المخلِّص الصالح لاكليل الصابرين . لانهُ لولا هذا الاضطهاد العظيم لما وُجد في السماء شهداء كثيرون مكلَّلون . وبالحقيقة انَّ كثيرًا من المومنين فضَّلوا اهراق دمهم على انكار الايمان . وآثروا الموت على الخيانة في محبَّة يسوع المسيح *

٣ : كلاَّ ثمَّ كلا انَّهُ من المحال ان تكون مضرَّة الشيطان مع جميع جنودهِ اعظم من محاماة يسوع مع ملائكتهِ القديسين . انَّ روح السوء لم يمكنهُ ان يفعل بالنفوس التقية شيئًا لم يسمح بهِ الله بعدل . اجل انَّ الله الذي يعلم اعمال وقوى كلّ منَّا استخدم تلك الشدَّة او غيرها ليبلّغ مختاريهِ الى المجد الابدي . امَّا

اعداوْهم فكان يلقيهم في النار الابدية بشجب مهول *

فعلى هذا الوجه ياخذ الصالحون والطالحون ما تستوجبهُ استحقاقات كلّ منهم لانّ عدل الله لا يترك خيرًا بلا مكافأة ولا شرًّا بدون مجازاة *

فلا يجب على الضعفاء ان يعثروا بسبب سرعة انتشاء الزيوان والتذمرّ في الكنيسة المقدّسة اذ انّ الاشرار مختلطون دائمًا مع الابرار والكاملين مع الغير الكاملين. لانهُ بقدر ما تعظم القداسة بقدر ذلك يقلّ عدد القدّيسين كما نلاحظ ذلك في الرهبنات المختلفة. فحقًا ان المبتدئين يبانون اكثر من الكاملين ومحبي التاملّ هم اقلّ عددًا من محبي الشغل. والمروْوسين كثيرون والجديرين منهم بالقيام ببعض الوظائف قليلون. والقادرون ان يحسنوا تدبير انفسهم وانفس غيرهم هم اقلّ عددًا. وفي هولآء ايضاً يبدو ذلك الضعف البشري الخليق جدًّا بان يخفض كبريآءنا اذ اننا جميعاً

شديدو الميل الى الرذائل وكثيرو التباطوء في اعتناق سيرة فضلى *

فلا يقدر احدٌ ان يلوم غيرهُ بصواب على نقائصهِ وعدم جدرانهِ . لانهُ ان كان غيرك ضعيفاً فانت ايضاً كذلك *

من النادر ان يستمرَّ العصفور واقفاً على الارض ففي ذلك الكمال الحقيقي وفي كلّ مكان تُرى انية صغيرة محطّمة *

فينبغي لكلّ واحد ان ينظر الى نفسهِ ويتوجع لهفوات قريبهِ ولا يجدّد إن سقط مراراً وعليهِ يقول مار يعقوب : « انّا باجمعنا نخطأ في اشياء كثيرة » *

٤ : فيجب علينا اذاً الالتجاء الى الاقرار الصادر من التواضع لكي يعوّض هذا الاقرار بضعفنا عمّا ينقصنا من القداسة ونزداد تواضعاً في كلّ شيء بقدر ما نبعد عن الكمال الحقيقي *

اننا اخوة بالضعف والخطيئة وليس احد في يقين عن ثباتهِ فيجب علينا ما حيينا ان نحتمل الضعفاء ونعلم ان لا مندوحة لنا من بعض الاعداء اذ انّ يسوع المسيح تحمّل زمناً طويلاً نقائص تلاميذهِ وتهمهُ الفريسيون كثيراً وهو الكمال في كلّ شيء *

وعليهِ فان الله يعرف ان يوجّه للخير الاعظم مشقات العالم التي لا تكاد تسلم منها القلوب الصالحة المستقيمة لان الروح تتجرّد بهذهِ الاشواك وهذهِ العواصف من المحبات الارضيّة . ويتحرّك القلب الى محبّة الاشياء السماوية . ويتخرّج الانسان في الصبر . ويتعلّم ان يتوجع للحزانى . ويتذلّل في الاوجاع . ويماثل يسوع المسيح في آلامهِ . ويزداد انكسار قلبهِ واحتقارهُ بنفسهِ . ويصلي باشدّ حرارة . ويتنهّد غالباً . ويملّ من الحيوة . ويتوق الى انفصال نفسهِ ليكون مع يسوع المسيح لانهُ لا يوجد سلام في هذا العالم *

ولكنّ الرب الصالح الذي يعرف ما هو خيرٌ لنا يؤخر غالباً تكميل اشواق خدّامهِ لاجل خيرهم الاعظم ليزدادوا طُهراً ايضاً للحصول على الافراح الموعود بها في السماوات *

انهُ جلّ شانهُ يسمع صراخاتهم وينظر الى احزانهم بيد انهُ لا يرفع عنهم الالم عاجلاً لكي يزدادوا استحقاقاً بتحملهم الاوجاع . انهُ يحنّ لوجعهم ويصغي اليهم لاجل خلاصهم ولكنهُ لا يستجيب لهم دائماً حسب ارادتهم الذاتيّة . ولانهُ يريد ان يمنحهم الغبطة الابدية في ملكوتهِ يمزج بحياتهم مقادير متنوّعة من المرارة لكيلا يضعوا ابداً رجآءهم في الاشيآء الارضية ولا يتعلّقوا بالمنفى محتقرين الوطن السماوي البهيّ في الغاية *

٥ : انّ البلايا الوقتيّة اذا احتُملت بصبر تصلح ايضاً وخاصةً لتطهير الخطايا وللمصالحة مع الرحمة الالهية ولتنقيص عذابات المطهر ولنيل نعم اوفر ولازدياد

رفعتنا في المجد المقبل *

ايّ انسان لا يخطئ مرارًا بالقول او بالفعل او بالفكر بمعرفة او بغير معرفة ولو عظمت طهارتهُ وكثر انتباههُ على صيانة نفسهِ وكان كاملاً جدًّا في حياتهِ كلها منذ الصباح حتى المساء *

ايّ انسان لا يحتاج الى الاعتراف وان كان ذا ضمير طاهر . ايّ انسان لا يخاف من ان يوبَّخ على شيء في الحكم المقبل وان كان طاهرًا متزهدًا للغاية . لان كلّ شيء سوف يُبحث عنهُ بدقّة عظمى امام الله اعدل القضاة وحتى عن الاشياء التي تحتسب الان خفيفة او بلا اهمية *

فاذًا مادام لنا وقت واذرع الرحمة مبسوطة لنا فلنتب جميعا ولنصلح ذواتنا بنشاط . الله لرحيم ويغفر لنا زلّاتنا بطيبة ان طلبنا معرفتها بصدق وندمنا عليها *

ولكوننا اخوة في المسيح فليصلِّ بعضنا لاجل

بعض ولينبّه بعضنا بعضاً وليسلِّ بعضنا بعضاً ولنفرح سويةً وليتوجع احدنا للآخر *

ليحب بعضنا بعضاً كما احبنا يسوع المسيح الذي اسلم ذاتهُ لاجلنا واحتملنا زمناً طويلاً بخطايانا الماضية ولا يزال يتحمّل كلَّ يوم نقائصنا رجاء ان نصطلح لكي نتعلّم ان نتوجع لقريبنا ونصلي لاجلهِ *

اننا ان راعينا هذهِ الاشياء وعلمناها نكمّل شريعة يسوع المسيح ونكون لهُ تلاميذ محققين واعزّ الاصدقاء. فيحبنا الآب كلَّ الحبّ ويتخذنا الابن اخوة لهُ ويضرمنا الروح القدس بسعير المحبة ويختارنا الثالوث الاقدس ويباركنا. فاذ ذاك يتمّ فينا ويقال عنّا ما يُقرا في قصص الرسل عن الكنيسة الحديثة: «وكان لجمهور الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفس واحدة وكلّ شيء كان مشاعاً بينهم» آمين *

فهرست المجلد الثالث

الباب الثاني

في اسرار الحزن

الباب الثالث

في اسرار المجد

اصلاح الغلط

وجه	سطر	خطا	صواب
٢٠	٥	اوحي الى	اوصي
٢٠	٩	وتتسبّل	وتتسلّ
٤٥	١٣	في	لنسهر في
٧٨	١٣	بدونك	بدنوّك
٩٩	٦	يقّضي	يُقضى
١٦٥	١٤	منقطعة	منقطعة لله
١٦٨	٨	كلام	من كلام
٢٢١	١٥	الى	أَبى
٢٥٣	١٥	ظاهراً	وراء الظهر
٢٥٧	١١	وصور	وسور
٢٦٤	٨	ينظر ان	ان يُنظر
٢٦٦	١٤	نور	ان نور

صواب	خطا	سطر	وجه
وينفعنا	وسينفعنا	١٣	٢٧٥
لا بثار	بثار	٩	٣٠١
العظمة	العظيمة	٦	٣٢٤
فلنبتعد	فليبتعد	٧	٣٥٢
ملكوت الله	ملكوت	٤	٣٦٦
ان الله	الله	١٣	٢٩٣

ŒUVRES CHOISIES

DU VÉNÉRABLE

THOMAS A KEMPIS

QUATRIÈME VOLUME

MOSSOUL

IMPRIMERIE DES PÈRES DOMINICAINS

1902

كتاب

المنتخبات الكنبيسيّة

في السيرة القدسيّة

المجلد الرابع

طُبِع في الموصل

في دير الآباء الدومنيكيين

سنة ١٩٠٢

IMPRIMATUR

† Fr. H. V. ALTMAYER

Archiep. Babylon.

مقدّمة المعرّب

لقد تحققت ايها القارئ العزيز من مطالعتك المجلّدات الاولى ان غاية هذه المؤلفات الجليلة ما هي الّا ملاشاة الانسان الحيواني فينا ومقاومة اهوائهِ المنحرفة المكروهة الامر الذي بهِ نقوم كل قداسة وعليهِ يتوقّف كلّ كمال كما علمت ذلك من كتاب الحرب الروحيّة (الفصل الاوّل) ولهذا فاعلم انك لا تقدر ان تُفرط بتذكّرك هذه الحقيقة ولا ان تجاوز الحدّ في انجازك تعاليمها بالعمل ما لم تُعنَ باصلاح نقائصك *

كثيرون يقصّرون في تهذيب بواطنهم ويبالغون في الرياضات الخارجيّة وافعال التقوى التي لا تجدي عاملها نفعًا ان لم تساعدهُ على ادراك القداسة. ومن هنا هذا المثل السائر الذي كثيرًا ما يُرمى

بنباله اهلُ النُقى وهو « دُس ذَنَبهُ تَرَ عجبهُ » . لانّ من يكتفي باعمال التقوى الخارجيّة ويهمل اصلاح باطنهُ من الرذائل والشوائب لا يلبث إِلّا أَن تظهر للناس عيوبهُ ونقائصهُ لأَوّل فرصة اذ ان الدواعي لذلك اكثر من ان تُحصى . فيكون لهم بها سبب عثرة وربما حملهم على التنديد بالعبادات والتقوى هذا فضلاً عما يلحقهُ من الفشل والضعف مّما يتدهور معهُ غالبًا في لجة اليأس من الخلاص والكمال *

فاذا اردت ايها العزيز ان تدرك حقيقة التقوى والعبادة وتكون كاملاً قدّيسًا امام الله وملائكتهِ وقدّيسيهِ فعليك ان تتقصى في كلّ حين معرفة اهوائك الذميمة واميالك الحيوانيّة لتقطع دابرها بهُدى الحقائق الازليّة المحتوية في الكتب التقويّة الى ان توجد في حالة لا تعود تشعر معها بادنى

انعطافٍ الى شيءٍ من الاشياءِ الزمنيَّة الفانية او تعلُّق بخليقة من الخلائق الارضيَّة الحقيرة وهكذا يصبح الله لديك كُلاًّ في الكلّ. هذا هو الكمال الحقيقي وهذهِ هي القداسة الصادقة الخالصة *

ولكن هل من الممكن يا تُرى ان يبلغ الانسان وهو مقيَّد في وثاق هذا الجسد المارد الى هذا الكمال ويدرك هذهِ القداسة السامية ? لا اعلم. بيد انّي اعلم يقينًا انَّهُ ينبغي لنا نحن معشر الاتقياءِ خاصَّةً ان نجعل الكمال والقداسة غاية اشواقنا ورغباتنا ونبذل النفس والنفيس في اكتسابهما. واذا قدرنا في حياتنا كلّها ان ندرك ولو بعض الغاية منهما فذا خيرٌ لنا من ان ندع الاهتمام بربحهما لما في ذلك من العناءِ والمشقَّات التي وان كثرت وتعاظمت لا تفوق مشقّات من يدع نفسهُ تجري على طبعها وخُلقها ويكتفي ببعض افعال ورياضاتٍ

تقويّة خارجيّة لا غير. فان مثل هذا الانسان قد يُلاقي في دنياه شدائد تفوق بثقلها على اعظم الاحمال ويُعدّ لهُ في آخرتهِ عذابات عسرة الاحتمال *

واعلم ايّها الحبيب انّ عثراتنا وزلاّتنا ولو تعدّدت في النهار لا تمنعنا من بلوغ غاية اشواقنا المقدّسة اذا نهضنا منها للحال نادمين واستأنفنا مسيرنا واثقين بنعمة الله ورحمتهِ في كلّ حين بل اننا كلما اصلحنا منها زلّةً او هفوة انتبهنا لها خطونا خطوةً جديدة في طريق الكمال والقداسة . اذ انّ اصلاح الهفوة بعد الانتباه لها هو الواسطة العظمى للتقدّم في سبيل الصلاح . فكلّما وجدت نفسك مصمّاً على ادراك القداسة وساعياً في طلبها فانت ناجح بل انت من الراجحين الكاسبين وان كنت لا تشعر حينئذٍ بنجاحك هذا لكثرة زلاّتك العارضة التي كثيرًا ما يسمح بها ربُّك الحكيم العليم ليستر

فيك قداسةً او عرفتها لاوشكت ان تخسرها بكبريائك *

ولمّا كانت الرذائل والأهوآء التي يجب علينا ان نقاومها ونميتها فينا محصورة في ثلاث محبة المال. ومحبّة العُلى . ومحبّة الجسد فالموقّر توما الكمبيسي يقدّم لنا في الكتيّب الاوّل من هذا المجلّد الرابع ثلاث فضائل تناقض هذه الرذائل الثلاث وهي الفقر والتواضع والصبر. الا اننا تعميماً للفائدة ولكي نزيد الكتاب وضوحاً وجلآءً راينا ان نتصرّف في وضع بعض اعداده فجعلنا خلاصة الاعداد الاولى الثلاثة من مقالة الفقر بمثابة توطئة للمقالة نفسها وكذا اضفنا جزءًا من العدد الاوّل من مقالة الفقر ايضاً الى العدد الاوّل من مقالة الصبر لمناسبته لها وقد اشرنا الى مثل ذلك في محلّهِ *

ولما كان المؤلف القدّيس لكثرة علمهِ باحتياج

الانسان الى تلك الفضائل الثلاث لا يزال في بقية مقالاتهِ يعيد ذكرها ويقدّم لنا نصائح جليلة تحثّنا على ممارستها ورياضات حميدة تساعدنا على التدرّج فيها بيد انهُ يوجّه كلامهُ هناك الى اخوتهِ الرهبان خاصةً . رأينا ايضاً ان نحذف من هذا المجلّد ومن التابع لهُ كلّ ما يختصّ بصنف من الرهبان دون غيرهم لكي يعمّا بفوائدهما جميع المسيحيّين وقد عوّضنا عمّا حذفناهُ من هذا المجلّد ببعض فصول جمعناها من المجلّد الخامس لما لها من كبير علاقة مع التي اضفناها اليها وسنعوّض عمّا اخذناهُ من المجلّد الخامس بما نراهُ مناسباً في محلّهِ *

فاليكِ ايتها النفس التقيّة مجلّداً رابعاً من منتخبات تحاكي روضةً جمعت فيها اشهى الزهور واطيب العطور او هي جنّة للختن السماوي يدعو

اليها عرائسهُ الحكيمات ليحصدن فيها مرَّة مع أطيابهِ ويأكلن شهدهُ مع عسلهِ ويشربن خمرهُ مع لبنهِ . فخذي كُلي يا خليلة المسيح واشربي واسكري يا حبيبة يسوع (نشيد ٥) . دونك اثمارًا يانعةً وفواكه ناضجة فاقطفي منها ما يبرّد غليل عطشك ويشفي حُرقة ظمإك الى البرّ والقداسة . واعلمي وتحقّقي انّك ان اكثرت من مطالعة هذه المنتخبات النفيسة وعملت بموجب تعاليمها ومشوراتها الجليلة فبواسطة النعم السماويّة التي تأهبك لقبولها . تصبحين لا محالة في مدة وجيزة عروسة شهية كاملة جميلة في عيني ختنك الالهيّ الذي يقبلك في اخادره السماويّة مع زمرة عرائسهِ البهيّة « فيروبك من دسم بيتهِ ومن وادي لذّاتهِ يسقيك . لان ينبوع الحيوة عنده » (مز ٣٥ : ٩ و ١٠)*

LES

TROIS TABERNACLES

كتاب

المظال الثلاث في مقاومة الذات

وهو

الكتاب الثامن

من مُنتَخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

توطئة

جآء في الانجيل الطاهر انّ ربّنا يسوع صعد ذات يوم الى جبلٍ عال وتجلّى هناك واذا موسى وايليا ظهرا لهُ . فقال بطرس ليسوع : ان شئت نصنع هنا ثلاث مظالّ لك واحدة ولموسى واحدة ولايليّا واحدة (متى ١٧)*

فكلّ مظلّة من هذه المظال الثلاث تشير الى احدى الفضائل التي تلألأت اكثر من غيرها في يسوع وموسى وايليّا . فمظلّة يسوع تشير الى تواضعهِ العجيب ومظلّة موسى تشير الى صبرهِ الجميل ومظلّة ايليا تشير الى غيرتهِ الغريب *

ما احسن وما اشهى السكنى تحت هذهِ المظال . ليتني اتخذ لي مظلة صغيرة بين هذه المظال النفيسة وادعو اليها يسوع ربي لكي يعلّمني فيها هذهِ

الفضائل السامية .

تكلّم يا رب فانّ عبدك يسمع . أرني برحمتك الغير المتناهية قداسة الفقر ونعمة التواضع وقوّة الصبر *

ان كنت معنا فمن ذا الذي يقوم ضدّنا . اني اتبعك يا رب الى حيث تمضي ان اردت ان ترشدني في الطريق . « اني ولو مشيت في وادي ظلال الموت لا اخاف سوءا لانّك معي » (مز ٢٣ : ٤) *

ومع ذلك فاني اعترف للربّ باثمي ولم اكتم له خطيتي علّني انال من هذا الطبيب الصالح مرهم التعزية *

المقالة الاولى

في الفقر

١ : انظر يا رب الى ضعفي ومسكنتي . أَمِل اذنيك اليَّ فاطلعك على سوء حالي . ها اني اطلب الراحة وانت تفرض عليَّ الشغل . اني اتوق الى الرفعة والشرف وانت تقدِّم لي احقر الاشياء . اني التمس الغنى والتنعمات وانت تشير عليَّ بالفقر والفاقة *

٢ : اهذه هي حقًّا اقاويلك ومشوراتك يا ربّ فان كان الامر كذلك فكيف اغصبُ ذاتي لكي اعمل بموجبها *

قال الرب : احببني فلا تعود تشعر في باطنك بقلق واضطراب . ان شدائد الفقر باسرها تبيد بسهولة بنار محبّتي . ومن يحبّني يسرّه ان

يشاركني في فقري ومسكنتي . لانّ احمال المحبّة خفيفة ومن يقتات بخبز المحبّة لا يستثقل شغلاً *

يا ما احسن اقوالك يا ربّ . فليكن لي كقولك . انك قد اعطيتني المشورة فاعطني ايضاً معونتك . حوّل اللهم كلّ ما يستصعبهُ جسدي الى حلاوة وعذوبة وخفّف جميع اثقالي *

٣ : « ليبتهج جسي بالالّه الحي . وانتهلل روحي بالله مخلّصي . ما اصلح الله لاسرائيل . لانقياء القلب . احبّك يا رب قوّتي . الرب رُكني وحصني ومنجّيّ » (مز ٨٣ : ٣ . لو ١ : ٤٧ . مز ٧٢ : ١ . مز ١٧ : ١) .

اني ساحبّ ايضاً الفقر المقدّس والتواضع والصبر اقتفاءً باثرك واثر قدّيسيك . فلتكن فضيلة الفقر من الآن فصاعداً ثروتي والتواضع مجدي والصبر راحتي *

٤ : ليشتغل بالي بذلك ابداً ولتكن مسرّتي

فيما يطلبهُ الروح لا غير « لانَّ الجسد لا يفني
شيئاً » (يوحنا ٦ : ٦٤) . ليكن نعيمي في تلك
الفضائل كنعيمي في جميع الكنوز ولا تستميلنّي
اليها طرق الاغنياء المتجرفين العائشين في
الاسراف . لانَّ هؤلاء سوف يسقطون في يومهم
وآخرتهم تكون في خزي . اما انا فسأفرح بالرب
وتهلل روحي بيسوع الهي الذي صار لي مثالاً في
الفضائل الفقر والتواضع والصبر *

٥ : قال الرب : اني اراك راغباً في تعزية
اقوالي وفي التفقه في هذه الثلاث الفضائل ولهذا
اريد ان أعمل بطيبةٍ ما تطلبهُ . ولنبتدئنّ بفضيلة
الفقر التي تبين لي انها مبداهنّ . فيا ليتك ترسم
في قلبك هذه الفضيلة المغبوطة التي اعدُّها من
اقدس الفضائل وتبالغ في حفظها *

اني سمعتك تتنهد ورايتُك تغصّ بفقرك فساءني

ذلك ولم استحسن ما سمعتهُ منك *

اني قد اخترت فضيلة الفقر وخنمت عليها كختمي على كنوزي . قُم اذهب مع الرعاة الى بيت لحم وشاهد الكلمة المتجسّد والموحى لك . تفرّس في الفقر هل ينقصهُ شيء هنالك *

انظر الى فقري فلا ريب ان فقرك يبين زهيدًا جدًّا بل كلاشيء بازائهِ . فشتّان بين فقرك وفقري . انني لم أَخجل مع كثرة غناي الذي لا يعوزني معهُ شيء من اكون فقيرًا منفيًّا في هذا العالم انما ذلك كلّهُ لاجلك . اما انت الفقير العريان الذي لم يأتِ الى هذا العالم بشيء فانك لا تعتبر هذه الاعتبارات . فامنع عنك التشكّيات وحسبك تسليةً ان تُمعن النظر في فقري *

لا ينبغي لك ان تتنعّم في هذا العالم بكثرة المال والافراح لكن في العالم الآتي . فهنالك

« يأكل المساكين ويشبعون » هنالك يستبيني كلُّ من طلبني في الفقر المقدَّس *

انَّ خدَّام الله لا يفرحون بالخيرات الحاضرة ولا يتشبهون ببني الدهر في زهوهم وأبهتهم لكنهم يحتقرون كلَّ افراح العالم ويطلبون افراح فقري. لانَّ فقري وتواضعي يفعمان قلوب الذين يحتقرون غنى الدُنيا فرحاً *

لعلَّك تتمنى ان تلبس البرفير والارجوان مع الغني وتجلس كلَّ يوم على مائدة فاخرة . لكن احترز ان يصيبك نظيرهُ عذاب الجحيم الابدي لان حكمي هو هذا : « انَّ اعمالهم تتبعهم » *

٦ : لابدَّ لك من احد امرين : امَّا ان تحتمل الفقر بصبر الى حين . وامَّا ان تسقط من عداد فقرائي . اني أريتُ الفقراءَ طريقاً واضحةً وفتحت بابي للحزانى قارعيهِ . ورفعت من امام المتواضعين

جَزَ ملكوتي وجعلتهُ امام الاغنياءَ *

ان كنت تريد ان ترى الداخلين الى ملكوتي فافتح عينيك وانظر فانهُ * مات المسكين فاخذتهُ الملائكة الى حضن ابراهيم * (لو١٦ : ٢٢) فاسالك أَشهيّةٌ هذه الرؤية *

نعم انّها لَشَهيّة وتوقظ جميع اشواقي ولكن كيف استطاع ذاك الفقير ان يصعد الى هناك ومن يقدر ان يتبعهُ *

يا بُنيّ اذكر ان هذا لعازر المسكين كان كثير القروح وقد اشتدّت عليهِ البلايا وكان مطروحًا على باب الغني يتضوَّر جوعًا وعطشًا . وقد احتمل كثيرًا لاجل اسي فلذا استحق الدخول الى ملكوتي *

فاقتدِ بهِ إن شئتَ . لاني قد سُررتُ بفقرهِ وصبرهِ ولذا كانت نفسهُ شهيّة لديّ . فاذهب

واعمل كذلك *

الحقّ اقول لك : انّك إن لم تتُب وتصر مثل لعازر او كأحد فقرائي لا تقبلك الملائكة في السمآء. انّ ملكوتي لا يدخلهُ احدٌ إن لم يكن طاهرًا . ومن كان غير طاهر يطهّرهُ ابي في بِركة الفقر ويغسلهُ بمآء التجربة واذا طهُر على هذا النوع يدخل مقرّ القدّيسين عقيب موتهِ *

٧ : أفهمت هذه الحقائق كلّها ؟

نعم يا سيّد *

والان ماذا اقول . لقد أتت الساعة وهي الآن حاضرة فيها لا يعودُ كثيرون يذوقون لذّة هذا التعليم الواهب الخلاص . بل كلّ واحد يتمنّى لو انهُ يحقّق آمالهُ فيما يظنهُ جالبًا لهُ الفرح والراحة *

انّك إن كنت ترذل فقر يسوع المسيح فانت

لانعرفهُ تعالى جيدًا لذلك فاسمعني اقول لك ايضا *

انها لَحبيبتي فضيلة الفقر التي احببتها في الغاية وعانقتُها معانقةً شديدة واكثرتُ من وصيتي بها لاحبائي اما الآن فانها قد اضحت غريبة لكثيرين بحيث انها لا تكاد تجد مكانًا تستقرّ فيهِ. واذا ارادت بعض الاحيان ان تحلّ عند البعض. فانهم عند مشاهدتهم محبتّها لأحقر الاشياء واغلظها لا غير يستولي عليهم نوعٌ من الهلع لرغبتهم في لذيذ الاطعمة فلا يلبثون ان يقولوا لها ابتعدي عنّا اننا لا نريد ان نسلك في طريق تعاليمكِ لانّكِ غير ملائمة لأهوائنا. أن طُرقكِ صعبة وسُبلكِ مرّة في الغاية فلماذا أتيتِ الينا. انّكِ اتيتِ لتقتلينا نحن ومواشينا. يريدون بذلك جسدهم *

٨ : فهذا ما يقولهُ هؤلآء الناس عن فضيلة

الفقر وبهذا الكلام يفرّقونها . وانا اعلم انّها لم
تقصدهم بنيّة سوء انما بامر الله قد دنت اليهم
لتشفي جروح خطاياهم وتغذّي فضائلهم *

انّ داود النبي كان يفتكر بخلاف ذلك اذ
قال : « قد هيأتَ قدّامي مائدةً مقابل الذين
يخاصمونني (مز ٢٢ : ٥) قد هيّأتها بجودتك
للفقير يا الله » (مز ٦٧ : ١١) وزاد قائلاً في
فرحهِ : « امّا انا فمسكين وفقير (مز ٣٩ : ١٨)
الفقيرُ والبائس يسبّحان اسمك » (مز ٧٣ : ٢١)
اما الرب فانهُ يقول لفضيلة الفقر حبيبتهِ : لا
يسيئنّكِ كلام هؤلاء فانّهم ايّاي يرفضون لا اياكِ
اذ انّ من يحتقركِ يحتقرني ومن يقبلكِ يقبلني *

انّني لاعلم ان الجميع لا يحبّونك إن لم اقُل
يطردونكِ غالبا ويشتمونك . وانّهم يفعلون كلّ
ذلك بكِ لانّهم لا يعرفونكِ ويجهلون قدرك قبلي .

فلا تخافيهم . اني انا الذي اخترتكِ . وقد ابتغيتكِ واعتبرتكِ اثمن من جميع الكنوز وأعذب من جميع الملذّات . ها اني الذي طلبتُكِ منذ صباي ولم اهجركِ حتى في ايّام شيخوختي . بل ولا في اواخر شيخوختي ايضاً *

٩ : يا جميع عابري الطريق قفوا وانظروا هل من فقر كفقري . اقتربن هنيهةً * يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجتهُ بهِ امّهُ * (نشيد ٣ : ١١) انظرن كيف وضعتهُ في مذود وهو المالك منذ الازل في حضن الآب . وكيف لفّتهُ بقمط وهو الضابط بيمينهِ السماء والارض *

انظرن الى قمطي والى البسة طفوليّتي واذا كنتنّ قد رأيتنّ احداً شبيهاً بي فهلمّ انكرنني مع فقري . ها انّ العلامة التي اريتكُنّها وبشّرت بها

الملائكة قد ظهرت على الارض وقد صنعتها مريم العذراء كما رأيتنَّ *

فيا ايها الجهلاء حتى متى تكرهون الفقر وقد وُلد لكم صبيٌّ وطفلاً أُعطيتم *

انَّ هذا الكلام كلَّهُ هذيان في أعين الاغنياء وعارٌ في اعين المتكبّرين بيد انَّهُ حكمةٌ عظيمة ومجد رفيع لديَّ ولدى مختاريَّ *

اعتبروا ايضاً بقيّة اعمال حياتي. فاني صُمت اربعين يوماً واربعين ليلةً ولم آكل شيئاً غير اني جعتُ في آخر الامر. فهذا ما صنعتهُ انا. وهذا هو الصوم الذي صمتهُ وتحمَّلتهُ الى النهاية. فمن ذا يقدر ان يكافئني على هذا الاجتهاد ومن يستطيع ان يتبعني ولو عن بعدٍ. فكلُّ من يقدر على ذلك يكون حبيبي *

ثم لمَّا أعييتُ من تعب الطريق جلست على بئر

وطلبتُ ماءً من امرأة سامرية قائلاً لها : « اعطيني لأشرب » . قد طلبتُ الماءَ لأشرب انا الذي أُعطي الخمر للناس وقد حوّلتُ قبل ايام الماءَ خمراً . وقد كان تلاميذي قد ذهبوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً فعند عودتهم قالوا لي : « يا معلّم كُل » فقدّموا لي الطعام نقدّمهم اياه لفقيرٍ يتضوّر جوعاً كلّ ذلك لأُظهر فقري للعيان فيعرف الناس الفاقة العُظمى التي صرتُ اليها لاجل خلاصهم *

فالآن إن كنتم تحبّوني فاتبعوني فأُريكم ايضاً اشياءَ اعظم . اني علّقت على الصليب عرياناً فقيراً ولم إملك في حياتي كلّها شيئاً يُذكر وهاءنذا الان مسمَّر على خشبة العار وحيداً عرياناً مجرّداً من كلّ شيءٍ . فايّ انسان يفوقني فقراً انا الذي لم اجد احداً يساعدني *

فينبغي لكم يا بني البشر ان ترسموا هذه الاعمال

في قلوبكم وتمعنوا فيها النظر لانّها جديرة بان تضرم فيكم نار حُبّ الفقر المقدّس *

ألا انظري يا فضيلة الفقر حبيبتي باسيّ اقوال وامثال رفعتُك . ومن اشبهك ايضاً يا خايلني . انّك تشبهين أُولئك الناس الذين يفرحون بالروح القدس ويقولون : « كأنّا فقرآء ونحنُ نغني كثيرين . كأنّا لا شيء لنا ونحن نملك كلّ شيء (٢ قور ٦ : ١٠) نحن ضعفاء ومهانون من اجل المسيح (١ قور ٤ : ١٠) نعدّ كلّ الاشيآء اقذارًا لنربح المسيح » (فيلب ٣ : ٨) . فيا لها مشابهةً محكمةً قلَّ من يعمل بموجبها *

١٠ : اني اتذكّر الان فرنسيس عبدي المسكين الذي احبّ الفقر حبًّا شديدًا . اجل ان هذا العبد الامين في الغاية قد احبّ كثيرًا فضيلة الفقر بحيث انهُ كان يدعوها عند فوران

قلبهِ قرينتهُ . وقد أحبّها هكذا الى نهاية عمرهِ *

ولذا فهو اليوم ممتلئٌ فرحًا في ملكوتي لانهُ أحبَّ فضيلة الفقر في هذا العالم محبةً مقدسة فلم يُحرَم فرحها . بل كان يبادر اليها ويسلّم عليها باحترام ومودّة بهذه الاقوال : « مرحبًا بكنّ ايتها الفضائل الفقر والعفّة والطاعة سيّداتي » *

فهذا ما كان في خاطري ان اقولهُ عن القدّيس فرنسيس المتواضع (١١ و ١٢) وماذا اقول عن فقر مار مارتينوس القدّيس الفضيل الذي استحقّ لعظم حبهِ لفضيلة الفقر ان يُدعى الصغير والمسكين *

واعلم يا هذا ان فرح القدّيسين قائم بهذه الفضيلة . فلا تستقبح اذن عيشهم القشف الشظف . وقد جآء في مديح مار مارتينوس انّ ابراهيم قبلهُ بفرح في حضنهِ والملائكة بشّت بقدومهِ ودخل

السماء غنيًّا بالخيرات الروحيّة مع انهُ كان يُدعى في دنياه فقيرًا مسكينًا *

أجل انّ فقرهُ كان شاقًّا وذلّهُ صعبًا بيد انّ دخولهُ الى السماء اضحى عذبًا وسارًّا للغاية *

واليك قدّيسًا آخر أحبّ فضيلة الفقر حبًّا شديدًا الا وهو القدّيس مار اوغسطينوس ملفان الكنيسة وحبرها الجليل . فانّ هذا القدّيس المجيد لم يعمل لهُ وصيّةً أخيرة لعدم امتلاكهِ شيئًا يكون مادّةً للوصيّة *

ويوجد قدّيسون آخرون كثيرو العدد قد أحبّوا الفقر غاية المحبّة ولو ذكرتُ لك اسماءهم لطال بنا الكلام *

١٢ : ولي كلامٌ كثير واحكام عديدة في الاغنياء بيد انهم لا يسمعونني . فاليكم ايّها الفقراء اوجّه كلامي فاسمعوني انتم لانكم من نعاجي *

« لا تخف ايها القطيع الصغير لانهٔ قد حسُن لدى ابيكم ان يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) . حقاً انكم تعيشون الان عيشاً شظفاً . بيد انكم سوف تقبلون خيرات جزيلة إن احببتموني في فقري *

انكم ان احببتموني سوف تتهلّلون فرحاً لاني اتيتُ الى هذا العالم لأُبشّر المساكين . انّي لمّا كنتُ في العالم احببتُ الفقر وأبغضتُ الغنى لانّ الغنى ليس من ابي لكنهُ من العالم *

انّ من يكون غنياً في هذا العالم يسقط في فخاخ الشيطان وفي تقلّبات اهوآء القلب ويتعسر عليهِ الدخول الى ملكوت السماوات *

« انّ مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يحاربون عني » . (يوحنا ١٨ : ٣٦) فترون ان مملكتي ليست من

هنا بل انّي صرت عبدًا وخادمًا للجميع اذ انّي لم آتِ لأُخدَم لكن لأخدِم وابذل ذاتي فداءً عن كثيرين *

فانصتوا يا فقرآئي الى اقوالي بانتباه وتعلموا منّي فاني صرتُ فقيرًا قبلكم . لتنشرح صدوركم بفقركم كما ينشرح صدر الغني بغناه . افرحوا وتهلّلوا فانّ اجركم عظيم في السماء لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فانّي انا الذي اكلمكم *

اعملوا بشجاعة وامتلئوا قوّةً انتم جميعًا الذين عزمتم على ان تتصاحبوا مع فضيلة الفقر المقدّسة اثبتوا فيها فاكون معكم . لا تبكوا ولا تحزنوا لانكم محرومون من الغنى بل افرحوا في الربّ الهكم لانكم احتقرتموه وصرتم فقراء يسوع المسيح *

١٤ : فيا ايّها الفقر المقدّس الحقيق بالثناء بايّ مديح اعظمك وأُبجّلك وكيف اسميك وبايّ

وسيلة أُوصي بك اصدقائي *

فيا ما أعجب المثال الذي أعطيته لجميع اخوتي الموجودين في الفاقة من اجلي اذ صرتُ انا بذاتي فقيرًا ومحتاجًا لاجلهم . غير اني أُشفق مع ذلك من ان يعاملك كثيرون معاملة الغريب فهلمّ ارسلك الى اعزّ خادماتي واكثرهنّ شهرةً *

امكث عندها مدّةً من الزمان شان منفيٍّ حتّى ياتي زمان افتقادك وفي ذلك اليوم تكون مجيدًا جليلاً ولا تعود تُدعى الباكي لكن تدعى حبيبي وتكون في يدَي الملك مثل اكليل مجيد وتاج بهي وتلمع كالشمس في ملكوت ابي وتكون في عينيّ حسينًا كالقمر *

ولكن ينبغي لك ان تحتمل كثيرًا لاجل اسمي وتدخل ملكوت السماوات بشدائد كثيرة . واياك والفشل من اجل ذلك . « لانّي انا معك في

لحزن أنقذُك وأُمجِّدك * (مز ٩٠ : ١٥) *

١٥ : فسِر اذن بحسب مشورتي الى المكان الذي أُريكهُ . واني اعلم انّ سيّدة ذلك المكان ستقبلك باسمي وتُحسن مثواك . اني متيقّن ذلك لانّ واحدًا من اجلّ خدّامي قال لي انّ سيرتها المقدّسة توافقك في كلّ شيء وبدونك لا تقدر ان تكون كاملة ولا ان تحيا وحدها زمنًا مستطيلاً *

فقومي يا فضيلة الفقر حبيبتي العزيزة وهلمّي *

— الى اين يا رب ومن يريني الطريق *

— انّكِ لتسلكين فيَّ فتبلغين عاجلاً منزلها لاني . « انا هو الطريق »

— وما هو يا رب اسم هذه الخادمة الجزيلة القداسة التي اسمعك تطنب في مديحها . أجبني يا رب . ومتى عرفتُ اسمها نهضت وبادرت اليها . ولما أنتهي اليها أُحيّيها بالسلام واقول لها : افرحي

وتهلّلي يا بنت صهيون وابنة العلي المباركة لانّ الربّ قد ارسلني اليكِ *

١٦ : لماذا تسأليني عن اسمها . انهُ عظيمٌ في عينيَّ وكريمٌ للغاية في أعين خدّامي الا وهو التواضع . انّ الملائكة والبشر يوقّرون قداسة هذهِ الفضيلة وقدرتها واياها عنى من قال عنكِ : انّ الحكماء يجعلون دائمًا فضيلة الفقر حارسًا للتواضع *

فهذهِ هي الخليلة التي كلّمتكِ عنها . هذه هي نعمي الدائمة الجمال . هذه هي حبيبتي على الدوام وقد احببتها نظيركِ منذ البدء . فاحسني الاحتفاظ بهذه فضيلة التواضع التي احبّها قبل كلّ شيء في قدّيسيّ *

اني ما اريد ان تتركيها لانّكِ اذا تفكّرتِ فلا تجدين احدًا في العالم يشابهكِ اكثر منها ولا تقدرين ان تساكني احدًا غيرها مدّة طويلة براحةٍ وسكينة *

انّ الجميع يتركونكِ ويحتقرونكِ غير انّ التواضع الحقيقي وحدهُ يقبلكِ في منزلهِ . انكما اختان شقيقتان فينبغي لكما اذن ان تسكنا معاً *

ان الفقر الذي يجهل التواضع ويحتقرهُ لا يُطوَّب بل لا يسرّ الله بتواضعٍ يحتقر الفقر فليكن لكما قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدة في الله . لا تستخصا بشيء بل ليكن كلّ شيء مشاعًا بينكما الطعام والثياب وسائر احتياجات الجسد *

انّ ثيابكِ كثيرًا ما تلوح لك خشنة رثّة غير انَّ التواضع لا يحتقرك من اجل ذلك . ويعرف ان يبرّز من خلال ظاهرك باطنكِ البهيّ في عينيّ ان كنت لا تخجلين من حالتك *

ان الخجل من خشونة اللباس كبرياء خفيّة ومن طلب الافتخار بتلك الخشونة كان لباسهُ رياءً ...

ثم انّ مائدتكِ لا يوضع فوقها من الاطعمة سوى ما كان ضروريًّا وبسيطاً في الغاية . غير ان التواضع يبتهج بالجلوس على مائدة كذا من اجل اسمي وهو قائلٌ : « اني اعرف ان اعيش في الترفّه واحتمل الفاقة . وفي كلّ وقت ومكان اراني ممتلئًا قوّةً . وانا اقوى على كلّ شيء بالمسيح الذي يقوّيني » . (فيلب ٤ : ١٢) *

١٧ : ولكن اعلمي عند قرآءتك هذا الكلام انّ فضيلة الفقر تعرف ان ترفق بالضعفاء والمرضى . وتقدّم شدّاتها وصعوباتها للاقوياء لكي تسهّل لهم النمو في الفضيلة . ولذا تتفرّغ غالباً للعمل والتعب ولا تاكل خبزها في البطالة لكي تكمل فيها هذه اقوال الرسول وغير اقوال تشبهها : « انّي لم اثقّل على احدٍ لكنّي اشتغل الليل والنهار ولم آكل خبز البطالة » *

بيد ان فضيلة التواضع تتشكى هي والفقر من البعض فتقول : « انّ الكبرياء قد استولت عليهم لانّهم لم يشاركوا الناس في اتعابهم ولم يخضعوا مثلهم للنكبات » . ولمّا تشاهد اناساً قياماً في الاسواق بطالين تبكّتهم بهذه الاقوال : « ما بالكم واقفين ههنا النهار كلّهُ بطّالين . امضوا انتم ايضاً الى كرمي وانا اعطيكم ما يحقّ لكم » (متى : ٢٠) *

انّ فضيلة الفقر تعتبر مَهْد راحتها بمثابة فراش رديء فقد تضطجع على الحضيض او على التبن او على حصير . وكذلك التواضع فانّهُ لا ينام على وسادة ناعمة ولا على فراشٍ وثير بل يرفض كلّ ما هو من العالم رفضاً تامّاً . وقد قرأ ان يوحنا كان لابساً وبر الابل وان الذين يلبسون الناعمات هم في قصور الملوك *

وقد سمع عنّي ما نصه : « انّ للثعالب اوجرةً ولطيور السماء اوكارًا وامّا ابن الانسان فليس لهُ موضع يسند اليهِ راسهُ » (متى ٨ : ٢٠) *

١٨ : انّ فضيلة الفقر لا تملك عبيدًا ولا إماءً ولا ارضًا ولا قصرًا ولا شيئًا مما ينال الانسان منهُ جاهًا وراحةً في دنياه والّا فلا تكون فضيلةً . وكذلك التواضع فانهُ لا يملك شيئًا من تلك الاشياء ولا يرغب فيها . لكنهُ يطلب الاقتداء بابن الله فيقول : « ما أتيت لأُخدَم لكن لأَخدم . اني عبدُ يسوع فلا يجوز لي التآمر . وأجمل عنوان لشرفي ان اكون اسير يسوع المسيح . وقد أقسمتُ ان لا أخدم غير خالق جميع الاشياء فكيف يسوغ لي التفرّغ ولو ساعةً من الزمان للاهتمام بتلك الخيرات الباطلة العابرة . فليبتعد عنّي وعن منزلي كلّ الذين يرغبون في شيء غير الفقر والسذاجة *

لقد رايتِ يا فضيلة الفقر حبيبتي كيف انَّ فضيلة التواضع الشريفة (ان احببت ان يُعطى لها هذا النعت) نطلبكِ وحدها وتقبلكِ بفرح . امّا غيرُها فلا يعرفكِ البتةَ · وستبقين على ظنّي مجهولةً زمناً طويلاً . فلا تقلقي من جرّاء ذلك بل اذكري اني انا ايضاً كنت مجهولاً لدى الاكثرين . فان كانوا قد طردوني فسوف يطردونكِ وان كانوا قد ابغضوني فسوف يبغضونكِ ايضاً *

تذكّري قولي هذا : ما من عبدٍ اعظم من سيّدهِ · واجعلي قوّتكِ وتسليتك في التواضع والصبر *

اجابت فضيلة الفقر بلسان افضل الفقيرات وقالت للربّ : انا أَمتك فليكن لي كقولك . انك قد تكلّمت مع أَمتك فمن ابن لي هذا ان اجد نعمةً كذا في عينيك · فيا ما اكثرك رافةً ورحمةً .

انك تعرف الغريبة وتبارك الارملة ولا تترك
الحزينة *

١٩ : انّ قلبي يكاد يطير فرحًا حين أتذكر
انّ عزّةً نظير عزّتك لا تستنكف من النظر اليّ
انا الضعيفة · وانّ عظمةً لا عظمة ارفع منها
ترتضي ان تطلبني انا الذليلة المرفوسة بالارجل ·
وانّ ملكًا غنيًّا وقديرًا بهذا المقدار يرتضي ان
يحبّني انا العريانة من كلّ شيء *

ومن يقدر ان يصنع هذه المعجزات غير غنى
جودته واحشاء رحمته وعذوبة محبّته الغير الموصوفة ·
انّ تنازله الى ذكري وارساله ايّاي الى الاخير بين
خدّامه هما احسانٌ جليل في الغاية بيد انّه لم
يكتفِ بذلك · فتراهُ ينهض من عرشهِ الملكي
ويبادل فقري بعظمتهِ السنيّة ويظهر للناس بشبه
أفقرهم : « قد اخلى ذاته آخذًا صورة عبد خاطئ

واطاع حتى الموت وصُلب لخلاص الجميع وهو المنزَّه عن كلّ اثم وليس للموت شيءٌ عليهِ». فصار شبيهاً بي في كلّ شيء في العمر والعيشة والعشيرة اذ انهُ صار طفلاً صغيرًا فقيرًا ولم يختر لهُ اهلاً بين الاغنياء والعظماء بل بين الفقراء والمساكين *

فيا ما اعظم ما اجد في يسوع المسيح من المجد والكرامة والرجاء والتعزية. تعزَّ يا شعبي تعزَّ يقول الرب الملك. وما شعبُ الله الّا فقراؤهُ اما الاغنياء فليسوا بشعبهِ *

٢٠ : « ويلٌ لكم ايها الاغنياء لانكم قد اخذتم عزاءكم » (لو ٦ : ٢٤) وقال الرب ايضاً : « طوبى للمساكين بالروح فانّ لهم ملكوت السماوات » (متى ٥ : ٣) *

فسواءٌ كلّ ما عُني بهذه الاقوال الفقر الروحي ام الفقر الجسدي فمما لا ريب فيهِ انها تثني في كلا

الحاملين على الفقر الاختياري وتوصي بهِ : « انظروا لا تحتقروا احد هؤلاء الصغار المومنين بي الصائرين مساكين باسي . لانّ الرب الاله يقول . انا هو ابو المساكين وقاضي الايتام والارامل . قد سمعت بغية المساكين ورغائبهم الباطنة وتذلّلهم فلا تحزنوهم ولا تضروهم مكرًا او كرهًا لانّي انا المنتقم لجميعهم . فلا تطلبوا تكديرهم لانّهم خاصّتي *

فاين انتم الآن يا فقرائي . أما سمعتم صوتي . انظروا كيف انهُ يشهد لكم لكي تحبّوا فضيلة الفقر حبيبتي وتودّوها *

٢١ : اني ادعو فضيلة الفقر حبيبتي لاني رفعت شانها للغاية بواسطة جميع اعمال حياتي . فليتعلّم اذن جميع ملوك الارض وامرائها ان لا يحتقروا هذه الفضيلة بل بالاحرى ان يعانقوها ويكرّموها كفضيلة رفيعة قدّسها ملكُ السماء والارض

ومالك الملوك في مذودهِ *

ان كنتم لا تومنوا باقوالي فآمنوا باعمالي . اذهبوا وانظروا الموضع الذي وُضع فيهِ الرب . فسواء كنتُ في المذود ام في القبر فانا هو يسوع المسيح جسّوا وانظروا . ليس لي غنى ولا ملذات بل قمط وكفنٌ *

فآمنوا اذن واعتقدوا بانّي فقيرٌ وأحبّوا فقري . انّ ما فاتهُ كافٍ لمديح فضيلة الفقر الحقيقة حقًّا بجميع اكرامات عبيد الله ومحبتهم اذ ان الله نفسهُ وجميع القدّيسين آثروها على غنى العالم باسرهِ *

المظلة الثانية

في التواضع

١ : لنتتبّع كلامنا ولننتقل الى فضيلة التواضع اذ انّ هذهِ الفضيلة إِن لم تكن مقرونة بالفقر لا يكون الفقر شهيًّا لديهِ تعالى *

فارتضي ايّها الرب الهي وكلّمني ايضاً عن التواضع كما كلمتَني عن الفقر. انّي اعلَم انّ الاسفار المقدّسة لا تزال توصي بفضيلة التواضع بكل الانواع وانّ هذه الفضيلة قد تلألأت فيك اكثر ممّا في غيرك تلألُؤًا عجيبًا *

فمن ذا يستطيع ان يعلّم التواضع الحقيقي ويبيّنهُ احسن من الهٍ صائر انسانًا. فلذلك يا ربّ اسمعك تقول للجميع بصوتٍ جهورٍ : « تعلّموا منّي فاني وديع ومتواضع القلب » فاذا لم يكن في

التواضع الحقيقي نموذجٌ غيرك انت يا يسوع ربي. واذا لم يكن لي داعٍ للتذلّل والتصاغر غيرك. فانت وحدك نعم انت وحدك تكفي *

فمن اتبع انا إن لم اتبعك وبمن اؤمن ان لم اومن بك ومن يستطيع ان يقنعني بانّ التواضع هو طريق السمآء ان لم يُقنعني بذلك الآتي من العلآء. فحتّامَ يا نفسي تكونين جاهلةً ولا تزالين تسلكين طرقًا معوجة. وتتيهين هنا وهنا ولا تدركين الحقّ ابدًا *

٢: ألا دونك الطريق الذي هو التواضع. فليس طريقٌ غيرهُ. « انا هو الطريق والحق والحيوة » *

تصاغري يا نفسي وتواضعي فيكون يسوع حيانك. لا تلتفتي الى اقوال الناس لكن انظري الى ما يقولهُ الرب يسوع للمتواضعين: « لا تخف

ايّها القطيع الصغير فانّ اباكم قد سرّ ان يُعطيكم الملكوت *

وقال في محلّ آخر وهو يتهلّل بالروح القدس: « اعترف لك يا ابتِ ربّ السماوات والارض لانّك أخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال نعم يا أبتِ هكذا صارت المسرّة قدّامك » (لوقا ١٠ : ٢١) *

« وماذا تقولين عن المسيح . حقًّا انّ هذا الرجل كان ابن الله » *

فان كان ابن الله لم يشأ ان يملك شيئًا في هذا العالم وقد خلق مع الاب كلّ شيء فما تطلبين انتِ وماذا تحبّين ايضاً في هذه الدنيا . خافي من ان يُقال لكِ يوماً هذا الكلام : « انّكِ من العالم » *

ان الرب يسوع اذ كان مع تلاميذه وحضرت ساعة آلامهِ أراد ان يُعطي تلاميذه مثالاً في التواضع

الكامل والحبّ المتبادل فقام عن العشاء وترك ثيابهُ ثم صبَّ ماءً في مطهرةٍ وأخذ يغسل أرجل تلاميذهِ وقال لهم: هل تعلمون ما صنعت بكم. انتم تدعونني معلماً وسيّداً وحسناً تقولون. فاذا كنت اذاً انا السيّد والمعلّم قد غسلتُ ارجلكم فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم اقدام بعض. لاني اعطيتكم مثالاً لكي تكونوا كما صنعتُ انا بكم تصنعون انتم ايضاً » (يوحنا ١٣) *

فيا لهُ نموذجاً في تواضعٍ سامٍ رفيع. انّ الله يصير خادماً للبشر امّا الانسان فيابى الخضوع لانسانٍ مثلهُ بل لله نفسهِ *

فليخزَ المتكبّرون وليرتعدوا لانّهم احتقروا كلام الله *

٣ : أجل يا رب انّك قد غلبتنا بتواضعك وأخزيتنا في كبريائنا وقد اكتسى وجهنا العار *

قال الرب ما الذي وجب عليَّ ان اعمله لاجلك ايها المتكبّر ولم اعملهُ ولماذا تنظر اليَّ . أتظنّ انك افضل مني . انك لو لم تظن ذلك لكنت تواضعت ولذا كبرياؤك لا يزال الان يتصاعد *

توبوا يا بني البشر ولا تطلبوا العلياء فاني لا اكون معكم . انكم إن ارتفعتم سقطتم امام اعدائكم فيضحكون منكم فتعلمون اني اقاوم المتكبّرين *

تواضعوا تجاه يديَّ القديرتين فارفعكم لانَّ « من يتّضع يرتفع ومن يرتفع يتضع » *

كثيرون احبّوا الارتفاع فسقطوا كالحجر في عُمق الهاوية : فرعون غرق مع مركباته في البحر الاحمر . آدم طُرد مع حوآء من الفردوس الارضي . الملاك المارد سقط مع تبعتهِ من السمآء . فهولآء باجمعهم تدهوروا في هلاك الموت الابدي لانهم

صعدوا على جبل الكبرياء *

واحسرتاه يا ربُّ واحسرتاه · من يستطيع الوقوف امام شدّة رجزك وغضبك · انك قلبتَ المتكبّرين اذ كانوا يرتفعون · سقطت بابل وكان سقوطها عظيمًا · فماذا اعمل انا التعس والى اين اهرب · اني ارجف وارتعب لانّ الله لم يصفح عن الملائكة ولا عن البشر حين تكبّروا · فالويل لي انْ تكبّرتُ مثلهم · والويل لي ثمّ الويل ان لم اتذلّل واتصاغر *

٤ : فمن يُريني الطريق التى يمكنني السلوك فيها آمنًا وسالمًا من الخطر · قال الربّ : « انا هو الطريق · وايّ انسان يدخل فيَّ يخلص · هلمّوا اليّ انتم جميعًا الذين تطلبونني فلا تعثروا نظير المتكبّرين بحجر الشكّ · انا هو نور العالم من يتبعني لا يمشِ في الظلام بل يكون له نور الحيوة ·

انا هو مثال العدل ونموذج التواضع . انا هو الراعي الصالح الذي يُقيت خرافهُ وقد اغذيتُهم ببرارة قلبي وقوّيتُهم باقوال فيّ . *

فيا ايُّها الرب الهي الذي اغذيتني منذ حداثتي لا تُهملني بل أعطني ان احيا في تواضعك وليهدني روحك القدّوس في ارض مستقيمة من اجل اسمك *

انّ التواضع هو الذي يخلّص نفسي ويقيها من شرور الابديّة فإن كنتُ متواضعاً خلصتُ *

قال لصّ اليمين بقلب منكسر متّضع : اذكرني يا رب في ملكوتك فأجابهُ يسوع : الحقّ اقول لك انّك اليوم تكون معي في الفردوس *

يا الفضيلة التواضع التي فتحت ابواب الفردوس للصّ اليمين ما اعظمها *

آدم آدم ابن انت *

اجاب آدم وقال : سمعتُ صوتك فخفتُ لانّي عريان . ويحك من عرّاك غير كبريائك . قال لكما اميركما : انكما تصيران كالآلهة . فكذب الاثم على ذاتهِ وجلب التعاسة على آدم وعلى جميع ذرّيتهِ فلم يصل اليها شيء من غنى اللاهوت بل اضنكها الوجع والتعب *

فذاك اللصّ المتواضع هو افضل من آدم البار في اوّلهِ والمنفوخ من ثمَّ بكبريائهِ . انّ الأوّل صعد بواسطة تواضعهِ والثاني نزل بواسطة كبريائهِ . ولمَ اقول انهُ نزل فيا حبّذا لو كان ذلك . بل انهُ سقط بين لصوص بهبوهِ . لانّ الكبرياء لا تنزل ابدًا . لكن تسقط دائمًا . فانّها سقطت في السماء وسقطت في الفردوس وسقطت في البحر الاحمر وتدهورت في عمق الهاوية *

امّا ربّنا يسوع فقد نزل من السماء ثمّ

صعد الى اعلى السماوات لكي يتمّ فيهِ كلّ شيء *

٥ : يا يسوع الصالح ما اعجب المكافحة التي تكافحها عني في كلّ مكان اذ تُنزل الاعزّاء عن الكراسي وترفع المتواضعين *

انّك قلت لزكّا : « يا زكا اسرع وانزل فاليوم ينبغي لي ان اكون في بيتك » (لو ١٩ : ٥) فأسرع ونزل وصار ابناً لابراهيم *

وطلب قائد المائة الى الرب يسوع قائلاً : « يا رب انزل قبل ان يموت ابني » فقال لهُ يسوع « اذهب فانّ ابنك حيّ » *

ونزل ايضاً يسوع من الجبل فتبعهُ جمعٌ غفير . انّك يا رب قد نزلت لكي تخلّص الجنس البشري الذي كان هلك لطلبهِ الصعود *

فلماذا اذن نحن باجمعنا شدّدوا الرغبة في الصعود كثيروا الكسل في النزول . وقال

آخر : يا معلّم اني اتبعك الى حيث تمضي . فنعم القول انّي اتبعك لانّ من يتبعك لا يضلّ اذ انّك النور والنهار ومن يمشِ في النهار لا يزلّ *

اني اتبعك الى حيث تمضي . اني اتبعك سواءً صعدتَ او نزلت . لانّك قد علّمتني حسن الصعود والنزول *

فمن يصعد من العالم الى الاب حسناً يصعد . ويا ليتني اصعد اليهِ اذ انّ هناك كنزي الغير الفاني وهناك يُحتفل بعرس الحمل . غير انّ عيد جميع القدّيسين العظيم قد قرُب فاصعدوا في هذا العيد وامضوا قولوا لاخوتي : « اني صاعد الى ابي وابيكم والاهي والاهكم » (يو ٢٠ : ١٧)

« من يصعد الى جبل الرب ومن يقوم في موضع قدسهِ » . « جبل الله جبل مخصب فلماذا

تستنقصون النظر في الجبال المغطّاة للحصاد .» ان هذا الجبل الشاهق بهذا النوع لا يراهُ العائشون في هذا العالم *

انّ القدّيس يوحنا ارتفع على اجنحة التأمّل فشاهد الحمل على جبل صهيون . وداود النبي هتف قائلاً وهو يذوب شوقاً الى اتّباع الحمل : « من يُعطيني جناحًا كالحمامة فأطير واستريح » (مز ٥٤ : ٧) وشمعون بطرس صعد ايضًا فقال : « جيّدٌ يا رب ان نكون ههنا » فهؤلاء الافاضل قد تبعوك يا يسوع فأريتهم المجد الابدي الذي وعدت بهِ احبّاءك . فقد فهمتُ الآن ما هو الصعود وكيف يرتفع الى ملكوتك من يحتقر العالم *

٦ : ولكن لنعُد الى النزول لانّ وقتهُ قد حضر . « يا رب طأطئ سماواتك وانزل المس

جبال الكبرياء فتدخّن » (مز ١٤٣ : ٥) انزل الينا لاننا لا نقدر على الصعود اليك واذا حاولنا ذلك خانتنا قوانا واذا عدنا فصعدنا سلكنا طريقًا معوجًّا وامسينا اتعس ممّا لو كنّا بقينا في السهل ونسقط في موحل غامر *

اذا قدر الاعرج على الركض والمُقعد على المسير . استطاع ايضًا المتكبّر التقدّم في الفضيلة . لانهُ كلما ركض زلّ . وكلما علا سقط سقطةً عظمى لا قيام لهُ منها *

فيا ايّها المتكبّر « انك ولو ارتفعت كالنسر وجعلت عشّك بين الكواكب من هناك أُهبطك يقول الرب » (عوبديا ١ : ٤) « قد سمعنا بتكبّر مواب الشديد الكبر بتجبّرهِ وتكبّرهِ وحنقهِ وصلفهِ الذي لا رصانة فيهِ » (أشع ١٦ : ٦) *

لماذا تتكبّر ايها التراب والرماد . انك تراب

والى التراب نعود . ان اردت الصعود فانزل اولاً « باطلٌ لكم ايها المبكّرون للقيام . قوموا من بعد الجلوس » . (مز ١٢٦ : ٢) فعلى هذا الوجه تقتدي بالقديسين . انّ ايوب كان ساجداً على مزبلة وداود امام الرب وحزقيال بين الماسورين *

فخرّ انت على الارض واكتب على الرمل هذهِ الاقوال : « يا رب اذكر انكَ قد صوّرتني مثل الطين أفتعيدني الى التراب » (ايوب ١٠ : ٩) وصلِّ الى الله قائلاً مع داود النبي : « اليك وحدك اخطأتُ والشرّ قدّامك صنعت (مز ٥٠ : ٦) فلا تدخل في المحاكمة مع عبدك فانهُ لن يتبرّر قدّامك كلّ حيّ » (مز ١٤٢ : ٢) *

تذكّر ايضاً ذلك العشّار الذي كان قائماً من بعيد لا يريد ان يرفع عينيهِ الى السماء بل كان يضرب على صدرهِ ويقول : اللهمّ ارحمني

انا الخاطئ . فالحقّ اقول لكم انّ هذا نزل الى بيتهِ مبرّرًا دون ذلك اي الفرّيسيّ . (لو ١٨ : ١٠) *

« مَن مثلك يا رب الهنا المرفّع جلوسهُ المتسفّل لينظر ما في السماء وما في الارض الذي ينهض الذليل من التراب ويرفع الفقير من المزبلة » (مز ١١٢ : ٥) *

« اذكرنا يا رب في تذلّلنا واحفظ قطيعك الصغير وضع الخطاة الى الارض . احكم لليتيم والمسكين لكيلا يرتفع انسان على الارض . » *

فانّ هذا الذي اراهُ حين مروري بحقول الكتب المقدّسة اي انك ترذل المتكبّرين وتكثر فيهم الجراح *

لنرَ الآن ما هي اعمال الرجل المتواضع وما سيرتهُ وافكارهُ وعلامة قداستهِ *

قال الرب: انهُ يلبث مستترًا في بيتهِ ويطلب دائمًا لتواضعهِ المكان الاخير على حدّ ما كُتب: «متى دعاك احدٌ الى عرس فاذهب واتّكئ في آخر موضع» (لو ١٤ : ٨). ولا يصنع ذلك تصنّعًا بل يعتقد انّ ذلك استحقاقهُ والّا فلا مجد لهُ ولا مكافأة لدى الرب السماوي الذي يرى في السرّ *

واذا بكّتهُ الناس وطعنوا فيهِ احتمل ذلك بصبر وسكوت واتّضاع متفكرًا في قلبهِ بالاهانات التي احتملها مخلّص العالم لانّ اليهود كانوا يقولون عنهُ: «انّ فيهِ شيطانًا. ويخدع الامّة. وانهُ رجل أكول شرّيب محبّ الخطاة والعشّارين.»

٧ : انّ المتواضع يعزّي ذاتهُ بهذهِ الاقوال: «ليس عبد اعظم من سيّدهِ فان كانوا قد سمّوا ربّ البيت بعلزبوب فكم بالحري اهل بيتهِ». اني اتبع مخلّصي يسوع القائل: «مَن اراد ان

يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني * . لا تقلقي يا نفسي اذ انكِ انتِ تأخذين جزاء اعمالكِ اما يسوع ربكِ فانهُ لم يقترف شرًّا ولم يعمل شيئًا يستوجب الموت ومع ذلك فقد وضع نفسهُ حتى موت الصليب « فان كانوا قد صنعوا هكذا بالخشب الاخضر وهو في فردوس الرب فماذا يُصنع بالخشب اليابس نظيركِ » *

فليس اذن في شكواي شيءٌ صائبٌ وبعدل يصيبني الاحتقار وان كان متواترًا وآتيًا من اي جهةٍ كانت *

وقال الرب : ثم انَّ المتواضع اذا وبّخهُ احدٌ او شكاه لا يعتذر ولا يطلب المدافعة عن ذاتهِ بل يُظهر كلَّ تذلّلهِ ويقرُّ بذنبهِ ويعد باصلاحهِ . وذلك لانهُ لا يطلب مسرّة الناس بل مسرّة الله تعالى وينظر الخزي امام الناس كلا شيء لانهُ

يخاف من دينونة الله التي فيها يظهر أخفى الاشياء . فكلّ من يعترف الان بذنبهِ بتواضع ينال منّي مغفرة خطاياه *

٨ : ان المتواضع اذا وبّخهُ احدٌ بعدلٍ او ظلم يقول دائمًا : « لك وحدك اخطأت والشرّ قدّامك صنعت . اني للضرب مستعد ووجعي مقابلي في كلّ حين . فلذلك اعترف باثمي ولم اكتم خطيتي » ويحسّ في باطنهِ بجُرح الخطيئة ولذا كلّ ما يؤلمهُ في الخارج يلوح لهُ خفيف الاحتمال *

انّ اعظم دلائل التواضع هي اقرار الانسان بذنبهِ حين التوبيخ . امّا المتكبّر فيفرغ كلّ جهدهِ في الاعتذار والمدافعة عن نفسهِ امام الناس ويقول كلاّ ثم كلاّ انّي ما فعلتُ ذلك . وانْ كنتُ قد فعلتهُ فجيّدًا عملتُ . وان كان في عملي

شرٌّ فهو طفيف ليس فيهِ من الجسامة ما يستوجب الذكر. ومن ذا الذي يتفوّه عليَّ بهذهِ الاقاويل *

بل كثيرًا ما يفتخر ذاك المتكبّر بشرّه جهارًا فيقول: كنت هناك ففعلتُ ذيت وقلت كيت وأجبتُ كذا فيا لها تعاسةً ويا لها عماوةً انَّ فم المتكبّر نفسهُ ينطق بسوء عملهِ ولا يقدر على احتمال سوء اعتبار الناس لهُ « يا بني البشر حتى متى تحبّون الباطل وتبتغون الكذب » (مز ٤ : ٣) *

انَّ المتواضع هو الذي لا يجيب بعجبٍ اذا سُئِل بل بتأنٍ مقرون بحكمة وبعد امعان النظر والتروّي ولا يطلق ذاته للضحك بسهولة ومَن اذا تبسّم لا يكون تبسّمهُ الَّا مقرونًا برصانة ووقار. ويكون قلبهُ مفتوحًا دائمًا للعبادة الباطنة لأنهُ لا يطلب تعزيتهُ في الافراح الزمنية. ولكنهُ يتفرّغ للتخشّع ويسبق دائمًا الجميع في فحص ذاتهِ *

ويبكي على خطاياه ويحب روية الصلاح في غيرهِ ويحتمل امراضهم ويجتهد برفقٍ في وجدان السبيل لاعتذارهم . ولا يبالي باشياء هذه الدنيا العظيمة الرفيعة ولا بكراماتها ومناصبها ورتبها ومعاليها بل يعتبر جميع هذهِ الاشياء فانية باطلة . وحقيقةً انّ الانسان لا ياخذ معهُ شيئًا منها بعد موتهِ *

٩ : ويقول ابن الذين رآهم زاهرين فيها انَّهم قد عبروا كسُيَّاح وكمثل ضيف ليلة قد جازوا . ويعانق الاهانات والذلّ محتقرًا جميع كرامات العالم « وقد آثر ان يقف على العتبة في بيت اللّهِ على السُكنى في مساكن الخطاة » (مز ٨٣ : ١١) ويحمل نير الرب الخفيف وينبذ عنهُ عبوديةَ ابليس الشاقة *

ليس شيء اصعب من الرغبة في الصعود . ان صعود المتكبّر باطل لانهُ يخاف دائمًا ان يسبقهُ احدٌ ولا يعلم انهُ كلّ يوم يَحُطُّ وينزل . اما السلام

والفرح فيصحبان المتواضع الذي يسلك في طريق القدّيسين المستقيمة ويُقيم في الاودية. « والاودية تتوشّح بالحنطة (اي بتعزيات الروح القدس) فيهتفون اليك ويسبّحون » (مز ٦٤ : ١٤) *

ولذا الرجل المتواضع لا يرغب في شيءٍ من خيرات الارض لانّ كلّ رجائهِ في الخيرات السماويّة ويصلّي الى الرب قائلاً مع داود النبي : « يا رب انت رجائي منذ صبوّتي وانت نصيبي في ارض الاحياء . من لي في السماء وماذا اردتُ سواك على الارض يا الله اله قلبي ونصيبي الى الدهر » (مز ٧٢ : ٢٥ و ٢٦) *

انّ المتواضع لا يحبّ غير الخضوع وهو مستعد للخضوع للغير من اجل اسمي ويتذكّر ما جاء في الكتاب المقدّس : انّ الصبي يسوع تخلّف في اورشليم ولم يعلم ابواه . واضاف الكتاب قائلاً للحال:

« ونزل معهما. وكان يخضع لهما » . (لو ٢: ٤٢ و ٥١)
وجاء ايضاً وانا في وسطكم كالخادم » *

فيقول لنفسهِ : يا نفسي الا تخضعين لله ومنهُ خلاصك . فهيّا يا نفسي اخضعي لله فانهُ هو خلاصك *

١٠ : انّ المتواضع يحب الخضوع والاحتقار وخمول الذكر . ولكن اين الرجال الذين يعملون بموجب هذا المثال *

يا رب انك تعلم ذلك وتعرف زمرة المتواضعين القدّيسين باسرهم اذ انك تسكن فيهم . فلستُ انا من صنفهم ولكن ارحمني يا ربّ واغفر لي خطاياي واعطني على القليل بجاه استحقاقاتهم وقتاً لأتوب *

ليفرح ويبتهج من كان من صنف اولئك المغبوطين لانهُ قد وجد اعظم النعم امامك . اني اذكّر العذراء مريم امّ الله واقدس جميع القدّيسين

وكلام الملاك لها : « لا تخافي يا مريم فقد ظفرتِ بنعمةٍ من عند الله » (لو ١ : ٣٠) فلِمَ لا اظفر انا بنعمة في عينيك *

اجاب الرب : لانَّك لست بعد صغيرًا في عينيك . وانّ ما يوقف نعمتي هو جدار الكبرياء . فاقلع اولاً هذهِ الخشبة من عينيك فتنظر اذ ذاك ما انا عاملةٌ في عبدي المتواضع *

اني لا امسك نعمتي عن المتواضعين واجيب دائمًا الى صلاة المسكين . اسمع ما يقولهُ داود النبي : « هذا الفقير صرخ فاستمعهُ الرب ومن جميع ضيقاتهِ خلّصهُ لان الرب نظر الى صلاة المتواضعين ولم يرذل طلبتهم » (مز ١٠١ : ١٨) *

كثيرون ياتون اليَّ بقلبٍ مرتفع فلا استمعهم لانهم لا يطلبون مني الشفاءَ من خطاياهم بل ان يكونوا قدّيسين في اعين الناس . نعم انهم يطلبون

العبادة لكنهم يأبون احتمال الذلّ معي . ويتوقون الى التواضع . لكنهم يخشون قبل كلّ شيء ان يكونوا خاضعين مع المتواضعين لئلّا يحتقرهم الناس *

وعلى هذا النحو يطلبون محبّة الفضيلة ولكن من دون ان يمقتوا الرذيلة فيتوهمون في اشواقهم لأنّ من يريد ان يذوق حلاوة الفضيلة يجب عليهِ ان يقلع من قلبهِ الرذائل واشواك الشهوات *

انّ المتواضع لا يزال يفرغ وسعهُ في ابادة كلّ ارتفاع من قلبهِ ويمقت الرفعة اكثر من سائر الرذائل لانّ الرغبة فيها من اعظم الشرور . فهي التي صيَّرت الملائكة شياطين والبشر خطاة . لانّ من يرتفع في قلبهِ يكون نجسًا امام الله *

١١ : الويل لكم ايّها العظماء في اعينكم

والحكماء في راي انفسكم · الويل لكم انتم الذين تظنّون انّ كلّ شيء رفيع مقدّس وتقولون حين تقبلون التعظيم انّ في ذلك كرامة الله ومجده *

لماذا تخدعون قلوبكم * انكم ترتفعون كثيراً يا بني لاوي * فلا تسلكوا الطرق الرفيعة والعجيبة عندكم في الغاية · بل اخفضوا رؤوسكم العاصية · فإن لم تصنعوا ذلك فانّي اقوم ضدكم واجعل السماء والارض وجميع العناصر ضدّكم بل اجعل العالم كلّهُ يقاوم معي غباوة المتكبّرين *

وسوف يخفض تشامخكم ويُرفس ارتفاعكم بالارجل ويتحوّل مجدكم الارضي الى خزي وخجل *

الويل للصاعدين من جهة الشمال الى الجبال العالي ليروا جميع ممالك العالم ومجدهِ · الويل للقائلين انّ رجاءنا برج بابل هناك نجلس ونطرب · ألا لا يكوننّ ذلك لاني ساكذّب هذا

الكلام *

انهم سيسمعون صوت البكآء والعويل في وسط افراحهم الويل لكِ يا بنت بابل طوبى لمن يعاملكِ معاملتكِ *

هوذا المقرعة والسندان والعصي والسياط وصرير الاسنان والدموع تتهدّد المتكبر. هوذا الخراب والذل والعار والخزي تسود المتجرف. فكفّوا اذن عن رفع رؤوسكم المتشامخة. كفّوا عن ان ترموا الله بسهام التجديف وتذلّلوا مخلين ذواتكم الى آخر شيء منها *

١٢ : انّ اساس القداسة التواضع فلا يستطيع احدٌ ان يضع اساسًا غير هذا وهو يسوع المسيح. وهذا الاساس ثابت على الجبال المقدّسة. لانّ الرب يفضّل ابواب صهيون على مساكن بابل باسرها *

اني كنتُ اريد ان اتكلّم عن المتواضعين فمنعني عن ذلك كبرياء ابليس فيا ما اكثر الذين نجدهم في كلّ حين متأهّبين للصعود والكرامات والرتب والمناصب وبطيئين في النزول *

انهم يحتسبون ذواتهم ذوي شهرة وعظمة . ويظنّون في انفسهم أنّهم ممتلئون شجاعة ومتصفون بالوف من مثل هذه الخصائل *

فليتحفّظ على الخصوص من هذهِ الافكار الرديئة فقرآء يسوع المسيح وليبادروا الى القائها بعيدًا عن قلوبهم *

وينبغي لنا ايضًا ان نثني كثيرًا على ابتعاد المتواضع من جلبة العالم وعلى رغبتهِ في الاشيآء الباطنة اذ انهُ يتجنب الظهور في الخارج ويفرح لكونهِ كميّت مدفون ومختفٍ عن اعين الناس . وانهُ لا يفتكر الّا في الامثلة التي قدّمها لنا القدّيسون في

التواضع وفي ضعفهِ الذاتي وفي تواضع يسوع اذ كان عائشًا بين البشر *

ويجد في ذاتهِ دواعي عظيمة للتذلّل والتواضع ومادّة واسعة للتأمّل في الليل والنهار *

١٣ : واذا قرأ الاسفار المقدّسة اعتبر بعدهُ الشاسع عن فضائل القدّيسين وتعجّب من رياضاتهم واشغالهم وتجاربهم وامساكاتهم . وتفرّس في تواضعهم السامي وصبرهم الغير المعول وطاعتهم الكاملة واماتتهم التامّة في خيرات العالم بأسرها . فيذرف الدمع السخين ويمتلئ حزنًا شديدًا للغاية لانهُ لا يحسّ في باطنهِ بنشاط القدّيسين ولم يفرغ الجهد الذي افرغوهُ هم في اكتساب الفضائل *

ويتنهّد قائلًا : ايها التراب ما انت الّا قطعة من لحم ودم تستر نتانتك . الارض وطنك وجميع افكارك من الارض وحياتك حياة حيوان

واهتمامك كلّهُ في الاخشاب والحجارة وقد جعلت الاكل والشرب والنوم والبطالة قصارى آمالك *

فيا ما اذلّ حالتنا نحن الذين بالكدّ نملك من فضائل القدّيسين ما يبقى في الطريق من آثار ارجل المارّين فيها . ومع ذلك فانّنا نتكبّر ايضًا ولا نريد ان نسلك طريق التواضع . نشاطنا في الخير ينقص وشرّنا يعظم كلّ يوم ومع ذلك نريد ان نكون شيئًا في اعين الناس بل ذوي جاهٍ واعتبار *

يا ما ابعد هذهِ الافكار من قلب المتواضع المضطرم برغبة التقدّم الدائم في القداسة . لانهُ نظر الى ذاتهِ فابتعد مملوءًا مرارة الى داخل مظلّتهِ وهو ساخطٌ ليذرف هناك الدموع *

ثمّ انهُ نهض وقرأ في سفر بولس الرسول ما جاء عن اعتبارهِ لنفسهِ : « اني اصغر الرسل

ولستُ اهلاً ان أُسمَّى رسولاً لاني ناصبتُ بيعة الله» (١ قور ١٥ : ٩) وقرأ في الانجيل كلام العذراء الطوباوية : « انهُ نظر الى تواضع أَمتهِ » (لوا : ٤٨) وقرأ في سفر الزبور : « كنتُ اذلّل نفسي بالصوم ولباسي هو المسح » (مز ٢٤ : ١٣) وقال في آخر الامر مع ابراهيم : « هانذا قد طفقتُ انكلّم امام سيّدي وانا ترابٌ ورماد » (تك ١٨ : ٢٧)

هذا ما يصنعهُ في قلب المختارين التواضع الحقيقي مبدأ جميع الفضائل وحافظها *

١٤ : فانهض اذن يا صاحب وبادر الى ملاقاة هذه الفضيلة قائلاً لها : مرحباً بكِ يا فضيلة التواضع سيّدتي . هلمّي ادخلي الى بيتي يا فضيلة يسوع المسيح يا من جعلتنا نجد حظوةً عند الله وكنت مجد مريم العذراء الاعظم *

هلمّي اليَّ يا من بكِ اندملت جراحات الحبّ

ونجا النوع البشري باسره بعد ان كان هالكًا الى الابد . انك انت فتحت السماوات وكسّرت ابواب الجحيم . انتِ رفعتِنا وأعدتنا الى وطننا . انتِ التي تبرّرين الخطاة وتجمعين الصدّيقين بالملائكة . وانتِ دعوتِ يسوع المسيح من السمآء ورفعت مريم العذراء فوق طغمات السرافيم *

انّ الله وان كان غنيًّا في النعم فلا يعطي نعمتهُ الّا للمتواضعين . ولذا قد امتلأت مريم العذرآء نعمةً لانّ فضيلة التواضع فاضت فيها اكثر ممّا سواها *

قد تبيّن لك ممّا مر انّ فضيلة التواضع كانت ولن تزل اعظم فضيلة في القدّيسين كلّهم . وانها هي تستحقّ ما لا يحقّ للفضل وتفهم ما لا يُريه العلم وهي بعيدةٌ عن السقوط لأنّها لا تعتمد على قواها *

فمن يملك هذه الفضيلة ويحبها ويحفظها ينعم ويستريح بسلام يسوع المسيح بموجب وعده للمتواضعين : « تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لأنفسكم » (متى ١١ : ٢٩)[1] *

١ : فان كنت تحب الان ايها العزيز ان تعرف ما هو التواضع لتتدرب بهِ فاعلم انهُ فضيلة بها يتقدم الانسان في معرفة ذاتهِ وعدمهِ حتى يدرك كمالها ويعتبر ذاتهُ في كل حين بموجب هذه المعرفة *

قال القديس يوحنا الذهبي الفم : مهما عملتم من صلاح فاصنعوهُ بتواضع لئلا يكون عملكم

( ) لما كانت فضيلة التواضع اساس جميع الفضائل والواسطة الوحيدة لنوال جميع النعم احببنا التوسع في تعريفها وتبيين سبلها فاضفنا الى ما مرّ هذه الاعداد الاتية تتمة للفائدة واسندناها الى شواهد الكتاب المقدس واقاويل القديسين *

باطلاً *

ان القدّيسين لم يبلغوا الى القداسة الاّ بتواضعهم فان كانت عندنا فضائلهم كلّها الاّ تواضعهم فلا نصيب لنا معهم . « لانّ الله يقاوم المستكبرين ويُعطي نعمةً للمتواضعين » (يعقوب ٤ : ٦) *

قال القدّيس اوغسطينوس : انّ الله عالٍ جدًّا فان ارتفع الانسان امامهُ زاد هو ايضاً ارتفاعاً وابتعاداً عنهُ وكلّما تنازل ووضع نفسهُ استمالهُ اليهِ بخيراتهِ كقول داود النبي : « الربّ عالٍ وينظر المتواضع » (مز ١٣٧ : ٦) *

« إنّما الى هذا أنظر يقول الرب الى المسكين والمنسحق القلب والخائف من كلامي » . (اشع ٦٦ : ٢) وهكذا يقول العليّ الرفيع ساكن الازل القدّوس اسمهُ : « في العلاء والقدس اسكن ومع المنسحق القلب المتواضع لأُحيي ارواح المتواضعين وانعش

قلوب المنكسرين « (اشعيا ٥٧ : ١٥) *

وقال القدّيس اوغسطينوس : انّ مياه المطر لا تستقرّ فوق الجبال لكن تجتمع في الاودية فكذلك النعم السماوية لا تستمرّ ابدًا في القلوب العالية المتكبّرة لكن في القلوب الوضيعة كقول المرتّل : « انهُ يرسل العيون في الاودية » (مزمور ١٠٣ : ١٠) *

فلنجعلنّ اذن انفسنا واديًا بالتواضع كي تجمع فيها امطار النعم « اذ انّ جميع الاودية تمتلئ وكلّ الجبال والآكام تتواضع » (لو ٣ : ٥) *

كلما تواضع الانسان فاضت فيهِ النعم وتمكّنت فضائلهُ وعظم اسمهُ في السماء وكثرت اعمالهُ الصالحة. لانّ الرجل المتواضع ينسب لله كل خير يصنعهُ وكلّ صلاحٍ يجدهُ في ذاتهِ او في غيرهِ ولذا يُجزل الله لهُ العطاء بطيبة ومسرّة لعلمهِ انّ كلّ الخيرات

التي يؤتيه اياها ستعود الى مجده وتعظيم اسمه القدّوس *

٢ : انّ التواضع هو الارض الجيدة وفي هذه الارض تنبت ازهار الفضائل المجيدة وتنمو اشجار الخصائل الحميدة *

قال الرب يسوع : « كيف يمكنكم ان تؤمنوا وانتم تقبلون المجد من بعضكم بعض ولا تطلبون المجد الذي من الله وحده » (يو ٥ : ٤٤) فالتواضع اذن اساس الايمان *

وهو ايضًا اساس الرجاء اذ انّ الرجل الوضيع لعلمه بضعفه لا يزال يستجير الرب ويرجو به قائلًا مع داود النبي : « اما انا فمسكين وفقير الرب يهتمّ بي . عوني ومنقذي انت هو يا الهي » (مز ٣٩ : ١٨) *

فايّ قلب لا يتقد بحبّ الله والقريب اذا

ما اعتبر من الجهة الواحدة عدمهُ وكثرة خطاياهُ وفضل مَن سواهُ عليهِ . ومن الجهة الاخرى محبّة الله لهُ وكثرة احساناتهِ اليهِ : « ما هو الانسان يا رب ما هو الانسان حتى تعظّمهُ وتضع عليهِ قلبك » (ايوب ٧ : ١٧) *

انّ التواضع لمصدر الصبر واساسهُ . لان الرجل المتواضع يهتف مع ميخا النبي قائلاً في شدائدهِ وبلاياهُ : « هاءنذا احتمل غضب الرب لاني اخطأتُ اليهِ » (ميخا ٨ : ٩) *

انّ السلام لا يوجد على الارض الّا في قلوب المتواضعين كما يُستنتج ذلك من الكلام الآتي : « المتواضعون يرثون الارض ويتنعّمون بكثرة السلام . (مز ٣٦ : ١١) اما المتكبّرون فبينهم خصومة دائمة » (امثال ١٣ : ١٠) *

التواضع عماد العفّة فلا تدوم عفّة بدون

واضع وما الدعارة والفحشاء الّا عقاب الكبرياء
كما يشهد بذلك بولس الرسول في رسالته الى
اهل رومية : «انّ الله اسلم اليونانيين الى الادواء
الفاضحة لانّهم ظنّوا بانفسهم انهم حكماء»
(روم ١ : ٢٢ و ٢٦) *
وخلاصة ذلك انّ جميع الخيرات والنعم
تاتينا بقناة الاتّضاع كما يقول الحكيم : « كن
متواضعاً في الجميع فتجد نعمةً قدّام الله »
(سيراخ ٣ : ٢٧) *
٣ : فاقبل ايها العزيز على ممارسة التواضع
ولا تطلب مجدًا غير مجد هذه الفضيلة لانّ
كل مجد عاليّ سريع الزوال والانقلاب ولا
يدوم الى الابد غير مجد المتواضعين والذين
هم صغار في اعين انفسهم : « لا تخف ايها
القطيع الصغير فانّ اباكم قد سُرّ ان يعطيكم

الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) *

فهيَّا بنا نتوقَّل سويَّةً اسمى درجات التواضع الثلاث . فالدرجة الاولى فيهنَّ هي ان نعرف ونعتقد انَّ كلَّ ما لنا ما خلا العدم والخطيئة انما هو من لدن الله . « كلُّ شيءٍ بهِ كان وبغيرهِ لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) *

قال الكتاب الالهيّ : « ان ظنَّ احدٌ انهُ شيءٌ وهو ليس بشيء فانما يضِلُّ نفسهُ » (غلاط ٦ : ٣) *

انَّ الانسان لاحقر من العدم نظرًا الى سماجة جسدهِ ونتانتهِ . « الانسان رمَّة وابن البشر دود » (ايوب ٢٥ : ٦) بل هو احقر سائر الكائنات نظرًا الى فساد نفسهِ وخطاياهُ . « ليس الذي يدخل الفم ينجّس الانسان لكن الذي يخرج من الفم هذا ينجّس الانسان . »

متي ١٥ : ١١) *

قيل انّ قدّيسةً ما طلبت ذات يوم من
الله ان يُريها ذاتها . فعند نوالها بغيتها عادت
الى الله تطلب اليهِ ان يخفي عنها شيئًا من هذه
الرؤيا المريعة لئلّا تفشل ويقلّ عزمها *

واحسرتي اني كثيرًا ما احتسب ذاتي شيئًا
واعدّ نفسي قدّيسًا لشرور يحفظني منها الرب
بعونهِ او لبعض صلاح يجعلهُ فيَّ لجودهِ لا غير وقد
فاتني ان اذكر اني خلوٌ من نعمة الله « بائس
وشقيّ وفقير واعمى وعريان » (رو ٣ : ١٧) *

نعم « انّ ارادة الله هي قداستي » ولكن هل
ينبغي لي لمجرّد ذلك ان اعدّ ذاتي قدّيسًا . يا ما
اكثر تقصيراتي وما ابعدني عن فضائل القدّيسين
التي يجب عليَّ التمسّك بها . يا ما اعظم ضعفي
البشري الذي يتهدّدني كلّ حين بالسقوط والفتور

وما اكثر اسباب الزلق . يا ما اشد اعدآء خلاصي الذين « كالاسود يزأرون ويجولون يلتمسون من يبتلعونهُ » (١ بطرس ٥ : ٨) *

ويحي اني لا استطيع ان اصلّي صلاة من دون ان يطيش فكري ولا اقدر ان اقول قولاً او اعمل عملاً من دون ان ازلّ واخطأ . ومع اني محرومٌ بذنبي من نعم القدّيسين فلا اخجل من ان اعدّ ذاتي كواحد منهم عوضًا عن ان ارثي لحالي واسترحم ربّي . فالويل ثمّ الويل لي انا الشقي *

فلا ينبغي لي اذن ان اعدّ ذاتي قدّيسًا الاّ في السمآء . اذ لا احد صالحًا من طبعهِ غير الله . فلذا بكلّ صواب يحذّرنا القديس بولس بقولهِ : « اعملوا خلاصكم بخوف ورعدة » (فيلبي ٢ : ١٢) *

انّ التواضع هو اساس القداسة فطالما لا

اعتقد يقيناً باني عدمٌ وخاطىء وقابلٌ في كلّ حين لأَن اخسر نعمة الله واكون شرّ الناس فانا بعيد عن القداسة بُعد السمآء عن الارض ·
« من ظنّ انهُ حكيمٌ فهو جاهل » (روم ١ : ٢٢)

فان شعرت ايها العزيز بافكار الكبريآء والعُجب بما انت عليهِ فعليك ان تقاومها بهذا الكلام او بما يشابههُ : « اني لستُ شيئاً وبنعمة الله صرتُ ما انا عليهِ » (٢قور ١٢ : ١١ و١ قور ١٥ : ١٠)

يا ما اليق هذه الاقوال بلسان الرجل المتواضع وما احلاها لذوقهِ : « ارحمني يا رب انا الخاطىء · واما انا فمسكين وبائس اللهمّ تداركني · الهي اسند ضعفي بنعمتك · الهي لا ترفع يمينك عني · يا رب انّ الذي تحبهُ مريض » وقس *

انّ الكبريآء كثيراً ما تسوقنا بعد ان نكون قد اعتقدنا باننا خطاة ولسنا شيئاً الى ان نعظّم

في اعيننا مواهب الله لنا ونعتدّ انفسنا من اجلها فوق ما نحن عليهِ فلذا ينبّهنا القدّيس بولس على هذه النقيصة ويحرّضنا قائلاً : « لا تضمروا فوق ما ينبغي اضمارهُ بل اضمروا بالورع بقدر ما قسم الله لكلّ واحد من الايمان » (روم ١٢ : ٣) *

لا تنسَ ايها الاخ العزيز انّ ما ينقصك يفوق جدًّا ما عندك وانك اذا نظرت الى ذاتك بلا محاباة تجد دائمًا ما يخجّلك ويصغّرك في عينيك. قال القدّيس بونافنتورا : كما انّ اشعّة الشمس اذا نفذت مكانًا معتمًا تُرينا غبارًا لم نرَهُ قبلاً . كذلك اشعّة النعمة اذا انارت قلوبنا تُرينا نقائص كثيرة في اشياءَ قد كنا نعدّها قبلاً كاملة « لنا عيون ولا نرى » (مر ٨ : ١٨) *

٤ : « لن يقدر الانسان ان ياخذ شيئًا الّا ان يُعطى من السماء » . (يو ٣ : ٢٧) فكلّ عطية

صالحة وموهبة كاملة انما تهبط من فوق من عند
ابي الانوار . (يعق ١ : ١٧) فما الذي لك يا
هذا ولم تاخذهُ وان كنت قد اخذت فلماذا
تفتخر كأنك لم تاخذ » (١ قور ٤ : ٧) *

« فلا تفتخر على الاغصان التي قُطعت
ووُضعت انت مكانها فاشتركت في اصل الزيتون
ودسمهِ . فان افتخرت فانت لست تحمل الاصل
بل الاصل يحملك . وان كان الله لم يشفق على
الاغصان النابتة من جوهرها فلعلَّهُ لا يشفق عليك
ايضًا فلا تستكبر بل خف » (روم ١١ : ١٧ الخ)

« هكذا يقول الرب . لا يفتخرنَّ الحكيم بحكمتهِ
ولا يفتخرنَّ الجبار بجبروتهِ ولا يفتخرنَّ الغني بغناهُ
بل بهذا ليفتخرنَّ المفتخر ان يتفهَّم ويعرفني اني
انا الرب الصانع الرحمة والقضاء والعدل في
الارض . فبهذا ما ارتضي بهِ » (ارم ٩ : ٢٣) *

ان اردت ايّها العزيز ان تثبت في النعمة وتؤهّب نفسك لقبول هو اعظم منها فدع الافتخار جانباً « وكن شاكرًا لله الاب في كلّ حين على كلّ شيء باسم ربّنا يسوع المسيح »(افسس ٥: ٢٠) وابذل جهدك ان تربح بما أُعطيت وان كان قليلاً « ليتمجد بك اسم ربّنا يسوع المسيح » (٢ تسالونيقي ١ : ١٢) *

« ميّز ما هو ثمين فيك ممّا هو نجس واعطِ كلّاً لصاحبهِ . اعط ما لله لله واعط ما للانسان للانسان فتكون صادقًا مثل فم الرب » (ارم ١٥ : ١٩ ومتى ٢٢ : ٢١) *

اذا مدحك احدٌ لا تبشّ بوجههِ بل احفظ السكوت مزدرياً بكلامهِ وقل في باطنك مع يسوع المسيح : « يا ابتاه اجعلهم ان يعلموا انّ كلّ ما اعطيتني هو من عندك » (يو ١٧ : ٧) *

٥ : ان كنت تاتي بثمار كثيرة وتسلك سلوكًا حسنًا فاعلم انّ ذلك ليس بقوّتك لانك ضعيف بذاتك « بل بنعمة الله التي معك » (١ قورنثية ١٥ : ١٠) « انا هو الكرمة وانتم الاغصان من يثبت فيّ وانا فيهِ فهو ياتي بثمر كثير لانكم بغيري لستم تقدرون ان تعملوا شيئًا . كما انّ الغصن لا يطيق ان ياتي بثمر من عنده إن لم يثبت في الكرمة هكذا ولا انتم ايضًا ان لم تثبتوا فيّ » (يوحنا ١٥ : ٤ و ٥) *

فالحيوة الصالحة التي تحياها انت ليست حياتك بل حياة الكرمة التي تحملك « اننّا بهِ نحيا ونتحرّك ونوجد » (قصص ١٧ : ٢٨) واعلم انّ حياتك هذهِ التي تحياها بالكرمة هي هبة من فضلهِ الكريم « وما من احد يقدر على الاتيان اليّ ان لم يجتذبهُ الاب الذي ارسلني » (يو ٦ : ٤٤)

« ومن سبق فأعطى لهُ فيكافأ » (روم ١١ : ٣٥) *
« لا يستطيع احدٌ ان يقول ربًّا ليسوع الاَّ بروح القدس . ولا نقدر من قبل انفسنا ان نفتكر فكرًا كأنَّهُ من انفسنا . (١ و ٢ قور ٣ : ٥) « فان الله هو الذي يعمل فينا الارادة والعمل على حسب مرضاتهِ » (فيلب ٢ : ١٣) فقل اذن بعد كلّ عملٍ صالح تصنعهُ : « كلّ اعمالنا انت عملتها لنا يا رب » (اشع ٢٦ : ١٢) *

٦ : ان شعرت مرارا بضعفك لزلّاتٍ صدرت منك او لعجزٍ عن نوال رغائبك الصالحة فلا تتعجّب من ذلك ولا تيأس من الخلاص بل « افتخر مع الرسول بامراضك مسرورًا بالاحرى لتحلّ عليك قوّة المسيح لانّ القوّة انمّا تكمل في الضعف » (٢ قور ١٢ : ٩) *

من يعتمد على ذاتهِ او على انسان مثلهِ لا يفلح

ولا ينجح لانّ الله لا يعطي عونهُ لمن يعدّ ذاته غنيًّا عنهُ « تعظَّم قلبك فلذلك تموت موتًا يقول الرب » (حز ٢٨ : ٥ و ٨) فخيرٌ لنا اذن ان نُذلَّل فنشعر بضعفنا ونحسّ بعجزنا ونستعين بالله اذ اننا نكون اذ ذاك اقوياء حقًّا « بالسكون والرجآء يكون باسنا » (اشع ٣٠ : ١٥) *

مبارك الرجل الذي يتوكّل على الرب ويكون الرب معتمدهُ فانهُ يكون مثل الشجرة المغروسة على المياه فتمدّ على النهر اصولها ولا تخاف اذا جآء الحرّ بل يكون ورقها اخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تزال تثمر (ارم ١٧ : ٧) *

نعم انّ ضعف الانسان مهول وميلهُ الى الشرّ مخوف غير انهُ بنعمة الله يقوى على كلّ شيء . فاذن لا تعتمد على فطنتك ومهارتك ابدًا بل اتّكل على الرب واصنع الخير لانهُ هو الذي يُعطي

الضعيف القوَّة والذين لا عزم لهم يزيدهم شجاعةً »
(اشع ٤٠ : ٢٩) *

امتثل دائمًا امام الرب شان رجل جائع فقير الى عونهِ فيشبعك من خيرات بيتهِ « لانهُ هو الذي يشبع الجياع من الخيرات ويرسل الاغنيآء فرَّغًا »
(لو ١ : ٥١) *

٧ : هلمّ الآن ايها العزيز نصعد معاً الى الدرجة الثانية التي هي التواضع والتي تتوقَّف على ان يحتقر الانسان ذاتهُ ويفرح باحتقار الناس لهُ . فانّ من كان في الدرجة الاولى يسهل عليهِ جدًّا الارتقآء منها الى الدرجة الثانية لانّ من يعرف ذاتهُ معرفة حسنة استهان بها ولم يبتهج بمدائح الناس *

انّ اعتبار الناس لا يؤثّر في نفس قد رسخت فيها معرفة عدمها وحقارتها . ولذا جآء في حياة القدّيس مار برنردوس المجيد : انهُ كان عظيمًا

في اعين الجميع وحقيرًا في عينيهِ فقط *

اننا لا نبلغ الى هذه الدرجة الثانية التواضع الاّ بهذه الوسائط الثلاث : اوّلاً اذا رفضنا واجتنبنا كرامة الناس واعتبارهم لنا . ثانيًا اذا احتملنا بصبر جميل احتقار الغير لنا . ثالثًا اذا ساءنا مديح الناس واعتبارهم لنا *

فاليك بعض اعتبارات تساعدك على التخرّج في الوسائط الثلاث المارّة بك *

٨ : قال اشعياء النبي : « انّ الله لنفسهِ جبلنا ولمجدهِ خلقنا وصنعنا » (اشع ٤٣ : ٧ و ٢١) فينبغي لنا اذن ان نستخدم لمجد الله فقط كلّ ما لنفسنا وجسدنا من الصلاح « لانّ الاشياء كلها منهُ وبهِ واليهِ . لهُ المجد الى الابد » (روم ١١ : ٣٦) *

انْ كنا نطلب في عبادتنا وتقوانا واعمالنا الصالحة مديح الناس واعتبارهم وكرامتهم فليست

عبادتنا شيئاً وكذلك اذا جعلنا التسليات الروحية غاية عبادتنا بحيث اننا لا نكون عابدين الّا حين نشعر بعذوبة العبادة وحرارتها . لاننا لا نقصد اذ ذاك مجد الله بل مجد ذواتنا «الحقّ الحق اقول لكم انكم تطلبوني لانكم اكلتم الخبز فشبعتم» (يو ٦ : ٢٦) *

ان الرجل المتواضع لا يطلب مجد ذاتهِ في عبادتهِ ولا يقصد مجد الناس ومديحهم في الاعمال التي يعملها لانهُ يعلم انهُ عدمٌ وليس لهُ شيءٌ يستوجب المدح والاكرام . فجلّ رغائبهِ ان يمجّد الله بواسطة احساناتهِ اليهِ لا غير وهذهِ هي طلبتهُ : لتمجّدك يا رب احساناتك اليّ . لتمجدك احساناتك اليّ في كلّ حين . ولذا لا يحزن اذا اصابهُ من الناس شرٌّ بدل الخير الذي يصنعهُ . ولا يكتئب من كثرة الافكار التي تشغلهُ وقت الصلوة خاصةً

عن الشعور بحضور الله والتمتع بمناجاتهِ اذا كان
ذلك يسرّ الله ولا يمنع مجدهُ . بل يجني من تلك
الافكار عينها احتقاراً اعظم لذاتهِ *

بيد انّ محبة الذات تعترض هنا فتقول :
« ان تركتُ كلّ شيء لله فما ترى يكون لي »
(متى ١٩ : ٢٧) *

فلتسمع يسوع مجيبها : « اني لستُ آخذ المجد
من الناس » (يو ٥ : ٤١) « ان كنتُ انا امجّد
نفسي فليس مجدي شيئاً . ابي هو الذي يمجّدني »
(يو ٨ : ٥٤) *

فان شئت ايها العزيز ان يمجّدك الآب
فمجّدهُ انت باجتنابك واحتقارك كلّ مجدٍ عالميّ
وكلّ كرامةٍ واعتبارٍ ياتيانك من الناس *

اي مجدٍ اعظم من هذا ان تمجّد الله بكلّ ما
اخذت منهُ وتحتقر مجداً لا يوجد في غالب

الاوقات الّا في مخيّلتك او كثيرًا ما يفنى حالما يخرج من افواه الناس . « انّ ابناء البشر باطلون . ابناء البشر كاذبون . بافواههم يباركون وبقلوبهم يلعنون » (مز ٦١ : ١٠ و ٥) *

ان اعتبار الناس لك لا يُعطيك شيئًا وافواهم الحسنة فيك لا تزيد صلاحك بل تنقّصهُ اذا أغفلت عن اعزائها لله تعالى واعتبرت ذاتك من اجلها اكثر ممّا انت عليهِ فخيرٌ لك اذن ان تحتقرك الناس وتذملك وتُهينك وتفسّر بالشرّ جميع نيّاتك « خيرٌ لي اني تذلّلت » (مز ١١٨ : ٧١) *

لا تحبّب نفسك الى الناس لانّ من يحبب نفسهُ اليهم يبتغي غالبًا كراماتهم ويجتنب احتقارهم . وكلا الأمرين لا يتفق معهما التواضع *

٩ : ما لك والاعتبار ايّها التراب والرماد الذي موضعهُ تحت الارجل . ما لكِ والاكرام ايتها

الدودة الحقيرة التي لا يجب ان تظهر الاّ لترذل وتُرفس بالارجل . ما لك والمدح ايّها الخاطئ الشرير الذي لا يستحق الاّ لعنة الله ومذمّة الناس: « اني اخطأتُ وعوّجت المستقيم ولم يصبني ما استاهلهُ » (ايوب ٣٣ : ٢٧) *

ان كنت بارًّا فبرارتك لا توجب لك الكرامة لكن لله علّة برارتك فقدّم اذن لهُ تعالى كلّ كرامةٍ تصيبك من اجل صلاحك . « ليضيء نوركم قدّام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات » (متى ٥ : ١٦) *

ثم انّ برارتك لا تصيّرك معصومًا عن اميال سيئة وزلّات خفيّة ونقائص ظاهرة وشوائب باطنة تكفي وحدها لتجعلنا في كلّ حين مستحقّين الخزي والملامة . « يا رب لك البر ولنا خزي الوجوه . لاننا اخطانا اليك » (دانيال ٩ : ٧ و ٨) *

فاصبر اذن ايها العزيز على احتقار الناس اياك واستخفافهم بعقلك وآرائك واستصغارهم اعمالك ومبرّاتك وسوء ظنّهم فيك وكلّ ما يصيبك منهم من الاشياء التي تخفض كبريائك وتميت رغبتك في الشرف والرفعة لانّك تستحقّ هذه المعاملة من اجل كبريائك عينها ان صرفنا النظر عن بقية رذائلك ومآثمك *

١٠ : كلّ انسان له مادح وقادح فان كان ينبغي لك لتبلغ الى فضيلة التواضع ان تصبر على ثلب قادحك واحتقاره اياك فلا ينبغي لك اقلّ من ذلك ان تحزن من مدائح مادحك وتأبى استماعها غير مبالٍ بها *

قال داود النبي « حين ارتفعت اتّضعت وتحيّرت » وذلك لانّ المدح سواء كان صدقاً او كذباً يُخشى منه . ان المدح الكاذب ان

قبلناهُ وصدّقناهُ يجلب علينا غضب الله . والمدح الصادق ان سُررنا بهِ يخسّرنا اجرنا ويُفسد عملنا « اذكر انّك قد استوفيت خيراتك في حياتك » (لو ١٦ : ٥) *

فلقد احسن اذن من قال : « من مدحني جلدني » وقد سبق القدّيس بولس فقال بهذا المعنى : « امّا انا فانهُ نقصٌ لي ان تحكموا انتم عليَّ او يحكم عليَّ يومٌ بشريٌّ بل لست احكم انا في نفسي ايضاً . اذ كنتُ لا احسّ في نفسي بشيء مع اني لستُ بهذا مبرَّراً وانما الذي يدينني هو الرب . فلا تحكموا بشيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سيوضّح خفيات الظلام ويُظهر افكار القلوب وحينئذٍ تكون المدحة من الله لكلّ واحد » (١ قور ٤ : ٣ : ٦) *

وفضلاً عن ذلك تذكّر دائماً : « انّ المتعظّم

قدام الناس رذالة قدّام الله » (لو ١٦ : ١٥) *

انّ الله هو الذي سوف يحكم بجودة اعمالنا ورداءتها فما بالنا نتوقّع احكام الناس وآراءهم ونُسرّ اذا كانت موافقة لكبريائنا ونغتمّ اذا كانت مذلّلة لها *

اذا كنت تريد ان تعرف هل انّك قد احسنت في عمل ما فلا تنتظر ان ياتيك انسان ويقول لك في وجهك انك قد احسنت بحيث انّهُ اذا لا يُقال لك هذا الكلام تعدّ عملك ذاك باطلاً *

اعمل جميع اعمالك لمجد الله لا غير فتكون كلّها حسنة استحسنها الناس او لم يستحسنوها *

اذا احسنت في عمل ما وسررت بالثناء المقدّم لك عليهِ افسدتَ عملك ذاك وآل الى عجبك *

فاستنتج من اضرار المدح وفوائد القدح عظم

الحزن الذي يجب ان يصيبك من اعتبار الناس لك ومدحتهم وعظم الفرح والسرور الذي يجب ان يشملك من مذمة الناس واحتقارهم اياك «طوبى لكم اذا ابغضكم الناس وطردوكم وعيّروكم واخرجوا اسماءكم مثل الاشرار من اجل ابن الانسان» (لو ٦ : ٢٢) *

ولذلك كان يقول الرسول : «انا ارتضي بالشتائم من اجل المسيح لاني متى كنتُ ضعيفاً فحينئذٍ انا قوي» (٢ قور ١٢ : ١٠) اي متى كنتُ ضعيفاً في عينيَّ واعتبرني الناس كذلك فحينئذٍ انا قوي بنعمة الله التي تحلّ في القلب المتواضع *

انّ المتكبّر يريد ان تعتبرهُ الناس كما يعتبر هو ذاتهُ . ولذا يحتدّ ويسمع اقوالاً خشنة اذا اهانهُ احدٌ او وبّخهُ بعنف . ثمّ انهُ يحزن بعد شعورهِ بغلطهِ لا لمجرّد زلّتهِ لكن لانهُ زلّ امام الناس فنقص

اعتبارهُ عندهم · وربّما يطلب ان يبرّر ذاتهُ فيزلّ زلّةً أُخرى او يضغن على من اهانهُ فيزلّ زلةً ثالثة . فيا لها حالةً يُرثى لها . « يا رب نجّنا فقد هلكنا » (متى ٨ : ٢٥) *

اذا اعتراك في حياتك شيء نظير هذا وانت تطلب التواضع . فاعلم انّ الله اراد ان يجعلك تجسّ باصبعك كبرياءك فتعرف ذاتك . واذا ما عرفتها فاياك والفشل اياك وقطع الامل . بل اسرع الى طبيبك السماوي وارجُ منهُ الشفاء « لانهُ كما بمعصية الانسان الواحد صار كثيرون خطاةً هكذا بطاعة الواحد يصير الكثيرون ابرارًا » . (روم ٥ : ١٩) *

لا تحزن اذا قلّ اعتبارك عند الناس لانّ الناس اذا اعتبروك نظير ما انت عليهِ فايّ ضرر لك في ذلك · افرح بالاحرى لانّ الناس

يعتبرونك اعتبارك حتى اذا اصطلحت يمجّدون الله معك على نعمتهِ ورحمتهِ اليك . (لو ١٧ : ١٥) *

افرح ايها الحبيب باحتقار يستر صلاحك ويقيك من شرور وفخاخ كثيرة ويزيدك حسناً وبهاءً في عيني الله كلّما زادك هو ذلاً في عينيك وفي اعين الناس : « انْ عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لانهُ يحلّ عليكم ذلك الذي هو روح المجد والقوّة وروح الله » (١ بطرس ٤ : ١٤) *

١١ : اذا اردت الآن ايها العزيز ان تصعد الى درجة التواضع الثالثة فاعلم انها قائمة بان يساوي الانسان نفسهُ مع من ليس لهُ شيء وهو يملك خيرات كثيرة ويحتسب نفسهُ عبداً بطّالاً وهو يعمل اعمالاً خطرة جليلة ويعدّ ذاتهُ احقر الجميع واخطاهم مع انهُ افضلهم واقدسهم : « ليحسبنَّ كلّ واحد منكم صاحبهُ افضل منهُ » (فيلبي ٢ : ٢)

لعمري انّ البالغين هذهِ الدرجة لنادروا الوجود جدًّا والانسان بدون نعمة خصوصيّة يُعطيها الله لهُ اذا طلبها منهُ بتذلّل لا يستطيع بقواهُ الادبيّة والطبيعيّة ان يدركها ويثبت فيها . والحالة هذهِ تأمّل ما ياتي *

قال القدّيس اوغسطينوس : كما انّ العين لا تستطيع النظر بدون معونة النور ولو كانت صحيحة هكذا الانسان وان كان بارًّا لا يستطيع ان يعمل عملاً صالحًا بدون عون النعمة « ان لم يبنِ الرب البيت فباطلاً ينعب بهِ بنّاؤوهُ » (مز ١٢٦ : ١)

قال الرب يسوع : « لستم انتم اخترتموني بل انا اخترتكم » فليس للانسان فضلٌ على غيرهِ اذ انّ ما يجعلهُ افضل من غيرهِ ليس منهُ بل من جودة الله ورحمتهِ « كفايتنا من عند الله » (٢ قور ٣ : ٥) *

اننا جميعًا اولاد آدم الساقط مُصابون بعاهة
واحدة ومرض واحد. فكلّ ما يصيب الواحد منا
من الشرور او يقتحمهُ من الآثام يستطيع الآخر ايضًا
ان يصاب بهِ او يُقدم عليهِ ان لم تكفهِ ايّاهُ
نعمةٌ خصوصيّة من لدن الآب. « بذنب واحد
صار التجب لجميع الناس (روم ٥ : ١٨) من اجل
ذلك لا معذرة لك ايها الانسان كلّ من يدين.
لانّك بما تدين غيرك تشجب نفسك. لانّك انت
الذي تدين تفعل تلك الامور بعينها » (روم٢ :١)
نعم انّ الانسان انما باختيارهِ وارادتهِ يتبرّر
وبارادتهِ واختيارهِ يفسد ويتأخّر. بيد انّ استعداده
هذا لقبول نعمة التبرير انما هو موهبة من مواهب
المولى الكريم كما انّ ثبات هذه الموهبة فيهِ انما هو
ايضًا نعمة اخرى. فعوضًا عن ان نفتكر بفضلنا
على غيرنا ونطلب التقدم عليهِ فلنودّ بالاحرى

الحمد والشكر لله تعالى الذي ابقانا في النعمة ولم يسمح بان نخسرها مثل غيرنا فقد طالما استوجبنا نحن هذا العقاب . « انظر لطف الله وصعوبتهُ . اما صعوبة الله فعلى الذين سقطوا واما لطفهُ فبك ان ثبتّ في لطفهِ (بتواضعك) والّا فانت ايضًا تُقطع » (روم ١١ : ٢٢) *

١٢ : قال داود النبي : « لولا انّ الرب اعانني لكانت نفسي عمّا قليل تحلّ في دار السكون » (مز ٩٣ : ١٧) فهذا ما يجب ان نردّدهُ دائمًا في بالنا لنعدّ انفسنا خطاة بل شرّ الخطاة بدون اعانة الرب كما يعلّمنا ذلك بولس الرسول بقولهِ ومثالهِ : « انّ يسوع المسيح انّما جآء الى الدنيا لكي يخلّص الخطاة الذين انا اوّلهم (١ طيمثاوس ١ : ١٥) *

لا تفضّل ذاتك على غيرك من اجل

الشرور والنقائص التي تلوح لك فيهِ لانَّ من طبع الانسان الفاسد ان يرى دائمًا الشرَّ في غيرهِ والخير في ذاتهِ فيفضّل نفسهُ على قريبهِ بدون فطنة وحقّ *

واذا كان الشرّ واضحًا في القريب فلا يحقّ لك مع ذلك ايضاً ان تدين عبدًا ليس لك وتفضّل ذاتك عليهِ اذ انّ كثيرين من الابرار سقطوا لكبريائهم وكثيرين من الاشرار تقدّموا لتواضعهم وتذلّلهم لانّ « القلب المنسحق المتضع لا يرذلهُ الله (مز ٥٠ : ١٩) وكلّ متعالي القلب نجس عند الله (امثال ١٦ : ٥) *

« اذكر ما حدث لمنسّى وافرائيم وكيف قُدّم الاصغر على البكر » (تكوين ٤٨) وخف لانّ الله قادرٌ ان يقيم من هذه الحجارة بنين لابراهيم (متّى ٣ : ٩) ويطعّم ايضاً الذين لم يدوموا على

عدم الايمان (رومية ١١ : ٣٢) *

من يعلم فضلَ الواحدِ على الآخر غير الله . انّ الفريسيّ احتسب المجدلية اخطأ منهُ وقد كانت افضل منهُ بكثير . وكذلك الفرّيسي الاخر احتسب ذاتهُ افضل من العشّار وقد كان هذا اشدّ برارة منهُ . والذي اشتغل في كرم الرب منذ الصباح اعدَّ تعبهُ اجزل قيمةً من تعب الآخر الذي اشتغل من الساعة التاسعة فقط وقد كانت الاجرة واحدة . فيا ما ابعد احكام الله من احكام الناس الذين ينظرون الى ظاهر الامور لا غير *

كل انسانٍ يعدّ ذاتهُ افضل من قريبهِ فمن هو يا تُرى الصادق ? لا احدٌ . « فمن اراد ان يكون فيكم كبيرًا فليكن لكم خادمًا ومن اراد ان يكون فيكم اوّلاً فليكن لكم عبدًا (متى ٢٠ : ٢٦) *

فالرجل الصادق الحكيم القدّيس من اعدّ نفسهُ اخطأ الجميع واحقرهم اذ انّ تفضيل الانسان نفسهُ على غيرهِ رذيلةٌ في كلّ آدميّ ومن قهر هذه الرذيلة « فذاك هو الاعظم في ملكوت السماوات » (متى ١٨ : ٤) *

« لي النقمة وانا اجازي يقول الرب » (رومية ١٢ : ٩) فدع اذن الحكم لله . والواجب عليك انت ان تحسن الظن بغيرك دائماً وتمدحهُ بخلوص نيّة عند سنوح الفُرص وتغضّ الطرف عن رذائلهِ وشوائبهِ وشرورهِ على ان النظر الى ذلك امرٌ لا يُعنيك وتصوّبهُ الى صلاحهِ ورذائلك لا غير *

اطلب على الدوام ان تستمرّ تحت اقدام الجميع وارضَ بهذا المكان فتربح بدلاً من ان تخسر فتسلم من خصومات ومعاتبات كثيرة وتكمل

سُنّة الفضائل وتعوّض عن تقصيرات كثيرة فضلاً عن ان دينونتك في اليوم الاخير ستكون اخفّ حالةً بل سيكون لك مجدٌ عظيم امام الاشرار والابرار يوم يدين الرب الاحياء والاموات *

١٢ : اليك الان بعض مقاصد يمكنك ان تقصدها لتجتنب بواسطتها الكبرياء وتكتسب التواضع فاقصد اوّلاً ان تجتنب كلّ كلام ينتج لك منهُ مديح واعتبار . ثانياً ان تبغض مديح الناس لك وتفرح بمديح غيرك *

ثالثاً ان لا تعمل شيئاً لمجرّد اعتبار الناس لك . بل ليكن مجد الله الاعظم غاية جميع افكارك واقوالك واعمالك . رابعاً لا تعتذر عن نقائصك بل احتمل بصبرٍ وحبور المذمّة والملامة والتوبيخ ان عدلاً وان ظلماً . ولا تبرّر اعمالك بذكر حسن نيّاتك اذا لم يكن سبب يوجب التبرير كمنع

الشك او مضرَّة شخصٍ ثالث او غير ذلك *

خامساً لا تدع مخيَّلتك تتيه بافكار الكبرياء والمجد الباطل كتصوّرها المراتب العالية والوظائف الرفيعة وافكار الناس فيك واقوالهم الحسنة وما اشبه ذلك . وكلّ مرّة تاتيك هذه التصوّرات استخدمها لما يزيدك اتضاعاً امام الله بقولك : « ارحمني اللهمّ انا الخاطئ » *

سادساً احتسب جميع الناس افضل منك وقدّم لكلّ منهم الكرامة والتوقير الواجبين له قياماً بمشورة بولس الرسول : « كونوا محبّين بعضكم بعضاً بالمحبّة الاخويّة وفي الاكرام بعضكم لبعض مقدّمين » (روم ١٢ : ١٠) *

انّ هذه المقاصد يمكنك في كلّ يوم من الاسبوع ان تفحص ضميرك في واحد منها وتتلو يوم الاحد الصلاة المدوّنة ادناهُ . او تاخذ قصداً

واحدا من تلك المقاصد وتفحص ضميرك فيهِ كلّ يوم مدّة من الزمان حتى تحكم العمل بهِ ومن ثمّ انتقل الى القصد الثاني حتى تاتي الى آخر قصد *

ولا ريب انك اذا تخرّجتَ على هذا النوع في فضيلة التواضع يكافئ الرب رغبتك فيها واجتهادك في اكتسابها بمنحك آجلاً او عاجلاً نعمة التواضع التي هي من اعظم النعم واقطع الادلّة على الفوز بالخلاص والسعادة الدائمة *

صلاة النفس الراغبة في فضيلة التواضع

١٤ : « يا رب سمعتُ صوتك ففزعتُ لانّي عريان » (تك ٣ : ١٠) اجل يا رب اني سمعتُ صوتك يريني سُبُل التواضع ودرجاتهِ ففزعتُ لاني رأيتُ ذاتي عرياناً من هذه الفضيلة الجليلة المقام لديك . « انّ نفسك تبغض الفقير المتكبّر »

(سيراخ ٢٥ : ٢) فانا اذن من المبغضين لاني فقير متكبر واحيا بين البشر فرحاً مسروراً شان رجل غنيٍّ لا يعوزهُ شيء ٠ فكيف احتملتني يا رب حتى الآن وانا في هذه الحال حتى الان وصبرت عليَّ ولم تسلمني الى المعذَّبين *

ويحي لاني لستُ بذاتي الاّ لجّة مظلمة وارض ملعونة وابن رجز واناء خزي ومزبلة نتنة . اني مريض اعمى اعرج اصمّ اخرس خاضع لانواع الشرور . قد دخلتُ العالم بالخطيئة وساخرج منهُ بالموت الذي هو عقاب الخطيئة ايضاً . أجل يا رب ٭ انّ مآثمي قد تعالت فوق راسي مثل حمل ثقيل قد ثقلت عليَّ . قد أنتنت وقاحت جراحاتي من قبل جهالاتي ٭ (مز ٣٧ : ٥ و ٦) فلو اردت ان تعاملني بحسب استحقاقي لاستوجبتُ عقاباً عظيماً نظير عظمتك . ولكن ان كنتَ للآثام راصداً يا

رب . يا رب فمن يثبت » (مز ١٢٩ : ٢) وان
كنت تنتظر الانسان ان يصبر بارًّا لترحمهُ فمن
يُرحم يا ترى *

اذكر يا رب قولك هذا : « ان الله حبس
كلّ احد تحت العصيان ليتراءَف على كلّ احد »
(روم ١١ : ٣٢) فلقد سمحت بان ابقى حتى
الآن محبوسًا تحت رذائلي وصبرت عليّ لتُظهر
نحوي رأفتك بنوع اعجب فلك المجد الى الابد .
فارتض ِ الآن بان تطلق عبدك من سجن رذائلهِ
ولاسيّما رذيلة الكبرياء ولا تدعهُ يستمرّ تحت رق
عبوديّتها اكثر من ذلك . « لانّ وقت الرأفة قد
حضر » (مز ١٠١ : ١٤) *

اذكر يا رب مواعيدك الصادقة ومراحمك
القديمة واشف ِ نفسي لانّك انت طبيبها وخلاصها
ولا ترذل صراخ خاطئ مسكين يعترف بفقرهِ

واحتياجهِ الى عون نعمتك . أجل يا رب اسمع صراخي وانظر الى دموعي والتفت الى تنهداتي واسرع الى اغاثتي ولتسقُكْ الى استماعي تلك المحبةْ التي ساقتك الى افتدائي *

واذكر يا رب انك قد خلقتني بعد ان كنتُ عدماً وارشدتني بعد ان كنتُ ضالاً وفقّهتني بعد ان كنتُ جاهلاً وأنهضتني بعد ان كنتُ مطروداً وسندتني حين كنتُ واقفاً وسلّيتني بعد ان كنتُ حزيناً وشجعتني بعد ان كنتُ مجرّباً . وسهرت عليّ حين كنتُ نائماً . وشفيتني بعد ان كنتُ مريضاً . وقبلتني فرحاً بعد ان رجعتُ اليك تائباً . فالآن فلأني ادعوك واطلب نعمتك فلا تردّ وجهك عني من اجل آثامي بل طهّرني من برصي ولاسيّما من برص الكبرياء لانك تشاءَ ذلك وقادر على كلّ شيء *

اعطني يا يسوع الصالح اعيناً لأعرفك فاحبك واعرف ذاتي فأحتقرها لاني استحق الاحتقار بقدر ما تستحق انت المجد والاعتبار. اجل يا يسوع ينبوع العذوبة وقوت النفس ونور العقل أنر هذا الاعمى المنطرح على قدميك والصارخ اليك بكلّ قواهُ واجعلهُ في ما ياتي مؤيّداً في فضيلة التواضع لكي يمجّدك ويحتقر ذاتهُ ويجلّ قريبهُ قدر ما يجب ذلك عليهِ *

فاستمعني يا رب بجاه قلبك القدّوس الوديع والمتواضع في الغاية لكي « ارنّم بمراحمك الى الدهر وأُخبر بفمي عن حقّك الى جيلٍ وجيل » (مز ٨٨ : ٢) * آمين ثمّ آمين *

المظلّة الثالثة

في الصبر حتى القبر

١ : انّي اعترف امامك يا رب باني خالٍ من فضيلة الصبر مع شدّة احتياجي اليها . فارتضِ ان تكلّم عبدك فيها بعض الكلام كما ارتضيتَ ان تكلّمهُ في فضيلتَي الفقر والتواضع المقدّستين *

قال داود النبي : « ليس يُنسى الفقير الى الابد ورجاء المساكين لا يهلك الى الدهر » (مز ٩ : ١٩) . أجل يا رب انّ صبر عبدك عظيم وهو الذي يمنح الغلبة للظافرين بجميع مصائب هذا العالم : ولذا قد قلت : « بصبركم تقتنون نفوسكم » *

انّك تُكثر من امتحاننا وتحوطنا بالمصائب الشدائد من كلّ صوب وجانب فتارةً تبتلينا في

الظاهر وأُخرى في الباطن . تارةً تمتحننا سرًّا
واخرى علانية بحيث لا يكون فينا شيء الّا وقد
جاز بهذه نار التجربة *

انك تريد ان تمتحننا في كلّ شيء ونضيق
علينا في حوادث كثيرة لكي نؤدّي لرحمتك
وجودتك اعظم الشكران بعد ان نكون قد أُبتلينا
بجميع المحن ونجونا من شرور كثيرة . هكذا صارت
المسرّة قدّامك وهذا ما استحسنتهُ ووجدتهُ نافعاً
لتقدّمنا الروحي *

فما حياتي اذن الّا تعاسة مستطيلة تبتدئ
يوم ولادتي وتنتهي يوم دفنتي وليس في خلال هذه
المدّة وقت لا يزيد تعبي ووجعي . الهي كيف
سقطتُ في هذه هاوية الشقاء *

واحسرتي انك يا رب تعلم حسناً الشرور
التي تحدق بي مدّة نفيي في سجن الجسد بل ما

من احد عرف شقاوة البشر نظيرك . فانظر اذاً عظم حاجتي الى فضيلة الصبر *

لماذا تسكنين يا نفسي في ارض الاعداء . انكِ لو كنتِ سلكت طريق الله لكنتِ سكنتِ الارض رائعة فيها بالسلام . بيد انك تركت الرب الهك ينبوع المياه الحية وحفرت لك آبارًا لا يجتمع فيها ماء ولذا دُفعتِ الى ايدي اعدائك *

٢ : فارجعي اليّ يقول الرب فأقبلك *

الهي انّ جميع هذهِ الشرور قد نزلت بي بحكمك العادل من جرّاء خطاياي . اني قد اثمتُ مع آبائي واراني الآن حاملاً النير الشاقّ الذي وُضع على جميع اولاد آدم اذ انّ جميعهم ابناء رجز * ولو انّ ربّ الجنود ترك لنا بقيّة يسيرة لصرنا مثل سدوم واشبهنا عامورة * (اشع ١ : ٩)

فمراحمك يا رب واسعة رحبة لاننا لم نفنَ

وجودتك غير متناهية لاننا نحيا ايضا . كنا جميعاً ابناء الموت فعاملتنا برحمتك ولم تعاملنا بحسب جرائمنا . رافتك فاقت جميع معاصينا وذكرت اننا تراب وانّ الانسان يشبه عشب الحقل وزهره *

اني قلتُ لك يا ابا المراحم هذا الكلام لكي اعرف شفائي واعرف علة كلّ شقاء اي حكمك المملوء عدالة . فاسأل الآن والحالة هذه هل من تعزية في يسوع المسيح عن كلّ ذلك . وان كنتُ غير مستحقّ ان يعزيني تعزيةً تامّة فاطلب اليهِ على الاقلّ ان يعزّيني بعض التعزية *

ومن يستطيع ان يعزّي نفسي غيرك يا يسوع . «اني وجدتُ كثيراً من المنافقين يزيدوني حزناً بنصّهم عليّ رواياتهم الّا انّ «ذلك ليس بحسب شريعتك» (مز ١١٨ : ٨٥) *

فيا يسوع ضيف نفسي الحلو ومعزّيها

الافضل . يا طلاًّ عذبا يملأ كلَّ حيّ من بركاته ابسط يديك واسبغ من السمآء بركاتك على ارض قلبي القاحلة . « بسطتُ اليك يديَّ . انّ نفسي كارضٍ محسرة اليك . أسرع فأجبني يا رب فقد فنيت روحي » (مز ١٤٢ : ٦ و٧) *

الى ابن اذهب بدونك وقربَ من التجيء . يا ربّ انّك الهي فتعطّف عليّ واستجب دعائي . اليك رفعت نفسي فلا تزذلها . وأريتك شقآئي فلا تصرف وجهك عني . قد اخطأتُ فلا تهملني *

قال لك قلبي : « عيناي تلتمسانك يا رب فلا تتركني » وانت قلت لنا لتعزّينا بذاتك : « تعالوا اليَّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . » (متى ١١ : ٢٨) وقلت ايضاً : « من كان عطشان فليُقبل اليّ ويشرب » . فنفسي عطشى اليك ولا يزال جسدي يخفق شوقاً » *

يا رب اني اسكن ارضًا قفرةً مهولة لا ماء فيها . فكما اعطيتني هذهِ التربة المحرقة اعطني ايضًا ندى العُلَى . لانَّ الشقاء الذي يحزنني في هذه الحيوة ليس بطفيف فاني كيفما توجّهتُ وجدتُ المًا ونعبًا *

فاتضرّع اليك ان لا تطلق سخطك عليَّ لانَّ احزان قلبي تؤلِّم احشائي وافوالي مملوءة مرارة بل وجعًا . ها قد بسطتُ صلاتي امامك واريتك الآن شدّتي . لانَّ الشقي كثيرًا ما يتسلَّى باظهاره شقاءَهُ لاحد اصدقائهِ والجُرح القائح اذا ما انفجر قلَّ المهُ ويدمل سريعًا . فلذلك أُريتك يا ابا المراحم شروري *

٤ : قال الرب : ماذا تريد ان اصنع لك . كن صبورًا يا ابني . « اني قد نظرتُ الى مذلّة شعبي الذين بمصر فنزلتُ لانقذهم » (خر ٣ : ٧) فاذا ما اجزلتُ لك العطاء فاذكر اسمي لاني انا

مخلِّصك وفاديك *

لا تحزن ولا تكتئب لاني هاءنذا انا القائل هذا الكلام لموسى : قريبٌ منك ولماذا تَحُلُّ حزناً الست حاصلاً على روح المشورة . تذكّر اقوالي ومواعيدي لتلاميذي فاني قد وعدتُهم قائلاً : « لستُ أَدَعكم يتامى . انّي سوف اجيئكم وانا اطلب من الاب فيعطيكم فارقليطاً آخر روح الحق وسيثبت فيكم الى الابد » (يو ١٤ : ١٨ و ١٦) وهو الذي يعزّي قلوب القدّيسين في ضيقهم هكذا كلّمت رُسلي *

أَجل يا رب انّك قد قلت هذا الكلام لتلاميذك ايضاً وقد انجزت فيهم وعدك . ولكن لا اعلم كيف يُنجز هذا الوعد فيَّ انا الذي لم اكن معهم *

قال الرب : أَلا تريد ان تكون انت ايضاً

تلميذي *

— : بلى يا رب *

فإذن ما قلتهُ لهم اقولهُ للجميع لاني اقبل الكبير والصغير « واني لم اسأل ابي في هولاء فقط بل ايضاً في الذين يومنون بي بقولهم » (يو ١٧ : ٢٠) كلّ من رام ان يكون لي تلميذاً شارك مختاريّ بجميع الخيرات التي وعدتهم بها *

« ليسوا هم اختاروني بل انا اخترتهم واقمتهم لينطلقوا ويأتوا بثمار وتدوم ثمارهم » (يو ١٤ : ١٦) انّي كلمتكم بهذا الكلام لكي يكون لكم فيّ السلام وتحفظوا انفسكم في الصبر « السلام استودعكم سلامي خاصّة اعطيكم لستُ اعطيكم كما يمنح العالم » (يو ١٤ : ٢٧) فكونوا صابرين ومسرورين في شدائدكم *

ه : لا نطلب مجانبة الشدّة لانّ الشدّة نار

شديدة تطهّر الخطايا وتبيد المكابرة وتبعد الطيش وتولي حزناً نافعاً وتجعلك تبغض الاشياء العالميّة وتتشبّه بي أتريد اذن ان تحرم نفسك من كلّ هذه الفوائد *

— : كلاّ يا رب ثمّ كلاّ *

فهذه هي ثمار الصبر الحقيقي على الشدّة . فلا تطلب اذن السلام الاّ في الله تعالى . اطلب سلام الروح القدس وفرحهُ اللذين لا يقدر العالم ان يمنحهما *

قلتُ : يا سلام سيّدي يسوع المسيح وفرحهُ انكما تمنحان بني البشر شجاعة ايّ شجاعة وتنسابان في قلوب المختارين بوسائط ما اعجبها . يا سلام روح القدس وفرحهُ انكما لا تمنحان للكفرة والأثمة لكن للمتواضعين وخدّام الله الورعين فاخرقا السماوات وانزلا اليّ وافتقدا غالباً نفسي المسكينة

السمتية في جميع اطرافها . اعطني يا رب ان اعرف بالاختبار عظم حلاوة روح الحكمة والسلام العظيم المذخور لمحبّي شريعتك الذين يشعرون بعذوبة الروح القدس *

فانّي احتقر اذ ذاك بسهولة عظمى كلّ الاشياء الفانية الارضيّة لالتصق بعذوبة الروح القدس لا غير . واذا ما جعلني حبّهُ ان اجد كلّ شيء خفيفاً فيسهل عليَّ جدًّا الصبر على جميع الشدائد *

وايّ شيء يستطيع بعدئذٍ ان يفرّحني اذا ما استغرق ذاك الروح الالهي كل وجودي *

٦ : ليت شعري كم هو عذبٌ روحك يا رب انك اذ اردت ان تعلن حلاوتك لبني النعمة اعطيتهم الخبز اللذيذ خبز السماء وملأت نفوسهم الجائعة من الخيرات الباطنة وارسلت فرغاً الاغنياء المتأنّفين لانهم لا يستحقّون تعزية الروح القدس .

« وهذه كلها يؤتيها روحك الواحد بعينهِ ويقسمها على كلّ واحد بمفردهِ كما يشاء » (١ قور ١٢ : ١١) فانهُ يشجّع ضعفنا ويسلّينا في مسيرنا في هذهِ البرّية الواسعة حيث نُفينا *

غير اني اعلم يا رب انّ الساعة التي فيها تشعر النفس بعذوبة روحك القدّوس وتعزيتهِ الباطنة تشبه الساعة الثالثة من النهار التي فيها فتح بطرس فاهُ وبشّر بكلامك بثقة شديدة جدًّا وسكر من خمر جديدة تفعم قلب الانسان فرحًا ومُسح بزيت النعمة والبهجة مع جميع رفاقهِ (قصص ٢ : ١٥)

فتلك هي الساعة التي عنها قال بولس الرسول : « لانّ محبّة الله قد فاضت على قلوبنا بروح القدس الذي أُعطيناهُ (روم ٥ : ٥) اذ انّنا لم نُعطَ روح العالم بل الروح الذي من الله » (١ قور ٢ : ١٢) *

وقال ايضا : « افرحوا بالرب في كلّ حين وأقول ايضًا : « افرحوا بالرب في كلّ حين . واقول ايضًا : افرحوا لانّ الرب قريب » (فيلبي ٤ : ٤) نعم انّ الرب كان قريبًا منهُ كيف لا وقد قبل من الله نعمًا وافرة ملأت قلبهُ ففاض على غيرهِ بتسليات غزيرة متواترة في الغاية « سواء فاضت نفوسنا في الله او تلطّفنا بينكم فكلّ ذلك لاجلكم يا احبّائي » *

تلك هي الساعة التي فيها هتف النبي متهلّلاً فرحًا فقال : « جعل في فمي ترتيلاً جديدًا تسبيحًا لالهنا . (مز ٣٩ : ٤) تتهلّل شفتاي اذا ما رتّلت لك ونفسي التي فديتها . (مز ٧٠ : ٢٢) قلبي وجسمي قد ابتهجا بالالاه الحيّ » (مز ٨٣ : ٢) *

وكثير من الاحياء عظّموا بترانيلهم هذه ساعة العجائب التي فيها شعروا بجودة عطايا الله وكنت

انت يا الهي المانح لهم النعمة والفضيلة . انك تعطفت عليهم وثقفتهم في الباطن بروحك القدوس *

طوبى لأولئك العبيد الذين استحقوا ان يشتركوا بالخيرات السماوية وأحبوا ان يخدموا في الليل والنهار ربًا عذوبتهُ كثيرة ورحمتهُ غزيرة . انّ حياتهم لم تكن ارضية لكن سماوية اذ انهم يعيشون بذكر الخيرات الابدية . وقد امتلأوا من افضل خيرات الرب . فيا حبذا لو كانوا يتركون فضلات تلك الخيرات تسقط لاولادهم اذن لكان الفقرآء ياكلون ويشبعون من الكسر الساقطة من موائد اربابهم *

ولكنّ للنفس ساعة اخرى هي ساعة الحزن والألم . فاين هذه الساعة التي قيل عنها ايضًا في الانجيل الطاهر انّ : « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » (لو ٢٢ : ٥٣) *

يا رب انَّ هذا الكلام كلامك واحبُّ ان اتذكرهُ مع غيرهِ ايضًا لانَّ جميع اقوالك انّما قيلت وكُتبت لاجلي *

٧ : لقد عبرت ساعة الحزن عليك ايضًا يا يسوع فقلت فيها تلك الكلمة الجزيلة الفوائد لخلاصنا وهي : « انَّ نفسي حزينة حتى الموت » (مر ١٤ : ٣٤) وأضفتَ قائلاً لتلاميذك : « قد أتت الساعة هوذا ابن البشر يُسلَّم الى ايدي الخطاة ويُصلب ويقتل » وقلت ايضًا : « يا ابتاه لتعبر عنّي هذه الساعة » . لا يا يسوع الصالح لا يكن ذلك . لكن هلمَّ في هذه الساعة عينها ومت عن الشعب لكي لا تهلك الامّة كلّها « لانَّ حبّة الحنطة (اي يسوع المسيح) ان لم تقع في الارض وتمت بقيت وحدها وان هي ماتت اتت بثمار كثيرة *

فسقيًا لساعة الآلام والاحزان التي فيها خلاص

الانسان من الموت الابدي . فليكن مباركًا ومثمرًا الى الابد ذاك الحزن الذي نشّف دموعًا قد كنا نذرفها بلا انقطاع على هلاكنا وردّ للمائتين افراح الفردوس التي كانوا قد خسروها *

أَجل يا يسوع الرحيم هذه هي ثمار آلامك المقدّسة وفوائد الحزن العظيم الذي خضعت له لاجلنا كي ترشد الانسان الضالّ الى الحيوة الابديّة . لعمري انّ تلك الساعة التي قلت فيها للجمع : « كانّما خرجتم الى لصّ بسيوف وعصيّ لتاخذوني » لم تكن ساعة فرح وتسلية وسلام لكن ساعة مرارة ووجع وكآبة . وما اصعب تلك الساعة الاخرى التي فيها كان اليهود يصرخون بغيظٍ شديد : « اصلبهُ اصلبهُ فانهُ مستوجب الموت واما هو فكان صامتًا ولم يجب روساء الكهنة بشيء » *

٨ : والآن فماذا تشكين يا نفسي وابن صبركِ .

انّكِ قد اذنبتِ ومن اجلكِ يتعذّب يسوع . انّكِ قد اخطأتِ ومن اجلك يُجلد يسوع . انك قد اقترفت اثماً جسيماً لا يُغسل الاّ بدم يسوع الزكي *

فماذا تعطين يسوع عوضاً عن كلّ ما اعطاكِ . وبماذا تكافئينهُ عن الحيوة التي بذلها دونك . فانّهُ بذل حياتهُ دونكِ فبمَ تفينهُ *

« آخذ كاس الخلاص وادعو اسم الرب » (مز ١١٥ : ١٣) . نعم القول فاشربي هذه الكاس ان اردتِ ان تكوني لهُ من الشاكرين وارشفيهِ الى آخرهِ *

٩ : قال الرب : أتقدر ان تشرب الكاس التي شربتُها انا .

أجبتُ : « انّي اقوى على كلّ شيء بالذي يقوّيني » *

قال : « اشربوا من هذا كلّكم اشربوا الخمر

التي مزجتُها لكم فانّي الحقّ اقول لكم انّكم ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمهُ فليست لكم حيوة فيكم » لا تقل : « انّ هذه الكلمة صعبة من يستطيع احتمالها » انظر اليّ وتأمّل فاني قد حملتُ وحدي ثقل النهار وحرّهُ واذا وُجد غيري قد حمل احمالاً شاقّة فلا يشابهني مع ذلك البتّة *

انّي مع برارتي قد دخلتُ في خرم الابرة وسُرتُ في موحل غامر ولم يكن فيَّ خطيئة . دستُ العنب وحدي ولم يساعدني احد من جميع الشعوب « على ظهري حرث الحارثون وطوّلوا اثلامهم » (مز ١٢٨ : ٣) *

انظر الى يديَّ ورجليَّ فانّي قد صُلبتُ لاجلك . اجعل اصبعك في رسم المسامير وجسّ جروحي وشاهد سيلان الدم والماء من جنبي *

« قدّموا آنية قلوبكم واجمعوا فيها البلسم

الجاري ودهن الرحمة والنعمة . تناولوا العسل من الحجر والدهن من اصلد الصخور *

اني قد فتحت لكم قلبي فادخلوهُ . وقد طُعن جنبي بالحربة فهلمّوا اختفوا فيهِ *

١٠ : ماذا وجب ان اعمل اكثر ممّا عملتُ ولم اعملهُ . اجيبوني ؟ اثبتوا فيَّ وانا فيكم . احتملوا بعض الشيء لاجلي انا الذي احتملتُ كثيرًا لاجلكم . اني قد خففتُ كلّ شيء وسهّلتهُ بمثالي فلا تخافوا من الصليب الذي ترونهُ *

هلمّوا اليَّ يا جميع الحزانى والمغمومين والمحرومين من التعزية وانا اعزيكم . لماذا تخافون في يوم السوء . اني انا محاميكم وسوف اساعدكم عند احتياجكم الى مساعدتي في زمن الشدّة *

اجيبوني متى أبيتُ المبادرة الى من يرجو بي . ومتى منعتُ ذاتي عمّن يصرخ اليَّ . وماذا جاء محرّرًا

في سفر المزامير وماذا تقرؤون فيهِ : « قريب هو الرب من المنكسري القلوب والمتواضعين بالروح يخلّص . الصدّيقون صرخوا والرب سمع ومن جميع ضيقاتهم نجّاهم » (مز ٣٣ : ١٨ و ١٩) *

اني بهذهِ الاقوال احثّك يا ابني على مجانبة الفشل وخمود الشجاعة في الشدّة . فينبغي لك بالاحرى ان تسرّ بالضيقات التي تصيبك في هذا العالم . واعلم انها دليل على حبي لك وبالحقيقة ان الضيقات هي الختم الذي بهِ أسم مختاريّ *

افتح الكتاب المختوم والمكتوب باطنًا وظاهرًا اعني بهِ العهد الجديد والقديم . اقرأ وانظر فما تجد واحدًا من قديسيّ قد سلم من المحن وكثرة الشهوات والاهانات ولم يضحِ بكلّ ذلك اشهى لدى الله واكثر وقارًا في اعين الناس *

ان قديسيّ ينجحون في الشدّة . وبواسطة

صبرهم عليها ينشرون روائح براراتهم الفائحة *

كيف كانت تُعتبر جودة هابيل لو لم تُمتحن برداءة قائين . وكيف يعدّ الانسان عفيفاً اذا لم يقهر اهوآء جسدهِ . فيجب عليهِ لكي يُظهر حبّهُ للطهارة ان يحارب ببسالة ويجتنب نظير يوسف الفتى العفيف سُمّ اقوالٍ تنفثهُ امراةٌ عاهرة *

١١ : انّ الطاعة الحقيقيّة تبين ايضاً بالاجتهاد الذي يفرغهُ الانسان في مقاومتهِ ارادتهُ الذاتية . ولا ريب انهُ يشارك ابراهيم الامين بالثنآء المعطى لهُ لاجل طاعتهِ *

ومن يخضع لصوت الله احرى ممّا لصوت الجسد الخائن دائماً ممّن يقاومهُ يمتلئ بركات سماوية *

وماذا اقول عن الارادة الذاتيّة . فايّاها خاصةً تكره نفسي ولا يسرّني شيءٌ مما افسدتهُ .

لانّها تفسد على السوآء جميع الاعمال الصالحة كبيرة كانت ام صغيرة كما انّ الطاعة الحقيقيّة تطهّر كلّ شيء وتقدّسهُ *

اذا عمل انسانٌ خيرًا من تلقآء ارادتهِ نقُص استحقاقهُ بل وكثيرًا ما يخطأ اما اذا ترك عملاً صالحًا من قِبَل الطاعة عظُم استحقاقهُ لانهُ يكون قد رقي الى احتقار ذاتهِ وانتهى الى يسوع ابن الله والى الاقتدآء بطاعتهِ *

ليت شعري ما اقلّ الذين يعكسون اشعّة هذا مثال الطاعة . لانّ كلّ انسان يحبّ ان يعمل ما يستحسنهُ هو لا غير ومن اجل ذلك نضلّ غالبًا *

فاعلم يا ابن الطاعة انّ عمل الشرّ لا يجوز ابدًا واماّ العدول عن الخير من اجل الطاعة فبهِ المصير الى الكمال *

كما انّ المحبّة الكاملة لا تطلب ذاتها ابدًا كذلك الطاعة الحقيقية فانّها مستعدّة في كلّ حين لتترك آراءها واغراضها الذاتيّة *

انك ايّاي تطيع بخضوعك لرؤسائك وفيّ تحيا متى تضحّي ذاتك . قد وهبتك الحيوة بموتي على الصليب لاجلك حتّى تحيا معي اذا متّ معي *

فاميتوا يا اولادي اميتوا ارادتكم وآراءكم وحكمتكم الذاتيّة وسائر الاهوآء السيئة الجسديّة . اميتوا هولآء الاعدآء كلّهم والّا فانّهم يقتلونكم ويكونون لكم بمنزلة مزراق يفقأ عيونكم وبمنزلة حربة تطعن جنبكم وبمنزلة حيّة ودبّ ينتصبان امامكم في الطريق . وانّهم لا يدعونكم تنامون في فراش ضمير هادئ بل يسحنون من قلوبكم سلامَ الملكوت لانّهم هم الذين يجعلون القلق في اسرائيل اي في النفس المومنة الناشئة الى

رؤية الله *

اني قد انذرتكم : « تحذّروا واسعوا بفطنة لانّ الايّام سيئة واجتنبوا كلّ ظاهر سوء » . اني قدّمت لكم الاباء مثالاً . واذا كان هذا المثال غير كافٍ فأُريكم الانبياء فانّهم هم ايضاً قد احتملوا شدائد كثيرة في هذا الجيل الفاسق *

قال داود النبي : « الحزن والوجع وجدتُ وباسم الرب دعوتُ (مز ١١٤ : ٣) احزان وشدائد اصابتني الّا اني لم انسَ وصاياك (مز ١١٨ : ١٤٣ و ١٤١) كثيرة هي بلايا الصدّيق ومن جميعها ينجّيهِ الرب » (مز ٣٣ : ٢٠) *

افهموا جيدًا قوّة هذا الكلام . انّ النبي كان يُصاب بالحزن والوجع على الدوام بيد انهُ كان ينجو منها بواسطة صراخهِ الى الله في كل ضيقة : « من الحزن دعوتُ الربّ فاجابني »

(مز ١١٧ : ٥) *

وقال ارميا في مراثيهِ : (ص ١ : ١٦) « لذلك انا باكيةٌ عيني عيني تسكب مياهاً لانهُ قد ابتعد عنّي المعزّي المرجع نفسي » . « صرت ضُحكةً لجميع شعبي واغنيةً لهم النهار أجمع . ملأني مرارات واسكرني بافسنتين . جرش اسناني بالحصى وكبسني بالرماد فزُحزِحَتْ نفسي عن السلام . نسيتُ الخير وقلت قد بادت ثقتي ورجائي من الرب » (مراثي ٣ : ١٤) *

اسمع هذه اقاويل مراثي ارميا . بيد انهُ ما عتَّم ان شعر بورود التعزيات فأضاف قائلاً . الربُّ حظّي قالت نفسي فلذلك انتظرتهُ . طيّب هو الرب للمتوكلين عليهِ للنفس التي تطلبهُ . فانّ الربَّ لا يرفض الى الابد » (مراثي ٣ : ٢٤ و ٢٥ و ٣١) *

وقال غيرُها : « الويل لي لاني شابهتُ من

يقطف العنب في زمن الخريف ولا يذوق منهُ شيئاً . طلبت نفسي تيناً اخضر . ان القدّيسين قد بادوا من على وجه الارض وليس في البشر قلبٌ مستقيم » *

وكان يتسلّى بهذه الاقاويل : « اني التفت الى الرب وانتظر الاله مخلّصي . ان الهي يستمعني . اذا جلستُ في الظلام الرب يكون نوري . اني احتمل غضب الرب لاني اخطاتُ اليهِ . هو يرشدني الى النور فأبصر حقّهُ » *

هذه هي شواهد الانبيآء . فانظر كيف انّهم يشهدون من الجهة الواحدة بانكسار قلبهم وكيف انّهم يتسلّون من الجهة الأُخرى في الرب الههم *

اذكر ايضاً صبر ايوب المثال الجليل في فضيلة الصبر والنموذج الشهير الذي قدّمهُ لجميع قدّيسيهِ تعزيةً لهم *

واذكر كذلك اوجاع سائر القدّيسين واضطهاداتهم ومحنهم فانهم جميعاً ولاسيّما الشهداء القدّيسين الذين امتحنوا باشدّ العذابات وبواسطة صبرهم قهروا مضطهديهم *

فاذا تأمّلت ذلك تحقّقت انهُ « لا يتكلّل احدٌ ان لم يجاهد على السنّة » (٢ طيم ٢ : ٥) لانّ المحارب الشجيع يُعرف في القتال *

اذا رفعنا غارات التجارب وهجمات الشدائد بطل كلّ انتصار واذا بطل الانتصار بطل ايضاً استحقاق اكاليل المجد لا محالة *

وهذا ما حمل يعقوب الرسول على ان يقول : « يا اخوتي كونوا على غاية من السرور اذا ما وقعتم في التجارب المتنوعة » (يعقوب ١ : ٢) وقال القدّيس بطرس « وان اصبتم من اجل البر فطوبى لكم (١ بطرس ٣ : ١٤) وزاد قائلاً

بولس الرسول : « قد أُعطيتم في يسوع المسيح ليس ان تؤمنوا بهِ فقط بل ان تتألّموا لاجلهِ ايضاً » *

فاذا ما تهذَّبتَ انت ايضاً بأَمثلتهم وتعاليمهم تمسَّك في باطنك بعروة الصبر ما حييت واخضع لارادتي في جميع شدائدك وضيقاتك *

من يقدر ان يضرّك ان كنت في الحقيقة غيوراً على الفضيلة . ها انّ جميع تنهّداتك معدودة ولا يوجد المٌ مهما كان خفيفاً بغير استحقاق وثواب *

فاذا نزلت بك نازلةٌ اذكر انها طريق القدّيسين المؤدّية الى الملكوت السماوي *

١٣ : وانّها تجعلك شبيهاً بيسوع المسيح ربّك فتعزّ واشكر لهُ لانك تقدر بها ان تكافئهُ بعض المكافاة *

اني قلتُ لك هذه الاشياء لانّ من يحتمل الشدّة لأفضل ممّن يعمل اعمالاً صالحة . يُبان للناظر انّ لي عبيداً كثيرين ولكن قليل منهم يستطيعون الصبر . اذ انهم يفشلون لأخفّ شدّة تصيبهم ويسخطون لاهانة خفيفة ويتشكّون للحال ممّن يهينهم واذا وبّخهم احد قدّموا لهُ الف عذر*

فحقًّا انّ هؤلاء لا يسلكون سلوكًا حسنًا وطريقهم يبعد جدًّا عن الطريق ألتي سلكتها انا مع قدّيسيّ*

ان البعض يقولون انّ سلامنا قليل . ولكنني اقول : ليس لكم سلام بتة . لانكم لا تعرفون التمسّك بعروة الصبر . اجل ليس لكم سلام لانكم مملوؤن من محبّة الذات . انكم جسدانيون وتسلكون بحسب الجسد . وما سبب الفتن والمنازعات التي بينكم الّا اهواؤكم*

فكلّما زاد صبركم زاد ايضًا سلامكم*

« سلامي أُعطيكم . لستُ اعطيكم كما يمنح العالم . انَّ سلامي قائم بالصبر العظيم على الشرور وباحتقار افراح العالم ولا بدّ من هذين الامرين لمن اراد ان يكون خليل الله *

« ما جئتُ لأُلقي سلاماً على الارض لكن سيفاً » « انّ السلام يكون على الارض للناس ذوي الارادة الصالحة . اذ انهُ لا سلام للمنافقين يقول الرب » (اشع ٤٨ : ٢٢) *

فاطلب السلام مع الله ولا تطلبهُ مع العالم . اطلبهُ بمكافحتك الاهواء والرذائل لا باذعانك لها . فهذا هو السلام المقدّس الصالح الذي بهِ تُسرّ نفسي *

١٤ : تذكَّر ايضاً في بلاياك انّ جميع الاتعاب والاوجاع ستنتهي عن قريب وسوف تكون المكافأة عليها ابديّة عظيمة في الملكوت السماوي بالقرب مني *

ثمّ افتكر في هلاك الاشرار وفي عظم عذاباتهم المقبلة . وان كنتَ لا تقدر ان تحتمل الآن حزناً بغاية الخفّة فكيف حالك وعذاب جهنم الغير المتناهي *

انّك اذا جعلت اصبعك في لهبة نار فبالكدّ تستطيع ان تحتمل شدّة الحرارة هنيهةً من الزمان فكيف لو أُلقي جسدك كلّهُ في جهنّم *

فلا تخف اذن ممّن يقتل هذا الجسد النجس ولا تسخط على من يعاقبهُ لكن خف ممّن اذا قتل يستطيع ان يلقي النفس والجسد في جهنّم . نعم خف من هذا العقاب واحصهِ وافتكر فيهِ دائماً فتتبين لك جميع بلاياك كلا شيء . تسلَّ في جميع ضيقاتك بهذهِ الاقوال : « اصبروا يا اخوة الى مجيء الرب فانّ مجيء الرب قد قرب (يعق ٥ : ٧) العالم يمضي هو وشهوتهُ » (١ يو ٢ : ١٧) *

من لا يحبّ شيئاً من هذا العالم يستخفّ الشدّة *

١٥ : انّ جميع محبي العالم لفي خداع لأنّهم يعتمدون على العدم غير انّ القدّيسين يتوقون الى المجازاة الابديّة ويرغبون في الرحيل عاجلاً . ولا يريدون ان يملكوا شيئاً في هذا العالم بيد انّهم يكنزون لهم كنزاً في السماوات *

وتصيبهم مع ذلك مضادّات عديدة فيدافعون عن انفسهم باسلحة الصبر . وكثيراً ما يفضّلون النجاة من الشدائد والضيقات غير انهم في كلّ ذلك يتركون امرهم لي ويلقون همّهم عليّ قائلين : « يا ابتاه ان كنت تشآء فعبّر عني هذه الكاس ولكن لا تكن مشيئتي بل مشيئتك » (لو ٢٢ : ٤٢) *

انّ الرب يعمل ما يشآء في السماء والارض والبحر وسائر الاعماق ولذا لا تحدث لاحد بليّة الاّ

بسماحهِ وتدابير عنايتهِ العادلة *

قلتُ : يا رب انّك عالم بكلّ شيء وتعرف ما يوافقني اكثر موافقة . انا عبدك فليكن لي كفولك *

« انّ احكامك حقّ عادلة جميعاً » انك تضع هذا وترفع ذاك لانّ جميع اقاصي الارض بيديك *

انّك عادل يا رب وحكمك حقّ . انك امين وقدّوس في جميع اعمالك . كلّ شيء متروك لارادتك وليس من يستطيع ان يقاومك . لانّك انت صانع السمآء والارض والبحرِ وكلّ ما يحيط بالسماوات . انك ربّ جميع الاشياء *

فلذا استودعك روحي لانّك انت فدائي ونجاتي وستنقذني من اعدائي الذين لا يزالون يضطهدون نفسي اعني بهم شهواتي ورذائلي . انت ملجاي في الشدائد وتعزيتي في الضيقات العديدة التي تحدق بي من كلّ جهة وجانب *

يا رب لابدَّ لي من الصبر فانهُ حصني الوحيد ·
قلتُ للصبر انك اخي وللفقر انك حبيبي وللتواضع
انك سيّدي وابي *

انكم جميعاً احباءَ الرب وقد باركّكم بفمهِ فيا
حبّذا لو احببتكم مع جميع عبيدِهِ بقدر ما يحبّكم
هو بنفسهِ *

فأَسألكم بل اناشدكم وأَتوسَّل اليكم ان تبقوا
معنا الى آخر نسمة من حياتنا لاننا بصحبتكم نبلغ
الى يسوع ربنا آمين *

* آمين *

L'ASILE

DES PAUVRES

كتاب

ملجا المساكين من كيد الشياطين

وهو

الكتاب التاسع

من مُنتَخبات الموقَّر توما الكمبيسيّ

الفصل الاول

في احتقار خيرات العالم كافةً

« الرب يرعاني فلا يعوزني شيء · في مروج الخضرة يُرْبضني » (مز ٢٢ : ١) *

ماذا يخصّ الانسان من كلّ خيرات الارض وغناها غير اللباس والطعام فعلى مَ اذن يتكبّر · فانهُ اذا مات يترك كلّ شيء ولا ياخذ معهُ غير كفن حقير يستر جثّتهُ التعسة العتيدة ان تُدفن فتاكلها الدود · ويؤدّي حسابًا عن جميع هذه الخيرات العابرة إن استخدمها كثيرًا او قليلاً والتي وُهبت لهُ كزاد للسفر ويُطالب بها مع الرباء الى آخر فلس *

مهما ارتفع الانسان وأثرى وعظمت منزلتهُ لا يزداد من اجل ذلك قداسةً ولا تدوم لهُ

خيراتهُ ابداً . فانهُ بمقام خادم مستخدم الى وقتٍ وخاضع لسلطة ربهِ المطلق وللملك السماوي والديَّان الاعظم الابدي الذي اعطاهُ ذلك كلهُ ليربح بهِ اعمالاً صالحة لا لكي يصيرهُ آلةً للخطيئة ويتسهَّل لهُ فعلها *

انَّ ربنا ربٌّ مملوٌّ جودة يجازي عبيدهُ الامناء مجازاةً تعادل بل تفوق كثيراً اتعابهم . فانهُ يعطيهم الراحة الابديَّة عن شغل زهيد والفرح الدائم عن حزن قصير واكليل مجدٍ ابدي عن كلّ اهانة احتملوها لاجلهِ *

٢ : بل انهُ منذ الآن يوزّع خيراتهِ بدون غشّ فيعطي لكلّ واحد وفي كلّ مكان وزمان على قدر ما يشاء وبموجب احكامهِ الخفية والعادلة ابداً . ويحوّل كلّ شيء الى خير للاخيار والى شرّ وعقاب للاشرار كيلا يتشكى احدٌ بعدلٍ

من احكام الله لكن من عدم اهليتهِ وكفرانهِ بالنعمة لا غير فيفضّل القريب عليهِ وبفضّل الله على الجميع دائمًا *

قال احد كهنة هولاندة الافاضل في تابينهِ احد السادة الاشراف ان سيّدنا الذي كان من شرفآء هولاندة قد مات بعد ان قضى بيننا زمنًا قصيرًا يسيرًا جدًّا . وقد كان لهُ بعض ادخال وعائدات سنويّة وها انهُ قد خسرها الآن ولم يستطع ان ياخذ معهُ شيئًا منها . ولو كان بقي لهُ بعد موتهِ شيء ممّا ترك لكان احسن التصرّف بهِ ايّ احسان *

٢ : ثمّ انّ احد الامرآء السوريّين اذ ناهز الموت هتف قائلاً على مسمع ضبّاطهِ المحدقين بهِ : واحسرتاه لو كنتُ اكون في حياتي راعي غنم لكنتُ اموت الآن آدن ميتة *

وآخر من ذوي الحسب والنسب مرض فعادهُ كثيرون طالبين اليهِ ان يكافئ خدمتهم لهُ بتذكرةٍ ما وقالوا لهُ : « يا مولانا ما هو نصيبنا وماذا تعطينا الآن . فأجابهم اذ ذاك قائلاً : انكم جميعًا تطلبون فوائدكم وليس منكم من يفتكر في نفسي وانا لا اعلم اين يكون رقادي ومنزلي في هذهِ الليلة » . ثمَّ مات على هذهِ الحال وقد ايقن في توبتهِ المتأخّرة بطلان وغرور خيرات هذا العالم السريعة الزوال والفانية كالدخان *

فطوبى لمن كان فقيرًا في خيرات الارض وغنيًّا في فضائل يسوع المسيح واستطاع في آخر عمرهِ ان يعيد بثقة هذا الكلام النبوي : « الرب يرعاني فلا يعوزني شيء في مروج الخضرة يربضني لمجد اسمهِ القدّوس » *

الفصل الثاني

في خمس خبزات يحيا بها الانسان في برّية هذه الحيوة

« ليس بالخبز وحدهُ يحيا الانسان بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله » (متى ٤ : ٤)

انّ الله ربنا ومخلّصنا قد كلّم في سالف الزمان قدّيسي العهد القديم بواسطة الناموس والانبيآء والآن ايضًا يكلّمنا بواسطة المعلّمين مفسّري الكتب المقدّسة ويعلّمنا ما يجب علينا ان نومن بهِ وكيف ينبغي لنا ان نحيا ونخدم الله *

فاحبب اذن قرآءة الاقوال التي اوحى بها الله الى قدّيسيهِ لاجل خلاص شعبهِ *

قال احد الكهنة الافاضل لاحد اخوتي : سيّانِ لديَّ اذا قرأتُ العهد القديم او العهد الجديد فانّ

كلاهما عمل الله *

واذ كان ذات يوم المعلّم جيرار الجليل يتلو فرضهُ مع تلميذهِ يوحنا سأَل تلميذهُ عند الختام وقال لهُ : أَتفهم جيّدًا صلاة الفرض . فاجاب يوحنا قائلاً لهُ : نعم ولكنني لا افهم الكلّ . فسارّهُ المعلّم حينئذٍ وقال لهُ : انّي لأَجد في كل آية بل في كلّ كلمة من كلمات المزامير معنًى رمزيًّا ومعنى نسكيًّا وذلك من فضل الله تعالى والمعلّمين القدّيسين الذين علّموني ان افسّر بامانة المعاني المختلفة *

فاقبل اذن من رحمة الله ونعمتهِ خمس خبزات تُجديك جزيل الفائدة وتساعدك كلّ المساعدة لتعيش عيشةً فاضلة في برّيّة هذهِ الحيوة *

امّا الخبزة الاولى فهي توجّع القلب على كلّ ما عملنا من الشرّ في هذا العالم . واما الثانية فهي

الاعتراف بزلاتنا اليومية وتوانينا الجسيم عن القيام بواجباتنا العديدة . واما الثالثة فهي خبزة التعزية الالهية في الصلاة حين نؤتى رجاء المغفرة وترك الخطايا . واما الرابعة فهي خبزة الشكر على جميع الاحسانات التي قبلناها من الله سوآء كان ذلك في السرآء ام في الضرآء *

فليكن مباركًا الى الابد عن جميع هذه الخبزات الرب الذي رحمتهُ لا تحدّ ولا يزال حتى اليوم يجزل لنا العطاء *

واما الخامسة فهي خبزة الحبور الباطن والانخطاف برجآء الغبطة الابدية والتأمل في عظمة المجد المقبل مع الله وجميع قديسيهِ *

فبارك اذن الرب على هذه الخبزات الخمس وعلى سائر احساناتهِ الغير المحصاة التي منحك اياها منحًا باهرًا جدًّا بحسب ثلث انواع الخبزات اي

بحسب الطبيعة والنعمة والمجد الابدي *

الفصل الثالث

في محاربة الجسد مع الروح

« قصَّ عليَّ الاشرار اكاذيبهم . انها ليست نظير شريعتك » *

احفظ جميع حواسّك لئلاّ تسحرك اشباح الشيطان الباطلة الفتّانة . لانهُ ينبغي للانسان ان يحارب ما دام حيّاً اذا لا يريد ان يُغلب . بيد انّ تجربتهُ لا تكون دائمًا شديدة قويّة على حدّ سوى . وعليهِ فاذا نزلتَ انت الى ميدان هذه الحرب فوجّه صلاتك وتنهّدات قلبك الحميمة الى الرب الذي في السماوات *

ان الجسد يعطف بالانسان الى الارض

واما الروح فانهُ يُرينا طُرقاً وعرة ضيقة . ان اتباع الجسد غرور واما الاكاليل فلمن اتبع الروح *

٢ : فتيقظ وكن منتبهاً . احترز على ذاتك من كلّ جانب لانك حيثما وُجدت إن داخلاً وان خارجاً فلك ان تخاف نبال الاعداء . لتكن جروح يسوع المسيح مرسومةً في قلبك رسماً بليغاً . واطلب حماية يسوع وامهِ في جميع طرقك واتخذهما بمنزلة درعٍ تتدرّع بهِ وبمثابة عصا تتوكأ عليها وبمقام سيف تحارب بهِ *

لا تحادث مدّة اناساً لا علم لهم ولا فطنة . ولا المتعنتين ولا السفهاء لانهُ يتسهّل لك بصحبتهم ان تهين الله *

تحادث واقم بطيبةٍ مع المتواضعين والسذج الذين يحبون الله حقاً . فانها تفيد صحبة الصالحين الذين يتكلّمون فيها عن الله كما تضرّ صحبة الاشرار

الذين يتكلمون فيها عن العالم *

فاجتنب المباحثات واطلب المتواضعين والسكونيين *

الفصل الرابع

في تقلب القلب البشري

« سئمت نفسي الحيوة »

ولماذا . لكثرة الاتعاب والاوجاع والشدائد التي تنزل بي وتفصلني عن الله *

فما العمل والى اين انوجه لاحسن حالي . احتمل الصبر وانتظر الرب بثقة فانهُ « قريبٌ من المنكسري القلوب وينجي المتواضعين بالروح » *

لان العدل ان تصيبنا الاوجاع والاحزان والاهانات والاحتقار لكي نذلل كبرياء النفس

وتقلل مطامعها *

اذا احتُقرتَ فتذكر رذائلك وخطاياك فيبطل تشكّيك واحتدادك . لا احد معصوم من الخطيئة . ولا احد طاهر من كلّ دنس ولا احد بريّ من كل خطأ وسالم من العقاب « لاننا جميعاً قد اخطأنا » اما الله فانهُ وحدهُ قدّوس غير مائت ابديّ عظيم سامٍ ومستحقّ ان يُمدح فوق كل شيء مدى الدهور *

فضع كل رجائك وفرحك في الله وكن متأهبا في كل حين لاحتمال جميع الاحزان لاجل الله

انّ افراح العالم سريعة الزوال جميعاً وكل مدحهِ مملوء غايات ومكايد . وكل لذّة حسية تحمل عقابها معها وتستوجب الخزي والاحتقار *

من كان ذا ثروة طائلة حصل من قِبَلها

على كثرة القلق والهموم · ومن عرف ان يكتفي بالقليل كان في راحة بال عظمى *

من لا يخدم الله فهو شقيٌّ تعِس ومن لا يحبهُ فيفقد كل شيء لهُ . ومن يجعل رجاءَهُ في المخلوقات وينسى الله فانهُ باطل لا ثبات لهُ *

طوبى لمن يكون الله لديهِ كلًّا في الكلّ ويقول مسرورًا مع بولس الرسول : « واما انا فحاشا لي ان افتخر الّا بصليب سيدنا يسوع المسيح الذي من جهتهِ صُلب العالم لي وانا ايضًا صُلبتُ للعالم » (غلاط ٦ : ١٤) *

جآء في سفر الامثال عن نفس الكسلان والمتقلّب في خدمة الله : « نفس الكسلان تشتهي ولا تحصّل » (امثال ١٣ : ٤) ومعنى ذلك انّ الكسلان يشتهي ان ياكل ويشرب حسنًا . لكنّهُ لا يريد ان يشتغل ويصوم · يشتهي ان ينام طويلاً

لكنهُ لا يريد ان يقوم باكراً . يشتهي ان يتحادث لكنهُ لا يريد ان يسهر ويصلّي . يشتهي جدًّا اصلاح غيرهِ الّا انهُ يأبى احتمال ادنى كلمة . يشتهي ان يعلّم الناس وهو مع ذلك يهمل اصلاح نفسهِ . فمن هو كذلك يستحق العصا والمخصرة اذا لم يصطلح من هذهِ النقائص واما مَن يثبت في الفضيلة فهذا يكون مباركًا في كلا الدارين آمين *

الفصل الخامس

في طاعة الراهب الساذج الوضيع

قال الحكيم : « الانسان المطيع يتكلّم كلام المنتصر » (امثال ٢١ : ٢٨) *

وكيف ذلك ؟ لانّ من يطيع ببساطة يقهر ذاتهُ ويهمل ارادتهُ ليتبع بتواضع ارادة غيرهِ .

وهذا من شانهِ ان يولّد سلاماً عظيماً ووفاقاً عذباً . ولذا فان المطيع يتمتع بسلامة الضمير ويزيد فرح قلبهِ . وينال من لدن الرب الرجاء بهِ فلا يعود يخشى الموت لانّ رجاءهُ موضوع في الله الذي لهُ خضع في كل حين ولهُ يريد ان يخضع حتى الممات *

انّ الاعمال الصالحة المصنوعة ببساطة وطاعة لتسرُّ الله جدًّا وتفوق ما سواها استحقاقاً *

من يخضع ويطع لرئيس او لمن كان متساوياً لهُ او دونهُ يغلب ويذعر الشيطان الذي لا ينفكّ يسوقنا الى العصيان والاستكبار ومقاومة القريب بفظاظة . ومن هذه الرذائل يتأتّى غالباً الغضب والمشاجرات وشرور أُخر كثيرة تكون بين الاخوة والرهبان الساكني الجنان *

ان الربّ يسوع الجزيل التواضع لم يعلّمنا

هكذا لكنهُ بخلاف ذلك يدعونا جميعاً الى الطاعة البسيطة ويقول لنا : « تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب » *

الانسان الذي يطيع نظيرهُ من اجل الله يكرّم الله اعظم تكريم ويسرّهُ في الغاية . انّ الاعمال التي نعملها من تلقآء ذواتنا تُعدّ وتُعتبر زهيدةً بل عدماً واذا عملناها بطاعةٍ سريعةٍ وتواضع تضحي لديهِ تعالى شهيّة في الغاية ولو كانت في ذاتها دنيئة حقيرة كبعض الخِدَم التي نؤدّيها من باب المحبّة لصلاح الاخوة *

٢ : انّ المطيع الحقيقي لا يتأخّر ولا يتكاسل ولا يتقمقم بل تراهُ في كلّ حين متأهّباً على قدر استطاعتهِ ليعمل بمسرّة الله . فسوآء صلّى او اشتغل او سهر او استراح او تكلّم او سكت او جلس او مشي او كتب او قرأ او دخل او خرج او اكل

او صام فكلّ ذلك يعود الى خيره وازدياد استحقاقاته بواسطة فضيلة الطاعة . انّما الفرح والسلام لمن ظفر بنفسهِ وكفر بذاتهِ وتزهّد وتذلّل وخضع لله ولنائبهِ بطيبة خاطر ومن كلّ قلبهِ ونفسهِ في كلّ وقت وحين حبًّا بهِ تعالى *

فيا ملائكة السمآء افتحوا لهُ باب الفردوس وانتم ايها الشياطين المتكبّرون ابتعدوا عنهُ . هلمّوا لملاقاتهِ ايها الآبآء والانبيآء واسندوهُ ايها الرسل والانجيليّون . تضرّعوا لاجلهِ ايها الشهدآء والمعترفون وابتهلن من اجلهِ ايتها العذارى والارامل والخطّيبات العفيفات . هلمّوا هلموا اليهِ انتم جميعًا يا اخوة يسوع المسيح واخواتهِ الامنآء واقبلوا نفس اخ مسكين متواضع ساذج طائع خذوها معكم حين خروجها من جسدها وضعوها في حضن ابراهيم قريبًا من لعازر ذاك الفقير القديم العهد لكي

استريح في سلام يسوع المسيح برجآء وأمن حتى نبعث في اليوم الآخر مع جميع القدّيسين لننال افراح المجد الابدي آمين *

الفصل السادس

في ثلاث علامات الصليب المقدّس

* ضعني على قلبك كخاتم * حسبَ ابتَ الهي لكي تحبني فوق كلّ شيء وارسم علامة الصليب وجميع جروحي المقدّسة على قلبك قبالة قبال العدوّ . لان صليبي هو طريق الخلاص ولوآء الظفر وهو ترس منيع يدفع عن النفس والجسد جميع الاخطار *

فارسم اذن علامة الصليب المقدّس على ثلاث مواضع خاصّة : على قلبك وفمك وذراعيك لتنجو من كلّ الرذائل *

ارسمها على قلبك لكي لا تفتكر افكارًا سيئة بل تتذكر دائمًا الله واحساناتهِ اليك ويكون قلبك محميًا ومصونًا من كل خبث في اتحادهِ بالله وجميع قديسيهِ *

واختم بها على فمك ايضًا لكي لا تنطق بكلمة قبيحة خفيفة ماجنًا فتكون اقوالك جيدة مقدسة نافعة وتصبح عزيزًا شهيًّا لدى الله ومستحقًا للمدحة بين الناس *

واختم بها على ذراعيك ويديك واصابعك ايضًا لكي لا تعمل شيئًا محرمًا بل تكمّل اعمال التقوى المفيدة للقريب مباركًا الله على كلّ ذلك وحامدًا اياهُ *

٢: فافتكر اذن بالخير دائمًا وتفوّه بهِ واصنعهُ حيثما كنتَ فتكون حياتك المصونة بعلامات الصليب المقدّس الثلاث مطابقة لآلام يسوع المسيح*

انّك بصليب يسوع تغلب كل انواع التجارب التي تدهمك في اعماق قلبك . فانك لا تكاد تقصد عملاً صالحاً مهما كان الّا والشيطان يجهد في منعهِ وتحويلهِ الى شرّ وتدنيسهِ *

فلا تلتفت الى جميع مساعيهِ ولا تبالِ بها بل احتقرها احتقارك للوحل واستغث بيسوع وارسم عليك علامة الصليب والتجئ الى مريم العذراء التي تحت الصليب . ونحْ وابكِ بين يديها مشاركاً اياها بوجعها غير مبتعدٍ عن الصليب واطلب ان تحيا وتموت مع يسوع ومريم على هذهِ الارض لتدخل معهما الى المظالّ الدهرية . آمين *

الفصل السابع

في التوجّع والشفقة على الضعفآء

« وقبل كلّ شيء فلتكن لكم مودّة دائمة بعضكم لبعض وذلك انّ المودة تغطّي كثرة الخطايا » (ا بطرس ٤ : ٨) *

لا يُحسننّ احد الظنّ في نفسهِ ويحتقر الضعفآء اذ ليس احدٌ يعرف نتيجة امرهِ هل انهُ يثبت الى المنتهى . انما جميعاً ضعفآء وكلنا نحتاج الى مساعدة وجميعنا نتوق الى الخير ونكره الشر « فكونوا رحماء كما انّ اباكم هو رحيم » (لو ٦ : ٣٦) *

احذر من شدّة التوبيخ لئلّا ترعب او تقسّي او تفقد او تجرح المريض الذي يجب عليك ان تسلّيهُ وتشفيهُ *

« لتفتخر الرحمة على الدينونة » كما يقول

يعقوب الرسول (يعقوب ٢ : ١٣) وهذا ما كان يعلمهُ يقيناً الاب فلوران الكاهن الفاضل الوديع ويؤيّدهُ بقولهِ : « اني رجعتُ بالرحمة اكثر مما بالشدّة والخوف » وكلامهُ هذا حقٌ مبنيٌّ على تعاليم ربنا يسوع المسيح *

٢ : بالمعاملة التي تعامل بها اخاك وقريبك يعاملك فيما بعدُ قريبك . ذلك قضآء عادل . لان كلّ ما تصنع من الخير لأخيك الضعيف الحزين الجريح فانما تصنعهُ ليسوع المسيح كأنك ملاك يخدم بوقارٍ الربّ الٰهه *

فأَفرغ اذن كلّ جهدك وبالك في حسن استعمال وقتك ووجّه كل خيرٍ تعملهُ لمجد الله ولا تنسب لك شيئاً باعجاب لانّ كلّ ما لك انما هو هبة من لدنهُ تعالى : الكونَ والحيوة والفكرَ والقول والعملَ وسائر الأشيآء *

متى طلبت بجميع هذه الخيرات مدح الله ومجده صعدت اليهِ عزّ وجلّ مرتفعاً مع الملائكة الى السمآء ومتى تطلب مجدك وتُعجب بنفسك مفضّلاً اياها على غيرك فاذ ذاك تسقط سقوطاً عميقاً جدًّا وتفقد السمآء وتخسر النعمة وتستوجب العقاب من اجل ارتفاع قلبك واستكبارك الذي اضمرتهُ باغرآء الشيطان عوض ان تحتقرهُ وتنبذهُ عنك بعيداً *

لانّ من يرتفع بقلبهِ ويفتخر بنفسهِ يكون فاسداً نجساً في اعين الله وملائكتهِ *

واما من يكون متواضعاً حقّاً صغيراً في عينيهِ خادماً للجميع رحيماً على الفقرآء شفوقاً على الضعفآء مسلّياً للبائسين مرشداً للضالّين مقيماً للساقطين مشجعاً للمرتخين فذاك ينال في هذا المنفى من لدن الله بركةً ورحمة وفي السماء حياة الابد آمين *

الفصل الثامن

في المثابرة على العمل الصالح

«امكثوا هاهنا واسهروا معي»

هذا ما قالهُ ربنا يسوع لتلاميذهِ حين ذهابهِ الى محلّ اوجاعهِ ليموت عنّا . فيجب على من دخل ديرًا او اخويةً ان يتأمّل هذهِ الاقوال ويحسبها اليهِ كان يسوع المسيح يقول لهُ :

امكث هاهنا واسهر معي . صلِّ وتأهّب للتجارب المقبلة اني قد اعطيتُ لك ولغيرك مثالًا في السهر والصلوة لكي تصنع مثلي وتثبت في مقاصدك الصالحة : « لان من يثبت الى المنتهى فذاك يخلص » *

انّ تجارب الصالحين كثيرة بيد انّ تسلياتهم ايضًا وافرة وجميع اوجاع الابرار لا توازي المكافآت

المقبلة في المجد الابديّ *

متى أَقبلت التجربة فعليك بالتامّل ولا تيأَس تاركًا عبادتك بل كن ثابتًا وأَوصِ الله بنفسك. طوبى للرجل الذي يستفيد من تجاربهِ وتجارب غيره فانهُ بصير فطنًا متواضعًا حليمًا رحيمًا شفوقًا سموحًا لطيفًا غير محتقر لاحد *

لا تتعجب من سقوط البعض ولا تتشكّك من سوء تصرّفاتهم لانّنا جميعًا عديمو الثبات ضعفاء نزلّ عاجلاً وننهض آجلاً. واذا لم يساعدنا الله دائمًا بنعمتهِ تعذّر علينا القيام والثبات ومقاومة اعدائنا ورذائلنا ولكنّنا بمساعدتهِ تعالى نقوى على كلّ شيء اي ان نبتدىء ونداوم ونكمّل *

٢ : فتيقظ على ذاتك كلّ التيقّظ اذ انهُ تعالى وَجَد الرداءة في ملائكتهِ وقد سقط الانسان الاوّل في الفردوس مغلوبًا ومسحورًا بثمرة

لا غير. والأُمّة الاسرائيلية هلكت في البريّة لتذمّرها وتمرّدها ونطلّبها لحوم مصر. ورسل المسيح وتلاميذهُ مع وجودهم بصحبة يسوع واستماعهم مواعظهُ زلّوا وخطئوا. فكانوا يتساءلون من منهم يكون الاول والأعظم في ملكوت السماوات. فانتهرهم يسوع بلطف واسكتهم وأراهم بأقوالهِ وامثالهِ ان لا يطلبوا الاستكبار بل ان يخدموا بعضهم بعضاً بتواضع ويحبّوا بعضهم بعضاً ببساطة ومحبة *

فعسى ربّنا يسوع المسيح ان يعطينا ان نحفظ هذه التعاليم ونعمل بموجبها آمين *

الفصل التاسع

في انواع مكايد العدو الجهنمي

« قاوموا الشيطان فيهرب عنكم بعيداً »

وكيف ذلك ؟ بالايمان والصليب

وبايّ اسلحة ؟ بالسهر والصوم وشغل النهار وصلاة الليل . وبالقرآءت المقدّسة والتاملات الورعة . وبالفقر والعفّة . وبالتواضع والسذاجة . وبالسكوت والابتعاد عن الاحاديث الباطلة . وبالاختلآء والابتعاد عن ضوضاء العالم . وبالتوجّع للحزانى والصلوة لاجل الاعدآء . وبالطاعة الكاملة والصبر الغير المعوُل . وبمحاربة الرذائل بشجاعة والثبات في جميع الفضائل والكفران بالمال واحتقار الكرامات والمدح والعليا *

لان من يداوم بمحبّة وثبات على هذه

الفضائل وعلى بقيّة اعمال التقوى ورياضاتها يسرّ الله حقًّا ويقاوم الشيطان بقوّة *

انّ لبُغض الشيطان وسائل ومكايد كثيرة يجرّب بها الرهبان خاصةً ويُخفيهم ويتلقهم بحيث انهُ لا يحيا احدٌ آمنًا من فخاخهِ حيثما كان وفي ايّة وظيفة او دير او اخوية وُجد *

فماذا يجب ان نعمل ?

علينا بالالتجاء الى الله والصراخ الى يسوع والبكاء والنحيب لكي يساعدنا دائمًا ويقوّينا ويحرسنا ولكي تقودنا نعمتهُ باطف بعد كثرة الاخطار الى مقرّهِ حيث السلام الحقيقي الابدي *

٢ : ليت شعري ما أحسن وما أعقل صنيع من يترك جميع الاشياء الارضيّة ويعرض عن طُرق الخطيّة ويختفي في الخلوة بعيدًا عن امور العالم . ويا ما انفع وما اجزل فائدةً درس من

يتروّض كلّ يوم في تأمّل حياة يسوع المسيح وآلامهِ ويجتنب كل المباحث الغريبة والغويصة التي تشغلهُ عن الله وعن الاشياء الباطنة لكي يُكثر الافتكار في عواقبهِ الاخيرة *

لعمري انّ من يقتدي بورع بامثلة يسوع وقدّيسيهِ في التواضع ويعدل عن طُرق العظام الرحبة هارباً منها هو عبد حكيم امين. لانّ الشيطان ينصب فخاخهُ للاغنياء والعظام خاصةً فيخدعهم ويهلكهم بالكرامات والملذّات *

انّ الفقراء والسذّج هم اعتيادياً في اعظم أمن من تهدّداتهِ اخزاهُ الله بيد انهم ليسوا بسالمين من كلّ خطر لانّهم اذ يشاهدون جماعة العلماء يزهون في العلم ورفاقهم يسبقونهم في المراتب يشتهون مناصبهم ويحاولون البلوغ اليها بوسائل جائرة *

غير انَّ يسوع المسيح يقول بخلاف ذلك ويعلّمنا تعليمًا افضل بهذه الاقوال : بيعوا مقتناكم واعطوهُ للمساكين . لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث كلّ شيء يبلى بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث كلّ خير يدوم الى الابد » *

فاهرب اذن من العالم واتبع يسوع المسيح لكي تنجو من الجحيم وتدخل السماوات مع فاديك المجيد *

الفصل العاشر

في تُرس الارادة الصالحة لدفع العدو

« كالتُرس والمِجَنّ يكون لك حقّهُ فلاتخشى من خوف الليل ولا من سهمٍ يطير في النهار» (مز ٩٠ : ٥) *

انّ الرب يسوع هو الطريق والحقّ والحيوة

والخلاص والقوّة والحكمة وهو يكون معك عن يمينك وعن شمالك وفي جميع قرآءاتك وتراتيلك لكي تدوم مثابرًا على تسابيح الله بفرح وحبور ويكون هو عونك وحارسك وحصنك المنيع تجاه جميع اعدائك الشريرة *

قال بولس الرسول : « ان كان الله معنا فمن يكون علينا » *

اتريد ان لا تخشى العدو . فاحبب الرب يسوع لانك كلّما زِدتَ حبًا لله تعالى ازددتَ احتقارًا للعالم وزال خوفك من الشرّ *

ان محبّة الله لا تخاف الموت ولا الشيطان ولا الجحيم . فاعتصم اذن بدرع الارادة الصالحة في محبّة الله فتبطل مخاوف العدو وحيلهُ *

٢ : ان الارادة الصالحة تكره الشر وتتحفّظ من الاثم على قدر وسعها وتنبذ الريآء ولا ترضى

بالمكر ونهرب من الكذب ونبغض الاباطيل وكل ما يخالف الآداب *

انّ الارادة الصالحة تعمل بمسرّة الله وتحب الصلاح والبر والحق والعدل وتطلب على الدوام كرامة الله بنيّة طاهرة في كلّ عملٍ صالح وقولٍ حسنٍ وفي كلّ مكان وزمان ما عاشت على الارض *

انّ الارادة الصالحة تفرح مع القريب بصلاحهِ وتحزن معهُ على شرّه وتساعدهُ في احتياجاتهِ وتطلب لهُ غفران زلاّتهِ وتغفر لمن يُسيء اليها وتشفق على المرضى وذوي الاسقام وترشد الضالّين بمشورات صالحة *

ان الارادة الصالحة الكاملة تجعل الله نصب عينيها دائمًا ولا تطلب في جميع اعمالها وافكارها الصالحة سوى مسرّتهِ تعالى وتحبّ بالقلب والفم

نجاح الغير كانهُ نجاحها وتكفر سريعاً بذاتها وتحتقر المدح وتجتنب الذِّكر وتعتبر كلّ ما يبعد من الله باطلاً وتجعل سعادتها في التواضع *

٣ : ايّها الأَخ العزيز المسكين المريض الحقير لا تضعف عزماً حين الشدَّة والوجع لانك تُمتحن اذ ذاك مع يسوع المسيح بالصليب ومع القدّيسين بالسلاسل والسجون . فاحتمل بصبر وبلا تذمّر أَلمك الخفيف اذ انك لا تقدر ان تحتمل كثيراً بفرح نظير كثير من القدّيسين *

واحتمل على القليل التوبيخات الخفيفة اليسيرة في الغاية اذ لا تستطيع احتمال ضربات في غاية الشدّة والثقل . احتمل لاجل يسوع المسيح هذه المضادّات القليلة . فانّ العالميّن يعانون اكثر واشدّ منها لاجل العالم *

اياك وان تخسر ثوابك بعدم الصبر فانّك

تقدر في كلّ ساعة من النهار ان تستحقّ ملكوت الله والمجد الابدي بانقيادك لهُ تعالى بورع *

اذا دهمتك الاوجاع والشدائد فضع بازائك آلام يسوع المسيح فيتيسّر لك احتمال جميع الاثقال التي تضيق عليك *

ليس احد في هذا العالم يحيا ولا يصيبهُ حزن في نفسهِ او في جسدهِ وليس احد تحت السماء بلا تعبٍ ولا وجع . كلٌّ منّا هو لذاتهِ ثقل وصليب سوآء كان وحدهُ او مع غيرهِ وسواء اشتغل او لم يشتغل *

فلا بدّ لنا من نعمة الله ومن صبرٍ جميل باطنًا وظاهرًا يكونان للارادة الصالحة كترس منيع تُدفع بهِ نبال العدو ورذائل الجسد وغرور العالم *

تدرّع يا خادم الله باسلحة يسوع المسيح وجاهد بها جهاد جنديّ باسل امين متمسّكا كلّ التمسّك

بالمصلوب *

انّ حياة يسوع المسيح كانت، كلها صليبا وهكذا يجب ان تكون حياتك لانّ الرب يسوع بنفسهِ قال : « من اراد ان يتبعني فليحمل صليبهُ ويتبعني » الى ملكوتي *

الفصل الحادي عشر

في تسبحة الله بكلّ عمل صالح

« باركي يا نفسي الرب »

اصنع كل عمل صالح لمجد الله واذا احسنت في فكر او قول او عمل فقل عند الختام : « الحمد والشكر لله » *

انك بدون نعمة الله لا تقدر قطعاً ان تعمل عملاً صالحاً ولا تقدر ان تبتدئ وتكمّل ايّ عمل

كان من اعمال الصلاح والاستقامة والفضيلة *

فلنبعدنّ اذن عنّا الكبرياء والاعجاب والمجد الباطل . ولنقبلنّ على الصلوة الوضيعة والتأمّل الورع وافعال الشكر وترتيل التسابيح بدون انقطاع *

٢ : كيف يبلغ الانسان الى طهارة القلب والى راحتهِ؟ اسمع ليس في الجواب اطالة واحفظ جيّدًا هذهِ آية المزمور :

« حِد عن الشر واصنع الخير » (مز ٣٢ : ١٥)

احفظ قلبك من التخيّلات السيّئة ولسانك من الاقوال المضرّة ويديك من الاعمال المحرّمة « هوذا الرجل الذي ينال بركةً من الرب ورحمة من الله خلاصهِ » *

فافتكر في الخير وتفوّه بهِ واصنعهُ دائمًا فتحيا حياتك في سلامة ضمير صالح *

السلام لكلّ انسان صالحٍ متواضعٍ وديعٍ بسيطٍ زاهدٍ طائع حتى الموت . الويل لكلّ انسان شريرٍ ظالمٍ خادعٍ خبيث متكبّر غير طائع . فانهُ لا يضرّ احدًا مثلما يضرّ نفسهُ *

الفصل الثاني عشر

في رذيلة المجد الباطل واعجاب المرء بنفسهِ

قال الوضيع ربّنا يسوع : « لا تستكبروا » * فيا ايّها التراب والرماد الحقير لا تفتخر باطلًا اذا كنتَ صالحًا لانك لا تعرف هل تثبت غدًا او تسقط *

قال بولس الرسول لاهل رومية : « لا تضمروا فوق ما ينبغي لكم اضمارهُ بل اضمروا بالورع » « ولا تفتخروا بصلاحكم لئلاّ تسقطوا في

الشرّ * *

انّ الله يقاوم المتكبّرين ملائكةً كانوا او بشراً لمّا يرتفعون ويعتمدون على انفسهم ويفتخرون بذواتهم *

واحسرتي انّ الكبرياء تنصب فخاخها للجميع. للرؤساء والمرؤوسين للرهبان والعالميين . ان الكبرياء لداءٌ معدٍ ينساب عاجلاً جدًّا الى قلب الانسان وتتهدّد العفيفين والورعين والابرار والصدّيقين والعلماء والمقتدرين *

٣ : ايّ انسان يقدر ان يفتخر بعفّةٍ هذا عظمها بحيث انهُ يحيا سالمًا من كلّ دنس ? يقينًا لا أحدَ *

فيا يسوع الهي انك وحدك قدّوس ووحدك ربٌّ متعالٍ فوق الكل ومباركٌ قبل جميع الملائكة والقدّيسين وفيهم وفوقهم جميعًا مدى الدهور.

فاليك ابتهل يا يسوع الحلو ربّي والهي « ان تشفي نفسي لانّي اخطاتُ اليك اخلق فيَّ قلبًا نقيًا وامحُ كلّ مآثمي » لكي اصير طاهرًا بكلّيتي واقف لك ذاتي بكليتها واكون شهيًا محبوبًا في عينيك وحقيرًا مرذولًا في عينيّ فأجد نعمةً ورحمةً امامك وامام جميع قدّيسيك الان والى الابد *

الفصل الثالث عشر

في حروب الاشرار المختلفة وصبر الاتقياء

« قد كثر الذين يبغضونني ظلمًا . يا بهجتي انقذني من المحيطين بي » *

لابدّ لك من الصبر ومن نعمة الله خاصةً لتقويك في الباطن والظاهر وفي كل زمان ومكان. لانّ في العالم حروبًا كثيرة وتحت السماء تعبًا

شديدًا والمًا اليمًا وليس راحةٌ الّا في السماء *

من يمكنهُ ان يحصي جميع شرور العالم واحكام الله الخفيّة . من يستطيع ذلك غير الله وحدهُ الحاكم العادل القوي الصبور المنتصر على شرّ البشر والمُفيض انوارهُ وامطارهُ على الابرار والاشرار *

ليس من يختبئ من حرارتهِ وضوئهِ . ولا يسلم بشر من دينونتهِ او يهرب من بين يديهِ « عينا الرب في كلّ مكان ترقبان الاشرار والاخيار » (امثال ١٥ : ٣) *

فقل مع داود النبي : « عيناي الى الرب في كلّ حين لانهُ يجتذب من الفخّ رجليّ » (مز ٢٤ : ١٥) واضف قائلاً : « لولا انّ الرب نصرني لأَوشكت نفسي ان تحلّ في الجحيم » (مز ٩٣ : ١٧) *

ان كنتَ تريد ان تسلم من الغشّ والمكر والاضطراب فلا تضع رجاءك وسلامتك في انسان

او في خليقة من خلائق السمآء والارض. لانهُ لا سلامة الّا في الله الحيّ الحقيقي الابدي الغير المتناهي في الصلاح الذي خلق كلّ شيء من العدم ويدبر كل شيء بعدالة احكامهِ *

الفصل الرابع عشر

في الابرار وشرّ الاشرار

«أَفِض اللهمّ خيراتك على الصالحين وعلى المستقيمي القلب»

يا رب طوبى للرجل الذي يسلك امامك ببرارة ويطلبك بحسن البساطة وخلوص النيّة. طوبى للرجل الذي يقصد قبل كل شيء وفي كلٍ من اقوالهِ واعمالهِ حمدك ومجدك وكرامتك وحبّك ويخضع لارادتك في كل شيء ولا يختصّ بشيء من

اعمالهِ ولا يرغب في قنيةٍ ما *

ليكن يسوع في قلبك دائمًا وفي كل مكان وفي التعب والراحة . كن متأهبًا على الدوام في الليل والنهار لكلّ عمل صالح بلا رياء ولا تذمّر كما يليق بخادم الله الوضيع *

« ليس كذلك الاشرار فانّهم كالغبار الذي تذرّيهِ الريح » ولا يجعلون خوف الله نصب عيونهم ولا محبّتهُ تعالى في قلوبهم *

فماذا يوجد بينهم ؟ بينهم كل انواع الظلم والمشاجرات والمخالفات والكبرياء والحسد والبخل والمكر والاثم . هذه هي حياة الاشرار الذين لا ينفكّون يرتكبون الشرّ ويعذّبون الصالحين والسذّج بيد انّ في ذلك ثوابًا للصالحين وعقابًا للطالحين وبذلك ايضًا يتقدّم الاخيار في الفضيلة ويبلغ الاشرار منتهى شرورهم *

فاعطنا يا رب ان نثبت في الفضيلة مع الصالحين . آمين *

الفصل الخامس عشر

في حسد الشيطان لخلاص البشر

« انّ الموت دخل العالم بحسد الشيطان »

ان الخصومات والفتن الدائمة بين الناس تتولّد من الحسد . ويحاً للشيطان عدو الناس اللعين ورئيس الظلمات وسلطان جميع ابناء الكبرياء فانهُ لا يزال يجرّب ويقاوم الى الآن خدّام الله الامناء *

انهُ زرع الفتنة بين الملائكة في السماء وسبب الانشقاق بين الله والانسان في الفردوس . وبين آدم وحواء اللذين استمالهما الى الخطيئة . وهو الذي

ساق قائين الى الانفصال عن اخيهِ وقتلهِ وحمل عيسو على بغض اخيهِ يعقوب *

٢ : انهُ اخزاهُ الله يطوف كلّ يوم في العالم ليفسدهُ ويجول بالتهكّم والنميمة بين الرهبان والعالميّين وبين الكهنة والشعب وبين العلماء والجهلاء وبين الحكماء والاغنياء *

انّ بغضهُ يعمّ كل انسان متكبرًا كان او وضيعًا قويًّا او ضعيفًا . كبيرًا او صغيرًا حسينًا او قبيحًا . شيخًا او شابًّا شريفًا او حقيرًا . رئيسًا او مرؤوسًا مسافرًا او غير مسافر . متعبّدًا او مترفًا صامتًا او مهذارًا . بسيطًا او محتالًا صدوقًا او كذوبًا . فهولاء جميعهم وكثيرون غيرهم صالحون وطالحون يسعى بينهم الشيطان باذلًا كل جهدهِ في ان يستميلهم الى الشرّ ويردّهم عن الخير *

فليرتضِ ربّنا يسوع المسيح الذي قهر رئيس

هذا العالم بصليبهِ وافتدانا من يديهِ بدمهِ الكريم ان يحفظنا ويكفّ عنّا اذى ابليس اللعين آمين *

الفصل السادس عشر

في اسلحة يسوع المسيح وقديسيهِ لقآء الرذائل

« البسوا سلاح الله كلَّهُ لتقدروا على المقاومة في اليوم الشرير وتثبتوا كاملين في كل شيء (افسس ٦ : ١٣) لانّ من يثبت الى المنتهى فذاك يخلص »

اذا سقط احد واخطأ في شيء فاياهُ وقطع الامل . ليندمْ حالاً وينهض . ليزدد تحفظاً على نفسهِ وليكن افضل مما كان *

فيا لها مشورةً صالحة ويا لهُ دواءً ناجعاً يسند الانسان تجاه الشرّ في الكلام والعمل ويعِد المجاهد منّا والتائب باستحقاقات جزيلة والغالب

ابت بافراح الابد بعد هذا المنفى *
ولذا لمّا كان المخلّص ينذر الناس بملكوت الله
حتقار العالم قال لهم : « توبوا فقد اقترب
لكوت الله » وزاد قائلاً : « بمكيال صالح مملوءً
زوز فائض يلقون في حضونكم » (لو ٦ : ٣٨) *
٢ : انّ اسلحة جنديتنا ليست بجسدية خارجية
كنّها روحيّة باطنيّة وهي المواهب واعمال المحبّة
خدم التواضع والتأمّلات والدموع والاصوام . فاذا
شتغلنا بعبادةٍ باسم يسوع ومريم وجميع القدّيسين
كانت لنا هذه الاسماء المقدّسة بمثابة اسلحة من ذهب *
انّ خادم الله المسكين الوضيع يتسلّح بالصليب
المسامير والحربة والجروح الخمسة الكريمة وسائر
جراحات يسوع المسيح المرسومة في ذاكرتهِ . اما
قوال الكتاب المقدّس وكتب المعلّمين والحقوق
القانونيّة ورسوم القانونيين وقوانين الرهبنات

وصلوات المتورّعين وحياة المتواضعين وامثلة بني الطاعة فانها اسلحة من فضّة *

واما اسلحة النحاس والفولاذ فهي جهاد الشهدآء القدّيسين وعذاباتهم الشديدة من اجل صحّة الايمان وردم الاصنام الباطلة وتعظيم اسم يسوع المسيح المصلوب ورفعهُ فوق جميع القوّات وشرور العالم وفوق شموس السمآء *

٢ : واما اسلحة الحديد فهي المسوح والاصوام والاشغال الشاقّة التي يخترعها التائبون ليعاقبوا بها اجسادهم والسهر المستطيل وكثرة الصلوات والدموع المرّة المنسجمة على خلاص النفس وحرّ القيظ وبرد الشتآء وسائر اوجاع الجسد الجزيلة الفائقة لقمع رذائلنا وذبّ اسهم الشيطان عنّا *

واما اسلحة العذارى والارامل والسيّدات فهي العفّة والحياء والسكوت والتواضع والاحتشام

والطهارة والقناعة والامساك عن افراح العالم وأزيائهِ والاقامة في البيت والابتعاد عن الامكنة العمومية وصيانة القلب واللسان المحكمة في كل عمل ووقت ومكان *

فيا ايها الرب يسوع الجزيل الرحمة البسنا هذهِ الاسلحة واحمِنا من الاخطار التي يتوعّدنا بها العدو لكي نستحق البلوغ اليك بلا عائق ولا مانع بشفاعة قدّيسيك . آمين *

الفصل السابع عشر

في منفعة الصلوة المتواترة

« أَسكُبُ امامهُ أنيني وبشدَّتي قدَّامهُ أُخبر » في مكان وآوان (مز ١٤١ : ٢) *

حيثما كنتَ اتّخذ لك صلوةً مقدّسة قصيرة

او طويلة وفقاً للزمان نلهج بها ونتسلّى بتلاوتها واعادتها *

ان خادم الله الورع يجد كلّ محلّ مناسباً للصلوة وكلّ وقت كافياً لاتقان التامّل . لانهُ مكتوب (وكلّ يوم يقال في القدّاس) « السمآء والارض مملوّتان من جلال مجدك اُوصنّا في العُلى » *

ان كنت تريد صلاةً مستوعبة ثماراً مع قصرها فقدّم لله قلبك بكمالهِ وقل لهُ هكذا : « ايّها الرب الساكن في السمآء اتوسّل اليك ان تخلّصني وتباركني وتقدّسني وتكمّل فيّ ارادتك على الدوام » *

اذا جعلت الله والفضيلة والكُتُب المقدّسة موضوع افكارك واقوالك واعمالك الصالحة كلها وأتقنت العمل واحسنت ادراكهُ وكنت منتبهاً

رزينًا دائمًا اصبحت تلك الافكار والاقوال والاعمال باسرها صلوةً وابتهالاً نقرع بهما باب السمآء ونطلب الرحمة وننال النعمة والمجد *

ومتى قصدت في صنيعك هذا مجد الله تُسرُّ الملائكة وتضطرب الشياطين او يستفيد القريب مع اخوتك واخواتك الذين تسوقهم الى الصلوة بمثابرتك عليها *

٢ : فلا تملّ من الصلوة والشغل والتامّل ولا تستثقل خدمة الرب الملك . لتنهض معك الصلوة في الليل ولتسهر معك مترنّمة بالالحان والمزامير . لتسرح معك في رُدهة النوم ولتسبقك وتتبعك في المحراب لتجلس معك في المطعم ولتكن معلّمتك في محلّ التكلّم *

والخلاصة لترافقك الصلوة حيث كنت ومهما عملت والى حيث ذهبت لكي يتمجّد فيك الثالوث الاقدس

الفصل الثامن عشر

في بعض نوافذ نرمي بها عدونا بمثابة اسهم حادّة

بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فيهِ

كلُّ جيوشها » (مز ٣٢ : ٦) *

انّ كلمة الله هي للنفس المؤمنة ترس يحميها وحربة حادّة تكافح بها العدو . انّ مخاتلات العدو القديم عديدة . والخيالات التي يصوّرها للورعين والسذج والمتواضعين كثيرة لا يُحصى عددها . بيد انّ يسوع المسيح قوّة الله وحكمتهُ يقدر على كلّ شيء في السمآء والارض ويمكنهُ بكلمة واحدة ان يغلب الشيطان ويسحقهُ تحت ارجل اوليائهِ *

فاذا فاجأك خوفٌ فصلِّ قائلاً : « كن لي يا ربُّ برجًا حصينًا في وجه العدو » (مز ٦٠ : ٤) *

واذا شعرت بشوكة جسدك الفاسد فصلِّ قائلاً : « اقشعرّ جسمي من خوفك ومن حكوماتك جزعتُ » (مز ١١٨ : ١٢٠) *

واذا انساب اليك بعض ظنون سيئة فصلِّ قائلاً : « قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدّد في باطني » (مز ٥٠ : ١٢) *

واذا ضيّق عليك حزنٌ رديءٌ فصلِّ قائلاً : « أرْدُد لي سرور خلاصك وبروحٍ عاتقٍ اعضدني » (مز ٥٠ : ١٤) *

واذا نفخ فيك المجد الباطل صلِّ قائلاً : « لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطِ المجد » (مزمور ١١٣ : ١) *

واذا عذّبك اليأس صلِّ قائلاً : « يا رب انت متّكلي منذ حداثتي ومن بطن اُمّي انت وليّ » (مز ٧٠ : ٥ و ٦) *

واذا استولى عليك الضجر صلِّ قائلاً : « اسندني فأتخلّصَ وألتفتَ الى فرائضك كلَّ حين » (مز ١١٨ : ١١٧) *

واذا اضناك النُعاس صلِّ قائلاً : « أَنِر عينيَّ لئلاّ انام نوم الموت لئلاّ يقول عدوّي قد قويتُ عليهِ » (مز ١٢ : ٤) *

واذا اردت مقاومة الفتور صلِّ قائلاً : « أَيقظ جبروتك وهلمَّ لخلاصنا (مز ٧٩ : ٣) ثبّتنا في اقوالك لئلاّ نضعف في طريقك » *

واذا شقّ عليك الشغل صلِّ قائلاً : « انظر يا ربّ الى تواضعي وتعبي وانسَ جميع خطاياي » (مز ٢٤ : ١٨) *

واذا ازعجك الغضب صلِّ قائلاً : « امنح يا رب عبدك صبراً وسلامةً لئلاّ يفقد اكليلهُ في السماء لانك قد قلت بصبركم تقتنون نفوسكم »

(لوقا ٢١ : ١٩) *

واذا غرّتك الرغبة في الكرامات وفي منصب رفيع وانعجبتك فصلّ قائلاً : « أَمِل قلبي الى شهاداتك لا الى الربح . اردُد عيني عن ان تنظرا الى الباطل وفي طريقك احيني » (مز ١١٨ : ٣٦) *

واذا شعرتَ بهوى الشراهة في الاكل والشرب فعليك بهذه الصلوة : « انّ ملكوت الله ليس طعاماً وشراباً بل برٌّ وسلامةٌ وفرحٌ بروح القدس (رومية ١٤ : ١٧) انما الروح هو الذي يُحيي والجسد لا يغني شيئاً » (يوحنا ٦ : ٦٤) *

واذا تحرّكت فيك الرغبة في استماع الحوادث الجديدة او في رؤية مناظر جميلة فصلِّ قائلاً : « كلها مجيدة ابنة الملك في خدرها » (مز ٤٤ : ١٤) لانّ كلّ شيء حقير زائلٌ وكلّ ما في العالم

باطلٌ مهما كان حسِناً ولا تجد شيئاً بسيطاً جيّداً ثابتاً غير متناهٍ الّا في الله تعالى *

فاذا تبعت يسوع وكفرت بكلِّ شيء ملكت كلَّ شيء فيهِ . وفضلاً عن هذه آيِ الكتاب المقدّس احفظ خاصةً الآية الآتية وأعدها غالباً في صلاتك والهج بها على الدوام : « وانا خيرٌ لي الالتصاق بالله وان اجعل على الرب السيّد اتكالي » (مز ٧٣ : ٢٨) *

الفصل التاسع عشر

في بعض آيات وجيزة ينبغي لنا الهذيذ بها في بدء كل عمل

« ضع كلامك في قلبي لكيلا اخطئ اليك »

(تثنية ١١ : ١٨)

لانّ الانسان يسقط عاجلاً في الشرّ اذا لم يشغل قلبهُ ببعض افكار مقدَّسة في يسوع الٰهه ومخلّصهِ *

وعليهِ وجّه الى الله كل ما نسمع وننظر ونقرأ وتفتكر بهِ لكي تستحضر الله سريعاً في ذهنك . تذكّر اسم الرب الٰهك في الليل والنهار لتُحسن سلوكك امامهُ تعالى لانّك بدونهِ عزّ وجلّ لا تنجح البتّة حيثما وُجدتَ ومهما كان لك (١) *

(١) اعلم اننا قد تصرّفنا في بقية الفصل وجعلناها

فاذا استيقظت من النوم ردّد في بالك هذهِ الآية لتنشّط بها نفسك : « سيروا ما دام لكم النور لئلاّ يدرككم الظلام » (يو ١٢ : ٣٥) ثمّ صلِّ قائلاً : « اليك يا رب ارفع نفسي (مز ٢٤) ولك اقدّم نهاري فاحفظني فيهِ من كلّ سوء ولا تُعطِ رجليّ للزلل » (مز ١٢٠) *

واذا غسّلت وجهك او جسدك او ثيابك فافتكر بهذهِ الآية : « اغسلني كثيرًا من اثمي ومن خطيّتي طهّرني (مز ٥٠ : ٤) اغسلي من السوء قلبكِ يا اورشليم » (ارم ٤ : ١٤) *

واذا نزعت عنك ثيابك لتلبس غيرها تذكّر هذهِ الآية : « انبذوا عنكم الانسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور والبسوا الانسان الجديد الذي خُلق بحسب الله في البرّ وقداسة الحقّ »

---

* مناسبةٌ لكل نفس تقية بعد ان كانت مختصةً بالرهبان لا غير *

(افسس ٤ : ٢٢) *

واذا مشيت في الطريق ردّد في عقلك هذا الكلام : « أَهدِني سبيل وصاياك فاني اياهُ هويتَ. طريق الزور أَبعد عنّي وبشريعتك ارحمني » (مز ١١٨ : ٢٩ و ٣٥) *

واذا ذهبتَ الى الكنيسة قل في قلبك هذا الكلام : « فرحتُ بالقائلين لي الى بيت الرب نذهب » (مز ١٢١ : ١) *

واذا دخلتَ الكنيسة قل ما ياتي : « وانا بكثرة نعمتك ادخل الى بيتك واسجد في هيكل قدسك » (مز ٥ : ٨) وفي مدّة اقامتك في الكنيسة ترنّم مرارًا بهذا الكلام العذب : « واحدةً سأَلتُ من الرب واياها التمس ان اسكن في بيت الرب كل ايام حياتي » (مز ٢٦ : ٤) *

وعند خروجك من الكنيسة اطلب الى الرب

قائلاً : « لا تهملني يا رب الهي ولا تتباعد عني » (مز ٣٧ : ٢٢) لستُ اسألك ان تنزعني من العالم بل ان تحفظني من الشرير » (يو ١٧ : ١٥) *

٢ : اسهر على جسدك في بحر النهار ولا تدعهُ يطالب الاستلذاذ بالاطعمة والاشربة وبغير ذلك من حاجاتهِ لانّك بذلك تظلم نفسك وتحرمها افراحاً تجلّ عن افراح الجسد بما لا يُحدّ فسواء اكلتَ او شربت او نمتَ او تنزّهت او عملت غير ذلك من اعمال الجسد المفروضة عليك فاعمل كلّ ذلك لتكميل ارادة الله فيك لا غير. واذا اراد جسدك الفاني ان يستميل بك الى الاستلذاذ فردّهُ باحدى هذهِ الآيات :

« اروِني يا رب من دسم بيتك ومن وادي لذّاتك اسقني لانّ ينبوع الحيوة عندك (مز ٣٥ : ٩) حظّي انت يا رب وايضاً شهاداتك هي نعيمي

(مز ١١٨ : ٢٤ و ٢٥) اني احسب كل شيء نفاية لأكسب المسيح (فيلبي ٣ : ٨) فنحن يا اخوتي لسنا ملزومين للجسد لكي نعيش حسب الجسد. لانكم ان عشتم حسب الجسد تموتون وان انتم أمتم بالروح اعمال الجسد تحيون وتكونون بني الله» (روم ٨ : ١٣) *

اذا اردت التكلّم فاطلب الى الله قائلاً: «اجعل يا رب حارساً لفمي واحفظ باب شفتيّ ولا تدع قلبي يميل الى كلام الشرّ» (مز ١٤٠ : ٣) *

اذا اشتغلت ابتدئ شغلك قائلاً: «معونتي من عند الرب الذي صنع السماء والارض» واذا صلّيت ابتدئ قائلاً: «يا رب افتح شفتيّ فيخبر فمي بتسبحتك» (مز ٥٠ : ١٧) *

اذا قرأت قل في بدء قراءتك: «اكشف عن عينيّ فأبصر عجائب شريعتك» (مز ١١٨ : ١٨)

وبعد القراءة تذكّر هذا الكلام : « ان انتم علمتم هذا فطوبى لكم اذا عملتموهُ » (يو ١٣ : ١٧) *

اذا نمت صلِّ قائلاً : « بالسلامة معاً اضطجع وانام لانك انت يا رب تسكنني وحدي في الامان (مز ٤ : ٩ و ١٠) *

٣ : هذا ما يخصّ اعمال النهار الاعتيادية فاليك الان آياتٍ أُخر تجاه بعض احتياجات النفس وتجاربها المتنوّعة *

اذا نفعت القريب بفكرٍ او قولٍ او عمل فلا تنسب لك منفعتهُ « لانّ الله هو الذي يُنبت فليس الغارس بشيء ولا الساقي بل الله الذي يربّي » (١ قور ٣ : ٦) *

اذا تعالت نقائصُك فوق راسك وثقلت مثل حمل ثقيل عليك فصلّ قائلاً : « ارحمنا يا رب ارحمنا فاننا كثيراً شبعنا هواناً (مز ١٢٢ : ٣)

لا تدخل في المحاكمة مع عبدك فانهُ لن يتبرّر قدّامك كل حيّ (مز ١٤٢ : ٢) لا تكن يا رب راصداً لآثامي بل اشفِ نفسي ورجّعني اليك فأرجع. أَحسن يا رب بمسرّتك الى صهيون وابنِ اسوار اورشليم * (مز ٥٠ : ٢٠) *

اذا شككتَ في صحّة اعترافاتك فاعلم انّ هذا الشكّ نفسهُ هو اقطع دليل على جودتها اذ انّهُ يصدر اعتيادياً من محبّة الله وبغض الخطيئة ومن يحبّ الله ويبغض الخطيئة يحيا في النعمة ومن يحيا في النعمة مغفورة لهُ خطاياهُ الكثيرة. فاذن عوض ان تحزن وتضطرب اشكر الله على رحمتهِ لك وقل لهُ مع داود النبي: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي جميع حسناتهِ الذي يغفر جميع ذنوبكِ الذي يشفي كلّ امراضكِ» (مز ١٠٢ : ٢) *

اذا هجمت عليك افكار سيّئة واشتدّت فيك

التجارب فقاومها بهذهِ الاقوال : « ان اصطفت عليَّ عسكر فلا يخاف قلبي إِن قام عليَّ قتال فبالرب انا واثق لانهُ يخفيني في مظالتهِ في يوم السوء ويسترني في ستر خبيئهِ » (مز ٢٦ : ٣ و ٥) *

اذا كنتَ قد عاهدت عينيك عهدًا نظير ايوب الصدّيق ان لا تنظر الى وجه عذرآء » (ايوب ٣١ : ١) والجأتك الضرورة الى مكالمة بعض نسآء ومجالستهنّ نظير يوسف البارّ فلا تلتفت الى اباطيل الاجساد بل ردّد في بالك هذا الكلام : « ليس فرقٌ في عالم النعمة بين الرجل والمرأة » « الشمس والقمر يسبّحان الله باختلافاتهما ويمجّدانهِ بحسن نظامهما » *

اذا هالك ذكر الموت فصلِّ قائلاً : « الرب نوري وخلاصي ممّن اخاف الرب معاذ حياتي ممن ارتعب (مز ٢٦ : ١) وان انا مشيتُ في وادي

ظلال الموت فلا اخشى الشرّ لانّك معي عصاك وعكازك هما يعزّياني » (مز ٢٣ : ٤) *

اذا شعرت بتجربة قطع الرجآء فافتكر بما ياتي : « فوّض الى الرب طريقك واتّكل عليهِ وهو يصنع » (مز ٣٧ : ٥) *

فتدرّب بموجب هذا الاسلوب في جميع احتياجات نفسك . أقت نفسك في الليل والنهار بهذه اقوال الكتاب المقدّس فتحيا *

اذا كانت نيّتك مستقيمة وسيرتك صالحة تجد في كلّ من اقوال الله المنّ السماوي واذا كانت سيرتك شرّيرة فتمسي لك تلك الاقوال حجارةً لا قوتاً لذيذاً *

ارجع بقلبك الى يسوع الوديع الوضيع فتجد نفسك تعزيتها وجميع ضيقاتك تؤول الى منفعتك وتتحوّل الى فرح دائم *

الفصل العشرون

في سبع فضائل كسبع لولوات توجد في كلّ اخويّة حسنة

« جيل المستقيمين يبارك (مز ١١١ : ٢) وطريق المنافقين تهلك (مز ١ : ٦) بركات الرب على راس الصدّيق (امثال ١٠ : ٦) وملاعين الذين يحيدون عن وصاياك » (مز ١١٨ : ٢١)

كلّ جمعيّة صالحة نشيطة في العبادة تلصف فيها خاصّةً سبع لؤلوات كريمة من الفضائل تدلّ على حرارتها وتسرّ الله وملائكتهُ . بيد انها ممقوتة غاية ما يكون لدى الشياطين *

فاللؤلوة الاولى هي الطاعة في المرؤوسين بحيث انّ الجميع يطيعون رئيسهم من تلقاء نفسهم بسرعة وتواضع وكلٌّ منهم يترك ارادتهُ ويقول في

كلّ ساعة مع الرب يسوع : « يا ابتاه لتكن مشيئتك لا مشيئتي لانّ مشيئتك صالحة بيد انّ مشيئتي طالحة » *

فهكذا يُقهر الشيطان وتضحي حيلهُ باطلة والطاعة تنمو في الثواب وتزداد المكافاة السماويّة *

٢ : واما اللؤلوة الثانية فهي الاتفاق في الصلاح بحيث انّ الجميع يشتغلون ويسهرون ويصلّون ويصومون وياكلون في وقت واحد ويوافق احدهم الآخر قياماً بكلام يعقوب الرسول : « ليصلِّ بعضكم عن بعض لكي تُعافوا » (يعق ٥ : ١٦) *

واما اللؤلوة الثالثة فهي الثبات في المكان بحيث انّ الانسان لا يترك بيتهُ بخفّة ولا يغيّرهُ لاجل راحتهِ الذاتيّة بل يبقى فيهِ ثابتاً لاجل يسوع المسيح لكي يسمع منهُ هذا المديح : « انتم هم الذين صبرتم معي في تجاربي » *

واما اللؤلوة الرابعة فهي الصبر في الشدة بحيث انهم يكونون متأهبين ان يحتملوا لاجل الحيوة الابدية كل ما يعرض لهم من ضيق وكرب سوآء كان ذلك من جهتهم او من قبل غيرهم بموجب سماح الله العادل *

لانهُ من النادر ان يجتمع في محلّ واحد اناس كثيرون مختلفوا العمر والامّة ولا يحدث بينهم بعض الكدر فعلاً او قولاً. ولذا فلا بدّ من الصبر وهو احسن الادوية تلقآء جميع الاضطرابات بموجب تعاليم القدّيس بولس القائل : « احملوا اثقال بعضكم بعض وهكذا تقضون شريعة المسيح » (غلاطية ٦ : ٢) *

واختبار كلّ يوم يوقفنا على هذه الاثقال : امراض الجسد وشوائب العقل ونقصان الفضائل في جميعنا لانهُ ليس احدٌ كاملاً في كلّ شيء ما

خلا الله وحدهُ *

٣ : واما اللؤلوة الخامسة فهي الوداعة في الكلام مع رفاقنا ومن شان هذهِ الوداعة ان تغذي المحبة وتبيد الغضب وتحفظ السلام بين الاخوة بحيث انهُ لا يكدّر احد قريبهُ او يجرحهُ او يهينهُ بكلمة او علامة او فعل او يثقّل عليهِ بضحكهِ او لعبهِ او رصانتهِ . بل كلٌّ منّا يبادئ اخاهُ بالاحسان ويحبهُ مثل نفسهِ جاعلاً نصب عينيهِ على الدوام هذا كلام يسوع المسيح : « تعلّموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لانفسكم » (متى ١١ : ٢٩) في هذا العالم وفي الحيوة الدائمة في السماء *

واماً اللؤلوة السادسة فهي الشكران على احسانات الله بحيث ان الاخ يحمد الله ويباركهُ على جميع الاحسانات التي اسبغها على العالم منذ

ابتدائهِ والتي سيسبغها عليهِ الى انتهائهِ . لانَّ احسانات الله عظيمة في السمآء وعلى الارض وهي تجلّ عن الوصف والاحصآء فيجب اذن ان نعزو كلَّ شيء لله ونشكرهُ على كلّ شيء شكرًا غير متناهٍ *

واما اللؤلؤة السابعة فهي الثبات الى الآخر في جميع هذهِ الفضائل وفي كثير غيرها ايضًا تتعلق بها *

ان هذه اللؤلؤة تذهب بالعبد الحكيم الامين في القليل الى فرح سيّدهِ الى مقرّ الراحة الابديّة وهنالك يفرح بالمجد الابد مع يسوع وجميع القدّيسين من اجل الخمس الوزنات التي ربحها *

* آمين *

LA DISCIPLINE
DES RELIGIEUX

كتاب

اخراج الجمان من تهذيب الرهبان

وهو

الكتاب العاشر

من منتخبات الموقّر توما الكنبيسيّ

الفصل الأوّل

في التهذيب الرهباني (١)

« قبّلوا الابن لئلاّ يغضب فتهلكوا من الطريق » (مز ٢ : ١٢) *

انّك اذا حفظت بحرارةٍ التهذيب الرهباني أهداك الى كمال عظيم ونجّاك من الهلاك الابدي وضفر لك اكاليلَ ساميةً رفيعةً في الملكوت السماوي *

وهذا التهذيب يقوم بثلاثة اشياءَ خاصةً

(١) اعلم اننا قد تصرّفنا في هذا الكتاب بعض التصرّف فحذفنا من العبارات بعضاً واثبتنا بعضاً واستخلصنا المعنى من بعض وبدّلنا بعضاً ببعض . لكي يعمّ هذا الكتاب بفوائدهِ الرهبان وغيرهم من العابدين لا الرهبان وحدهم كما ينطق بذلك عنوانهُ *

حفظُ السكوت باتقان واقامة الفرض الآلهي بورع والتروّض المتواصل في شغل اليد *

حيث يُحفظ التهذيب حفظًا لا يخالطهُ فتور فهناك السلام الاعظم والنجاح الروحيّ الأجزل · وحيث يوجد ضعيفًا مدنفًا فهناك ينمو الطيش وتسود الرذيلة وتُلقى الفضائل على الحضيض بسهولة *

انهُ في المحلّ الذي يُحفظ فيهِ التهذيب حفظًا مُحكمًا يشعر الساكن فيهِ بحضور النعمة السماويّة ويستنشق روائح ورود العبادة ويذوق طعم القراءة ويحسّ بحلاوة التامّل وحرارة الصلوة العقليّة ويسمع تراتيل الشكران ونشيد الحمد ويملك فرح القلب وفي ذاك المحلّ عينهِ يتنوّر العقل ويفقد الجسد شوكتهُ ويرتفع الروح *

من يحبّ التهذيب يفرّح ضميرهُ ويكتسب سُمعة غرّاء ويزيد مجدهُ الابدي · من يحبّ

التهذيب يحفظ لسانهُ ويطلب الانزوآء ويهرب من الجمع ويجتنب الضحك ويحب البكآء لكي يكتسب حسنات يسوع وصداقتهُ *

من يطلب التملّص من التهذيب يقع في حبائل الشيطان ويفقد العبادة . قال بولس الرسول : « اصبروا على التاديب فانّ الله انّما يعاملكم كالبنين وايّ ابن لا يؤدّبهُ ابوهُ » (عبرانيّين ١٢ : ٧) ولذا كان داود النبي يطلب الى الله في صلاتهِ قائلاً : « علّمني الجودة والادب والعلم » (مز ١١٨ : ٦٦) *

انّ معرفة الكتاب هي من هبات الله العُظمى بيد انّ حفظ القانون هو على ظنّي نعمةٌ افضل . فعلى الأخ الصالح العابد ان يغصب اخلاقهُ السيئة ويخضع بطيبة خاطر لجميع القوانين بدون استثناء واحدٍ منها . فان من يحبّ القانون فذاك

حكيم ويكون مزدانًا بفضائل كثيرة وبالعكس
من يبغض التاديب فذاك جاهلٌ ويشين نفسهُ *
٢ : ان العابد المهذّب يكون رصينًا في اقوالهِ
ضابطًا الحافظهُ سالكًا في مخافة الله محكمًا اعمالهُ
صامتًا ومحبًّا للاقامة بصومعتهِ . ولا يتقمقم ابدًا ولا
ينمّ بأحدٍ بل يفوّض الحكم كلّهُ لله عزّ وجلّ .
ولا يرفع نظرهُ عن ذاتهِ ويسكت عمّا لا يعنيهِ لكي
يعتني بنفسهِ بحرّيّة عُظمى لانّ من يهمل امورهُ
الذاتية ليتداخل في امور غيرهِ فقد بلغ من
الجنون غايتهُ *
فاحفظ اذن قانونك في كل مكان تجد
راحةً ومجدًا عظيمين واجتهد بان تجتنب كل شيء
غير لائق وبادر الى عمل كل ما يرضي الله ولا
يسوقنّك الحياء البشري الى مخالفة قانونك *
من يسرّ بخلاف ضميرهِ ويهن الله من اجل

الناس يسلك مسلك الحمقى *

اذا سقط احد في الكسل والتواني فوبّخهُ توبيخ اخ لاخيهِ وأَرشدهُ الى الارعواء ولكن اياك وان تتبع ضلالهُ وتحبهُ حبًّا يصيّرك شريكًا في ذنبهِ لئلاّ تسقط وتهلك معهُ *

من كان غيورًا على قانونهِ ويقبل التنبيهات بفرح وشكر ينل من الله نعمًا خصوصيّة ولا يخشى يوم خروجهِ من الجسد شكايات الاشرار بل سوف يفرح مع المختارين بالمكافأة المعطاة لهُ على تعبهِ اذ يقول لهُ الرب يسوع : « نعمًا يا عبدًا صالحًا واميناً لانك وُجدتَ امينًا في القليل فادخل الى فرح سيدك » *

انّ ظفر الانسان بشهواتهِ لفضيلةٌ اعظم من فضيلة من يطرد الشياطين . ومحبّة من ينبه المتواني لتفوق محبة مَن يتصدّق على الفقراء *

من يكن حارًّا في الباطن يجتنب الاحاديث الباطلة في الخارج ومن يكره الصلوة ويُسرّ بالاحاديث يكن فاترًا في الداخل *

ولكن كيف يكون الانسان حارًّا ؟ يكون الانسان حارًّا اذا قهر ذاتهُ كثيرًا في احدى رذائلهِ وتمسَّك بشدَّة قانونهِ وسار بموجب مراسيمهِ فرحان جذلان *

٣ : ولعلك تقول : اني اخشى من تعب الراس ومن علل أُخر . يا ويحك لانك تخاف امراض الجسد ولا تبالي بامراض نفسك . وتستصعب الصوم والسهر والصمت ولا تلتفت الى الاحتراق بالنار وعذاب الشياطين لك وطردك من الملكوت *

فادخل يا هذا مخدع قلبك وارجع الى الله الذي صنعك واستجر بهِ فيساعدك *

ان كنت لا تقدر ان تخدم الله بدون تعب الراس فاخدمهُ براس تعبان فيكللك مع الشهداء في السماء بورود ورياحين نضِرة في الغاية على انك احتملتَ من اجلهِ على الارض التعب والوجع *

لا تحرم نفسك مجدها وسعادتها من اجل حبك لهذه الدنيا الزائلة وتطلبك تسلياتها الفارغة *

لا تحتجّ بسوء تصرّف غيرك بل افتكر في خلاصك وابذل جهدك كلهُ في حسن استعمال وقتك قياماً بكلام بولس الرسول : « ما دام لنا وقت لنصنع الخير مع الجميع » *

فليكن مباركاً الاخ الذي يجتهد في قهر ذاتهِ في كلّ شيء لانهُ سوف يكلَّل على كل ما يحتمل لاجل يسوع المسيح *

الفصل الثاني

في تجارب الشيطان ومكايده المتنوّعة

انّ الشيطان ينصب في كلّ مكان فخاخهُ
للصالحين والمتورّعين ولاسيّما الرهبان منهم ولذا
الطوباوي بطرس اوّل رعاة الكنيسة المقدّسة
اشار على المومنين قائلاً : اسهروا فانّ الشيطان
خصمكم كالاسد يزأر ويجول يلتمس من يبتلعهُ
فقاوموهُ معتصمين بالايمان » (١ بطرس ٥ : ٨) *
ولذا ايضاً القدّيس يوحنا يحثّنا على الفطنة قائلاً
في رؤيتهِ : « الويل للارض والبحر لانّ ابليس
نزل اليكم ولهُ غضب عظيم لانهُ يعلم انّ لهُ زماناً
قليلاً » (روية ١٢ : ١٢) *

انّ ابليس لعلمهِ بسموّ حالة الرهبان وفضلها
ورغبةً في الغاء هذه الحالة يجرّب عبيد الله بشدّة

عُظمى واكثر من العالميّين ويبكي على قداسة مجد الرهبان العائشين في الزُهد والعفاف ويعلم حسناً ان من يكون قد عاش على الارض باعظم برارة يكلَّل في السماء بأسنى اكليل *

انّ الذين يكافحون بشجاعة ويظفرون بذواتهم تكون تجاربهم اشدّ من غيرهم بيد انّ مجدهم المُقبل بالاقتران الى الله سوف يكون اعظم ايضاً لأجل بسالتهم في الحرب *

٢ : انّ الشيطان لا يزال منذ هبوطهِ من السماء لكبريائهِ يجول في الارض يلتمس من يُغريهِ بوساوسهِ الرديئة ومن يجرحهُ بتلك اللذّة التي يقيّدهُ بها ليُخسّرهُ نعمة الله ويسحبهُ اخيراً معهُ الى الهلاك الابدي *

وكما جرّب الانسان الاوّل في الفردوس والاسرائيليّين في البرّية كذلك يجرّب الان الرهبان

في الدير وينكّد عيشهم لكي يعيشوا في الرخاوة ويخالفوا القوانين ويقاوموا الرؤساء ويرفضوا الطاعة لهم حتى يتدنّسوا بمخالطة الدنسة فيفقدوا المجد السماوي وحتى يجد عليهم حجّةً مهمّة الشكوى في يوم الدين *

فيجب علينا اذن ان نسهر ونتحفّظ دائمًا لئلّا يجدنا الشيطان نيامًا غير متسلّحين لانهُ هو لا ينام ولا يسكن ابدًا بل ينصب فخاخهُ يمينًا وشمالًا *

انهُ اخزاهُ الله يمسك بسهولة الراقدين الذين يشتغلون قليلًا ويحبّون رخاء العيش . ويجرح بسرعة الغير المتسلّحين الذين يصلّون نادرًا ولا يكادون يتذكّرون القراءات المقدّسة *

ويغري بجواذبهِ الجائلين في الخارج ويحوط البطّالين بالأباطيل حتى يهملوا اشغالهم ويمنعوا غيرهم عن الشغل . ويمنع المبتدئين بعمل صالح

عن المداومة عليهِ ويجعل النعاس والنوم في اعين القارئين والمصلّين والمجتهدين في القيام من الفراش *

٣ : ليس مكان لا يطوف فيهِ الشيطان عدو الناس لكي يخطف ويهلك ولو واحدةً من نعاج قطيع المسيح المسكينة · ولذا نسمع الراعي السماوي يهتف نحو نعاجهِ ببوقهِ الخلاصي ويحذّرها قائلاً : « اسهروا وصلّوا كيلا تدخلوا في التجارب » *

فكأنّهُ يقول لها : « ها انّ الذئب المفترس يجول حول خيمكم . ها انّ الحيّة القديمة تزحف طالبةً شقًّا تدخل منهُ الى داخل قلوبكم لتلسعهُ وتدميهُ وتصيّركم غضوبين ولكي تدنّسكم بنفثها وتصيّركم عهرةً فكونوا اذن على حذر صلّوا داخلاً وخارجًا صلّوا ليلاً ونهارًا لانّ الحرب تتهدّدكم من كلّ جهة وجانب وليس أمن تحت السماء فضلاً

عن انّ اعداءكم كثيرو العدد وماهرون في الحرب » *

تحرّزوا من التصوّرات سوآء اتتكم من الجسد او من العالم . اغلقوا باب قلوبكم وتسلّحوا بعلامة الصليب فلا يضرّكم شيطان *

يا احبآء الله تحفّظوا من الافكار الخادعة المميتة التي يُثيرها فيكم ابليس لا تلبثوا مفتكرين بها بل حالما تشعرون بحركات منكرة حوّلوا فكركم عنها واستغيثوا باسم الرب متنهّدين على جرثوم الشر الذي تحملونهُ فيكم *

مهما عملتم من الخير فانسبوهُ بكلّيتهِ الى نعمة الله ورحمتهِ لا الى حذاقتكم او شغلكم . ان الشيطان لا يخاف ولا يهرب من احدٍ مثلما يخاف ويهرب من القلب المتواضع المملوّ احتقاراً لذاتهِ . ولا يقوى على احدٍ مثلما يقوى على المتكبّر المُعجب بنفسهِ *

فتحفظوا من الكبرياء اذا اردتم ان تسلموا من البوار والهلاك · واجتنبوا الارتفاع والافتخار الباطل فتنجوا من الخديعة والفضيحة *

الفصل الثالث

في الرجوع الحقيقي الى الله الخير الاعظم

انّ الموانع التي تبعدنا عن الله خيرنا الاعظم كثيرة عديدة اذ انّ فسادنا وضعفنا البليغين يهبطان بنا سريعاً الى الرغبة في الاشياء الواطئة الارضيّة التي لا تستطيع ان تشبعنا وتدوم لنا *

فيجب اذن الرجوع كلّ يوم الى الله الذي كثيراً ما نبتعد عنهُ لنعود ايضاً الى ذواتنا بحبّنا المنحرف لها وبانعطافنا الى الخلائق والاباطيل *

ومع اننّا نستوجب لهذه حالتنا التوبيخ والتبكيت

فنقاوم بغير حقّ من اراد من وجه الفضيلة ان ينصحنا ويهذّبنا ونحتقرهُ ونسيء الكلام عنهُ ولو كان رجلاً بارًّا فاضلاً . وهذه الضلالة لا تنشأ الاّ عن الكبرياء وارتفاع القلب واغراء الشيطان *

فارسم ايها الاخ العزيز في قلبك بحروف لا تُمحى هذه الحقيقة وهي انّ القداسة لا تقوم بظواهر العبادة والتدين لكن بقهر الانسان رذائلهُ واكتساب الفضائل المضادّة لها *

فيجب علينا لنرجع الى الله ان نجرّد قلبنا على قدر وسعنا من الاشياء المنظورة المادّية ونرفعهُ الى تامّل جمال الخالق الغير المنظور وان نتوق دائمًا الى الخيرات السماوية . وكلّما اراد فكرنا ان يشرد فلنردّهُ بالتوجّع والتذلّل قائلين مع داود النبي : اردنا يا الاه خلاصنا واصرف غضبك عنّا * (مز ٨٤ : ٥) *

انّنا اذا عملنا هكذا التفت الله الى صلواتنا واستجاب لنا وسُرَّت بنا الملائكة القدّيسون في السمآء لانّنا ننعطف من كلّ قلبنا الى الرب الهنا غبطةِ جميع القدّيسين *

بيد ان ابليس يجتهد بالعكس بان يفصل النفس العابدة من هذا الخير الاعظم فيعيقها عن سيرها بتجارب شتّى ويُثير فيها افكارًا رديئة متنوّعة لكي تضجر وتتوهّم ان الله قد صرف وجههُ عنها ولا يريد خلاصها ونجاتها فتترك صلاتها اليهِ واستغاثتها بهِ عزّ وجلّ وتدع جانبًا كلّ اعتناءٍ بتقدّمها الروحي وصيانة قلبها. واذ ذاك يفرح الشيطان ويطرب لادراكهِ بغيتهُ *

٢ : فايّانا والفشل ايّانا وترك شيءٍ من عباداتنا ورياضاتنا الروحيّة حين يشنّ الشيطان علينا غاراتهِ بل لنتتبع مسيرنا كالسابق ولو بانت

لنا اعمالنا مرذولةً مرفوضةً لكثرة ما نرى فيها من العيوب والنقائص *

انّ الله يُسرّ جدًّا بتلك النفس التي يُريها الشيطان ان الله قد تركها ولا يريدها وهي مع ذلك لا تنفكّ تطلبهُ وتداوم على خدمتهِ قائلة مع داود النبيّ : « عيناي في كلّ حين الى الرب لانهُ يجتذب من الفخّ رجليّ » (مز ٢٤ : ١٥) *

فلتتعزّ اذن هذه النفس لانّ التسليات والخيرات التي يتركها لها الرب الهها بعد زوال شدّتها ليست بيسيرة *

وبالعكس ان الله لا يسرّ بتلك النفس التي قد قبلت منهُ خيرات كثيرة وحسنات لا تعداد لها وعوض ان تسترسل لهذه دواعي الشكر لهُ والفرح بهِ والاتكال عليهِ تخاف منهُ وتشكّ في قدرتهِ على خلاصها لكثرة الصعوبات التي تجدها

في خدمتهِ *

لعمري ان هذه النفس بتصرّفها هذا تحرم ذاتها من تسليات وافرة ونِعَم غزيرة كما حُرم موسى وهارون دخول ارض الميعاد لشكّهما في امر الله لهما باخراج المآء من الصخرة (العدد ٢٠ : ١٢) *

وكيف لا يشقّ على الرب يسوع ذاك تصرّف النفس معهُ وتنكّرُها منهُ وهو لاسمهِ الجود قد عانى لاجل خلاصها اوجاعًا شديدة وعذابات اليمة ولا يزال منذ رسمهِ سرّ الاوخارستيّا يصلّي الى الله ابيهِ في هذا سرّ محبّتهِ لكي تاتي الآمهُ وتعاليمهُ وامثلتهُ وسائر اسرار حياتهِ وموتهِ على الارض بثمارها في انفس المومنين بهِ *

٢ : فلا يليق بنا وهذه رغبة يسوع في خلاصنا ان نخاف مكايد الشيطان فنفوهَ بهذا كلام اليأس « من يقدر ان يخلص » بل لنلقِ

على الرب همّنا ولنفوّض لهُ طريقنا . لنرجُ منهُ خلاصنا مهما تعذّر علينا « لاننّا نقوى على كلّ شيء بالمسيح الذي يقوّينا (فيلبّي ٤ : ١٣) ونعمتهُ تكفينا » (٢ قور ١٢ : ٩) *

« من الرب الرحمة ومنهُ النجاة الكثيرة وهو ينجّي اسرائيل من كلّ اثامهِ » فلا نرجُونّ خلاصنا من قوانا او من اعمالنا او من استحقاقاتنا لكن لنرجوهُ من رحمة الربّ لاغير وهو لا يخيّب رجاء احدٍ بهِ *

اذا اجتهدت مدّة سنين كثيرة في اكتساب فضيلة ما ولم تنجح بعد كلّ تلك المدّة فلا تفشل ولا تألُ جهدًا لانّ الرب سوف يكلّل اجتهادك هذا بالغلبة والانتصار بعد ان تكون قد تحققت مدّة تلك السنين ضَعفْك وعدم اقتدارك على عمل شيء صالح لغيرهِ تعالى « طوبى للحزانى

فانّهم يتعزّون . طوبى للجياع والعطاش الى البرّ فانّهم يُشبعون » (متى ٥ : ٤ و ٦) *

فسبيلنا ما دمنا نحسّ بجروحنا وامراضنا ان نندم ونبكي وننعطف الى الله بالصلوة العقليّة والتذلّل امامهُ تعالى لانّ الانسان يعوّض بالتوبة والتواضع والبكآء على خطاياهُ عمّا يلحقهُ من الاضرار بسبب زلّاتهِ وتقصيراتهِ ويؤهّب ذاتهُ لقبول المُزن السماوية والمواهب الروحيّة *

الفصل الرابع

في طاعة راهبٍ وضيع

من واجبات الأَخ الصالح ان يعتنق بفرح فريضة الطاعة ويلاشي ارادتهُ الذاتيّة ويستودع الله ورئيسهُ ذاتهُ على مثال يسوع المسيح وهذا

اشهى تقدمةٍ يستطيع الانسان ان يقدّمها للرب *

فليجتنب اذن الراهب الصالح دينونة رئيسهِ الباطلة والبحث عن رذائلهِ بروح التنقيب وليفسّر بالنوع الأَحسن جميع اقوالهِ واعمالهِ *

اذا فاه رئيسنا ببعض اقوال تلوح لنا قليلة المنفعة او وجدنا فيهِ بعض نقائص فلا ينبغي لنا من اجل ذلك ان نحتقرهُ ونقرّفهُ بل لنعذرهُ ونحتملهُ بتقوى وننبههُ بمحبة ان راينا ذلك لائقاً لان وظيفتهُ ليست بخفيفةٍ · وينبغي لنا ايضاً ان نصلّي لهُ كثيراً في السرّ لكي يصونهُ الله ويقوّيهُ ويعطيهُ ما يحتاج اليهِ لتدبير شعبهِ وغنمهِ *

من النادر ان نجد رئيساً يستطيع ان يُرضي الجميع فيجب اذن على مرؤوسيهِ ان يساعدوهُ ويوقّروهُ ويحتملوهُ ويعذروهُ امام الضعفآء الذين يبتدئون ان يسيئوا الظنّ فيهِ اذا قاومهم او

رفض عليهم شيئاً . ومن شان هؤلاء ان ينسبوا لرئيسهم كلّ شرّ يحدث وكلّ خير يُهمل ولكن لا ينبغي لنا ان نستحسن كلامهم ونصدّق اقوالهم بل لنتدافع عن رئيسنا ونبرّر اعمالهُ ما استطعنا وبعملنا هذا نبني القريب ونجمع بين القلوب ونكتسب رضى الله والناس علينا *

اذا لمنا رئيسنا واجتمعنا على مذمتهِ لا نسلم من الخطاءِ والملامة وان كنّا صائبين في اقوالنا لانّ من يدين عبدًا ليس لهُ فانهُ يتطاول عليهِ *

٢ : الرجل الوضيع والراغب في التشبّه بطاعة يسوع المسيح والقدّيسين لا يفضّل رايهُ على راي رئيسهِ بل يبادر الى اتمام كل ما يؤمر بهِ ولو كان الشيء المامور بهِ واهيًا حقيرًا . لانّ هذا الخضوع هو افضل الاعمال الباطنة والاشرف والاجزل ثوابًا والآمن للضمير *

من أحبَّ البلوغ الى الكمال الاعظم سريعاً ليجتهد في حفظ الطاعة كلَّ الاجتهاد لانَّ الطاعة حتى الموت هي من أجلِّ الفضائل اذ انَّها تفرض بكسر الارادة الذاتيّة والخضوع لارادة الغير وهذا ما يقتضي شجاعة عظيمةً وتواضعاً بليغاً وحكمةً رفيعةً *

فيا لها طاعةً مغبوطةً موقَّرة علَّمها ومارسها مخلّصنا يسوع المسيح حكمة الآب الازلي اذ قال عن نفسهِ : « ما اتيت لأعمل بمشيئتي لكن بمشيئة من ارسلني » *

ولما كان ماضياً الى موضع العذاب كفر بارادتهِ الذاتيّة وصلّى قائلاً : « يا ابتاه ان كان لا يستطاع ان تعبر عنّي هذه الكاس فلتكن مشيئتك » *

ومريم العذراء امّ يسوع المغبوطة خضعت

ايضاً خضوعاً سريعاً تامًّا بقولها للملاك : « ها انا امة الرب فليكن لي كقولك » *

٣ : فهكذا يجب ان تكون طاعتنا لرئيسنا وهذه فضيلة الطاعة هي افضل من الذبائح والعطايا اذ انها تمحو الشرور الماضية وتقي من الشرور المُقبلة وتغفر القصاصات وتخلّص من العذابات الجهنّمية . وبها يصير الانسان عزيزاً لدى الله فيحبّهُ يسوع المسيح محبّة اخٍ لأخيهِ بموجب قولهِ : « كل من يعمل ارادة ابي الذي في السماوات فذاك هو اخي واختي وامي » *

فما اثمن هذه الفضيلة التي تنتهي توًّا بمن يكون قد اختارها وتمسّك بعروتها الى ذلك الوطن الذي فقدهُ آدم وحوّاء بعصيانهما ووجدهُ يسوع ومريم بطاعتهما لاجلنا *

ان الطاعة تفيد اكثر من العلم وهي آمن

من التسلّط والمناصب والرتب فهذا يستحقّ جزيل الاعتبار وان يُعدّ بين الابرار والقدّيسين *

الفصل الخامس

في حفظ القلب واختلاء المرء بنفسهِ

ان الانسان ولو كان يميل طبعاً الى الاشياء الخارجيّة ويطلب بطبيعةٍ تسلياتهِ في الخلائق التي توافق اهوآءهُ فيجب عليهِ مع ذلك ان يجتهد بان يختلي بنفسهِ بتوجّع لكي لا يفقد في الباطن نعمة الله وخيراتهِ *

لانّ من يتبع هواه ويطلب الاستلذاذ بهِ يتعذّب بتغيّر اشواقهِ وتقلّباتها اذ انّهُ يوماً يهوى شيئاً ويوماً يكره ذلك الشيء فيهوى غيرهُ *

فكن اذن يقظان على حراسة قلبك دائماً

واختلِ بنفسك عند الحاجة ادخل زواياها وافتقد خفاياها غصبًا عنها. لانك اذا لم تملك السلام في الباطن لا تجد سعادةً في الظاهر ابدًا ولو ربحت العالم كلّهُ *

أحسن واسطة لحفظ قلبك ان ترتّب عيشتك وتعيّن لكلّ ساعة من نهارك شغلاً ماديًّا او رياضة روحيّة بحيث انّك لا تبقى بطّالاً ومختارًا بوقتك *

ولا بدّ لك ايضًا من اجتناب بعض اشياء كالاقوال الخفيفة وضوضاء الدهر وموآلفة بني العالم واحاديث النساء والزيارات الغير اللازمة لانّ هذه الاشياء تُشغل العقل وتدنّس الضمير. ومن يلتذّ بها يقلّل فيهِ مواهبهُ الباطنة *

ومن الاشياء ما يجب عليك حفظها بشجاعة كشدّة القانون في الصمت والصوم والسهر والشغل المفروض عليك لانّ من شان هذه

الفرائض ان تذلّل الجسد كيلا يتمرّد على الروح ويُثير في النفس تجارب عديدة تعتّم على العقل وتبرّد حرارة العبادة *

ويوجد اشيآء يجب الصبر عليها كالحرمان من الاشيآء الزمنيّة وفقدان الخيرات واضطهاد الاعدآء وامراض البدن ونقائص الغير الكاملين وحدّة الاقوال وسلب التعزية وحزن الاصدقآء. ومن شان هذه الاشيآء ان تمتحن الانسان وتطهرهُ تطهير النار واذا احسن التصرّف فيها يعدّ لهُ يوم المكافآت ثوابًا جزيلاً *

ومن الاشيآء ما يجب تركهُ سريعًا كالخطايا الظاهرة والرذائل المضادّة لوصايا الله وفضائل يسوع المسيح *

٢ : فإذن « احفظ قلبك فوق كلّ تحفّظ (امثال ٤ : ٢٣) بموجب مشورة الحكيم لئلاّ يدخلهُ

شيء نجس يهين الله فان من القلب مخارج الحيوة ومنهُ ايضاً انواع الشرور *

اذا شعرت برذيلة فاستعمل الدوآء المضادّ لها في الحال خشية ان تزداد فيك الشهوة قوّةً وخطرًا . لا يوجد رذيلة بدون دوآء ولكنّ معرفة هذا الدوآء لا تكفي بدون استعمالهِ ولذا كثيرون يعودون الى رذائلهم لاخفّ سبب مع معرفتهم واجباتهم *

فينبغي لنا ان نحارب كلّ يوم في هذه الحيوة التي هي عبارة عن تجربة متواصلة ونعزم العزائم الصالحة ونستمد الغوث الالهي حتى تنتهي مرحلة هذه الدنيا المضطربة *

ليس في هذه الدنيا شفآء تام من جميع امراضنا واسقامنا بحيث انْ الانسان يضحي معصوماً من كلّ زلّة وذنب وحزن ووجع فهذه

العصمة لله ولا يحصل عليها الانسان الّا في السمآء *
والحالة هذه يمكننا بنعمة الله ان نكسر شوكة الشرّ ونجتنب اسباب الخطيئة ونغسل بدموع التوبة الادناس التي نلتطخ بها كلّ يوم *

نعم عسرٌ على الانسان ان يصون قلبهُ من الرذائل ويجرّدهُ من حُبّ الخلائق ولكن ليتشجّع ويتقوَّ بذكر الاكاليل التي يضفرها لهُ بغصب ذاتهِ *

كن يقظان على عواطف قلبك لتنبذ السيئة الباطلة منها وتحافظ على الجيّدة الصالحة وليكن دائمًا نفعُ نفسك غاية اهتمامك وافكارك على ما قالهُ داود النبي : « نفسي بيديّ كلّ حين ولم انسَ شريعتك » *

فان كان داود النبي القدّيس قد صنع ذلك مع اهتمامهِ بمملكة عظيمة فكم بالحري يجب

على راهب كرّس ذاتهُ لله وخَلِص من هموم هذا العالم باسرها ان يجعل دائمًا خلاص نفسهِ نصب عينيهِ ويهتمّ بهِ *

ان أردتَ وسائط تساعدك على حفظ قلبك وخلاص نفسك فعليك بالاختلآء والصمت والدرس والقرآءة والصلوة والتامّل واجتناب معرفة احوال العالم واخبارهُ *

الفصل السادس

في حفظ اللسان والانعكاف على الشغل

اجتهد كلّ الاجتهاد في حفظ لسانك « لانّ كلّ كلمة بطّالة يتكلّم بها الناس يعطون عنها جوابًا في يوم الدين » (متى ١٢ : ٣٦) *

وقال يعقوب الرسول : « من ظنّ انهُ ديّنٌ

وهو لا يلجم لسانهُ بل يغرّ قلبهُ فذلك ديانتهُ باطلة » (يعقوب ١ : ٢٦) *

لانَّ من سوء حفظ اللسان ينجم عادةً شرور كثيرة يسلم منها الانسان السكوت ولا يحتاج الى الاعتراف بها . فاحبب السكوت واجتنب الاقوال الباطلة لانّ الاكثار من الكلام الباطل يطفىء الحرارة ويُولّد الطيش ويضيّع الوقت ويجرح الضمير ويشكك القريب *

قال الرب يسوع : « ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وما زاد علي ذلك فهو من الشرير » (متى ٥ : ٣٧) فعلّمنا المخلّص بهذا الكلام ان نوجز كلامنا او نسكت *

ان شئت حفظ السكوت فعليك بالانفراد ما استطعت وتفرّغ للقراءة او للصلوة او لعمل آخر مفيد *

٢ : واجتنب البطالة وامضِ الى شغلك واحرث كرم الرب لدرهم الحيوة الابديّة لئلاّ يبكّتك ربّ البيت قائلاً لك : « ما بالك واقفاً هٰهنا النهار كلّهُ بطّالاً » (متى ٢٠ : ٦) *

انّ الكتاب المقدّس يثني على المشغول ويسوع المسيح يكافىء العبد الامين ويوبّخ الكسلان والمتواني وياخذ منهُ الذي لهُ ليعطيهُ لمن يشتغل بحرارة عُظمى *

اشتغل ما دام لك وقت لئلاّ ياتيك مولاك فيجدك بطّالاً او نائماً فيلقيك في الظلمات البرّانيّة ولذا قال الرب يسوع لتلاميذه : « ينبغي ان اعمل اعمال من ارسلني ما دام النهار فسياتي الليل الذي لا يستطيع احدٌ فيهِ عملاً . ما دمت في العالم فانا نور العالم » (يوحنا ٩ : ٤ و ٥) *

ليت شعري انّ القدّيسين نالوا اكليل المجد

باشغال شاقّة واتعاب مضنكة بل بسفك دمائهم ومكابدتهم شرّ العذابات فكيف تريد ايُّها الكسلان ان تنال هذا الاكليل نفسهُ بذهابك هنا وهناك وتضييع وقتك وصرفهِ بالبطالة والكلام الفارغ *

قال الرب يسوع : « ان لم تتوبوا تهلكوا جميعكم كذلك » (لوقا ١٣ : ٥) فيا لهُ حكماً صعباً لكنَّهُ مفيدٌ جدًّا لارعوآئك وحفظ قانونك فاصلح اذن سيرتك فلا تخشى العقاب بل تنال المجد الابدي *

الفَصل السابع

في الصومعة والاختلاء

من يحبّ صومعتهُ ويمكث فيها بطيبةٍ يُصان من خطايا كثيرة وتجارب عديدة *

سقياً لمن يحب صومعتهُ ويمكث فيها بطيبةٍ فانهُ يتهذب بعذوبة الروح. اما من يكره قلّايتهُ ولا يُقِم فيها الّا نادراً يجد في الخارج مخاطر كثيرة لا يكاد يسلم من عواقبها الوخيمة *

من يتصوّر كلّ يوم انّهُ قريب من الموت يستطيب الاقامة في قلّايتهِ ولا يضجر منها وكذلك من يحبّ السكوت والشغل *

اذا ضجرت من صومعتك فقدّم ضجرك هذا ليسوع المنازع في بستان الزيتون ولا تترك قلّايتك بسهولةٍ او لاسباب واهيةٍ *

من يصبر على الضجر ولا يترك فلأنهُ لاجلهِ يحصل بعد زوالهِ على تسليات الروح القدس ويسلم من شرور عديدة ومخاطر كثيرة *

من يحب الانزواء في صومعتهِ يحافظ على حسن سمعتهِ وصلاح اسمهِ ويتيسر لهُ الارتقاء الى الله عاجلاً بواسطة التامل والصلوة العقلية وكثيراً ما يتخشع في قراءاتهِ وصلواتهِ ويتنعم براحة بالٍ وسلامة تجلّ عن الوصف *

٢ : اذا أُمرت بالخروج او دعتك منفعة القريب فاذهب برزانة ولطافة وعُد سريعاً الى مقرّك *

احفظ في الخارج عينيك من النظر الى اباطيل العالم وسدّ اذنيك عن اخبارهِ المشوّشة والجم لسانك واشغل فكرك بكلام جيّد من الكتاب المقدّس او من غيرهِ *

ماذا يفيدك النظر الى اشياء لا تحلّ لك . انّك لا تجني من هذه النظرات غير تعب الفكر وكآبة الروح وكلّما افتكرت فيما نظرت زدت في الوقت عينه اضطرابًا وقلقًا في الباطن *

ففضّل اذن راحة نفسك الباطنة على نظرة سريعة المرور كثيرة الشرور *

واذا عدت الى زاويتك وانظر الى ما قلتهُ وعملتهُ فان احسنت فيهِ فاشكر الله على ذلك وان اسأت فتواضع وابكِ ضعفك البليغ واسأل الله ان يزيدك صلاحًا وقوّة وفطنة ويترك لك زلّاتك برحمتهِ *

لتعلّمك زلّاتك ان تزيد تيقّظك على ذلك في وسط العالم واربح في الخلوة ما تكون قد خسرتهُ في الخارج *

من النادر ان يعود الانسان الى بيتهِ بريئًا

من كل ذنبٍ . رايتُ كثيرين يكثرون الخروج من بيوتهم غير اني لم ارَ الفائدة التي يعودون بها من بيوت غيرهم *

اذا دخلت بيتك فانسَ ما رايتَ وسمعتَ من الاباطيل وتفرَّغ للشغل والقراءَة لكي تعود سريعًا الى مصاحبة خالقك والهك الرحيم *

٢ : انَّ العبادة لا تنمو وتعظم الاَّ في الخلوة ولا تضعف وتتبدَّد الاَّ في الجمع ولذا اراد مخلّصنا يسوع مع سمو قداستهِ ان يعتزل عن الناس غالبًا مدة تردُّدهِ على الارض لكي يعلّمنا نحن المحتاجين الى هذا الاعتزال اكثر منهُ ان لا نحب الفرار من خلوتنا لأدنى سبب *

من يحب يسوع يجد الخلوة عذبة ويأنس بها بيد انّها تثقل على محب الدنيا وحطامها *

فيا ما اجلَّ حكمة من يحب الاقامة في بيتهِ

ولا يصرف وقتهُ بالذهاب والإياب · يقيناً انهُ يتنعَّم في خلوتهِ هذه براحةٍ وسكون لا يحصل عليهما بنو الدهر في أشد افراحهم واعراسهم *

ويا ما اعظم حماقة مَن نال من لدن الرب موهبة الاختلاء والتوحد ويفضل عليها التردد بين الناس ليسمع احاديثهم ويرى اباطيلهم ويعود الى بيتهِ باثقالٍ من الهموم والغموم *

الفصل الثامن

في تلاوة الفرض

اذا بانت لك صلاة الفرض شاقة لطولها فاذكر ان السهر والترتيل مدة ثلاث او اربع ساعات لأشهى واعذب من ساعةٍ واحدة في نيران المطهر *

واذكر ايضاً انّ كلّ كلمة من الفرض نطقتَ بها بانتباه تزيد اجرك في السمآء كما ان الطياشة الاختياريّة تزيدك عذاباً في المطهر *

ليس بلائق ان نحضر امام الله وقدّيسيهِ بقلب طائش وفكرٍ مشتّت وان كنّا نحن لا نصغي الى الاقوال التي ننطق بها فكيف نريد ان يستمع الله لنا ويلتفت الى صلاتنا *

واحسرتي ايّ اهانة يرتكب من يردّد في بالهِ اقوالاً باطلة وافعالاً واهية في مكان لا ينبغي لنا ان نتفرّغ فيهِ بعد تركنا كلّ امر الّا لعمل مقدّس وللتأمّل في الاسرار الالهيّة *

انّ العابد الحقيقي يتميّز خاصةً بحرارتهِ ورغبتهِ في تسبيح الله والترتيل له وهذا الكلام كلامهُ وهو: « أُبارك الرب في كلّ وقت في كلّ حين تسبحته في فمي » (مز ٣٣) *

فاذن من يضجر من تلاوة الفرض ولا يضجر من ساعاتٍ يقضيها مع الناس فهذا ليس بعابد حقيقيّ *

اننا بتلاوة فرضنا نرفع قلبنا الى الله ونتكلّم معهُ ونفي واجباتنا نحوهُ فكيف يمكننا ان نكرِه عملاً مقدّساً يقرّبنا بهذا النوع من الله ويزيدنا في الوقت نفسهِ عزًّا وفخرًا ونفضّل عليهِ البطالة او الاحاديث الباطلة وما اشبه ذلك *

من يقيم صلاة فرضهِ بعبادة واحترام يشارك الملائكة في تسابيحهم الدائمة للثالوث الاقدس اذ انّهم لا يملّون في السماء من اعادة هذا النشيد وهو: « قدوس قدوس قدوس » *

٢: فبئس عمل من يعتني براحة جسدهِ اكثر من اعتنائهِ بخلاص نفسهِ فيقصّر صلواتهِ وقداديسهُ وكلّ شيء فيهِ منفعةٌ لنفسهِ ويطوّل

مدّة أكلهِ ونومهِ وتنزُّهاتهِ وسائر افعال جسدهِ *

اذا لم تشعر بتخشّع وعذوبة في بدء صلاتك فاجتهد بان تُحسن صلاتك بموجب استطاعتك لانهُ يتفق غالباً ان يشعر الانسان في آخر صلاتهِ ما لم يشعر بهِ في اوّلها *

وهب انك لم تشعر بتخشّع او حرارة مدّة صلاتك كلها فلا تعدّ صلاتك هذه غير مقبولة لدى الله سيَّما اذا كنت غير مذنب . واحياناً تكون هذه الصلوة المصلاّة ببرودة اشهى من غيرها . لانّ من يصلّي بحرارة وعذوبة ربّما يشتغل بهذه العذوبة عن الله او يستكبر فيُفسد صلاتهُ *

امّا من يداوم على صلاتهِ مع البرودة التي فيهِ فهذا يُرضي الله كثيراً لانهُ لا يقصد في تلك الصلوة غير ارادتهِ تعالى ومسرّتهُ فضلاً عن ان صلاتهُ تكون في تواضع وانكسار قلب ومن المحقّق « انّ القلب المنكسر المتّضع لا يرذلهُ الله » (مز ٥٠ : ١٩) *

اذا اردت ان تكون جميع اعمالك مصنوعة بفطنة واعتدال فعليك بمشاورة رئيسك او مرشدك والطاعة لهُ *

لا تحبَّ انَّ تتميَّز في شيء عن غيرك واذا اتاك الله نعمةً خصوصيَّةً فاعترف بانَّك انسانٌ لا ملاكٌ وبانَّك تحمل ايضاً رداءَ الجسد الشاقَّ لا ثوب الانفس المجيدة واقبل نعمة الله بشكر وامتنان *

لطِّف فرحك الزائد بالخوف وخوفك المفرط بالرجآء بيسوع المسيح مخلِّصك وفاديك *

الفصل العاشر

صلوةٌ يطلب فيها المرءُ ان يتكمَّل في الفضائل تكميلاً مغبوطاً

ايُّها الرب الاله الاب القدُّوس * الذي رتَّب

كلّ شيء بمقدار وعدد ووزن * (حكمة ١١ : ٢١)
واراد ان تكرمهُ كلّ خليقة ناطقةٍ اكرامًا لائقًا ويجب ويطلب على الخصوص ان تخدمهُ خدامهُ بطيبة خاطر وسرور أسألك ان ترتب جميع اعمالي بموجب مسرّتك الصالحة وتقهر حركات جسدي المنحرفة بسلطة مقاصدك الابديّة وتُعطيني ان اكسر بالتمام ارادتي *

ورتّب اللهم جميع عواطفي واجعلني أنبذ الرديئة منها في الحال ومنذ اوّل شعوري بها واتمسّك بالصالحة والطاهرة كلّ التمسّك واتعلم ان استغني عن الاشكال الجسديّة عند تبصّري فيك *

لطّف يا رب قواي واعمالي في الخارج ولا تدعني التصق بالارض كلّ الالتصاق بل اجعلني في كلّ حين قادرًا على الرجوع اليك *

ايّها الرب الهي احفظ فيّ الشوق الى الخيرات

الابدية ومحبة الفضائل المقدسة وذوق الاشياء السماوية لكي يتمجد فيَّ اسمك القدوس احسن تمجيد وأربح خلاص نفسي *

لا تدع يا رب ان تصيبني الكبرياء من تسلياتك ويفتك فيَّ وباء المجد الباطل *

ولا تأذن للشيطان ان يخدعني بأوهامهِ او ان اغترَّ بتسلية كاذبة بل اعطني ان اعمل كلَّ شيء بفطنة واباشر بكلّ عمل بمشورة الحكماء. واسير امام عزتك بخوفٍ واحترام وحرية وبرارة مجتنباً كلَّ هوى وتعلق بالاشياء الفاسدة *

هبني اللهم روحاً متضعاً ساكناً معتدلاً ولا تدع قلبي يرتبط بخلائقة بربط رديئة بل احفظهُ طاهراً هادئاً لكي يتيسر لهُ كلَّ وقتٍ الارتقاء بالروح الى السماء والاتحاد بك في الباطن ولا يمسك بشيء منظور بل يحتقر هذا العالم احتقاراً حقيقياً *

واعطني ان اقضي الامور الزمنية بنوع لا يضرّ باطني بل يساعدني على خدمتك بحرية عُظمى. وليعُد كلّ عمل اعملهُ في الخارج او في الباطن لمجد اسمك الاعظم بعد ان اكون قد عملتهُ على حبك وبموجب ارادتك ومسرّتك الصالحة *

واجعلني اخضع لك سريعاً في كلّ رغائبي وفي كلّ شيء يضادّ طبيعتي صابرًا على ثقل هذه الحيوة الحاضرة الى ان تدعوني اليك واذ ذاك اسالك ان تبطل كلّ الحيل التي يخترعها الشيطان لابادتي وتقبل روحي بين يديك لتمجّدك مع قدّيسيك الى الابد *

اذكرني اللهم في حاجتي القُصوى والطف بعبد قد جعل كل ثقتهِ بجودتك ورحمتك *

الفصل الحادي عشر

في حبّ الله والقريب وبغض الرذائل

انّ الصلاح يُحَبّ وفي محبّتهِ سعادة . بيد انّ النفس التي خُلقت لتُحِبّ صلاحاً غير متناهٍ لا تجد سعادتها الّا في محبّة هذا الصلاح الذي هو الله واحتقارها كل شيءٍ سواه وعليهِ قال بولس الرسول : « اعتددتُ كلّ الاشياءَ نفايةً لأكسب المسيح » (فيلبي ٣ : ٨) *

انّ الخليقة ليس لها غير ظواهر الصلاح او شيءٍ منهُ ولذا لا تجدي محبّتها للنفس راحةً وسعادةً ولهذا ايضاً قال الرب يسوع . « ليس صالحٌ غير الله » *

انّ المحبّة فضيلة شريفة مولودة من الله ترفع النفس المزدانة بها الى طلب السماويّات واحتقار

الارضيّات *

وانّها تبغض الرذيلة وترذل الملذّات وتقاوم الشر وتغصب الطبيعة لتظفر بكلّ ما يضادّ الله والفضيلة . وكما انّ الماء والنار شيئان لا يجتمعان كذلك محبّة الله ومحبّة العالم ضدّان لا يتّفقان *

كلّما قهر الانسان ذاتهُ وأصلح عيوبهُ زاد حبهُ لله وبادت عواطف جسدهِ واميالهُ المنحرفة . ومن يسيء سلوكهُ ويرضى بحالتهِ يجرح المحبّة وينفي عنهُ السلام *

خير للانسان الغير المهذّب ان لا يعاشر الناس واذا احبّ معاشرتهم فليتعلّم اوّلاً ادب الرب وليهذّب طباعهُ *

اذا اردت الحصول على محبّة الله وحفظ السلام مع اخوتك فقاوم ارادتك واجتنب الاعجاب باعمالك وتواضع في كلّ شيء *

٢ : ان الانسان كثيرًا ما يعمل اعمال الجسد ويظنها اعمال فضيلة . فاعمال الجسد هي شرب المسكرات ومصاحبة النسآء والاستلذاذ بالاكل واللبس والنوم والاكثار من الكلام والخروج واهمال الشغل والصلوة والمسارعة الى المائدة والتاخر عن الذهاب الى الكنيسة *

اما اعمال الفضيلة فهي المنافيات لما ذُكر وزد على ذلك ما جآء في رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل قورنثية حيث يصف المحبة فيقول : « المحبة هي ذات صبر ورفق . المحبة لا تحسد . المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تاتي بقباحة . ولا تطلب ما هو لها . ولا تغضب . ولا تفتكر بالسوء . ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق . وتصبر على جميع الاشيآء . وتصدّق كلّ الاشيآء وترجو كلّ شيء وتحتمل كلّ شيء » (١ قورنثية ١٣ : ٤-٨) *

الفصل الثاني عشر

في الزهد والعفّة

انّ القناعة في الأكل والشرب تولي النفس والجسد صحّة وعافية والنتصانات تعلّمنا محبّة الفقر *

من لا تنال يدهُ افراح الارض وخيراتها ويكفر بها فليس لهُ في ذلك كبير فضل امّا من يقدر على الاستلذاذ بتلك الافراح والخيرات ويزهد فيها ففضيلتهُ نادرة ذات ثواب جليل *

كثرة الاموال تجلب الخصومات وتولّد الرذائل . والعفّة مع الفقر هي آمن منها مع الثروات الطائلة . وفي اماتة الجسد شفاء النفس *

انّ انكسار القلب يمنع الضحك . ومخافة الله تذلّل الكبرياء *

ينبغي لمن اراد ان يكون قدّيسًا ان يحترز

من ملامسة الاجسادِ لانّ الاجساد لا تلبث ان تستحيل بعضها *

ان العفّة لا تستقيم في محبّ الجمال وراحة جسدهِ . فعلى العفيف اذن ان يعشق جمال الله ويكلف بحبّهِ لا غير. واذا اراد الجسد ان يسوقهُ الى محبّة الاجساد وجمالها الكاذب الزائل فليردّهُ بهذا كلام المزامير : « نصيبي هو الله . ومن مثل الرب » *

من يحبّ الاختلاء يسلم من ادناس العالم ومن ينظر الجسد بمثابة سجن للنفس مزمعاً ان يصير تراباً وفساداً لا يعتني بهِ غير الاعتناء اللازم *

٢ : من ينظر الى ظواهر الانسان ويفتخر بحسنهِ وقوّة بدنهِ يشتغل بالباطل ويحرم نفسهُ افراح الروح القدس *

انّ القدّيسين لم يتنعّموا بتعزيات الروح

القدس وافراحهِ الاّ لزهدهم في افراح الجسد والعالم وشمّاهم مضايقاتها *

كثيرون هم اعداء العفة غير انّ من يتواضع ويتذلّل امام الرب تذللاً حقيقيًّا ويستغيث بهِ حين التجربة ويصون حواسهُ كل حين يفوز لا محالة بالظفر تحت راية يسوع المسيح *

الفصل الثالث عشر

في رياضةٍ مفيدة جدًّا هي التامّل في حياة يسوع المسيح وآلامهِ

احسن رياضة يمارسها الانسان واعظم عذوبة يجدها في حياتهِ هما التامّل في حياة سيّدنا يسوع المسيح وآلامهِ اذ هو معلّمنا الحقيقي الكامل في الحيوة العمليّة كما في الحيوة العقليّة . وتعليمهُ منزّه

عن الضلالة وكثرة البيّنات يجد فيهِ الانسان ما لا يجدهُ الّا نادرًا في بقيّة العلوم *

فأقوَم طريق وآمن سبيل للبلوغ الى الكمال والى انارة النفس والدخول الى الحيوة الابديّة هو المشابهة بابن الله في جميع فضائلهِ واعمالهِ *

تعلّم ان ترتّب جميع رياضاتك وتقصد فيها محبّة يسوع وكرامتهُ . تفكّر بيسوع في كلّ وقت ومكان . تصوّرهُ حاضرًا امامك واحنِ راسك باحترام عظيم وعبادة عند استماعك اسمهُ القدّوس وعظّمهُ وبجّلهُ وخبّر بعجائب رحمتهِ ورأفتهِ عليك وعلى سائر البشر ما استطعت . لانّك مهما قلت في مديحهِ او صنعت لتمجيدهِ فهو دون استحقاقهِ بما لا يحدّ *

واليك واسطة يمكنك بها ان تفي شكرك لله وسائر واجباتك نحوهُ وهي ان تعترف امام الرب

بعجزك عن ايفاء نذورك لهُ وتلتمس من الرب يسوع ان يفيها عنك سيّما في ذبيحة القدّاس. وهذا ما عناه داود النبي بقولهِ: «بماذا أُكافئ الرب عن كلّ ما أحسن بهِ اليّ. كاس الخلاص اتناول وباسم الرب ادعو» (مز ١١٥: ١٢)*

٢: امتثل حياة يسوع المسيح الكليّة القداسة مقتديًا على قدر وسعك بفقرهِ وتواضعهِ وصبرهِ واحتقارهِ لهذا العالم*

اذكر انهُ لاجلك اشتغل منذ ولادتهِ المقدّسة حتى موتهِ على الصليب ولاجلك ايضًا تألّم وبذل ذاتهُ كلّها الامر الذي لم يصنعهُ احدُ الملائكة او احدُ القدّيسين. فكم يحقّ لهُ عوض ذلك ان تحبّهُ فوق كل شيء وتستغيث بهِ على الدوام وتكرمهُ وتجلّهُ في كلّ وقت وحين*

انّ معرفة يسوع المصلوب كانت تلوح للطوباوي

بولس الرسول حكمةٌ تفوق كل حكمة وعلمٍ وبازاءَ هذه الحكمة كانت كل علومهِ ومعارفهِ الكثيرة تبين لهُ كالعدم ولذا احتقر كلَّ شيء ووطئ بارجلهِ شهوات الجسد وقال وهو ممتلئ من روح القدس : « حياتي هي المسيح والموت ربحٌ لي » *

فيا لهُ كلاماً عذباً مفيداً لا يجب نسيانهُ ابداً ويا ما اعظم سعادة وقداسة النفس التي نطقت بهِ والمسيح حقًّا حياتها وكلّ شيء لها *

يقيناً انّ حياة من يكون المسيح لديهِ كلاًّ في كلّ شيء ويحبهُ فوق كلّ شيء لحيوةٌ مغبوطةٌ وكذا من يمكث في يسوع احرى مما في ذاتهِ ولا يترك لنفسهِ شيئاً من ذاتهِ بل انّ الحيوة الحقيقية هي هذه ان يحيا الانسان في يسوع المسيح ويموت عن ذاتهِ ويعدّها كلا شيء ليربح كلّ شيء في يسوع المسيح ربنا. وبهذا المعنى قال الرب يسوع :

من اراد ان يخلّص نفسهُ يهلكها . ومن اهلك نفسهُ من اجلي وجدها » (متى ١٦ : ٢٥) *

٣ : من يحيا هكذا وان عاش على الارض بجسدٍ خاضع لأنواع الشدائد فانهُ مع ذلك يسكن بالروح في علو السمآء حيث يسوع المسيح جالسٌ عن يمين الاب . ويرفع اليهِ كلّ يوم تنهّداتهِ واشواقهُ ولا يملّ من الصلوة والعمل حتّى ينال مرغوبهُ *

ان التفكّر المتواتر في آلآم المسيح يوتي النفس خيرات كثيرة . فإن داهمتك مصيبة في الخارج او في الباطن فعليك اذ ذاك خاصةً بالالتجآء الى آلآم يسوع المسيح مردّدًا في بالك عظم الاوجاع التي تكبّدها يسوع من اجلنا نحن الغير المستحقين *

ماذا يفيدنا التامّل في آلآم يسوع اذا لا نريد ان نحتمل بفرح شيئاً من اوجاعهِ وكيف لا نفرح ونتسلّى اذا اراد الرب يسوع ان يعطينا

ان نشرب شيئاً من كاسهِ ونشعر بقليل من الآمهِ *

ولهذا السبب كان جميع القدّيسين يفرحون بشدائدهم ويحتملون اوجاعهم بصبر ومحبة على مثال معلّمهم الالهي *

الفصل الرابع عشر

في ذكر العذراء مريم المغبوطة وفي الاستغاثة بها

يليق بك ان تذكر في كلّ شيء مريم العذراء المغبوطة امّ يسوع المباركة وتستجير باستحقاقاتها وصلواتها وتلتجئ قريباً منها في جميع ضروراتك مثل ولد مجروح يلتجئ الى امهِ المحبوبة *

لانّ اسم مريم الحلو يُعطي المستغيث والمتفوّه بهِ ثقةً لانها مستعدّة من ثمَّ أن تقول لابنها يسوع قولاً حسناً في النفس المبتلاة بالمحن والتجارب *

حقيقةً لو لم تصلِّ مريم العذرآء كلّ يوم مع قدّيسي السمآء لاجل العالم لما كان بقي العالم في الوجود وهو يهين الله بخطايا عديدة ولا يكاد يندم عليها *

فيجب اذن على جميع المومنين بيسوع المسيح ابرارًا كانوا ام خطاة أن يستغيثوا بمريم العذراء ويجب ذلك خاصةً على الرهبان والمتعبدين الذين قد نذروا عفتهم ويتوقون الى السمآء باشواقٍ مقدسة ويأبون مشاركة العالم في شيءٍ من افراحهِ وخيراتهِ *

٢ : ولكن ماذا يجب أن نطلب في صلواتنا الى مريم العذرآء . لنطلب منها غفران خطايانا وفضيلة العفّة ونعمة التواضع العزيزة على الله في الغاية وسائر النعم التي نحتاج اليها لتقدُّمنا في القداسة . وحصولنا على ملكوت السمآء *

ويجنا ما ابعدنا عن الفضائل الحقيقيةَ عن التواضع

البليغ والفقر المقدّس والطاعة الكاملة والعفّة التامة والتامل المستوعب عبادةً والمحبّة المفعمة حرارةً وسائر الفضائل التي كانت موجودة بملئها في مريم ام يسوع *

فلنترامَ اذن على قدميها نرامي فقير متسوّل لكي تنال لنا الصعود ولو الى درجة واحدة من فضائلها *

اذا اردت الحصول على شيء فاطلبهُ بتواضع بواسطة مريم العذرآء الطوباوية لانّها تساعد الاحيآء والاموات باستحقاقاتها الجليلة *

انّ نعمتها ومجدها يفوقان نعمة جميع قدّيسي السمآء ومجدهم وما نالتهُ من ابنها يسوع تريد ان تستخدمهُ الان لنفعنا نحن المسجونين في هذا العالم *

فلنثق اذن بها ولنستجر بشفاعتها فانّ صلواتها مقبولة لدى الله عزّ وجلّ *

الفصل الخامس عشر

في الاستغاثة بصلوات القدّيسين بادمان

لا تهمل الاستغاثة بلجاجة بصلوات القدّيسين المالكين في السمآء مع يسوع المسيح لانّك تحيا كما ترى في وادي دموع وتقضي ايامك بين اعداء شديدي الباس ولا تزال بعدُ بعيدًا عن الله بعدًا شاسعًا *

فاطلب اذن مدّة نفيك صداقة القدّيسين اصدقآء الله وودّهم مودّة خصوصيّة واترك جانبًا المواصلات البشريّة والمكالمات الفارغة *

انّ صلاة قدّيسٍ واحد تفيدك اكثر من زيارة جميع اصدقائك وما تشعر بهِ النفس من تسليات يسوع المسيح الباطنة تجلّ بها لا يُحدّ عن جميع تسليات البشر وافراحهم *

انّ الرجل البار يتمتع في الباطن بفرح لا يدركهُ الانسان الشهواني المحبّ للارضيات *

٢ : طوبى لمن لا يطلب تسليتهُ من الناس لكن في القراءات المقدّسة والصلوات الورعة التي تسوق الانسان الى حسن السيرة والى محبّة الاشياء السماويّة كما عمل القدّيسون الذين احتقروا الخيرات المنظورة *

كلّ انسان يحبّ مصادقة اناسٍ مثلهُ فالصالحون يطلبون مصاحبة اناسٍ صالحين والاشرار يحبّون من كان نظيرهم *

اذا كنت تريد ان تملك مع القدّيسين في السمآء وتكون لهم صديقًا فينبغي لك ان تتألّم كثيرًا لاجل الله وتتذلّل نظير القدّيسين على الارض لانّهُ لا يفيدك كثيرًا ان تكرّم القدّيسين بشفتيك وسيرتك مخالفة لسيرتهم *

واذا اردت ان ترضي الله والقدّيسين فروّض جسدك واكسر ارادتك وقاتل رذائلك واسعَ في اكتساب الفضائل واقرأ تراجم القدّيسين وتعاليمهم لكي تكون قدّيساً نظيرهم وتتهذّب بواسطتهم فتشاركهم في اكليلهم ومجدهم *

ان القدّيسين يحبّون كثرة التنهّدات الموجّهة نحو السماء والتوجّع على الخطايا وحفظ اللسان والثبات في التوبة والشوق الى التقدّم في الفضيلة والصبر على الشدّة والشكر على الاحسانات والترتيل الورع والسهر الذي لا يخالطهُ حزنٌ والتسابيح والترانيم والاقرار بالذنوب وطلب الغفران واقامة القداديس ودموع الصلوة العقلية وسائر فرائض القانون *

٣ : ان القدّيسين يجيبون بمسرّة وطيبة الى صلواتنا اذا كانت مستوفية الشروط : كيف لا

وهم الذين مدّة ترددهم على الارض قد صلّوا كثيرًا لاجل اعدآئهم *

انّ القديسين كانوا بشرًا نظيرنا خاضعين لأنواع الشرور وكثرة المحن والتجارب بل ومنهم من عاش في الخطيّة زمانًا طويلاً بيد انهم استفادوا من انارة النعمة لهم ولم يدعوا نعمة الله باطلة فيهم بل انهم منذ اوّل شعورهم بها اخذوا يجدّون ويجتهدون معها في ترك الخطيّة وقلع الرذيلة واكتساب الفضيلة والتقدّم في محبّة الله بالصلوات اللفظيّة والعقليّة . ولم يألوا جهدًا حتّى ظفروا بجميع اعدائهم ونالوا ما تمنّوا وهم الان في السمآء يشكرون الله ويحبّونهُ ويسبّحونهُ ويتنعّمون بمشاهدتهِ وحضرتهِ ويشربون من وادي لذّاتهِ . وسعادتهم هذه تدوم الى الابد *

فليشجّعنا اذن مثالهم وليزد ثقتنا ورجآءنا

ولنستغث ايضاً باسمائهم ولنكرمهم بانواع الاكرامات اذ انّ نفوس العابدين قد اختبرت بنوع عجيب منفعة صلواتنا الى القدّيسين واستغاثتنا بهم سيّما يوم تحتفل الكنيسة بأعيادهم *

ان الانسان الحزين الكئيب يطلب في حزنهِ اخصّ اصدقآئهِ لكي يسلّيهُ باقوالهِ ويشجّعهُ بمشوراتهِ. فاطلب انت ايضاً في احزانك وضيقاتك تسلية القدّيسين اصدقآئنا المحقّين واعرض عليهم احتياجاتك واستغث بهم بثقةٍ. لانّهم قد عرفوا مدّة اقامتهم على الارض شقآء الانسان وكثرة محنهِ وشدّة تجاربهِ ولذلك نراهم الآن لامتلائهم من محبّة القريب يرقّون لنا ويجيبون الى صلواتنا إن صلّينا اليهم بثقة وايمان *

الفصل السادس عشر

في الشوق الى ملكوت السماوات

انّ شوق القدّيسين الوحيد الفريد في هذه الدنيا هو ان لا يشاركوا العالم في شيءٍ من خيراتهِ وافراحهِ بل ان يطلبوا دائماً باحتقارهم الارضيّات مشاهدة يسوع المسيح ومصاحبة ملائكتهِ *

ولذلك كان الطوباوي بولس المغرم بمحبّة يسوع المسيح يحتقر كلّ الاحتقار جميع خيرات الارض ويقول عند تاجّج شوقهِ الى السماء : « اني اطلب انحلالي لاكون مع المسيح » *

انّ هذا الشوق لا يُعطى للجميع لكن الكاملين فقط الذين يقدرون ان يقولوا : « حياتنا هي في السماء » *

قليلون هم الحاصلون على هذا التجرّد والموجّهون جميع عواطفهم نحو الابديّة محتقرين كلّ كرامات

الدنيا وغناها *

اما الذين يحبّون يسوع المسيح فيفرحون بفقرهم وحقارتهم ويحفظون قلبهم في التواضع ويبحثون ذواتهم بدقّة حتّى على اخفّ الاهمالات ويعطون جسدهم حاجاتهِ الضرورية بقناعةٍ وخوفٍ ويكتفون بأَقلّ من الواجب فهولآء هم الذين يحتقرون الدنيا تمامًا ويدعون اصدقآء الله يسارعون الى الوطن السماوي متأهّبين كلّ حين للخروج من جسدهم الفاني ليبلغوا سريعًا الى يسوع المسيح اذ ليس لهم في هذا العالم ما يمسكهم ويعيقهم *

٢: سعيدًا لمن كانت هذه الاشواق اشواقهُ ويزداد كلّ يوم حرارةً ولا ينفك يصلّي ويصرخ الى يسوع حتّى يفتح لهُ باب السمآء ويُدخلهُ الملكوت الذي وعد بهِ جميع المومنين بهِ *

فيا لهُ وطنًا مغبوطًا يملك فيهِ الفرح الدائم

والسلام البليغ ومعرفة الله البيّنة الجليّة والمحبّة الكاملة والسعادة التامّة *

انّ يوماً واحداً هناك خير من الوف في هذه الدنيا . اذا لا يوجد هناك نقص في شيء . امّا هنا فيوجد الشقآء البليغ والسلام النادر والعلم القليل *

ولكن ماذا نستطيع نحن الاشقيآء ان نقولهُ في سعادة السمآء وكيف يمكننا نحن المائتين ان نفهم شيئاً من تلك الابديّة والحيوة الغير الفانية . لعمري انّ هذه الحيوة الابديّة لا تزال مستترة عنّا في هذا وادي الظلام لا نفهم منها الاّ النزر القليل وذلك بواسطة الامثال والالغاز *

فلتنزعْ اذن انفسنا المختلطة بظلام هذا العالم على افراح النور الابدي وعلى صُحبة سكّان الوطن السماوي ولنرتفع بالحاظنا على الدوام الى العُلى حيث يملك يسوع المسيح في مجد ابيهِ الى دهر الداهرين آمين *

EXCERCICES SPIRITUELS

كتاب

ترويض النفس التقية في الرياضات الروحية

وهو

الكتاب الحادي عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

توطئة المعرّب

انّنا عند بلوغنا هذا كتاب الرياضات الروحيّة وشروعنا بتعريبهِ وجدنا أكثر فصولهِ وعباراتهِ تكرّر معاني قد سبقت وتشمل الرهبان خاصةً . فرأينا الاوفق ان نتصرّف بهِ ونجعلهُ يعمّ بفوائده جميع النفوس التي تطلب ان تعيش عيشةً باطنة سواء كان ذلك في دير او خارجًا عنهُ . ولهذا حذفنا بعض فصول وعوّضنا عنها باخرى اقتطفناها من كتب المعلّمين الخبيرين بالسيرة الباطنة وعلّمنا عليها بنجمتين منتابعتين وجمعنا بعض فصول بغيرها لتشابهها ونقلنا لسبب المشابهة ايضًا بعض فصول من كتيّبات المجلّد الخامس والحقناها بفصول هذا الكتاب كما الحقنا بعض اعداد من هذا الكتاب نفسهِ باعداد الكتاب السابق لهُ *

الفصل الأوّل

تحريض شديد على الفضيلة

قال بولس الرسول: «تجدّدوا بروح ضميركم والبسوا الانسان الجديد» (افسس ٤ : ٢٣) *

انّ العابدين قد اعتادوا رياضات حسنة بها ينشّطون انفسهم كلّ يوم على التقدّم الروحي وحبّ الفضيلة. ولذلك يطلبون الانفراد ويجتنبون الضوضاء ويُعنون النظر في سيرتهم. واذا زلّوا بادروا الى القيام باجتهاد وندامةٍ نصوح. ويتيقّظون على افكارهم وينظرون في العواطف التي تحرّكهم ويقاتلون طيش القلب بصلوة عقليّة متواترة وبالتأمّل في الكتب المقدّسة ويقولون: «طريق الزور أبعد عنّي. وبشريعتك ارحمني» (مزمور ١١٨ : ٢٩) *

لانّ من لا يجتهد في رياضات العبادة الباطنة يتيه لا محالة هنا وهناك ولا يلبث ان يتدنّس بالرذيلة *

واوّل جميع الرياضات وأنفعها لتطهير النفس هي معرفتها لاهوآء الخطيّة وطلب شفآءها من الله بدموع ونحيب *

انّ المرضى المساكين الممتلىء جسمهم قروحًا اليمة يطلبون من العابرين بحرارة وتوسّلات رقيقة علاجًا لامراضهم فيصف لهم كلٌّ من المارّين ما يظنّهُ موافقًا لمرضهم فكيف الرب الرؤوف الرحيم يرذل صلاة قلوب منكسرة تنوح على امراضها وشرورها ابتغاء الخلاص الابدي *

فاتّخذ لك رياضات تناسب حالتك وتوافق احتياجاتك وتدرّب بها في الليل والنهار لكي لا تمضي ساعة من حياتك بدون فائدة *

٢ : لا تمتنع من الرياضات العمومية من اجل رياضاتك الخصوصية بل ينبغي لك بالعكس ان تزداد في رياضاتك غيرةً على اتّباع رياضات الجمهور لكيلا تفقد شيئاً من السلام الباطن ولكنّك تعطي القريب مثلاً صالحاً *

اذا اصابك عارضٌ يمنعك عن تتميم ما بدات بهِ فاجتهد بان تعود اليهِ في اسرع وقت يمكنك ذلك *

راجع غالباً دفتر نقائصك لتقف على تقدّمك او تاخرك وارسم لك قانوناً بموجب النعمة التي نلتها لانّ الانسان لا يعمل الصلاح الّا بعذوبة الروح القدس والقلب الوديع الوضيع يستحق هذه العذوبة بسهولة عُظمى *

انّ الحكيم من شانهِ ان يرتّب حياتهُ ويقصد في كلٍّ من اعمالهِ غاية حسنة وينبغي لهُ ايضاً ان

يتخذ الوسائط الجديدة بان تبلّغهُ غايتهُ هذه . عملٌ واحدٌ يُحكم عملهُ الحكيم ينفع اكثر من اهتمام الجاهل باعمالٍ كثيرة *

من يعمل اعمالاً في غير وقتها او يتكلّم من دون ان يفتكر في نتيجة كلامهِ يهين قريبهُ بسهولة ويحصل لهُ اهانات تسوقهُ الى الندم . امّا من يعمل اعمالهُ في وقتها ويُمعن النظر في نتيجة اقوالهِ يفوز دائمًا بنجاح يغبطهُ *

٢ : اذا كنت في حالة حسنة تتنعّم معها بعذوبة الروح القدس في باطن قلبك فلا تعتمد على حالتك هذه وتتعرّض للاخطار كانك غير قابل السقوط بل انّ تعرّضك هذا شرٌّ من شانهِ ان يزيل عنك شيئًا فشيئًا عذوبة الروح القدس وحرارتَهُ ويورّطك في شرور كنت تكرهها في اوّل الامر وتحتسب ذاتك معصومًا منها *

هذه حقيقة يشبهها مثال كثيرين كانوا ينعمون بمنّ السماء ويأكلون خبز الملائكة ويحبون يسوع من كل قلوبهم فنسوا ضعفهم ولم يذكروا انهم تراب وعائشون بين اعداء اشد باساً منهم يدسون لهم مكائدهم سيما حين كانوا في امن منهم . فعرّضوا ذواتهم لانواع الاخطار وما لبثوا ان سقطوا سقطة رضضتهم بل اهلكتهم *

اما القديسون الذين تقدّموا في القداسة وثبتوا فيها فكلما زادوا نعمةً زادوا ايضاً في الوقت نفسهِ خوفاً وحذراً من ضعفهم وميلهم الى الشر ولم يرذلوا مشورات الآباء والشيوخ وذوي الخبرة بل احسنوا العمل بموجبها فبلغوا مقرّ السعادة الابدية وسلموا من حبال الحيّة الجهنمية *

فاذكر اذن ضعفك دائماً وخف منهُ ابداً ولو رفعك الله نظير بولس الرسول الى السماء الثالثة *

الفصل الثاني **

في اجتناب العجلة وكثرة الافعال في العبادة

انّ المتعبّدين كثيرًا ما يصيبهم في بدء عبادتهم احدُ هذين الامرين : امّا ان يطلبوا ان يرتفعوا في يوم واحد الى أعلى درجة من الكمال وامّا ان يكثّروا صلواتهم كانّ الكمال قائمٌ بهذهِ الكثرة *

فينبغي لنا في بدء عبادتنا ان نجتنب العجلة والاهتمام الزائد منتظرين بعد ان سلّمنا ذواتنا بين ذراعي رحمة الرب وعنايتهِ ان ينقلنا شيئًا فشيئًا الى الكمال الذي يريك هو *

لا بدّ من الزلّات في اكتساب الفضائل اذ انّ الفضيلة هي اصلاح الزلّات المضادّة لها وتقليلها. فمن يترك طريق الفضيلة لعثرةٍ اصابتهُ يجهل

تحديد الفضيلة ومثلهُ مثل من يطلب ان يتعلّم القراءَة من دون أن يغلط غلطة واحدة حين تخرّجهِ فيها *

احفظ في اشغالك الخارجة راحتك الباطنة بحيث انّ نفسك لا تزال متحدةً بالله وقتما يكون جسدُك مشتغلاً بامورهِ او بخدمة القريب ولمّا كانت هذه الرياضة صعبة على المبتدئين يحسن بهولاَء ان يتفرّغوا للاعمال الروحيّة الباطنة اكثر من تفرّغهم للاعمال الخارجة الزمنيّة وان كانت هذه الاعمال حميدة في ذاتها *

انّ الاعمال الخارجة مهما كانت صالحة فهي احطُّ قدرًا من الاعمال الباطنة التي توصلنا بالله راسًا · والحالة هذه ينبغي لنا في كل شيء ان نفضّل ارادة الله على ارادتنا ونضحّي لها جميع عوائدنا اذ انّ احسن عائدة لنا هي ان نعمل ارادة الله دائمًا *

٢: واجتنب ايضاً في العبادة كثرة الافعال فلا تطالب ان تصلي كلّ الصلوات او تشترك في كلّ الاخويّات او تنتقل من فعل الى آخر لانّ الحاجة الى واحد. واذا جدّيت في ادراك غايتك بوسائط قليلة وثبتّ فيها فذاك خيرٌ لك من ان تكثّر الوسائط ولا تستطيع ان تثبت فيها بعد خمود حرارتك الأُولى فتترك جميعها وترجع الى الوراء *

انّ النفس العابدة حقّاً لا تهمل شيئاً من واجبات دعوتها او واجبات الآداب المدنيّة كالزيارات الضروريّة والمآدب الوفائيّة وما اشبه ذلك بيد انّها تجعل في راس جميع واجباتها الاتّحاد بالله والخضوع لنعمته على الدوام *

وانّها تؤدي للقريب كلّ الخدم المفروضة عليها بيد انّها قبل مباشرتها هذه الخدم تنتظر

ان تقدّم لها العناية الربانيّة الفرص المناسبة فتتكلّم وتعمل في سلام بموجب ارشاد النعمة لها ولا تطلب سوى ان تكون وحدها مع الله *

ان النفس العابدة لا تطلب حتّى في احسن الاشياء التي تمجّد الله فيها اكثر تمجيد ان تتصرّف بموجب مسرّتها او تخطو خطوةً واحدةً إن لم يدعوها الرب الى ذلك. فتمكث في مصر مع العائلة المقدّسة او مع الشعب الاسرائيلي الى ان يامرها الرب بالخروج منها والذهاب الى ارض فلسطين *

فسقيًا لنفسٍ هذه صفات عبادتها فانّها تمجّد الله حقًّا وتبني القريب وتحمل الاشرار انفسهم على ان يحترموها ويوقروها *

الفصل الثالث

في ارتفاع الانسان بقلبهِ الى الله تعالى

ارفع قلبك الى الله في اوّل اشغالك ولا تستعظم ما قلتَ او عملتَ من الصلاح . لينك تقدر ان تصرف ولو نهارًا واحدًا بل نصف ساعةٍ في التفرّغ التام لله لكنّك واحسرتي مشتت البال بعيدٌ عن كمال الطهارة حتّى في الاماكن المقدّسة *

لا تدع ساعةً تمضي من دون ان ترفع فيها قلبك الى الله بنافذة روحيّة او صلوة وجيزة . قال الرب يسوع : « من لا يجمع معي يفرّق ومن لا يكون معي فهو عليّ » ومعنى ذلك انّ من لا يكون مختليًا بذاتهِ مع الله ويتفرّغ للامور الخارجيّة يُضحي شديد الميل الى الشر ضعيف الهمّة في مقاومتهِ *

لا تنسَ خلاص نفسك ابداً لانَّ من لا يعتني بأمر خلاصهِ على ممرّ الدقائق لا يلبث ان يتشاغل عنهُ بكثرة ملاهي الدُنيا *

لتكن عيناك امامك في كل حين لانَّ فخاخ العدو الخبيث مكنونة في كلّ مكان ليمسك بها النفوس التائهة *

٢ : اطلب الرب تجدهُ . اصرخ اليهِ ولا تملَّ . قُل لهُ مثلاً : « هلمَّ يا رب اليَّ ولا تُبطئ . اللهم اسرع الى اغاثتي . اعنّي يا يسوع الصالح فتخلص نفسي . هبني عون نعمتك لأَصلح بها سيرتي *

ارتضِ يا رب ان تكون معي فانّي احبُّ جدًّا ان اكون معك . يا رب انّي لاجلك بدأتُ عمل خلاصي ولاجلك تركتُ هذا العالم معانياً هذه المحن والضيقات . لاجلك اموت كل يوم ومن اجلك صرت مثل انسانٍ جاهل لا نفع فيهِ . ولاجلك

ايضاً اقبل التاديبات والتوبيخات وسائر الاهانات. واحني كاهلي للسهر والصوم والاشغال الشاقة وسائر الاتعاب وكل ذلك فرضٌ عليّ تسرّني تاديتهُ الك. لانّك تستحق حقّاً هذه الخدم وسوف تكافئني مكافأةً وافرة حينما يسرّك ذلك *

يا رب استر عبدك تحت جناحيك فلا يعود يخشى الجسد ولا البشر. يا يسوع ربي كن ملجاي وتعزيتي الوحيدة. كن لي حبيباً لانّ جميع اصدقائي تركوني *

كن رجآئي يا يسوع لانّ الرجاء بالناس باطلٌ. كن فرحي وسروري لانّ جميع افراح هذا العالم عدم وضياع. كن لي دليلاً وصديقاً ورفيقاً في هذه الطريق التي اسلكها فيها لانّ البشر لا يلبثون ان يتركوني بحاجتي ويفارقوني *

لك يا رب اوجّه اغانيّ وفيك تعزيتي وكل

رجائي فكن خلاصي ومجدي وحبّي وعذوبتي *
هبني ان احب صليبك واتبعك في الامك .
ارسم جروحك في قلبي واعطني ان احتمل حسب
اشواقي الاهانات والشتائم من ايّ جهة انني وان
انشبّه بك في حياتي وعند مماتي *

الفصل الرابع **

في طهارة النيّة

كلام المعلّم الالهي : اني كلّمت اليهود بامثال محسوسة ظاهرة قريبة من اذهانهم الغليظة لعجزهم عن ادراك الاشياء الروحيّة الباطنة فقلتُ لهم : « ان كانت عينك بسيطة فجسدك كلّهُ يكون نيرًا » (متى ٦ : ٢٢) بيد اني اكلّمكِ الان يا نفسُ بنوعٍ اوضح واجلى فاقول لكِ : « اذا كانت نيّتكِ

طاهرةً فجميع اعمالكِ تكون مقدسةً نيّرةً *

صوت التلميذ : « عرّفني يا رب طرُقك ·
وسُبلك علّمني · ارشدني بحقك وعلّمني » (مز ٢٤ : ٤)
لاني لا ارغب في شيء من هذا العالم مثلما ارغب
في استماع كلامك واتّباع تعاليمك فقل لي يا
رب كيف تكون نيّتي طاهرة *

صوت المعلم الالهي : يا بُنيّ ان نيّتك تكون
طاهرةً اذا قصدت الله ببساطة في كلّ اعمالك
واقوالك وحركاتك ومشروعاتك · اذ انّ كثيرًا
من المتعبّدين والاتقياء لا يتوخّون في عباداتهم
وتقواهم واعمالهم الصالحة مجدي ومسرّتي فقط لكنّهم
يقصدون ايضا بل خصوصًا عوائدهم الشخصيّة
كمديح الناس والسمعة الحسنة والكرامات الزمنيّة
والراحة الباطنة والسعادة الروحيّة وما اشبه ذلك ·
واذا عباداتهم تكون ناقصة سريعة الزوال

لاوّل محنة *

امّا المتعبّدون المزدانون بطهارة النيّة فلا ينظرون الى ذواتهم ولا يهمّهم شيءٌ في الدنيا والآخرة سوى ان اكون انا وحدي ممجَّدًا ومسبَّحًا ومالكًا على كلّ القلوب بحيث انّهم « يودّون لو كانوا هم نفسهم محرومين من المسيح من اجل اخوتهم » (روم ٩ : ٣) *

انّهم بتجرّدهم هذا التام من ذواتهم وقصدهم مجدي لا غير في كلّ من اعمالهم الباطنة او الظاهرة ينالون من المجد والمدحة والسمعة والكرامة والراحة والسعادة ما يفوق نصيب غيرهم وان كانوا هم لا يلتفتون الى شيء من ذلك ويتغافلون عنهُ اذ انّهُ من المحال ان لا اكافئ بأحسن المكافآت من يمجّدني لذاتي ويكاد يضحّي عوائده الشخصية امام مجدي وتقديس اسمي *

٢ : صوت التلميذ : فاذا كانت هذه حالة النيّة الطاهرة فطوبى ثم طوبى للنفس المزدانة بها اذ انّ قداستها ليست بقليلة ومهما عملت تكون اعمالها ذات استحقاق جزيل . ولكن كيف البلوغ الى هذه طهارة النيّة ومن يرشدني اليها غيرك انت يا ربي والهي *

صوت المعلّم الالهي : « اذا كنتِ ايتها النفس العزيزة ترغبين من كلّ قلبكِ في الحصول على طهارة النيّة فدونكِ الطريق المؤدّية اليها . فوّضي اليّ امرَ قداستكِ وخلاصكِ ودعيني اعمل فيكِ ما اشآء لانّ خيركِ قائمٌ بان تكمّلي انت مشيئتي لا بأن اكمّل انا مشيئتكِ . واذا ما كمّلتِ مشيئتي كلّ حين وفي كلّ شيء وتركتِ جانبًا مشيئتكِ واهوائكِ بلغتِ عاجلاً الى طهارة النيّة واحسنتِ تمجيدي وتسبيحي *

بيد أني انبئكِ بان سيصيبكِ ضيق وسيشق عليكِ ان تعملي دائماً ارادتي اذ انّ الطبيعة لا تسرّ بالاعمال التي تلاشيها وارادتي هي ان أُلاشي الطبيعة وأُميتها «لان حبّة الحنطة ان لم تقع في الارض وتمت بقيت وحدها وان هي ماتت اتت بثمار كثيرة» (يوحنا ١٢ : ٢٤) *

ولكن ثقي انكِ إن فوّضتِ اليّ امركِ خوّلتكِ عوناً بهِ تقوين على احتمال كلّ المشقّات والصعوبات وتنتهين بواسطة هذه المحن نفسها الى الاتّحاد بي بدون واسطة وتُطهّرين هكذا شيئاً فشيئاً من خمير المحبّة الذاتيّة» *

٢ : فيكفيكِ اذن ايتّها النفس العابدة لتكون جميع اعمالكِ معمولة بنيّة طاهرة ان تقصدي مرّةً واحدة ان تكفري بارادتكِ وتعملي بارادة الله طالبةً مسرّتهُ لا غير في كلّ اعمالكِ وافكاركِ واقوالكِ

واوجاعكِ ومحنكِ وتجاربكِ وفي كلّ ثانيةٍ من حياتكِ ويحسن بكِ ايضاً ان تجدّدي كلّ يوم صباحاً هذا القصد وتمتنعي بعدئذٍ من ان تقصدي بكلّ من اعمالكِ التعويض عن خطاياكِ او اكتساب الفضيلة الفلانية او استمداد النعمة الفلانية وما اشبه ذلك لانّ القصد المومأ اليهِ يحوي كلّ هذهِ الغايات *

ولكن يمكنك والحالة هذه ان تصلّي ايضاً بعض الصلوات على نيّاتٍ خصوصيّة إن شئتِ ذلك *

الفصل الخامس **

في اغتصاب الذات

« ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونهُ »

(متى ١١ : ١٢)

انّ طريق السماء ضيّق لكنّهُ عذبٌ ايضاً .

فانهُ ضيّق لانّ من يسير فيهِ يُفرض عليهِ ان يسيّج على اهوائهِ بسياجات الوصايا الالهيّة والمشورات الانجيليّة . وانهُ عذبٌ لانّ من يكون قد تسلّط على اهوائهِ واخضعها لسلطان العقل والنعمة يتنعّم براحة البال وشهادة ضمير صالح وعذوبة الروح القدس *

كثيرون يطلبون التمتّع بحلاوة الفضيلة لكنّهم لا يريدون ان يعانوا في اكتسابها المحن والصعوبات التي لا بدّ منها . ويتوقون الى افراح السمآء لكنّهم يأبون الامتناع عن افراح الجسد والعالم ولهذا كلّما وجدوا في عبادة الله وخدمتهِ ما يلذّ لهم ويوافقهم ثبتوا فيها ومتى شعروا باليبوسة او بشيء آخر يشقّ على طبيعتهم تركوا العبادة والتقوى وفضّلوا عليهما المسير في طريق الهالكين الواسع معالّين انفسهم بحجج واهية تزيدهم اثماً وهم لا يعلمون *

وهذا ما حمل الفادي الالهي على ان يقول :

« انّ المدعوّين كثيرون والمنتخبين قليلون » *

انّ الله يعاملنا في بدء تعبّدنا له بكثيرٍ من اللطف لكي يستميلنا اليهِ فيفيض في نفسنا سلاماً جزيلاً وفرحاً لا يوصف ويجعلنا نستطيب الاختلاء والسكوت وسائر رياضات التقوى ويسهّل لنا ممارسة الفضيلة فلا يشقّ علينا وقتئذٍ شيءٌ ونظنّ انّنا قد ادركنا الكمال وبلغنا الى ذروة القداسة *

بيد ان الله محبّنا الحقيقي لا يتركنا في حالتنا هذه مدّة مستطيلة كما انّ الام مهما كانت حنونة شفوقة على ولدها لا تتركهُ يرضع لَبَنها زمناً طويلاً لكنّها تفصلهُ عن الرضاع منذ تراهُ دخل وقت الفطام *

فكذلك ابونا السماوي المستوعب قلبهُ حبّاً لنا لا يلبث ان يفطمنا عن لَبَن تسلياتهِ منذ يرانا بالغين اوان الفطام لانّ النفس لا تبلغ اشدّها

بالتسليات فقط كما ان الانسان لا يبلغ اشدهُ بالحليب فقط *

٢ : واذا ما فصل الله النفس عن تدَبي تسلياتهِ ياخذ اذ ذاك ان يُريها بنور نعمتهِ نقائصها وشوائبها ويخوّلها في الوقت نفسهِ ارادةً قويةً لاصلاح تلك النقائص واجتناب شرورها *

ويُريها ايضاً بتتابع لئلاّ تفشل عظم شقائها وسوء حالها بل انّ عبادتها نفسها تبين لها مملوءةً شوائب وعيوباً وبعد ان كانت تحسب انها تحب الله تشاهد الان انها تطلب ذاتها في حبها لله وتختصّ لها مواهبهُ وتحتقر غيرها وغير ذلك من الشرور فتتيقّن حينئذٍ بُعدها عن الكمال الحقيقي والعبادة الصادقة *

واذا كانت النفس شجيعة امينة تتواضع اذ ذاك بدون قنوط وفشل وتضع كلّ ثقتها في الله

مستحلفةً اياه ان يساعدها على الصلاح والكمال *

ثم انها تشمّر عن ساعد الجدّ وتنزل الى ميدان الحرب راكنةً الى معونة الرب نظير داود الفتى وتحارب جليات الجبار حتى تصرعهُ على الحضيض *

وهذه هي غاية الله في امساكهِ عنّا غالبًا عذوبة تسلياتهِ الباطنة لانّ النفس طالما لا تشعر بشقائها وكثرة امراضها لا يُعنيها امرُ شفائها ونجاتها *

٣ : واذا افرغت النفس كلّ جهدها في ابادة اعدائها وخارت كلّ قواها لم يعُد يبقى لها وقتئذٍ سوى ان تترك الله يعمل فيها ما يفوق الطبيعة لانّ الانسان كلّما تقدّم في القداسة يحتاج الى قوّة عُظمى وحتى دخل اطوارها العُليا يبطل عملهُ ويبتدىء عملُ الله الخاص واذ ذاك يصحّ فيهِ هذا كلام الرسول : « انا حيّ ولست انا بل المسيح يحيا فيّ » (غلاطية ٢ : ٢٠) *

بيد انّ هذا عمل الله المحض في النفس يشقّ عليها جدًّا وان كان يقرّبها من الكمال اكثر فاكثر لانّها طالما تعمل هي مع الله تتسلّى بعملها هذا وتختصّ لها شيئًا من غلباتها . ولكن متى استغنى الله من معاضدتها لا يعود يبقى لها شيءٌ يخصّها وهذا ما يشقّ عليها في الغاية *

وداب الله حينئذٍ ان يجرّد النفس ويعرّيها من كلّ التفات الى ذاتها بحيث انّها لا تتاسّف ولو نزع الله عنها كلّ المواهب والنعم والفضائل التي جاد بها عليها وكانت قد اختصّتها لها *

فيا ما اعظم هذا التجرّد وما اشقّهُ على الطبيعة . انهُ يقتضي جهادًا مستطيلاً ومتى انتهينا بموجب ظنّنا الى آخرهِ ينبغي لنا بعدئذٍ ان نخضع لجهاد الله فينا . اذ انّهُ تعالى سوف يتصرّف في سلطتهِ على النفس كلّ التصرّف ويعاملها معاملة ربّ

مطاق لمملوكٍ لهُ *

فيا ايُّها الرب الهي اني قد فهمت الان عظم الاغتصاب الذي يُفرض على من تدعوهُ برحمتك ورافتك الى كمال الانجيل بيد اني لا افزع منهُ ولا ارتعب لاني بك اقوى على كلّ شيءٍ . فارجو انك تكمّل فيَّ عمل مشيئتك الذي بدأتهُ بعد ان اكون قد عاضدتُ نعمتك المعاضدة التي تنتظرها مني وتركتُك من ثمَّ تعمل وحدك فيَّ ما يسرّك ويُرضيك (١) *

(١) انك تجد في هذا الفصل خلاصة خمسة فصول مرّت بك في كتاب مناجات المرء نفسهُ (المجلد الثاني) وهي الفصل الثالث عشر وتوابعهُ حتى الثامن عشر ·

الفصل السادس

في احتقار التسليات الارضية

ايّها الانسان الشقي ما لك تطلب المدحة على خيرات ليست فيك. انّك حقيرٌ من وجوهٍ كثيرة وكان الاولى بك ان يعلو الاحمرار وجهك من الخجل والعار *

افحص باطنك باستقامة فلا تصدّق عاجلاً كلام الناس ولا الشهرة الباطلة *

رايتُ اناساً يمدحون رفقاءهم في حضورهم ويحتقرونهم ويعيّرونهم في غيابهم شرّ تعيير *

انّك كثيراً ما تغسل يديك وراسك لتُرضي الناس وتحملهم على الالتفات اليك وكان الاولى بك ان تغسل ضميرك من رذائلهِ لتُرضي الله وملائكتهُ الذين ينظرون الى خفايا القلب *

٢ : طوبى لمن يرذل تعزيات الارض ويحتقر لأجل يسوع المسيح افراح هذا العالم باسرها *

طوبى لمن يصبر اذا تركهُ الله والناس ويخضع لأوامرهِ تعالى في كلّ شيءٍ *

تعلَّم ان تستغني عن تعزيات البشر وتنظر اليها بعين العدم . لانّ الثقة بالناس والفرح الزائد بحضورهم او الحزن على غيابهم ضربٌ من البطلان والنقصان *

كلُّ تسليةٍ بشريّةٌ سريعة الزوال لا ثبات لها فضلاً عن انّها قاصرة عن ابادة احزاننا ان لم اقُل انّها علّة اغلب احزاننا *

لتكن تسليتك في احتقار كلّ تسلية بشريّةً والصبر على ابتعاد التسلية الالهيّة عنك *

ايُّ خير يرجوهُ الانسان من تعزية خارجيّة وجيزة باطلة وايّ سعادة يجدها في الخليقة اذا

كان قد ترك الله جانباً *

اذا لا يرتقي الانسان الى الخالق بواسطة الخلائق فكلّ تعب ضايع . انّ محبّة الخلائق جائزة بيد ان استلذاذ الحواس بالاجساد مرذول *

٣ : اذا ادبرت عنك التعزيات يمكنك ان تتفاوض عن حالتك هذه مع صديقٍ لك . وهذا النوع من التعزية البشريّة نافعٌ لك وقد يكون ضرورياً ايضاً لانّ الكلّ لم يُعطَوا نظير بولس الرسول ان يقولوا : « اني لم اعرف ذلك من البشر ولا بواسطة البشر لكن بتعزية يسوع المسيح » *

ولكن الذي يقدر ان يصمت ويستغني عن هذه التسلية ايضاً هو في كمال اعظم وعليه ان يشكر الله شكراً وافياً *

الفصل السابع **

في فضل الحبّ على الخوف

قال يوحنا الرسول : « ليس في المحبّة خوف بل المحبّة الكاملة تنفي الخوف الى خارج » (١ يو٤: ١٨) *

كلّما تقدّم الانسان في محبّة الله نقصت مخافتهُ منهُ بل تحوّلت الى مخافة اخرى هي بنت الحب *

اذا اردنا ان نتوب عن خطايانا بليق بنا اذ ذاك ان نتبحّر في احكام الله المهولة ونخاف من حكمهِ وعقاباتهِ الأبديّة السرمديّة . لندع هذا الخوف يعمل فينا كلّ عملهِ ولا نجتهدنّ في تضعيفهِ لانّهُ صادر من الروح القدس ويوهّبنا الى توبة نصوح *

واذا تبنا فليسندنا الخوف ايضاً في ممارسة اعمال التوبة والتقشّف لانّنا لو تذكّرنا نيران جهنّم

التي استحقيناها غالباً نتنشّط في احتمال كلّ ضيقاتنا وامراضنا التي مهما تعاظمت فهي ليست بشيء نسبةً الى عذابات جهنّم *

لنخف ايضاً من اسباب الخطية التي تحدق بنا من كلّ صوب وجانب ومن ضعفنا البليغ وقوّة الملكة الرديّة ولنقابلنّ ميلنا الى افراح الجسد والخطيّة بالخوف من دينونة الله وقصاصاتهِ الهائلة التي تحلّ بمن يخالف وصاياهُ ويقاوم نعمتهُ *

بيد انّ الخوف وحدهُ يضرّ بالنفس بل ان الله يفضّل الحب لهُ على الخوف منهُ وقد خلق قلب الانسان لكي يُقاد بزمام الحُبّ اكثر منهُ بزمام الخوف ولذا جعل المحبّة اوّل الوصايا وأجلّها *

٢ : منذ سقط الانسان الاوّل في الخطيّة الى ايام المسيح كانت الناس تعبد الله بالخوف والوجل كما تخدم العبيد مواليها . ولكن منذ اعتقنا الابن

الوحيد وصرنا احرارًا بالحقيقة (يوحنا ٨ : ٣٦) فرض علينا ان ننفي الخوف الى خارج ونخدمهُ بالمحبة كما يخدم الحبيب حبيبه او كما تخدم العروسة عروسها *

اجل ان هذه خدمة الله بالمحبة كانت مجهولة عند عامة الناس قبل مجيء المخلّص ولذا قال الرب يسوع عند اعطائه لنا هذه وصية المحبة : « اعطيكم وصية جديدة » (يوحنا ١٣ : ٣٤) وزاد قائلاً في محلّ آخر : « لست اسميكم بعدُ عبيدًا ولكنّي سمّيتكم احبّائي » (يوحنا ١٥ : ١٥) *

فبعد رجوعنا الى الله وتصميمنا على حفظ ما اوصانا بهِ لا يليق بنا ان نخدمهُ تعالى الاّ بالمحبة والفرح « انتم احبّائي إن عملتم ما اوصيتكم بهِ » (يوحنا ١٥ : ١٤) *

٢ : انّ الحبّ هو بالحقيقة العاطفة الأليق

بالله فضلاً عن انهُ يستحقها لكمالاتهِ الغير المتناهية واحساناتهِ الغير المتناهية واحساناتهِ الطبيعية والفائقة الطبيعة ومكافآتهِ الأبديّة التي وعدنا بها · ثم ان الحبّ هو وحدهُ يغيّر حقاً قلب الانسان ويميلهُ الى الله ويعطفهُ عن الخلائق ويلينهُ ويوسّعهُ ويرفعهُ ويجعلهُ جديراً بان يعمل كلّ شيء ويحتمل كلّ شيء لأجل الله *

هذا ويجب على المسيحي ان يجتنب الشرّ ويصنع الخير فمن شان الخوف ان يردّ الانسان عن الشر بيد انهُ لا يستطيع ان يسوقهُ الى الخير. غير انّ الحبّ يقدر وحدهُ ان يردّ عن الشر ويحمل على الخير *

فاذا افاض الله محبّتهُ في قلوبنا ينبغي لنا اذ ذاك ان نسترسل لعوامل هذه المحبّة ونبذل كلّ جهدنا في تأجيج نيرانها مجتنبين كلّ شيء يضعفّها ·

ثم انّ الله يسرّهُ وحينئذٍ ان يُظهر ذاتهُ للنفس بكل جواذبهِ بحيث انّ هذه النفس تتعجّب من الذين يخافونهُ فتقترب هي منهُ بثقةٍ وتخاطبهُ بمودّةٍ مقدسة ولا يكون موضوع كلامهما غير الحبّ *

وتكاد لا تفتكر في الحقائق المخيفة كالموت والدينونة والجحيم واذا افتكرت فيها لا تشعر بتأثيرها لانّ الحبّ قد اخذ مكان الخوف قياماً بهذا كلام الرسول الحبيب : « ان المحبّة الكاملة تنفي الخوف الى خارج » *

واذا بقي فيها شيء من الخوف فيكون خوفها مقدساً عفيفاً مثل خوف الاولاد من والديهم او كخوف العروسة من عروسها . فتخاف من الخطية لا ليكون الله هائلاً في نقمانهِ لكن لانّهُ ابوها وحبيبها وهو يغتاظ من الخطيّة . فتجتنب كلّ خطيّة بل كلّ زلّةٍ ونقصٍ ولا تحبّ ان تعمل شيئاً من الشر

باختيارها ومعرفتها التامّة *

٤ : فاذا اصابكِ ايتها النفس خوف شديد من دينونة الله واحكامهِ المهولة وانتِ قد وهبتِ ذاتكِ لله وتحببينهُ من كلّ قوّتكِ فاعلمي انّ هذا الخوف صادرٌ امّا من الله وامّا من مخيلتكِ وامّا من الشيطان *

فاذا كان صادرًا من الله (وتعرفين ذلك اذا كان مقرونًا بالسلامة والراحة الباطنة) فاحتملي هذه المحنة بحُبٍّ *

واذا كان صادرًا من المخيّلة (وعلامة ذلك الحزن والغم وضيق الخُلق) فلا تدعي التصوّرات تستمرّ فيك زمانًا طويلًا بل احتقريها واجتنبي كلّ ما يُثيرها فيكِ *

واذا كان صادرًا من الشيطان (وتعرفين ذلك اذا كان يسوقكِ الى قطع الرجاء والقلق

والاضطراب) فينبغي لكِ ان تجدّدي ثقتكِ بالله وتلقي بذاتكِ بين ذراعيهِ تعالى وتفوّضي اليهِ امركِ وتسأليهِ ان يمجّد اسمهُ بهذه تجربتكِ باستخدامهِ اياها لتمكين حبهِ الطاهر منكِ . لانّ الله لا يسمح بهذه التجربة الاّ لكي يسوق النفس الى ان تحبهُ باعظم طُهر ويجرّدها من بواقي حبّ الذات ويحملها على ان تكفر بأخفى شيءٍ فيها *

واذا تمّت هذه ارادة الله في النفس فانها تستعيد حينئذٍ راحتها ويدبر عنها الشيطان مغلوباً مذعوراً . ويرسخ فيها حب الله رسوخاً مكيناً . فهكذا يجب على النفس ان تنصرّف في الخوف الذي يعتريها لكي تتكمّل بواسطتهِ في حب الله الاعظم *

الفصل الثامن **

في الامانة في القليل

« الامين في القليل يكون امينًا في الكثير »

(لوقا ١٦ : ١٠)

ليس عند الله شيء صغيرًا او كبيرًا حقيرًا او رفيعًا. بل كلّ ما يريد الله فذاك هو الكبير وإن بان لك حقيرًا صغيرًا *

إن رجعت جماهير من الخطاة الى التوبة خلافًا لارادة الله فعملك هذا العظيم في عينيك وفي اعين الناس ليس لهُ قيمة في عيني الله. وبالعكس اذا اكلت او شربت او كنست او طبخت او عملت غير ذلك من الاعمال الحقيرة في اعين الناس طاعة لارادة الله فاعمالك تلك تكون باسرها ذات استحقاق جزيل في السماوات *

انّ الله يعلّق نعمهُ باشياءَ نسرّهُ فكثيرًا ما يتفق انّ العمل الفلاني الذي نستصغرهُ ونحتقرهُ نحن يكون هو علّة قداستنا وخلاصنا ولذا قال الكتاب : « من لا يلتفت الى الاشياء الصغيرة يسقط شيئًا فشيئًا » *

انّ الاشياءَ العظيمة وافعال الفضيلة الشهيرة نادرة الحدوث واذا اردنا ان ننتظر حدوثها لنُظهر بها حبّنا لله فربّما لا نتمكّن من ذلك مدّة حياتنا كلّها بيد انّ الاشياءَ الصغيرة كثيرة الحدوث ويُمكننا كلّ حين ان نُظهر بها حبّنا لله وخضوعنا له *

ثمّ انّ الاشياءَ العظيمة تقتضي شجاعةً عظيمةً ايضاً فكيف نقدر ان نركن الى قوانا اذا لم نكن قد اختبرناها في الاشياءِ الصغيرة *

ان الاشياء الجليلة تقتضي نعمًا مناسبةً لها فكيف يُعطينا الله هذه النعم اذا كنّا غير امينين في القليل *

وفضلاً عن ذلك ان التواضع يفرض علينا ان ننظر الاشياء العظيمة فوق طاقتنا ولا نطالبها من تلقاء انفسنا بل نكتفي بالاشياء القليلة الصغيرة ونكون امينين فيها . واذ ذاك يعمل الله فينا الاشياء الكبيرة اذا احبَّ ذلك عند سنوح الفرصة *

٢ : انَّ الامانة في القليل هي اعظم واصعب مما نظنّ ونقتضي كثيراً من الثبات والشجاعة والسخاء اذ انها قائمة بهذا ان نموت كلَّ حين عن ذواتنا ونتبع عامل النعمة في كلّ شيء ونجتنب كلَّ فكر وشوق وكلمةٍ وعملٍ يغيظ الله ولو قليلاً . ونعمل كلَّ شيء بكلّ الكمال الذي يطلبهُ الله منّا ولا نوافق اهواء الطبيعة في شيء بتةً وذلك لا يوماً او يومين او ثلاثة بل مدّة حياتنا كلّها . فيقيناً انَّ هذا لعملٌ لا عملَ اعظم منهُ *

وللاعمال الصغيرة فضلٌ على الكبيرة من

حيث ان هذه تسوق الى الكبرياء وتلك تساعد على التواضع *

فمن كان اذن امينًا في القليل يستعطف الله اليهِ فيفيض عليهِ احساناتهِ ونعمهُ ويكنز لهُ كلّ حين كنوزًا في السماء ويتاهب للاعمال الجليلة *

الفصل التاسع **

في المنفعة التي يجب علينا ان نجنيها من زلّاتنا

قال بولس الرسول: « ونحن نعلم انّ الذين يحبّون الله كلّ شيء يعاونهم للخير »

(رومية ٨ : ٢٨)

انّنا ان كنّا نحبّ الله ونبغض الخطيئة حقًّا فكلّ شيء ينفعنا حتى خطايانا التي انما يسمح بها الله لغايات مقدّسة كمعرفة ذواتنا وشفائنا من

كبريائنا وازدياد انكالنا عليهِ تعالى وتاجج حبّنا
وشكرنا لهُ بعد نوالنا من مراحمهِ الغفران منها *
فلا ينبغي لمحبّي الله الحقيقيّين ان يتعجّبوا من
زلّاتهم او يقلقوا من جرّائها او يخجلوا او يفشلوا
فهذه كلّها اشياءٌ ناتجة عن حبّ الذات وتضرّهم
اكثر من الخطيّة نفسها *
اذا اردنا ان نتعجّب فلنتعجّبنّ من كوننا لا
نسقط كلّ حين في خطايا مميتة جسيمة . لنتعجّبنّ
من رحمة الله نحونا ومن حبّهِ الشديد لنا وعوض
ان نقضي ساعات برمّتها متفكرين كيف اخطانا
وسقطنا . لنصرفها بالأحرى في استغفار الله والتذلّل
امامهُ وتادية الشكر لهُ وتجديد مقاصدنا واستئناف
مسيرنا باعظم نشاط واشدّ اتكال عليهِ تعالى . ولا
نعدْ نفتكر في خطيّتنا الّا حين فحص ضميرنا عنها
واعترافنا بها . واذ ذاك ينبغي لنا ايضاً ان نصرف

وقفنا في اعادة ما ذكرناه من افعال الاستغفار والتذلّل والشكر والبقيّة *

٢ : انّ داود النبي استفاد كثيرًا من خطاياه اذ قال بعد سقوطهِ : « خيرٌ لي اني تذلّلت لكي اتعلّم حقوقك » (مز ١١٨ : ٧١) *

وبطرس هامة الرسل استفاد ايضًا من نكرانهِ المسيح ثلاث مرّات اذ اخذ يبكي خطيئتهُ هذهْ ويتذلل امام الرب حتّى استحقّ لتواضعهِ البليغ ان يقبل الروح ويكون رأيس الرسل ويسلم من اخطار مقامهِ الرفيع *

وبولس رسول الامم استفاد من خطاياهُ الماضية اذ كان يقاوم بها روح الكبرياء الثائر عليهِ بسبب نجاحهِ في بشارة الانجيل ومواهبهِ الجليلة وارتفاعهِ الى السماء الثالثة *

فلا تحزن اذن من هفواتٍ وزلّاتٍ وعثراتٍ

تزيدك عدْواً في طريق السماء *

٢ : انّ الله كثيراً ما يترك في اعظم القدّيسين بعض نقائص لا يستطيعون ان يصطلحوا منها مع كلّ اجتهادهم وذلك لكي يجعلهم يشعرون بضعفهم وما يصيرون اليهِ بدون نعمتهِ تعالى ولكي يمنعهم عن الاستكبار بمدحهِ وبوهبهم لقبولها بابلغ تواضع وبالجملة لكي يجعلهم يحتقرون ذواتهم ويقيهم من فخاخ محبّة الذات وغير ذلك من الخيرات *

اذا ابتعد الطفل من امّهِ فسقط يعود اليها بحنوٍ اعظم لكي يُشفى من المهِ ويعزم بلسان حالهِ ان لا يعود يترك امهُ ثانيةً وما عاينهُ من ضعفهِ ولُطف امهِ في قبولها اياهُ يزيدهُ تعلقاً بها وحباً لها *

انّ زلاّتنا تكون لنا غالباً فرصاً لممارسة اجلّ الفضائل فيسمح الله مثلاً بان نزلّ في التواضع او في الصبر او في فضيلة اخرى لكي نمارس تلك

الفضائل عينها التي زللنا فيها ونعوّض هكذا بانتباه تام وارادة كاملة ما صدر منّا عن غير انتباه وارادة ولا ريب ان المسرّة التي تصيب الله من هذا عملنا الصالح تفوق جدًّا الاساءة التي لحقتهُ من زلّتنا وتقصيرنا *

وقد يسمح الله ايضاً بزلّاتنا ونقائصنا لكي يخفي قداستنا عن اعيننا واعين الناس وبعرضنا للاهانات الكثيرة الفوائد *

٤ : لندع الله يعمل ما يشآء اذ انّهُ يعرف ما يفيدنا ويصلح لتقدّمنا اليهِ . لنقصد نحن ان لا نهينهُ ابدًا ونصطلح من رذائلنا جهدنا واذا اخطأنا مع ذلك فلنسئمنا اهانتهُ لا غير ولنسالهُ ان يُبدل خطيّتنا هذه بما يعود الى منفعتنا ومجدهِ فنتقدّم هكذا احسن تقدّم ونسلم من غوائل محبّة الذات وشرور الكبريآء *

اذا طلب الله منك عمل شيء فلا تمتنع منهُ مخافة ان تزلَّ في عملهِ لانَّ عمل الخير مع بعض النقصان خيرٌ من اهمالهِ بالتمام . فلا تهمل مثلاً توبيخاً لازماً خوفاً من الاحتداد حين عملهِ ولا تجتنب مصاحبة اشخاص يثقلون عليك ويسببون لك الضجر والّا فكيف تكتسب الفضائل ان اجتنبت الفُرص المساعدة عليها *

انّ اجتناب هذه الفرص لشرّ اعظم من الشرّ الذي يمكن وجوده في انتهازها فلتكن اذن نيّتنا جيّدة ولنذهبنّ حيث تدعونا واجباتنا معتقدين انّ الله سوف يرحمنا ويغفر لنا زلّاتنا ويعوّض عن تقصيراتنا التي تفرط منّا في طلبنا مسرّتهُ تعالى وتتميمنا ارادتهُ المقدّسة *

الفصل العاشر **

في كيفيّة سلوكنا في التجارب

قال الملاك رافائيل لطوبيا : « اذ كنتَ مقبولاً امام الله كان لا بدَّ ان تُمتحن بتجربةٍ »

(طوبيا ١٢ : ١٣)

انّ تجارب النفس العابدة كثيرة متنوّعة فتارةً يسعى الشيطان بان يبعدها عن المائدة المقدّسة بحجّة انها غير مستحقّة التناول او انها لا تستفيد من تناولاتها . فينبغي اذ ذاك النفس ان تحتقر هذه تصوّرات الشيطان وتداوم على التناول ولو انها لا تشعر بفوائده *

وتارةً يجتهد ابليس بان يسوق النفس الى ترك الصلوة العقليّة او تبديلها بالتأمّل وذلك خاصةً لما يشاهدها يابسةً في صلواتها العقليّة تحدق بها الافكار

المشتتة من كلّ جانب فيجب حينئذٍ على النفس ان لا تلتفت الى وساوس العدو وتعتقد انّ غاية الصلوة العقلية هي موت المحبّة الذاتيّة وهذا الموت لا يصيبها الّا وقتما تكون يابسة لا تشعر بحلاوة او تسلية *

ثم انّ الشيطان قد يجرّب ايضاً النفس بعدم الثقة بمرشدها لكي لا تجد في اقوالهِ ونصائحهِ التسلية والتقوية اللتين تحتاج اليهما . فيجعلها تشك في صحة تعاليمهِ لها او غير ذلك فينبغي وقتئذٍ للنفس ان تطيع مرشدها في كل شيء كطاعتها لله سيّما اذا كان مرشدها صالحاً عالماً خبيراً في الروحانيّات يسلك بموجب روح الله ومشورتهِ *

ان الله لا يدع مرشداً هذه صفاته يغلط في تدبير نفسٍ تنظر فيهِ الله نفسهُ وتطيعهُ بهذا النظر في كل شيء رغبةً في خلاصها ومسرّة عروسها

يسوع . واذا فرطَ منهُ مع ذلك بعض غلطات فلا يتركها الرب زمانًا طويلاً بدون تصحيح *

٢: واقول الآن خاصةً للمبتلين بتجربة الوسواس ان يتمسكوا كلّ التمسُّك بعروة الطاعة لمرشدهم ويجعلوا كلّ راحتهم وتسليتهم في هذه الطاعة . اذ انهُ لا طريق آمن لهم من الطاعة لمرشدهم الذي يجب عليهم ان يعتبروه اعتبارهم للملاكِ ارسلهُ الله لهم كما صنع مع طوبيّا الصغير ليرشدهم في طريق السماء ويقضي لهم حاجاتهم وينشلهم من اخطار الدرب *

ان التلميذ لا يُعطي جوابًا عن الاشياء التي يعملها طاعةً لمرشده وكيف يؤاخذهُ الله عن اشياء عملها طاعةً لهُ جلَّ اسمهُ فليتحقّق اذن ان كلّ ما يعملهُ من باب الطاعة يُرضي بهِ الله ويسرّه اكثر جدًّا من الاشياء التي يعملها من تلقاء ذاتهِ او برايِ نفسهِ خلافًا لأمر مرشدهِ *

فاذا تناول مثلاً طاعةً لمرشدهِ وهو يرى ذاتهُ غير اهل للتناول لبعض نقائص وجدها فيهِ او لبعض زلّاتٍ فرطت منهُ . فانهُ يُرضي الله بهذا التناول ويستفيد منهُ اكثر جدًّا من التناول الذي لم يامرهُ بهِ مرشدهِ ويعملهُ لمجرّد شوقهِ اليهِ او علمهِ بعدم وجود ما يمنعهُ منهُ *

فيا ما اعظم التسلية التي يجدها الوسواسي في طاعتهِ لمرشدهِ لعمري انهُ يقدر ان ينام و يستريح بكلّ سكون وطمانينة ويدع المسؤولية لمرشدهِ الذي سوف يجيب هو عنهُ وعن ذاتهِ *

٣ : امّا تجارب النفوس المتقدّمة في العبادة فهي من نوع آخر بل هي محنٌ لا تجارب فتُمتحن غالبًا بافكارٍ ضدّ العفّة والايمان والرجآء والمحبة وكثيرًا ما تظن انها قد قبلت هذه الافكار فتحزن وتقلق وتضطرب والحال انها لم تقبلها لخوفها نفسهِ

من قبولها . لانهُ طالما تخاف النفس من قبول تلك الافكار فخوفها هذا يدل على كراهتها لها وطالما تكرهها وتانف منها فهي بعيدة عن قبولها *

واحسن دواء للنفس في حالتها هذه هو ان تُطلع مرشدها ببساطة على كلّ ما يحدث في باطنها وتعتمد على حكمهِ بدون مجادلة وتطيعهُ بغير مجاوبة *

وفضلاً عمّا تقدّم اليكِ يا نفساً عابدةً بعض قواعد ينبغي لكِ العمل بها قبل التجربة وحين التجربة وبعد التجربة *

فقبل التجربة لا ينبغي لكِ ان تخافي منها او تفتكري فيها بل القي بذاتكِ بين ذراعي الله مردّدة في بالك هذا كلام الرسول : « انّ الله امينٌ لا يدعكم تُجرَّبون فوق طاقتكم بل يجعل مع التجربة مخرجًا لتستطيعوا ان تحتملوا » (١ قورنثية ١٠ : ١٣) *

وحين التجربة ينبغي لكِ ان تتركيها تمرُّ مر

الرعود من دون ان تتركي شيئاً من عباداتكِ او تبتعدي عن الملكِ « قاوموا ابليس فيهرب منكم » (يعقوب ٤ : ٧) *

واذا انتهت التجربة تمتّعي بالراحة التي تتركها لكِ من دون فحص عن اذعانكِ لها او رفضكِ ايّاها دعي الحكم في ذلك لمرشدكِ وهو يطمئنكِ اذا اقتضى الامر بموجب تقريركِ لهُ العاري عن الزيادة والنُقصان *

فاذا استمرّتِ وقت التجربة امينة في رياضاتكِ وكنتِ طائعةً وضيعةً متاهبةً للكفران بذاتكِ فيمكنكِ وقتئذٍ ان تفرحي وتفتخري بالرب الذي نصركِ واخرج من الفخّ رجليكِ *

الفصل الحادي عشر **

في ذكر الموت

ان الخطاة يفزعون من ذكر الموت ويجتنبون كلّ ما يذكّرهم بهِ ومن يعبد الله ويطلب ذاتهُ في عبادتهِ هذه يخاف ايضاً من ذكر الموت . امّا النفوس الباطنة التي قد فوّضت الى الله امرها وتفرّغت لخدمتهِ تعالى بنيّة طاهرة فتستعذب ذكر الموت وتتسلّى بهِ *

انّ النفوس الباطنة تنظر في الموت نهاية شرورها وتجاربها ومحنها وبداية سعادتها وغبطتها واتّحادها الأبدي بخيرها الوحيد الاعظم . ولذا تتوق أليهِ ولا تخافهُ . وكيف لا تستطيب ذكرهُ وكنزها في السمآء وليس في قلبها ميلٌ الى شيء من خيرات الارض الزائلة *

انّ ذكر خطاياها الماضية لا يقلقها ولا يخيفها لانّها منذ زمنٍ مديد تمقت هذه الخطايا وتندم عليها وقد رمتها في حضن الرحمة الالهيّة وتذكر انّ ديّانها سوف يكون يسوع المسيح ولذا تخاطب ذاتها قائلة :

« ما لي اخاف ممّن قد عظّم الصنيع معي وكثّر احساناتهِ اليّ وحفظني من الخطيئة وانقذني منها واجتذبني اليهِ في الحيوة واعطاني ان احبّهُ اكثر من ذاتي وذلك الى آخر نفس من حياتي »

ومن المحقّق انّ النفوس باطنياً لا تشتغل بذكر الموت الّا قليلاً لانّ الله يوجّه فكرها الى حقائق هي اجدر بتقدمها الروحي من الموت . ولمّا كان الخوف من الموت يصدر عادةً من المخيّلة ومن كراهيتهِ الطبيعيّة فكلّما ضعفت المخيّلة وتجرّد الانسان من جسدهِ يفقد مخاوفهُ السابقة من الموت ويعتاد ان يرى الموت كما يريد الله ان نراهُ او كما

يراهُ هو بنفسهِ . فسبحانهُ وتعالى لا يريد ان ذكر الموت يفزع نفساً قد خصصت ذاتها لهُ . واذا كان الله يرى الموت كما نراهُ نحن او يكرههُ قدر ما نكرههُ نحن لمَا كان هو الغير المائت بطبعهِ الالهي يخضع لهُ بطبعهِ البشري *

اجل لو لم يكن لنا رجاء بحياة الابد وقيامة الاجساد لكان حقّ لنا الحزن والبكاء والنحيب ولكن ما دام « المسيح يسوع قد ابطل الموت بموتهِ وانار الحيوة بقيامتهِ » (٢ تيمو ١ : ١٠) فلا يسوغ لنا بعدئذٍ ان « نحزن على الراقدين كباقي الناس الذين لا رجاء لهم » (١ تسالونيقي ٤ : ١٣) *

« قال الرب يسوع : انا القيامة والحيوة من آمن بي وان مات فسيحيا وكلّ من كان حيّاً وآمن بي فلن يموت الى الابد » (يوحنا ١١ : ٢٥) *

٢ : ولعلكِ تقولين ايتها النفس : اني لا احزن

على الفقيد لانهُ مات لكن لاني اجهل هل خلص ام هلك . فأُجيبك انَّ امر خلاص نفسٍ او هلاكها لا يُعنيكِ فضلاً عن انَّ حزنكِ لا يخلّص الميت ان كان هالكًا ولا يهلكهُ ان كان خالصًا . ففوّضي هذا الامر لمن يعنيهِ خلاص النفوس اكثر منكِ واهتمّي انتِ بخلاص نفسكِ لا غير *

وربّما تقولين ايضًا : اني احزن واخاف من الموت لاني لا اعلم هل اموت اما ميتة الابرار او ميتة الاشرار . وكم من الذين قد غلبهم الشيطان في ساعة الموت وكانوا قد عاشوا في الصلاح والتقوى *

فأُجيبكِ باديء بدءٍ قائلاً : انّ خوفكِ وحزنكِ من الموت لا يوهّبانكِ الى ميتة صالحة فضلاً عن انهما يمنعان ورود النعمة اليكِ لمَا في خوفكِ وحزنكِ من التنكّر والتحذّر من جودة الله

ورحمتهِ الفائقتين او لما فيهما من محبّة الذات وتعلّق القلب بالأهل والاصدقاء والارضيات وغير ذلك من النقائص والشوائب *

ثمّ انّك ان كنتِ ترغبين في ميتة الابرار والقدّيسين فسيري سيرتهم واقتدي بامثالهم . فانهم لم يستعدّوا الموت بالخوف والحزن منهُ بل بحفظهم الوصايا وثباتهم في محبّة الله ومواظبتهم على الصلوة والتأمّل وقبولهم الاسرار بتواتر واصلاح ذواتهم من من الرذائل والاجتهاد في اكتساب الفضائل ولاسيّما الاتكال على الله واحتقار ذواتهم وسائر خيرات الارض . فاسلكي اذن سلوكهم تموتي ميتتهم لانّكِ مثلما تعيشين هكذا تموتين *

ومن المحال ان يترك الله في ساعة الموت انساناً لم يتركهُ مدّة حياتهِ كلّها وكيف يمكنهُ ذلك وهو الذي مات لاجل خلاصنا ولا يريد هلاك

احدٍ وليس من عادتهِ أن يترك احدًا ان لم يتركهُ هو اولاً *

اما من جهة الاخبار التي تسمعينها عن اناسٍ عاشوا في الصلاح ثم ماتوا ميتةً رديَّة فلا ينبغي لك ان تتخذي هذه الاخبار سبباً للحزن والخوف بل اتخذيها بالأحرى سبباً لتزيدي اتكالكِ على الله واجتنابكِ للكبرياء والاعجاب والاعتماد على ذاتكِ. اذ لهذهِ الغاية فقط قد وُضعت في الكتب الروحية *

هذا وان السبب الأعظم لسقوط بعض من اهل التُقى هو تغافلهم عن اصلاح رذائلهم واكتفاؤهم بعبادة ظاهرة . فحين نثب عليهم تلك الرذائل الغير المائتة سيما في ساعة الموت ونجدهم ضعفاء قاصرين عن مقاومتها تقوى عليهم وتطرحهم الى اسفل *

«فتعزّي بانفس بهذا الكلام» (١ تسالو٤: ١٧) والقي عنكِ كلّ خوف وحزن باجتهادكِ البليغ في تنقية نفسكِ من رذائلها وعبادتكِ من شوائبها وسيري آمنةً *

٢: ان عدم الخوف من الموت نعمةٌ لا يُعطيها الله الاّ للنفس التي قد فوّضت اليهِ تعالى كلّ عوائدها الزمنيّة والابديّة ولا تعود تلتفت الى ذاتها بل تهتمّ بشيء واحد وهو تكميل ارادة الله كلّ حين. فمتى نسينا هكذا انفسنا في الله لا نعود نخشى الموت ولا نحزن منهُ ابدًا *

فمتى خصّصت النفس ذاتها لله وتمكّن الله منها لا تلتزم ايضاً بالاكثار من ذكر الموت واطالة الفكر بهِ لانّ ذلك لا يفيدها ولا يزيدها تقرّبًا من الله فالاولى بها اذ ذاك ان تتبع نعمة الرب وروحهِ القدّوس لا غير. واذا اتاها فكر الموت

في صلواتها او قراءاتها فلنعلم ان الله لا يدعوها الى الاشتغال بهِ فلا ينبغي لها اذن ان تخالف دعوة الله وتغتذي بفكرٍ لا يفيدها ولا ينفعها في الحاضر *

انَّ الافكار التي تفيدها ويطلب الله منها ان تشتغل بها هي هذه : محبَّة الله وخدمتهُ تعالى بسخاوة والثبات في نعمتهِ والانتباه الدائم لاغتصاب طبيعتها ونسيان ذاتها *

اما ما كان من كيفيَّة موتها او زمانهِ او عواقبهِ فلتفوِّض كلَّ ذلك الى الله وهو يعمل *

يقيناً انَّ من يستعدُّ للموت بهذا الاسلوب يؤهّلهُ الله لميتة القدّيسين التي هي من اجلّ النعم وافضلها *

الفصل الثاني عشر **

في الصلوة الدائمة

قال الرب يسوع : « صلّوا ولا تملّوا » واضاف بولس الرسول قائلاً : « صلّوا بلا فتور »
(١ تسالونيقي ٥ : ١٧)

انّ الصلوة الدائمة لا تقوم بصلوات لفظيّة ممّا لا يمكننا عمله الّا بعض ساعات من النهار لا غير . ولا تقوم ايضاً بالصلوة العقليّة اذ انّ توجيه الفكر الى الله على الدوام لامرٌ يفوق قوّة الانسان *

فكيف يمكننا ان نصلّي دائماً . اننا نصلّي دائماً اذا كنا في كلّ حين متأهّبين لنحبّ الله ونخضع لارادته في كلّ حوادث الدنيا ونصغي الى صوت نعمته ونصمّم على اجتناب كلّ ما يهينه خفيفاً كان او جسيماً واذا فرط منّا بعض زلّات او خطايا نندم عليها وننهض

منها متّضعين *

هذه هي الصلوة الدائمة الحقيقيّة التي يمكننا ان نمارسها كل حين بين اشغالنا واحاديثنا وتنزّهاتنا نفسها من دون ان نفتكر بالله كما قيل في المجلّد الاول من هذه المنتخبات (وجه ٦٢) *

فليس اذن من الواجب ان نشعر باننا نصلّي ويخطأ من يتصوّر انهُ لا يعمل شيئاً في صلاتهِ العقليّة او لا يُرضي الله فيها لعدم شعورهِ بشيء من الافكار او العواطف او غير ذلك فيعزم على تركها . ان الله « ينظر الى استعداد القلب » ولا يحتاج الى اقوالنا او افكارنا لمعرفة هذا الاستعداد *

سُئِل القدّيس انطونيوس ذات يوم وقيل لهُ : ايّ صلوة هي احسن . فاجاب قائلاً : انّ احسن الصلوات هي التي لا نشعر بها عند ممارستنا اياها لانّها تكون منزّهة عن حبّ الذات سالمةً من فسادهِ *

٢ : انّ اجلّ الوسائط التي تساعدنا على الصلوة الدائمة هي هذه : اوّلاً ينبغي لنا ان نتحقّق ان صلاتنا تكون افضل واشهى لدى الله وانفع لنا كلّما قلّ شعورنا بها ✶

ثانياً : ينبغي لنا ان نجتنب الالتفات الى ذواتنا لننظر ونعرف ما يحدث فينا لانهُ كلّما ضعف انعطافنا هذا الى ذواتنا وقلّ علمنا بنعمة الله فينا نزداد تقرّباً منهُ تعالى إن داومنا على تناولاتنا وقراءاتنا وتأمّلاتنا وسائر رياضاتنا واعمالنا الصالحة كالاوّل ✶

ثالثاً : ينبغي لنا ان نقاوم بشدّة الافكار التي توهمنا انّ الوقت الذي نصرفهُ في العبادة ضائع لاننا لا نحسّ بمنافع تناولاتنا وقراءاتنا وتأمّلاتنا واننا نمارس هذه الرياضات بيبوسة وكراهية . فهذه الافكار تاتينا من الشيطان او من محبّة الذات او من الطبيعة التي لا تزال ترغب في التسليات

ونستصعب تاديبات الرب *

ان القداسة هي عمل الله « فلا يستطيع الانسان مهما همّ ان يزيد ذراعاً واحدةً على قامتهِ » فلندع اذن الله يعمل فينا القداسة التي يريدها هو ولا نحاولنّ ان نطّلع على اعمالهِ طالما يريد ان يحجبها عنّا *

رابعاً : ينبغي لنا على الخصوص ان نجتنب تسلية الخلائق عندما يحرمنا الرب تسلياتهِ ونرتضي ان نكون محرومين ايضاً من سائر الافراح التي تلهمنا النعمة باجتنابها *

فاذا عملنا بهذا الاسلوب نخطو بامن وسلامة الخطوة الصُّعبى في السيرة الروحيّة ونتأهّب لمِحَن تزيدنا طُهراً اذا وافق الرب ان يبتلينا بها. واذا متنا هكذا ليس فقط عن العالم وخيراتهِ بل عن محبّتنا لذاتنا خاصةً وعن كل تسلية روحيّة اراد

الله ان يحرمنا منها في هذا العالم يقيمنا بعدئذٍ من هذا الموت الروحي ويجعلنا نحظى ونحن بعدُ على الارض بشيء من افراح السماء *

« ان حبة الحنطة إِن لم تقع في الارض وتمت بقيت وحدها وان هي ماتت اتت بثمارٍ كثيرة » *

الفصل الثالث عشر **

في الاستراحة في الله

« تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والمثقَّلين وانا اريحكم »
(متى ١١ : ٨)

يا نفسي انكِ لا تجدين راحتكِ الاَّ في الله سبحانهُ . فلا تجدينها في خيرات الارض وافراحها . اذ انَّ هذه الخيرات سريعة الزوال ليس علاقةٌ بينها وبين قلب الانسان المصنوع لله *

ولا تجدينها ايضاً في ذاتكِ لانكِ قاصرة عن سدّ عوزكِ . فاذا كنتِ وحدكِ ثقُلَ الضجر عليكِ واذا كنتِ في صحبة احسن الناس وافضلهم فلا تلبثين ان تسأمي احاديثهم ومعاشرتهم . واذا انستِ قليلاً بالدرس والقراءة يحملكِ التعب بعد قليل من الزمان على تركها خلواً من شبع واكتفاء *

فتحققي اذن يا نفسي انكِ لا تجدين راحتكِ الاّ في الله خالقكِ ومبدعكِ ولذا كان مار اوغسطينوس يهتف قائلاً : « الهي انك قد صنعتنا لاجلك فلا يزال قلبنا في قلق واضطراب حتّى يجدك ويستريح فيك » *

ولكن ما العمل لنستريح في الله . انّ الطريق المؤدّية الى هذه الاستراحة هي استيداع الانسان ذاته وكلّ اموره ان روحيّة وان زمنيّة بين يدي الله خالقهِ وخضوعهُ لارادتهِ تعالى في كلّ حوادث

الدنيا سواء كانت هذه الحوادث تعنيهِ او تعني غيرهُ *

اننا طالما لا نريد كل ما يريدهُ الله لا يمكننا البتة ان نستريح فيهِ ونذوق حلاوة هذه الراحة وطالما لا نستودعهُ كلّ امورنا ايًّا كانت فلا نزال قلقين بعيدين عن الراحة الحقيقيّة *

٢ : ماذا تظنين يا نفسي امِن الممكن ان يريد لك الشر مَن خلقكِ على صورتهِ وافتداكِ بدمهِ ووعدكِ بملكوتهِ السماوي وكيف تتصوّرين انهُ يطرحكِ اذا اردت ان تلقي بذاتكِ بين ذراعيهِ وهو الذي طلبكِ ودعاكِ اليهِ وخوّلكِ كلّ ما لكِ من الرغائب الصالحة * لستم انتم اخترتموني بل انا اخترتكم *

فبعد ان تكوني قد طهّرتِ ضميركِ باعتراف عام واتخذت الوسائط لاجتناب كل خطيّة ولو

عرضية وصمت على الاذعان لنعمة الله والطاعة لمرشدك في كل شيء ينبغي لك ان تطرحي عنك كل خوف واضطراب واهتمام وتستودعي يسوع ذاتك بكليتها خاضعة له في كل شيء *

واذ ذاك يمكنك ان تسترجي في الله وتتنعمي بسلامة اعظم من ان توصف وسلامتك هذه تدوم فيك ما دام الله الها ولا تستطيع المحن والاشغال الشاقة وسائر الشرور ان تزعزعها ان لم تزدها رسوخا وثباتا *

ان الاحزان لا تصيب الانسان الا لانه يريد شيئا فيحدث له ما هو خلاف ذلك الشيء . فاذا احب الحيوة . فالموت ضدها فيحزن منه . او احب الصحة والعافية . فالمرض ضدها فيحزن منه . او احب الغنى والمدحة والشرف والكرامة . فالفقر والذل والاحتقار والافتراء ضدها فيحزن منها . او

احبَّ غير ذلك من خيرات الارض وافراح الجسد . فشرور الدنيا ضدّها فيحزن منها *

اما من كفر بارادته وخضع لارادة الله في كلّ شيءٍ مستودعًا اياهُ ذاته بكليتها فلا يحزن من شيءٍ ولا يتأسّف على شيءٍ وكيف يمكنهُ ان يحزن او يتأسف على شيءٍ يريدهُ الله . وهو يعلم حقّ العلم انّ كلّ ما يريدهُ الله فذاك هو الأحسن والافضل لنا والأمجد له . ولذا تراهُ كلّ حين متنعمًا براحة بالٍ وسلامة قلب يجلّان عن الوصف لا يدركهما غير الذي يشعر بهما *

فبكلّ صواب اذن قال داود النبي في احد مزاميرهِ : « سلام جزيل على الذين يحبّون شريعتك » (مزمور ١١٨ : ١٦٥) *

فهرست المجلد الرابع

وجه

توطئة

كتاب ملجأ المساكين

كتاب تهذيب الرهبان

كتاب الرياضات الروحيّة

اصلاح الغلط

وجه	سطر	خطا	صواب
٦	٢	باطنهُ	باطنهِ
٤٨	٤	بزال : يتصاعد	تزال : تتصاعد
١٤٥	٤	يتوفون	يتوفون
١٦٤	١٠	وابتهلن	وابتهلن
١٨٩	١١	يسىء	يسيء
١٩٩	٧	الربح	الريح
٢١٩	١١	وفل	وقل
٢٤٦	١٢	ذاهُ	ذاتهُ
٢٨٧	١١	نفيدك	نقيدك
٢٩١	٩	بثفةٍ	بثقةٍ
٢٤٢	٥	مرشدِهِ	مرشدُهُ

ŒUVRES CHOSIES

DU VÉNÉRABLE

THOMAS A KEMPIS

CINQUIÈME VOLUME

MOSSOUL

IMPRIMERIE DES PÈRES DOMINICAINS

1903

كتاب

المنتَخبات الكنيسيةُ

في السيرة القدسيّة

المجلد الخامس

طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومنيكيين

سنة ١٩٠٢

IMPRIMATUR

† Fr. H. V. ALTMAYER

Archiep. Babylon.

المقدّمة

ان شئت ايها القارئ العزيز ان تعرف سبب تباعد كثيرين عن فضيلة القدّيسين وتسلياتهم وافراحهم الباطنة على رغم تقواهم وعباداتهم فاعلم ان في الانسان رذيلة قلّ من يفطن لها تعبث بكلّ اعمالنا وتفسد كلّ مقاصدنا وتحول دون بلوغنا الى الكمال مع شدّة رغبتنا فيهِ وكثيراً ما تجعل الله يستقذر ما نستحسنهُ نحن ويعدّهُ غيرنا فضيلةً وقداسة

فما عسى ان تكون هذه الرذيلة المشؤومة؟ هي «محبة الذات» وما ادراك ما هي محبة الذات انها رذيلة ضربت اطنابها فينا يوم سرت الخطية الاصليّة في عروقنا ولا تزال تنساب في كلّ من اعمالنا إن صالحة وان طالحة فهي التي تجعل

الانسان يطلب طيّبات الدنيا وكلّ شيءٍ من شانهِ ان يوافق اهواء طبيعتهِ ويرغب عن مكروهات هذه الحيوة وعن كلّ شيء يضادّ تلك الاهواء. من جملة ذلك اعجابهُ بنفسهِ وان كان خاطئًا. واستحسانهُ ثناء الناس عليهِ وان كان كذبًا. وايناسهُ بتسليات الخلائق وان كانت واهية باطلة. واعتذاره من فعلهِ وان كان مذنبًا. وتذمُّرهِ على التوبيخ وان كان عادلًا. وانفعالهُ من كلامِ النمّام وان كان صادقًا. واجتنابهُ اعمال الرحمة وان كان بذلك ملتزمًا. وقس عليهِ سائر التقصيرات والزلّات والشرور التي لا يكاد يسلم منها الانسان ساعة واحدة*

فمن ترك محبة الذات تحيا فيهِ واكتفى في سبل القداسة ببعض صلوات لفظيّة او عبادة خارجية لا يلبث ان يسقط وينقلب عند ورود التجارب والمحن والضيقات التي لابدّ منها في هذا وادي

الدموع اذ ان حمل النصال غير مباشرة القتال واذ ذاك يستصعب قضيب مؤدّبهِ السماوي ويتظلّم منهُ لدى مرشده الروحي ويسألهُ ما الفائدة اذن من صلواتهِ وعبادتهِ واعمالهِ الصالحة ولما لا يكون حظّهُ كحظ القدّيسين والصدّيقين وقد ترك نظيرهم فضّةً وذهبًا ومات قلبهُ عن العالم . فينبغي المرشد ان يجيبهُ وقتئذٍ بهذا الكلام الجليل الذي مر بك ذكره في المجلّد الثاني من هذه المنتخبات (وجه ١٠٨) وهو: « نعم اني لعارف انك قد كفرت منذ زمان مديد بكل الاشياء العالمية ولكنّك هل كفرت بذاتك في كلّ شيء كفرانا تامًّا ذهب بك الى احتقارها »

واحسرتاه كم من سنة نقضيها في التقوى والعبادة ولم نقضِ فيها عملاً واحدًا يرضي الله اذ اننا نادرًا جدًّا نقصد في جميع اعمالنا ان نرضي الله فقط .

وما نطالبهُ عادةً في اعمالنا هو في الغالب ذواتنا او مراضي الناس كما ينجم ذلك من رغبتنا في اطلاع الناس على سلوكنا ومواهبنا وصلاحنا ومن انصبابنا على ما يوافقنا دون غيره*

فالقداسة اذن لا تقوم بترك محبة الذات تحيا وتعشش فينا واكثارنا من الصلوات اللفظية والرياضات الخارجيّة لكنها تقوم خاصةً بمقاتلة تلك المحبة الى النفس الاخير من حياتنا اذ انها لا تموت الّا بعد انفصال نفسنا من جسدنا بقليل. وهذا ما حرّضنا عليهِ كثيرًا ربُّنا يسوع المسيح بقولهِ لنا في انجيلهِ الطاهر. انهُ ينبغي لنا لنستحقهُ ونرث ملكوتهُ ان نبغض انفسنا وندخل من الباب الضيّق ونكفر بكل شي حتى نفسنا ونغصب ذاتنا ونحمل صليبنا كل يوم ونتبعهُ في طريق الجلجلة. وهذا ايضاً كان داب القدّيسين على الارض

وسبب تواضعهم البليغ من اي بلدة او طائفة او جنس او عمر كانوا. واليك شهادة من كان في مقدَّمتهم وهو بولس الرسول في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنثس (٩ : ٧) « اني اقمع جسدي واستعبدهُ حذرًا من ان اكون انا الذي كرزت على الآخرين اضحي انا نفسي مرفوضاً » *

واضف شهادة اخرى لاحد الخوارنة القدّيسين الا وهو الاب الموقّر يوحنا مريم خوري آرس : « الاستحسان لِما يكلّف ويُجهد » *

فكيف تريد اذن ان يكون حظُّك كحظ القدّيسين وانت تكتفي بظواهر القداسة مستغنياً عن بواطنها وحقيقتها الم تذكر ما قالهُ الرب يسوع لتلاميذه الاطهار: « ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات » (متى ٧ : ٢٠) ومن

يعمل ارادة الاب الذي في السماوات سيّان لديهِ ان اعجبهُ الفعل المفروض عليهِ او لم يعجبهُ استحسنهُ الناس او لم يستحسنوه فلا تهمّهُ سوى تكميل ارادة الله وبالنوع الذي يريده الله واذا سعى في تقديس نفسهِ وجاهد في سبيل الفضيلة فلا يصنع ذلك رغبة في السمآء وحذرًا من جهنم او طمعاً في ثنآء الناس وابتغاء التسليات الباطنة والأفراح الروحية لكن لاجل تكميل ارادة الله التي هي قداستنا لا غير *

وعليهِ فانك اذا لا تقاتل محبتك الذاتية وتذلّلها على الدوام وتزداد بسببها تواضعاً لن تذق شيئاً من تسليات الابرار ولن تبلغ الى ادنى درجة من كمالهم وسعادتهم ولا تجديك نفعاً قراءة هذه المنتخبات وان استحسنت اقاويلها واجتليت معانيها واثنيت على مبتدعيها . غير انك ان كنت قد

اعلنت الحرب لتلك المحبة وجنودها وصمّمت على كسرها او تموت فلا ريب انّك قد وجدت في المجلّدات الأربعة المارة بك ما راق بعينيك واسترسل اليهِ قلبك ونفسك كعربة ايليا من مساكن الخطاة السفليّة الى سرادق الامصار العلوية وانت آنفٌ من اباطيل العالم راثٍ لحالة بنيهِ باكٍ على شرورهِ وراغبٌ في الوقت عينهِ في مزاحمة صفوف الملائكة انفسهم لتنتهي الى اللاهوت علّة وجودنا ومقرّ راحتنا . فاليك الآن مجلّدًا خامسًا ليس دون السابقين له فائدةً وتحفًا وهو ينطوي على ما تبقّى من تآليف موقرنا توما الكمبيسي الاستاذ الماهر والعالم الخبير في سُبل الصلاح وطرق القداسة المؤدّية الى اتحاد النفس بالله تعالى خيرها الوحيد وغايتها القصوى وكما ان الزارع الحريص لا يكتفي بالحزم التي يجمعها اوان الحصاد من حقلهِ بل يعود يلقط ما

تخطاءهُ المناجل كذلك متفرّقات هذا المجلد تراها اشبه شيء باللقاط *

غير انّنا قد تصرّفنا بعض التصرّف في ثلاثة كتيّبات من هذا المجلد وهي: رفيق الشبّان ومضيف الرهبان وكتيب الخلوة والسكوت وستقف على كيفيّة ذلك عند بلوغك اليها وعند الختام اسالك أيها الرب الهي وخيري الوحيد ومجدي الاعظم ان ترمق هذا العمل بعين الرضوان والاستحسان وتقبلهُ بفروعهِ من عبدك الذليل دفين احسانانك كعربون حبّ وشكران وتحيّة بروح اعمال ابنك الوحيد سيدي ومخلصي يسوع المسيح وجميع قدّيسيك ليكون معها واحداً فتذهب حقائقهُ في كافّة عقول قارئيهِ وتفعل في قلوب جميعهم فتاتي بزهور نضرة وثمار عذبة تكون كلها بمثابة السنة تلهج على الدوام بتسبيحك وتمجيدك مع ابنك الوحيد وروحك القدّوس امين *

NEUF SERMONS

AUX FRÈRES

كتاب

العظات التسع في زهد الاخوة

وهو

الكتاب الثاني عشر

من منتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

العظة الاولى

في الكفران بالذات وفي احتقار تسليات الارض

اً : « كلّ واحد منكم لا يرفض كلّ شيء لهُ لا يقدران يكون لي تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٣٣) *

كانّنا بربّنا يسوع المسيح يشجب بهذا الكلام من لا يواصل مسيرهُ في طريق الكمال حتى ينتهي الى غايتهِ . وبالحقيقة انّ البعض بعد ان يكونوا قد ساروا في هذا الطريق بتركهم خيراتهم الخارجية يابون الارتفاع الى كمال اعظم يقوم بترك الذات وكسر الارادة الذاتيّة ولذا يعودون غالبًا الى حالتهم الاولى لان من يكفر ببعض اشياء فقط لا يرفض كلّ شيء لهُ بموجب قول الرب بل يترك فيهِ حبالاً تبقيهِ مربوطًا مقيّدًا *

فينبغي لكلّ تلميذ حقيقي ليسوع المسيح ان يحتقر

علىٰ حبّ معلّمهِ ذاتهُ وكلّ شيء لهُ ولا يحفظ باختياره شيئًا من الارضيّات لئلّا تعيقهُ في الطريق التي يسلكها . وليتروّض في قهر ذاتهِ باجتهادهِ في الفضيلة وبنعمة الروح القدس الذي بالهامهِ قدر ان يحتقر خيرات العالم *

طوبى للنفس التي تجتهد في رفض كلّ ما يلوح لها زاهيًا في ظلّ هذهِ الحيوة *

٢ : انّ كمال هذا الكفران يقوم بان نترك ذاتنا من صميم قلبنا ولا نطلب تعزيتنا في احدى الخلائق لانّ الكفران لا يكون حقيقيًّا ما زال الانسان يرغب بانحراف في خير زمنيّ وطالما لا يطلب تلميذ يسوع المسيح احتقار الاشياء الزمنيّة لا يستحق شيئًا من تسليات الله اذ ان من يتبع في الخارج ما يهواهُ يبرد للحال في حبّ الله وفي مناصحهِ المقدّسة *

فينبغي لتلميذ يسوع المسيح ان يعتبر ويتامل

غالب الاوقات سرعة زوال ما يجلّهُ الناس ويستعظمهُ في الخلائق كافةً وليفتكر في قلبهِ بان لا شيء يدوم بحالة واحدة لكن كلّ الاشياء تتغيّر وتزول وليطلب تسليتهُ حيث ملء الحقيقة المجرّدة والابديّة وليستقِ الماء الحي من هذا الينبوع الغير الناضب ليرطّب نفسهُ او يسلّيها لانّ نقطة صغيرة من الحلاوة الالهيّة هي اثمن من ينبوع فائض من ملذّات الارض فمن يطلب تسليتهُ في هذا العالم يخدع نفسهُ كلّ الخدع ومن يتبع محبّة هذا العالم الغشاش يفقد عذوبة الفرح الحقيقي *

٢ : يا ما اعظم سعادة وقداسة النفس التي تغتذي بحبّ الله فقط وتجذب باريج الفضائل المقدّسة فهذهِ ليس لها غير رغبة واحدة هي ان تقتات من الخيرات الغير المنظورة والسماويّة محتقرة خيرات الارض *

فلا ريب انّ هذهِ النفس لحكيمةٌ جدًّا اذ انّها تبدّل ما ليس بشيء بخيراتٍ سامية وما يزول بما لا

بزول واشياء دنيئة باشياء ثمينة كريمة وظواهر كريهة بشعة بغيرها حسينة جميلة وشقاوات بافراح واشياء مُرّة بغيرها حلوة عذبة وما هو ارفع واصدق من ذلك انها تبدّل عدماً بما هو الكلّ اذ انّ هذه النفس تطلب عريسها السماوي وان كانت بعد ملتصقة بالارض . وتحتقر على حبّه الاشياء الحاضرة وتودّ قلبياً الاشياء المقبلة وتنتظر مجيئهُ لتسمع في ساعة موتها هذه الاقوال المسلّية: « ها هوذا العريس قد اقبل اخرجن للقائهِ » (متى ٢٥ : ٦) *

انّ هذه النفس تسير سيرة العذارى وتسلك على مثال الملائكة ولا تطلب سوى ان تحفظ نفسها طاهرةً ليسوع المسيح وتستطيب مراراً الامتناع عن كلّ تسلية لتفيض فيها تسلياتهُ القدسيّة وتنظر بدموع الى رغائب الارض التي تثقّل عليها لتستطيع ان تمثل امامهُ طاهرةً وتزحم ذاتها في الباطن ازحاماً يجعلها ترذل بغيظ كلّ

ما يشوّشها في الخارج عوض ان تانس بهِ ولا غروَ اذ انّها تخاف من كلّ شيء يحول دون حبّ حبيبها الوحيد ولا تشاء الاتّحاد الّا بهِ وان كانت عاجزة عن ان تحبهْ حباً كاملاً عفيفاً نظير كثيرين غيرها ومن هنا هذا الكلام لاحدى حبيبات يسوع : « اني لهُ فقط احفظ الامانة ولهُ اسلّم ذاتي ودونهُ ابذلها » *

٤ : غير انّ لتلك النفس تسليات ايضاً في منفى هذهِ الحيوة وان كان فرحها غير كامل اذ قد قبلت من عريسها الخاتم غير انّها لم تقبلهُ هو بنفسهِ لانها قرأت في كتاب العرس انّ الساعة لم تاتِ بعدُ فعند حلول هذهِ الساعة تدخل للحال مع عريسها ثم انها قد قبلت من مرسليهِ البسةً وحلياً بيد انّها ستقبل منهُ اضعاف ما قبلت اذ ان تسليتها هي ذكر يسوع . وتسليتها العظمى هي ان لا تبقى هنا زمناً طويلاً لان يسوع نفسهُ يأتي اليها للوقت ويقرع بابها قائلاً : « قومي وهلمّي »

وماذا تجيب اذ ذاك ألا تنهض مسرعةً لهذا الصوت. نعم انها تنهض وتنظر من النافذة لتحقّق حبيبها واذا قرع ايضاً ثانيةً وثالثةً تفتح لهُ للوقت قائلةً: « هاءنذا فانك قد دعوتني » وان كنتَ يا رب تطلبني فانا حاضرة «أَخرِج من الحبس نفسي لكي اشكر اسمك » (مز ١٤١ : ٨) لا تدعني يا رب ابقى ايضاً منفصلةً منك لكن اقبلني في جودتك *

ويا ما اعظم فرحها اذا استحقت ان تسمع الرب يقول لها نظير هذا الكلام: اتبعيني فقد حان الزمان لنجلس جميعاً على مائدة العرس هلمّي لا لتحرثي الكرم لكن لتشربي الخمر اللذيذ هلمي لا الى اليهودية لكن الى وطني هلمي ننطلق الى يوم العيد فانهُ عظيم وهو يوم الملائكة والبشر *

٥ً: وماذا يكون من امركِ يا نفسي المنفيّة في هذا الجسد الخاضعة لانتظار مديد المضطرة كلّ يوم

ان تقولي في صلاتكِ . « ايات ما كرتك » ومتى احظى بهِ اتظن يا هذا ان الله لا يذكرني او الاحرى هل ينسى الله ان يرحمني فمتى يظهر او متى ياتي العلة رافد نائم هل ينام الرب وقلبهُ ساهر فاصرخي اليهِ يا نفسي اذ انهُ يرتضي ان يستمع الك وصوت قلبك يوثّر فيهِ اذا قلتِ لهُ : « استيقظ يا رب لماذا تنام استيقظ ولا ترفضني الى الابد » ✶

٦ : ولكن يا نفسي ربّما يؤجّل الرب بمشورة خفيّة وحكمٍ نافع لكِ تتميم ما تطلبين بحرارة دون تمييزكِ فانتظري اذ ذاك قليلاً وهلمّي استريحي تحت ظلّهِ لا في حرارة العالم المحرقة اذ انهُ خير لكِ ان تموتي من ان تعيشي لاجل العالم وانفع لكِ ان تبكي من ان تفرحي باشياء ليس لها من الوجود سوى الظاهر ✶

انّ نفسي تتعزّى في الرب « ليسمع الودعاء ويفرحوا » اذ ان النفس القدّيسة كلما حييت في

الجسد ناحت على ابتعادها من الرب كالسائح البعيد عن وطنهِ بيد انها تصبر على زمن سياحتها خاضعةً لارادة الله ويقتضي لها في غضون ذلك ان تحارب على حبّ يسوع حرباً عواناً لكي لا تطلب ولا تحب حبيباً غيرهُ لانّ لها اعداء ومضادّين كثيرين يطلبون ان يخدعوها ولذا ينبغي لها ان تردع بشدّة كلّ ما يخدعها من ظواهر محبةٍ شهيةٍ فتانةٍ ولا تصدّق كلام ملاّق كيفما كان لئلاّ تنخدع فتفقد مودّة الحبيب فالاليق بها مادام العريس غائباً ان تبكي وتحفظ حزن ترملها حتى يعود ويدعوها اليهِ في المضالّ الابديّة فهناك يسكن الابرار والقدّيسون لا في ظلّ اللاهوت لكن بحضورهِ ويتفرّسون في وجه الله الآب الكثير العذوبة الذي احبّوهُ على الارض مع ابنهِ الوحيد الذي تبعوهُ بعد ان تركوا كلّ شيء *

العظة الثانية

في وجع النفس وتسليتها في الله

١ : من عادة النفس العابدة المحبة ليسوع ان تحزن على غيابهِ وتتسلّى جدًّا بزيارتهِ الروحيّة غير ان هذهِ الزيارة دليل على مودّة شديدة من قِبل يسوع وليست عن استحقاق النفس فخيرٌ لها اذن ان تعدّ ذاتها غير اهل لها بل يائسةً في الغاية غير قادرة على قبول هبة نعمتهِ اذ انهُ ايُّ نفس تستطيع ان تستوفي الشكر ليسوع على كثرة احساناتهِ الجزيلة الثمن وان شكرتهُ عليها على الدوام فلا ريب انهُ لا يوجد نفس تستطيع ذلك وان كانت ممتلئة من استحقاقات جميع القدّيسين فللّه وحدهُ مجدٌ وعظمةٌ وكرامةٌ فوق جميع القدّيسين *

فاذا قدرت النفس المحبة لله ان تمدحهُ قليلاً على

نوعها وتذيع عجائبهُ في قديسيهِ فتكون قد عملت عملاً عظيمًا واذا لم تقدر على ذلك لشعورها بعجزها عن مدح الله فلتنمّ اولّهُ على بؤسها وربّما يكون خيرًا لها ان تظهر فقرها من شعائر رفيعة في الغاية من ان تحبّ كلّ الاحسانات حتى اصغرها *

٢ : احسن الاساليب للارتقاء الى الله هو ان ننتقل من عواطف واطئة الى اطهر منها ونتذكر بتواضعٍ ضعفنا السابق. فلتظل النفس اقامتها حيث تكون في اعظم امنٍ واذا شاءت الارتفاع فلترتفع بكلّ خوف واتضاع ومع ذلك فلتحذر من الفشل اذا التزمت بالانحدار اذ انّ المتواضعين موعودين بالجلوس على كرسيّ في الملكوت السماويّ فلتقف اذن بطيبة خاطرٍ على هذهِ درجة التواضع واذا استصعبت ذلك الطبيعة وابى الانسان الجسداني التذلل فلتفزعهُ بالخوف من الدينونة المقبلة حيث

يخزي جميع المتكبّرين *

طوبى ثم طوبى للنفس التي تختار لها الآن المحلّ الادنى وتكتئب كلّ حين لشدّة بؤسها *

٢: انّ لهذه النفس اسباباً كثيرة للحزن والاكتئاب ولا يمكنها ان تحسن معرفة هذه الاسباب ان لم تتجرّد من التسليات الارضيّة وترتفع على اجنحة ايمان حقيقيّ الى الخيرات الابديّة اذ انّ ضعفها نفسهُ لا يسعهُ سوى ان يذلّها و بواسطتهِ تتحقّق انّها لا تقدر ان تقوم بذاتها وترتفع الى الاشياء السماوية بلا نعمة يسوع المسيح ولهذا تحتاج الى ان يسندها يسوع غالباً بزياراتهِ الروحيّة وتسلياتهِ الباطنة لكيلا تستغرقها اللذّة وقتيّة ولا يصدّها الشيطان بحيلهِ و وساوسهِ عن مقاصدها الصالحة لانّ مكايد الشيطان وتجاربهُ عديدة لا يمكننا النجاة منها بدون نورٍ خصوصيّ يأتينا من لدن النعمة *

انّ القدّيسين كثيرًا ما تصيبهم تجارب مختلفة وشدائد غير منتظرة غير ان الرب الصالح يستخدم كلّ شيء لخير الصالحين فليكن اسمهُ مباركًا *

فينبغي للنفس المتعبّدة لله عند حلول الاحزان بها في هذا المنفى ان تتأمّل في سعادة القدّيسين المتهللة لكيلا تخلّ تحت الاثقال ولو تكون الدموع غالبًا تسلية للنفس الحزينة . وايّ عجب من تشكيها وهي لا ترى لشقائها نهاية . وكيف يمكنها الضحك وهي تشاهد امتداد منفاها . فيا ما اعظم الحزن الذي يؤلمها اذ تشعر غالبًا بغياب من تحبّهُ من كلّ قلبها . ان المحبّين يفهمون ذلك امّا الذين لا يحبّون فيجهلون هذه الاشياء ولا يعلمون بحزن النفس القدّيسة التي بعد ان باعت كلّ شيء لها في العالم اخذت تطلب عريسها غير المنظور اذ انّها ترغب فوق كلّ تسلية في الحظوى بيسوع العريس والحبيب الحنون في

الغاية لحظواها بتعزية قلبها الوحيدة *

٤ : كثيرٌ من الذين يحبّون خيرات الارض الزائلة الباطلة لا يكادون يحتملون خسران شيءٍ يظنّونهُ نافعاً لهم ويفرحون بالارباح الزمنيّة جاعلين تعزيتهم في اعادة النظر فيها كلّ يوم *

فاذا كان هذا فعلُ الجهلة فكم بالاكثر ينبغي للنفس العابدة ان تضطرم حبّاً لخالقها الجليل وعليهِ فاذا زارها يسوع بنعمتهِ يولد فيها للحال فرح جديد فترتفع برجاء الخيرات الابديّة وتبتهج ايضاً فرحاً في شوق قلبها وترغب بكلّ قواها الباطنة في الالتذاذ بذاك الفرح وتفتح فيها لتغتذي اوفر اغتذاء بالكلمة الباطنة الحاوية عذوبة غزيرة وتتنهّد قائلةً : « ما اصلح الله لاسرائيل لاتقياء القلب » (مز ٧٣ : ١) الهي وعذوبة نفسي الوحيدة الحقيقيّة يا مروي عطشها ويا حسنها وقوتها ما اعظم الخير الذي صنعتهُ معي في هذه

زيارتك التي لا انسبها لاستحقاقي ولا لرغائبي لكن لجودتك لانك يا رب انت وحدك المعزّي الحقيقي لجميع النفوس التي تنوح وهي تحبك *

العظة الثالثة

في تضاعف تخشّع النفس عند تفكّرها في وطنها السماويّ

« من لي بان أُوتى سؤالي ويهبني الله رجائي » (ايوب ٦ : ٨) *

أ : ان هذه الاية تعلن لنا عظم شوق النفس العابدة التي تطلب برغبة الخيرات الابدية محتقرةً خيرات الارض واهواءها . اجل انها لا ترجو سوى تلك الخيرات ولاجلها تسعى كلّ يوم مداومة على الحرب والجهاد غير انها تتوق بفراغ صبر الى نهاية حياتها الشاقّة

وتطلب بكل رغبة قلبها ان ترى بلوغها الى الراحة المغبوطة التي تتوق اليها *

فقبل رجوع هذه النفس الى الله اي حين كانت بعدُ مقيَّدة بافراح هذا العالم لم يكن ليعنيها امر الخيرات السماوية الموعودين نحن بها وذلك اما جهلاً منها واما احتقارًا لهذه الخيرات المنظورة وتستلذّ بها زمنا طويلاً اما الان وقد رجعت الى يسوع المسيح فتحتسب الحاضر شبه لا شيء وترغب في الاشياء المقبلة اشدّ رغبة *

فقد كان داود النبي مسعورًا بنيران هذه الرغبة حين قال: « واحدةً سالت الرب واياها التمس. ان اسكن في بيت الرب كلّ ايام حياتي » (مز ٢٦ : ٤) *

ثانياً: وعليهِ فان النفس تندفع بمهمازين الى طلب الانتقال الى الوطن السماوي بحرارة ولجاجة شديدتين اوّل مهماز هو الشرور الحاضرة التي تثقّل بعض

المرار عليها اذ تشاهد في ذاتها وفي غيرها تجارب عديدة واعمالاً شاقة واشغالاً مختلفة يهلك فيها كثيرون وقليلون جدًّا الذين يخرجون منها سالمين فتطلب اذ ذاك بالحاح ما دامت نشيطة في سلوكها الحسن النجاة من تلك الشقاوات خوفًا على ذاتها وشفقة على غيرها اذ انها تخاف من ان تعود تنجذب ايضاً الى محبة العالم والجسد او تذعن لاضاليل أُخر في الآداب او في المعتقد لانها وان كانت تريد الان ارادة تامة ان ترضي الله فليست مع ذلك على أكيد من ثباتها في هذه الارادة ولهذا اي لخوفها وشعورها بضعفها تتوق الى وطنها الحقيقي عالمة بانهُ خيرٌ لها ان تنتقل من هذه الحيوة التعسة قبل ان تصير اواخرها (لاسمح الله) شرًّا من اوائلها. لانّ في ذلك الوطن يملك امن ثابت مقيم الى الابد مع ارادة كاملة لا خوف عليها *

فعلى هذا الوجه تتنشّط النفس بذاك المهماز كما يتنشّط الجواد بنخس رجل الفارس اليسرى فيتأجّج شوقها المقدّس فتسعى متقدّمة نحو الوطن السماوي لانها لا تجد هنا مقرًّا دائمًا ولا راحةً ثابتة *

٢ : غير انّ النفس المتعبّدة لله تندفع بعض المرار الى التوقان الى خيرات السماء والخروج من سجنها لا بشدّة الشرور او ثقل الاوجاع بل بعاطفة اشرف هي رغبتها في رؤية الله المغبوطة واذ ذاك تمسي لديها الحيوة الحاضرة ضيّقة في الغاية لانها لا تجد فيها ملء الكمال وفقًا لرغبتها الشديدة في ان تسكر من الينبوع نفسهِ احرى من ان تروي عطشها منهُ رويدًا رويدًا *

فهذا المهماز يختلف كثيرًا عن الآخر لانّ جواد الاشواق اذا نخس بنخس رجل اليمين يزداد جريًا نحو الاشياء الروحية بقدر ما يكون الحبّ اقوى

على العمل من الوجع. فعلى تلك النفس يطلق حسناً ما يقولهُ الكتاب عن يعقوب ابي الاسباط «انهُ تعبدَّ براحيل سبع سنين وكان عندهُ مثل ايام قليلة لما داخلهُ من المحبة لها» (تكوين ص ٢٩ : ع ٢٠) فهكذا كلُّ شغل يبين خفيفاً للنفس التي تحبُّ الله وتتوق الى رؤية ضياء وجههِ ولا تكره الصيامات ولا تستثقل الاتعاب الشاقة ولا تحزن من فراق الاهل والاقرباء بل ولا يهمها اعتبار الناس اياها كلا شيء وعدم ترقبها في هذا العالم ولذا كثيراً ما تجرح بحب يسوع لانَّ رؤيتهُ التي ترغب فيها رغبة شديدة فوق كلِّ شيء بعد ان احتقرت كل شيء حاضر تتأجل من يوم الى يوم *

وعلى كلٍّ فبايٍّ من هذين الوجهين تنشّط النفس تدخل بعقلها في نوع من الانخطاف وتحصر شوقها الى الغبطة السماوية في هذه الآية وبكثرة اعادتها

تغذي عبادتها وحبها للسماء وهي: « من لي بان اوثق سوالي ويهبني الله رجائي » *

فالويل اذن لجميع الذين يسلكون مسالك الجسد ولا يحملهم مشهد شقاء هذا العالم على ذكر السماء ورفع النظر اليها ولا تسوقهم عظمة السعادة الابدية الى التاهب للحصول عليها باصلاح سيرتهم *

٤: ولكن ليس بينكِ ايتها النفس العابدة وبينهم خلطة فدعيهم يعملون ما يشاؤون ويتمون ما يرغبون فحقًا ان فعلهم هذا لا يدوم طويلًا. اما انت فكما سمعتِ الآن وفرحتِ بوعد الوطن السماوي فليزدد رجاؤكِ تايدًا في حب هذا الوطن حتى تستحقي اجرة اتعابكِ ابذلي جهدكِ كله في اكتساب الفضائل وقاومي بشجاعة اهواءكِ اجمعي موهبتي المحبة والعفة واجعليهما تحت حماية التواضع وصلك مخافة الله. تسلحي باسلحة الصلوة تجاه القوات الشريرة وثقي دائمًا وفي

كلّ شيء بالجودة الالهية اكثر مما بفطنتك الذاتيّة *

العظة الرابعة

في مديح درّة العفّة الكريمة

لنورد الان كلاماً وجيزاً في مديح العفّة. ومن جهة جمالها فلنعتبر اوّلاً الساكن فيها: هو الروح القدس واهب السيرة الطاهرة ومقدّس كلّ عفة. اذ أنّ الحكمة لا تدخل نفس الشرير ونعمة روح القدس لا تسكن في جسد اسير للخطيئة وبدون عونه هذا الخاص لا يكون احدٌ عفيفاً وبلا حماية رحمته لا يلبث احدٌ بتولاً في وسط نجس. اذ انّ فضيلة الزهد المجيدة هي غصن انتصار العفّة ووردتها العجيبة ومجد العذارى الغير الفاني *

فما اعظم مجد العذارى والزهّاد. انّ مجاهداتهم الشديدة ترينا ذلك وقلّة الذين يغلبون ويثبتون تجعل بهاء فضيلتهم اسطع والمع *

فلندع اذن جانباً اتّكالنا على انفسنا ولنثق لا بحذاقتنا لكن برحمة الله الغزيرة لا غير فانّ محبّيهِ لا ينقصهم عونهُ في هذهِ الدنيا اذ انّ فضيلة العفّة تفوق قوانا وتعطى من فوق لا للمتكبّرين وناكري الجميل لكن المتواضعين والمنكسري القلب المحقّين الذين يصرخون كلّ يوم في صلاتهم ويطلبون قائلين : « قلباً نقيّاً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدّد في احشائي » *

فلنرجُ اذن من حنوّهِ تعالى ان يعطينا تلك الفضيلة بواسطة من نعلم علم اليقين انهُ يرقّ لدموع القدّيسين وتحت حمايتهِ نرغب بان نورد كلاماً وجيزاً في درّة العفّة العجيبة في الغاية *

٢ً: قال الرب يسوع: «يشبه ملكوت السماوات انساناً تاجراً يطلب جواهر حسنة فوجد درّة كثيرة الثمن فمضى وباع كل شيء لهُ واشتراها» فبهذا الكلام يحرّضنا يسوع ختن الكنيسة على محبّة العفّة فيشبّهها بافخر الاشياء واثمنها اي بدرّة كثيرة الثمن وكما انّهُ لا يوجد بين الاشراف من يرفض التجمّل ببهاء الجواهر الحسنة اذا أمكنهُ ذلك. ولا يطلب باجتهاد الالبسة الفاخرة كيلا يحتقرهُ الناس كذلك وبالاحرى كثيراً ينبغي لنا بخلافهم ان نطلب مسرّة الله علماً بانّ ذاك المجد الزمني وذلك بهاء الالبسة البالية للانسان القصير الحياة جدًّا يشبه دخاناً او بخاراً سريع الزوال *

فلنخزَ اذن ولنخجل اذا كنّا مكرّسين لله ومع ذلك نكون اقلّ اهتماماً بتجميل نفوسنا الغير المائتة من محبيّ الدنيا المهتمّين بالبسة اجسادهم الحقيرة *

فقياماً بتحريضات مخلّصنا لنبذل كلّ مجهودنا في

اكتساب تلك الدرّة الكثيرة الثمن اذا اردنا ان نضيء في ارث القدّيسين لانّ الذين لا يحملون هذه الدرّة يقلّ مجدهم بحضور الملك العظيم وان كانوا مزيّنين ببقيّة الفضائل *

٢ : قبل ان ينزل المخلّص من السماء كانت فضيلة العفّة مجهولة عند الناس وقليلون جدًّا الذين فهموا شرفها ومجدها . غير انّ الملك الجديد اخرج هذه الدرّة الجديدة من كنزهِ السماوي واعطاها كنيسة باتّحادهِ بها لانهُ ختنها وهكذا عقد معها عقد قرابةٍ على امانة العفّة ودوام الحبّ *

انّ الاجيال الاولى لم تكن تسمع صوت اليمامة على الارض اذ كان موسى يحصي عدد المولّدات وتُمنع العواقر عن الطوبى والبركة غير انّ الانبياء لم يكونوا ليجهلوا بالكلية تلك الفضيلة ولو لم ينذروا بها الشعوب كما يبين ذلك جليًّا من هذا صراخ احدهم

الشهي كصوت اليمامة الطاهرة : « افرحي ايتها العاقرة التي لم تلد اهتفي اهتفي واصرخي ايتها التي تتمخض لان ابناء المهجورة اكثر من ابناء ذات البعل » (غلاطية ص ٤ : ٢٧) وفي محلّ اخر بعد ان تأمّل حياة الزهّاد المغبوطة والمجد الخصوصي الذي يذخرهُ لهم الرب قال هذا الكلام النبوي : « فانهُ هكذا قال الرب للخصيان الذين يحافظون على سبوتي ويؤثرون ما رضيت بهِ ويتمسّكون بعهدي اني أعطيهم في بيتي وداخل اسواري موضعاً واسماً خيراً من البنين والبنات اسماً ابدياً لا ينقرض » (اشعيا ص ٥٦ : ٤) *

فعلى هذا الوجه لم يكتفِ الرب بان يوصينا بالعفّة بل اراد ايضاً ان يطنب في مديحها ويقرّظها بآيات ابائنا الاوّلين وكان من اللائق بتلك الفضيلة ان تتأيّد بسلطة العهدين اذ اننا بواسطتها نزداد تقرّباً الى الله وحظوةً عند الارواح السماويّة على ما جاء في

سفر الحكمة : « ان الطهارة تقرّب الى الله »
(حكمة ص ٦ ع ٢٠) *

٤ : فما اعظم بهاؤكِ وجمالكِ ايتّها العفّة المغبوطة اذ انّك قد استحقيتِ ان يقبلكِ الحمَلُ في عرسهِ . انّ هذه الفضيلة هي اليمامة الشهيّة وحبيبة خالق كلّ الاشياء الخاصة لانها تحتقر معاشرة المائتين وتمقت كلّ فساد الجسد وتتوق بحرارة شوقها الى حبيبها السماوي . وقد شبّهها الناسُ ببياض الزنبق ومثّلوها بنقاوة الكتّان الناعم وقد سُرّ العليّ بان يجعل نظرهُ على وجهها كلّ حين واعين القديسين تأنس ببياضها الناصع واجواق العذارى الكثيرة العدد تجذب برائحتها الطيّبة الى يسوع المسيح اذ ان رائحة ذكيّة تفوح من ثيابها لان العفّة تنشر حواليها اريج جسدها النقي *

وبالحقيقة انّ جميع الناس يجلّون مَن يحفظ الان بينهم عفّة كاملة ويذخرون لهم فقط التقريظات وقد

اعطاها الرب بسكناهُ فيها بواسطة روحهِ القدّوس هذهِ النعمة وهي ان يباركها الجميع. كيف لا وهي التي تتجاوز حدود الضعف البشري *

اجل لا شيء يرفع الانسان فوق ضعفهِ الذاتي نظير فضيلة العفّة التي تغصب السماء نفسها اذ انّ من يحفظ على الارض ما تملكهُ الملائكة بالطبع افلا يغصب السماء. ولذا عينهِ يفتخر بالرب قائلاً « رفعتَ على الارض مسكني وتضرّعتُ اليك لأُنقَذ من الموت فخلصتني من الهلكة » (سيراخ ص ٥١ : ع١٢ و ١٦) وبهِ يليق ايضاً هذا الكلام: « اما العاقر الطاهرة التي لم تعرف المضجع الفاحش فطوبى لها انها ستحوز ثمرتها في افتقاد النفوس » (حكمة ص ٣ : ع١٣) وكذلك الختن السماوي يوجّه كلامهُ لجميع عرائسهِ ويطوّبهنّ قائلاً: « هؤذا العذارى اللواتي لم يكن لهنّ ابعال ولم يعرفن رجلاً وكنّ كملائكة الله في السماء » فلا ريب

اذن انّ العفّة قد وُلدت في السماوات من اشرف الوالدين اذ انّها ابنة اورشليم السماويّة وقريبة سكّانها الاجلّاء ★

٥ً: انّ الروح يسرّ باصلها وخصبها اذ انهُ لا يدع زماناً يمضي ويجعل فيهِ الاجيال العفيفة تاتي بثمار وثمارها الشهيّة كلّ حين في عينيّ الله هي الصلوات الحارّة والتاملّات المقدّسة والعواطف الطاهرة ★

فيا ما أجمل بهاء الجيل العفيف الذي يملأ السماء بعذوبة برارتهِ ويعطي الارض ثمار القداسة وبالاجمال انّ شذا العفّة طيبٌ ذكيّ بحيث انّ ابن الملك الازلي اراد ان يولد من عذراء لا غير وقدّس هكذا في امّهِ تلك الفضيلة التي اعطاها من ثمَّ للكنيسة المقدّسة بمثابة جهاز ★

٦ً: غير انّنا لا نقول هذا عن البتوليّة فقط لانّ البتوليّة ليست فريدة ولم يسرّ بها وحدها يسوع المسيح

ولم يقل الملاك : « السلام لكِ يا ممتلئة عفّة لكنهُ قال : « السلام لك يا ممتلئة نعمة » لكي يُنسب ملء الفضائل للنعمة احرى مما للعفة او للزهد اذ انهُ بالنعمة فقط يحفظ الانسان مواهب العفّة والتواضع والمحبة وسائر الفضائل *

غير انّ بهاء البتولية قد ضاء في مريم العذراء فوق كلّ الفضائل اذ انّ حياتها كلّها كانت عبارة عن عفّة وبتوليّة لا عيب فيها وقد حازت ايضاً نعمة اكمل هي التواضع الذي بهِ جذبت اليها من علو السماوات ابن الله نفسهُ وعنها جاء في سفر الانشاد : « اذ كان الملك في متكإه افاح ناردين عرفهُ » (نشيد ص ١ : ع ١١) *

فمن يملك مجد بتولية دائمة بزدان بحلية بهية للغاية في عينيّ الله ومن يحفظ كلّ ايام حياته بدر العفّة يقرّب لله قرباناً بعطر طيّب . ان الطبيعة تندهل

والملائكة تتعجّب ورؤساء الملائكة تبتهج وكلّ زمرة القدّيسين تتهلّل فرحًا امام حسن هذه الفضيلة ويسوع المسيح نفسهُ حبيب العفّة وحارسها يخفّ الى الترحيب بالنفس عروسهِ ويترنّم عند قدومها فرحًا وينشد لها من سفر الاناشيد قائلاً: « جميلة انت يا خليلتي جميلة انت وعيناكِ كحمامتين » (نشيد ص ٤ : ١) *

٧ : فماذا تقولون الان ايُّها البشر الممتلئون فسادًا في النفس والجسد الا تلتذّ لسماعكم هذه الاقوال الشهيّة وهذه التنعّمات المذخورة للقلوب العفيفة الطاهرة واذا اردتم ان تفهموا وتدركوا حقًّا فاحفظوا الطهارة وبالغوا في القناعة ولتكن ايديكم نقيّة فياتيكم اذ ذاك الفرح من لدن الله ويحلّ عليكم سرور يجلّ عن الوصف لا يعلم بهِ غير الذين يحتقرون مجد العالم ويرفعون قلوبهم فوق كلّ ملاذّهِ *

فهيًّا بنا ايُّها الاحباء نصغ باعظم انتباه. هوذا

الختن مقبل الينا من اعلى السماء . وانتنّ ايتها العذارى عرائس المسيح اوقدن سرجكنّ وخذن معكنّ زيتاً . ها هوذا الباب يفتح فلتدخل المستعدّات . فلندخل . لندخل من الباب الذي فتحهُ الربّ لنا لكي نستحق مع جميع القدّيسين ان نباركهُ ونحمدهُ الى دهر الداهرين امين *

العظة الخامسة

في حفظ العفّة

انّنا في العظة السابقة اوردنا كلاماً وجيزاً في مديح العفّة مؤملين انّ هذه الفضيلة تجد حظوة عند كثيرين اذ انهُ لا شيء يسيء فيها . واذا اساءت البعض فسبب ذلك فسادهم لا ندانستها اذ انّها قد ضاءت كلّ حين كجمرة نارٍ في حياة القدّيسين فترجو

اذن انّ الجميع يعانقونها بحبّ شديد يعادل اطناب الكتب في مديحها *

اجل انها رفيعة جدًّا بمجدها الذي لم ياتها من الناس لكن من الله وقد ظهر اجلى ظهور بامثلة القدّيسين . وبالحقيقة انّ كثيرين قد سبقونا وهم شاكّون اسلحة الزهد وعلّمونا باهراق دمهم كيف نتصرّف بجسدنا واحبّوا ان يرونا ساعين في خدمة القداسة لا النجاسة . واليوم ايضاً جمع الجنسين المقدّس يحفّ بعرس ابن الله الملك الازلي وعوض تلذّذات الجسد يتوقون الى الامتلآء من ثمار الروح القدس التي هي السلام وطول الاناة واللطف والوداعة والعفاف . ولا غرو اذا كنّا نمدح العفّة بخوف ووجل اذ انّ مقامها رفيع جدًّا ومقرّها عالٍ في الغاية ولاتّساع موضوعها يوجد من هو اجدر منّا بالكلام عنها غير انهُ لا يمكننا مع ذلك السكوت التامّ عنها

ونحن نعلم عظم ضرورتها اذ اننا بدونها لا يمكننا البلوغ الى كمال القداسة ومن اجلها نثق ثقةً وطيدةً باننا سوف نحصل على الغبطة يوم مكافأة جميع القدّيسين اذ يبطل كلّ حزن وغمّ. فلننظر اذن ولنطلب باعتناء جزيل كيف تُحفظ العفّة وبايّ ادوية يُشفى الروح النجس اذ انهُ لا يبلغ احدٌ الى فضيلة العفّة بدون تعب وجهاد ولا يستطيع احدٌ ان يثبت فيها بدون مخافة الله وصيانة ذاتهِ ٭

٢ً: انّ المتعبّدين ينبغي لهم ان يبالغوا في الانتباه على حفظ العفّة وتأييدها فيهم لئلّا تحملهم شهوة الجسد على التفوّه باقوال او معرفة اشياء بالسمع او النظر او القراءة تكون لهم سبباً للتجارب ٭

امّا الذين قد سكّنوا قليلاً بطلِّ روح القدس اللطيف حرارة الجسد ويلوح لهم انهم متمنطقون بزنار موهبة العفّة الجليلة فلا يكونون ايضا مع ذلك في

مأمنٍ من اخطار وسقطات أُخر اذا لم يتقوّوا في الظاهر بصيانة الحواس لاننا نجد في حواسنا الخارجية ما يكفي ليقلب نفسًا عفيفة بل وكثيرًا ما يكفي ليميتها بسمّ الافراح المخجلة *

٢ً: ولذا يجب علينا ان نغلق باعتناء جزيل باب قلبنا كيلا تدخل منهُ اشباح مضرّة منجذبة بالنظر او السمع ويعود الينا بتغافلنا ما كنّا نظنهُ نسيًا منسيًّا فيرفع منّا سلام القلب مع سكينة الضمير ويمنعنا هكذا من ان نفتكر في افراح العفّة *

واذا فقد القلب الطاهر الانتباه الباطن مع صيانة الحواس فلا يلبث ان يستغشي بالظلام وعوض الفرح لا يعود يلقي في داخلهِ غير مرارة واوجاع وايّ عجب اذا صار العوبة الشيطان بعد ان خالف عهدهُ الابدي مع الختن الغير المائت. فليرتضِ المخلّص الحليم يسوع المسيح ان يبعد عنّا هذهِ العاقبة ويزيد فينا

بالاحرى نعمة روحهِ لنستطيع بواسطتها ان نتقدّس ونقاوم الجسد ولنسالهُ ان يعطينا اودية شافية نطفئ بها موقد الشهوة ونشدّد جليد العفّة لنصبح هياكل قداسة ونكون دائماً مع المسيح بلا عيب كما يليق بالقدّيسين قياماً بكلام داود النبي القائل: « في بيتك يا رب يليق التقديس كلّ الايام » *

٤: انّ اقوى واسطة للحصول على مجد العفّة هي القناعة فانها تحتقر الاطعمة اللذيذة وتمتنع عن كل زيادة في الشرب وتشير بقمع الرخاوة بالاسهار المقدّسة والصيامات وتعلّم الشغل وتحرّض على الاهتمام بعمل الله لانّ البطالة والتمرّغ بالافراح هما لصوص العفّة وقتّالوها *

ولذا تنبّهنا العفّة حبيبة كلّ نعمة وقداسة بفطنة وحكمة ان نكفر بالعواطف الارضيّة لكيلا نحرم مواهب السماء ونطرد من جماعة القدّيسين اذ تقول:

« انا امّ المحبّة البهيّة والمخافة والعلم والرجاء الطاهر تعالوا اليّ ايّها الراغبون فيّ واشبعوا من ثماري » (سيراخ ٢٤ : ٢٤) *

وتحبّ ان يكون الجميع مثلها . فليس حرّية كحرّيتها . انها تسير في البرارة سالمة من فساد الخطيئة لا يعتريها شيء من اهواء الجسد وتستقبح الخضوع لأفعال البهائم وترهب الاحتراق بلهبات الكبريت لجزيل احترامها لصورة الله فيها . وتقول اني سليمة القلب كاملة الجمال في جنسي وصوتي واقوالي وجميع اعمالي تشهد على احتشامي ولذا ارفض كلّ الرفض مخالطة الدنس ولا استطيب الّا مصاحبة القلوب السليمة المستقيمة وما كلام الانشاد هذا الّا صوتي : « اسندوني باقراصٍ من الزبيب قوّوني بالتفّاح فقد اسقمني حُبّ خالقي » (نشيد ٢ : ٥) *

فبهذه الاقوال الصادرة من عذوبة نعمة الروح

القدس يتشجع حبيب العفة ويصبح مجاهدًا صنديدًا تجاه مساعي الشيطان وتمرّد الجسد *

٥ً : انّ المحاربة لا تكون هنا بالحديد او باسلحة أُخرٍ ارضيّة لكن بالصبر والصلوة والتواضع وهكذا يتيسر لنا ان نخضع كلّ حركة منحرفة لانّ التمكّن من اطفاء شهوة الجسد الفاسد وحمل نارٍ فينا بدون أن تحرقنا موهبةٌ من الله وعمل رحمتهِ تعالى لاصفيائهِ أَجَل ان هذا احسانُ نعمة الله وليس انسانٌ يستطيع أن يستخصهُ فبكلّ صواب اذن تعجّب موسى الكليم من عليقة تتوقّد بالنار وهي لا تحترق وقال : « اميل وانظر هذا المنظر العظيم » (خروج ٣ : ٣) *

فايٌّ منا لا يتعجّب من انسانٍ ضعيف واهن بزعجة هيجان الجسد وتنغّص عيشهُ غارات التجارب المتواترة وهو لا يذعن مع ذلك لفكرٍ رديٍ . فيا ما اعجبَ الاله في قدّيسيهِ وهو الذي يُعطي عبيدهُ فضيلة

وقوّة كهذه. فكن يا رب مباركًا الى الابد اذ انّ من يشعر بتمرّد الجسد ويجتهد للحال بان ينتصر على ذاتهِ بنعمة الله فهذا شان قوّة شديدة *

٦ : وزيادةً في تأييد هذا الانتصار لا بدَّ من الهرب سيما الّذين يعرفون انّهم شديدو الضعف ولا ينبغي لنا ان نحتسب هذا الهرب او هذا الاجتناب عيًّا او جبانةً اذ انّ من يهرب عاجلاً في هذه الحرب يُعدُّ شهمًا وبابتعادهِ هكذا من نيران الدنس يسلم باعظم امنٍ. هكذا صنع يوسف الحسن الجزيل العفة وهو فتى اذ نظرت الى مرآة طهارتهِ اللامعة امرأةٌ عاهرة فانهُ هرب وخرج *

فمن عزم ان يعيش بسلام وطهارة في جسدهِ الضعيف عليهِ ان يكون كثير الانتباه والتحذّر لانّ الفخاخ والمخاطر التي تتوعدهُ عادةً كثيرةٌ عظيمةٌ والانتصار ليس باكيدٍ فضلاً عن انّ حروبًا اشدّ

من الاولى تنتظرهُ ايضاً *

٧ : فلا يتجاسرنّ احدٌ من ايّ جنسٍ وعمرٍ كان ان يعلّل نفسهُ بحريّة العفّة بل لنتذكّر غالباً الفخّ الذي أُمسك بهِ شمشون الجبّار الذي كان يفوق السلاسل والحبال قوّةً فهذا الرجل المكرّس لله لانَ لملاطفات امراةٍ فسلمتهُ هذه المراة الى اعدائهِ ففقأوا عينيهِ وقادوهُ موثقاً الى مدينتهم . واحسرتاه ان النفس التي تلين لملاطفات الجسد تُدفع على هذا النحو الى قوّة الشيطان فيتلاعب بها ويفقأ بتهييجهِ فيها اشواق العالم وشهواتهِ عين قلبها اي نيّتها الروحيّة ويقودها موثقةً بسلاسل العالم بل وما هو شرٌّ من ذلك انهُ يسحبها الى ظلمات الجحيم *

فلنشفق على من هو كذلك ولنبالغ في الاعتناء والخوف من قبل ضعفنا البليغ ولنجتنب الكبرياء كل الاجتناب . وا اسفاه انّ داود الملك القدّيس

ونبي الله سقط من معاليهِ باهواء الجسد وبعد ان كان في طهارة قلبهِ يطأ برجليهِ افراح الارض تدنّساً (ونقول ذلك بانسجام الدمع) الى معاصٍ ومنكرات فانزل بهِ الله عقاباً لهذه جرائمهِ بلايا عديدةً ليظهر عدلهُ ويخيف كلّ حانثٍ وخائنٍ *

ولننظر ايضاً بمزيد الأسف الى سقطات سليمان الحكيم ولنزدد خوفاً من احكام الله . اجل انّ هذا الرجل الشهير الذي احبّهُ الله ودعاهُ حبيبهُ ورفعهُ فوق جميع ملوك اسرائيل قد سقط سقوطاً اعمى عقلهُ وافسد قلبهُ وساقهُ الى تادية السجود للاوثان *

فمن ذا لا يخاف على نفسهِ وان كان قد عاش الى الآن بالعفاف والقداسة اذا ما سمع خبر سقوط هولاء الرجال الاقوياء ذوي الشهرة الطائرة . فطالما نحن خاضعون لنير هذه الحيوة الفاسدة ومرتابون في امر ثباتنا ايّانا والمكابرة ايّانا والاعتماد على قوانا بل

نتواضع ونتصاغر لاننا لا نعلم اية تجربة تتوعدنا
وكيف تكون آخرتنا «اذ انّ المدعوّين كثيرون
والمنتخبين قليلون» فينبغي لنا اذن ان نبالغ في
الانتباه على حفظ العفّة وتوطيدها فينا لئلا نُعطي
المجرّب المحتال محلاًّ ولو حرجاً في الخارج او في
الداخل ينفذ منهُ الينا سمُّ دسائسهِ المميت *

٨ : والحالة هذهِ لا ينبغي لأحدٍ وان كان
ضعيفاً ان يفشل لبعض الاحزان او يقلق من
التجارب لكن ليذكُر انّ اكليلهُ سوف يكون بهيًّا
جميلاً على قدر ما تكون المعاركةُ في المدافعة شديدةً
واذا لم تمتحن العفّة اكثر من غيرها باحزانٍ شاقّة
وغاراتٍ شديدةٍ من قبل التجارب فمن اين لها هذا
المجد الذي يفوق مجد القدّيسين واستحقاقاتهم *
فيجب علينا ان نفرح بموعد السعادة الدائمة
المغبوطة ونتشجّع لاحتمال اشجان الحرب برجاء الاكليل

الغير الفاسد الذي يتمتّع بهِ القدّيسون مع يسوع المسيح الى الابد مكافأةً على غموم خفيفة *

فليرتضِ يسوع المسيح رجاء واكليل جميع القدّيسين ان يدعونا من منفانا الى مقر الابرار حيث يملك الهاً مع الآب والروح القدس الى دهر الداهرين. امين *

العظة السادسة

في تجارب الجسد

انّ كثرة الكلام في امر ضروريّ نافعٍ لا يعدُّ افراطاً واسهاباً لا فائدة فيها وبالحقيقة ايّ شيء ضروريّ ونافع لخلاص الجميع مثل معالجة اهواء النفس القتّالة. فليس في الانسان شيء مضرّ ومعدٍ نظير شهوة الجسد والهوى الغير المقهور الذي

يشوّه كلّ جمال النفس *

انّنا قد اوردنا كلاماً وجيزًا في مجد العفّة وقدّمنا في العظة السابقة بعض ادوية لحفظها فبقي علينا الان ان نستعمل الحديد المحمى استعمالاً نافعاً لكي يبتعد من نار الفسق ولو بالخوف من جهنّم المهول من لا يسبيهِ جمالُ العفّة وحبُّها اذ انّ نوع التعاليم ليس واحدًا فلكلّ نوعٍ من الناس نوعٌ من التعاليم *

٢ : فاصغ اليّ يا من يذعن للشهوة الممقوتة فاني استشهد على حياتك الوحشيّة السماء والارض واقيم حكّاماً عليك الملائكة ورؤساء الملائكة واقدّم لتجبك اصدق الشهود بل كلّ جماعة القدّيسين. وفي الآخر انّ الخالق ومدبّر جميع الاجيال يطلق عليك حكمًا لا رجوع عنهُ والخلائق كافةً تأخذ اسلحتها لتنتقم من قباحتك الشنيعة وفضلاً عن

ذلك انّ الارواح النجسة الجهنميّة التي قد اوقدت واثارت فيك نار الدنس تزأر عليك وتعذب لحمانك بكلاّباتها الناريّة وتضرم لنفسك موقدًا لا يطفأ ممتلئًا قيرًا وكبريتًا *

انّ السماوات تبيح بشرّك وتحاكمك لانّها مع خلوّها من الشعور لم تتجاوز ابدًا شريعة الطبيعة وانت قد خالفت شريعة الله ودنّست صورتهُ الكريمة ولهذا تمنعك من الدنوّ الى مساكنها فتكون اذن ايّها الخاطىء الدنس غير مستحقّ للسماء *

والارض ايضًا تقوم ضدّك فانّها مع كونها احقر العناصر لا تزال تعطي ثمارها بامانةٍ للمائتين وانت بخضوعك لعبوديّة الجسد جعلت ذاتك احقر من الارض اذ انّك قد فضّلت نتانة اهوائك المنحرفة على القداسة فلا تقبلك الارض الا لتدفن جسدك التعِس فيكون مرعًى للدود الى ان تتقيأهُ

فزعةً من صوت البوق الاخير لكي يُلقى مع نفسك في الجحيم وهناك يكون ماواك وفيها تحبس كما في بئرٍ مملوءةٍ ماءً مغليًّا ولا يعود يبقى لك خلاص منها هناك تتعذَّب في الليل والنهار من اجل منكراتك بدون ان تجد من يغيثك ويترأف عليك لأنك افسدت جسدك وكسوت نفسك العار *

انّك قد اخزيت اصدقاء الله المجيدين وانوار السماء اي الملائكة وروساء الملائكة لأنك قد ابعدتَ عنك انظارهم بُعدًا شاسعًا بينما كانوا يلمعون ببياض طهارتهم الفريدة وشوّهت وجهك وقبّحتهُ وصرت اجيفَ من القيح والمدّة الاكثر نتانةً وستلقى عن قريب في اتون نيران اضرمتها شياطين ذوو وجوه اكثر سوادًا من الفحم وحلوقٍ واسعةٍ وعيونٍ مقلوبةٍ كريهة المنظر وستكرهُ على مكابدةِ جميع عذابات جهنّم الى الابد من اجل فسقك القبيح وشهوتك التي

احببتَ إرضاءها لوقتٍ عوض ان تضبطها لان لهبات الجحيم سوف تتوقد لتعذيب الفجّار توقدًا لا تستطيع البحار وكلّ المياه اذا جمعت الى واحد ان تطفئها *

فاً مقت اذن خطايا الجسد ان شئت النجاة من نيران جهنّم المؤبدة . لا تفقد نفسك الكريمة التي افتداها يسوع المسيح بدمهِ الثمين ولا تحزّن الملائكة القدّيسين وتهين الله. خَف من الربّ ولا تحبّ جسدك حبًّا يفضي بك الى هلاكٍ دائمٍ « لانك ان عشتَ بحسب الجسد تموت واما ان امتَّ بالروح اعمال الجسد فتحيا » (روم ١ : ١٣) *

فيا ما اقصر اللذّة وما اطول عذابها يا ما اسرع ندامة الانسان على جهالاتهِ وما اشقّ وَخز الضمير واثقلهُ *

٢ : ليت شعري كم يفرح ويُسَرّ الذين لم يذعنوا

للاعمال السيئة وبايّ ثقةٍ يتوقَّع يوم الدينونة من لم يدنّس توبة فحينئذٍ الابرار الذين عاشوا في التقوى والقناعة والعفة ينهضون بأمن على الشياطين الذين جرّبوهم وارادوا ان يستميلوهم الى المنكرات وعلى كلّ الذين كانوا يدسّون لهم شراك الخطيئة *

وحينئذٍ ايضًا يقوم عن الشمال الزناة والفجّار والشبقون الذين يتمرّغون بانواع اللذات وتاخذهم رِعدةٌ بخزي شديد امام حاكم السماء والارض اذ يسمعون منهُ هذا الحكم المهول للغاية وهو : « اذهبوا عنّي يا ملاعين الى النار المؤبّدة المعدّة لابليس وجنودهِ » واذ ذاك يعوَون وينادون بالويل والثبور : قائلين : الويل ثمَّ الويل لنا ماذا عملنا لقد اهلكنا انفسنا في وقتٍ وجيزٍ قصير ويحنا ثمّ ويحنا لقد هلكنا واويلاه لماذا وُلدنا فلم تعُد الندامة تُجدينا نفعاً وليس في صراخاتنا وتوجعنا فائدة اذ

انّ الحكم المطلق علينا يدوم الى الابد ولن يتغيّر فيها قد سقطنا في ليل ابديّ ونسيانٍ مؤبّدٍ ولم تبقَ لنا مصلحةٌ في شفاعة القدّيسين واحسانات اصدقائنا *

فانظروا يا بني البشر الى نفوسكم بضياء وعذابات الهالكين وخجلهم لئلاّ يفاجئك الموت فيدرككم هلاك جهنّم ولا يمكن لأحدٍ ان يخلّصكم ارجعوا الى الربّ وتوبوا انتم الذين قد تحالفتم مع الموت *

احفظوا برارتكم وحاربوا الشهوات في اوّلها ولا تستعملوا اعضاءكم اسلحة شرّ للخطيئة اذا كملت تلد الموت. افتكروا في النار المؤبّدة وابعدوا عنكم نار الشهوة « فمن منكم يستطيع ان يساكن النار الآكلة » (اشع ٣٣ : ١٤) *

تاملوا في مكافاة القدّيسين ولا تخسروا المجد

الايدي للذّةٍ دنسة اغلقوا حواسكم وعينيكم في وجهِ
كلّ نجاسةٍ واسألوا الله بتوجّعٍ ان يحفظكم سالمين
ويمنحكم الثبات اللازم الى النفس الأخير آمين *

العظة السابعة

في موهبة الاختلاء على مثال يسوع المسيح والاباء القدّيسين

انّما التقدّمُ الروحيّ في محبة الانفراد والاختفاء تحت حجاب السكوت اذ بذلك يستطيع خادم الله ان يموت عن العالم ويحيا ليسوع المسيح قائلاً مع بولس الرسول : « صُلب العالم لي وانا صُلبت للعالم » (غلاط ٦ : ١٤) وقال ايضاً : « انكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله » (كولس ٣ : ٣) * فينبغي لنا ان نطلب ونحفظ اختلاء الجسد

والقلب جميعاً لانهُ اذا كان اختلاء الجسد جيدًا حصيناً فاختلاء القلب افضل واحصن ايضًا ومن يرذل الاوّل لا يجد الآخر لانّ ذاك حارسٌ لهذا وكلاهما يتعاضدان *

ان هذا الاختلاء ملجأ هنيٌ للعابدين يعلّم «كما مرَّ بك القول» الموت عن العالم ويقي من وسخ الهموم الخارجة ويعاوننا على التمسّك بالتأمّلات المقدّسة والتقرّب بعض الاحيان من الارواح السماوية *

٢ً : انّ الرب يسوع قد علّمنا الاختلاء باقوالهِ وامثالهِ اذ كان يحيي الليالي وحدهُ مصلّياً واوصانا بالدخول الى مخادعنا اذا صلّينا لتكون صلاتنا في الخفية . وفي الحقيقة انّ الليل يوافق العبادة جدًّا ويساعد على التأمّلات المقدّسة كلّ المساعدة غير انّ الرب يسوع قد اعطانا مثال حيوة مستترة

خاصةً اذ صام اربعين يوماً واربعين ليلةً في بريّة لم يكن معهُ فيها غير الوحوش (مرقس ١ : ١٣) فارتضى ان يعمل ذلك لأَجلنا لكيلا نتشكّى نحن من الوحدة ونشغل بهِ فقط فكرنا ما استطعنا *

فقد كان يُحبّ الخلوة النبيُّ القائل: « ها اني ابتعد هاربًا فاحلّ في البريّة » (مز ٥٤ : ٨) والنبي الآخر القائل: وكان جالسًا وحده ساكتًا ومرتفعًا فوق ذاتهِ *

فعلى ما يلوح لنا أنّ في خفية الخلوة شيئًا جليلاً حتى انّ اغلب القدّيسين طلبوها برغبة شديدة. وبالحقيقة انها للمبتدئين حمًى من مخاطر كثيرة وظلٌّ يقيهم من انواع التجارب. اما للكاملين والروحانيّين الذين قد ارتفعوا الى السماء بقلوبهم ويرغبون في تأييد انفسهم في الصلاح وان كانوا بالجسد ممسوكين على الارض فانها روضة وجنّة افراح ومسرّات

لانَّ خدّام الله حين يكونون وحدهم في مخدعهم يجدون على نوعٍ ما انفسهم *

٣ً : فحبّ الاختلاء نافع ضروري لكلّ من يرغب في تقدّمهِ الروحي فهناك يتحرّك غالباً قلبنا بالندامة فنتاسّف على شرورنا الماضية ونميّز الشرور الحاضرة وننظر باعظم أمن الى المقبلة. ولا ريب اننا ناتي في الخلوة بثمار الخلاص تارة بحزننا على شقائنا وتارةً بترويض نفوسنا في مقاومة التجارب والرذائل واخرى بطلبنا الادوية لأَهوائنا واخرى بتمكين فضائلنا *

٤ً : وهناك ايضًا يتيسّر لنا ان نضرم قلوبنا بحرارة العبادة ونحسن الانتباه على منع خمود تلك الحرارة او زوالها *

ولكي لا تبين لنا الخلوةُ شاقّةً مديدة في الغاية لنتوغّل في الاماكن والصوامع التى سكنها آباؤنا

الاوّلون . لنطلب بولس الناسك الاوّل وانطونيوس ومكاريوس فنجد من قضى عشرين بل ثلاثين سنة او اكثر من دون ان يواجه بشرًا واذ ذاك نستقصر زمان خلوتنا واذا اردنا ان نرى اوفر عددٍ من النسّاك فلا نجد رجالاً فقط بل نساء وعذارى ايضًا قد شاركنهم في هذا النُسك وسلكن بدون اختلاف في طُرُق سيرتهم الوعرة وجنديتهم الروحيّة حقًّا *

فاقتفاء بمثل هولاء القدّيسين لنردد لخفية خلوتنا حبًّا ولنبذل كل جهدنا في العدول عن الخروج وكلما قلّ حبنا للعالم ونظرنا اليهِ استعذبت قلوبنا محبة يسوع وزادت مودّتهُ لنا *

فليرتضِ ربّنا يسوع المسيح الذي وحدهُ عاش في الجسد بدون خطيئة ان يحفظنا في خلوتنا امين *

العظة الثامنة

في فوائد السكوت وثماره

ان السكوت هو روح الاختلاء كما احسن القول في ذلك احدُ ملازميهِ : « يجلس وحدهُ ساكتاً» لانهُ نادرًا يحسن ويتيسَّر لنا حفظ السكوت كما في الخلوة لانَّ غياب الفرصة يوءكّد غالبًا الانتصار *

فقد كان يرغب في حفظ هذا السكوت القدّيس القائل « احفظ سُبلي من ان أُخطئ بلساني» (مز ٣٨ : ١) وصلّى ايضاً قائلاً : « اجعل يا ربّ حارسًا لفمي واحفظ باب شفتيَّ» (مز ١٤٠:٣) ثم ان الربّ يسوع قد علّمنا حفظ السكوت بقولهِ « ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير » (مت ٥ : ٣٧) فبهذا الكلام يعلّمنا يسوع ان لا نقول سوى ما كان ضروريًّا او نافعاً

ونسكت عمّا كان باطلاً وزائدًا. اذ انهُ لا ينبغي لخادم الله ان يفهم بالسكوت عدم التكلّم التام لكن معرفة وضع الكلام في محلّهِ وايرادهِ في وقتهِ. فعلى كلٍّ منّا ان يرى ما يفيده اكثر فائدة اذ انّ البعض يفيدهم الاعتناء بحفظ السكوت والبعض ان لا يكثروا من السكوت *

٢ : امّا من يريد ان يعتني بحفظ السكوت فليعتبر كيف انّ يسوع المسيح لم يجب بكلمة الاشرار الذين قرّفوهُ بحيث انّ بيلاطس نفسهُ تعجّب من ذلك كل التعجّب ولذا قيل عن يسوع بهذه المناسبة «وكان صامتًا» *

ثمّ انّ مريم العذراء امهُ المغبوطة نفسها كانت تتكلّم قليلاً ولم نرها تتكلّم في الانجيل كلّهِ الاّ اربع مرّات كما لاحظ ذلك مار برنردوس *

فيفيدنا جدًّا اقتفاء لها ولابنها الحبيب بمثالها ان

نحفظ هذا الكلام كلَّهُ في قلبنا وعلى هذا النحو فليكن كلّ عابدٍ لله مسرعاً في الاستماع بطيئاً في التكلم نشيطاً في التعلّم فانظر كيف انّ السكوت هو حارس اصلاح نفسك على الاطلاق ومزيدهُ وكيف أنّ كنز جميع الخيرات السماويّة موجود في قلب الذين يلازمون السكوت *

٣ : فطوبى لمن يحبّ السكوت ويحفظهُ فانَّهُ بذلك يشعر بنمو العبادة فيهِ نموًّا بليغاً اذا كان منتبهاً في الامور الأُخر ايضاً اذ انّ حفظ اللسان لا ينفع كثيراً بدون صيانة القلب والاعتناء بكل عمل صالح وعليهِ فان الذين قد خصَّهم الرب بموهبة السكوت وبحزن مقدَّس يعرفون ان يقدْروا السكوت حقّ قدرهِ اذ انّ فضيلتهم وخلاصهم بعينهِ يستقرّان بشفتيهم وكثيراً ما يشعرون بالفوائد التي يجنونها من سكوتهم لانَّهم ابوا ان ياسروا انفسهم

بكثرة الاقاويل الباطلة . فعليهم اذن يُطلَق ما جاء في سفر المزامير : « لا فرجة ولا فتحة ولا صراخ في شوارعنا » (مز ١٤٢ : ١٢) اي لا يوجد في فسحة قلوبهم قلق الاعمال العالميّة ولا شغب الافكار الباطلة ولانّهم متّحِدون بالله في الباطن لا يسمعون صوت اشواق العالم . فلنطوّب اذن الشعب الذي فاز بهذه الفوائد اذ انّ الرب الاله معينهُ *

٤ : فلو كان خادم الله قد أُعطِي ان يذوق من مدّة الى اخرى الافراح الروحية التي تنجم من السكوت والخلوة اللذين يوصي هو بهما لكانت غزارة عذوبتها حاملة بكلّ صواب على ان يهتف قائلاً : هوذا الفوائد والعذوبة التي يجدها الانسان في وحدتهِ وحفظ لسانهِ وارتفاعهِ فوق ذاتهِ وتوقُّعهِ مجيء الحبيب يسوع المسيح . فمن ذا يشكّ في غبطة هذا الانسان وفي انهُ لم يختر الّا مع مريم النصيب الاحسن*

فليختره من يشاء غير انّ الجميع لا يتوقون اليهِ ولا يسوقون انفسهم بشوق مقدّس الى الربح في الخيرات الروحيّة ولذا قال عنهم القدّيس يوحنّا الرسول في رسالتهِ الاولى : «انهم من العالم ولذلك كلامهم من العالم والعالم يسمع لهم» (ص ٤ : ٥) *

يقيناً انّ الامساك عن كلّ كلمة بطالة لغناء وتيقّظ الانسان على كل اقوالهِ لفرحٌ عذب ولذا يؤكد لنا القدّيس يعقوب قائلاً : «من لا يخطيء بلسانهِ يكون كاملاً» لانهُ لا يقدر احد ان يحفظ لسانهِ حفظاً تامّاً ولكن لمّا كان كلّ شيء ممكناً بالله فما لا نقدر عليهِ بقوانا نستطيعهُ بعونهِ تعالى اذ انهُ ليس عند الله امرٌ عسير غير انّنا لسوء حظّنا وعظم شقائنا نخدع انفسنا بعدولنا عن طلب الادوية لعوائدنا الرديئة *

٥ : ايٌّ منّا لم يختبر صعوبة الاختلاء والسكوت

بعد محادثات طويلة باطلة فطوبى لمن يقاصهُ تبكيت الضمير على عدم امانة لسانهِ فيزداد انتباهاً في ما ياتي لكي لا يعود الى زلَّتهِ او الى زلّةٍ عُظمى *

امّا من يحفظ لسانهُ ويعتني بصيانة ضميرهِ في الزهد فيستطيع ان يُقدّر الصلاح الذي يشعر بهِ في الباطن لان السلام قد صار في هذا المحل واذا شعر مراراً بجموح الطبع عند قهر ذاتهِ فلا يلبث ان يشعر ايضاً بسلام عظيم عقيب جهادهِ هذا لانهُ اذلّ اعداءهُ وغصب نفسهُ *

ومع ذلك لا يزال يخاف ان يفقد بخفتهِ او عدم انتباههِ الكنز الذي وجدهُ وينبغي لهُ ان يخبأهُ احرى من ان يدفنهُ كما قال الرب يسوع «انظروا لا يعلم احد» (مت ٩ : ٣) ولذا يجب على الراهب ان يزن كلامهُ كما يزن البخيل فضّتهُ لكي لا يقول كلمةً لا نفع ولا فائدة فيها لانّ واجبات الرهبان

والمتعبدين هي الشغل والسكوت والصلوة وان يرفضوا معرفة كلّ شيء من دون الله . وبالحقيقة ان المكان الذي يُقيم فيهِ الراهب لمقدّس . فلماذا يُشغَل هذا المكان الممتاز اذا لم يخرج ثمارًا جيّدة . قال الرب يسوع « ان الرجل الصالح من كنزهِ الصالح (اي من قلب طاهر) يخرج الصالحات والرجل الشرير يخرج الشرور » (مت ١٢ : ٣٥) *

فلنتكلم اذن عن الله ولاحرج اذا كان الوقت مناسبًا او لنأخّر كلامنا لاجل الله امّا بخصوص الاشياء العالميّة فلنسكت سكوتًا تامًّا *

٦ً : فلا تستثقل يا رجل الله حفظ السكوت مدّة وجيزة في هذا العالم لانك بحفظهِ توهّب نفسك للسعادة الابديّة مع الملائكة فاعمل الان على الارض ما حفظتهُ الملائكة في السماوات على قول يوحنا الرسول : « وحدث سكوتٌ في

السماء (رويا ٨ : ١) *

انّ زعيم الشياطين ابى ان يحفظ هذا السكوت ولذا هبط من السماء مع تبعته باسرها لانّهُ قال : « انّي اصعد الى السماء وارفع عرشي فوق كواكب الله واجلس على جبل الجماعة في اقاصي الشمال اصعدُ فوق اعالي السُّحب واكون شبيهاً بالعلي » (اشع ١٤ : ١٣) فماذا تقول ايُّها التعس . لماذا ثارت في قلبك هذه الافكار وكيف لم تخش من التكلّم في ذاك الدير السامي حيث كان الرئيس الاعلى قد اوصى بسكوتٍ دائمٍ منزّهٍ عن كلّ سوء . اما كنت تعلم انّهُ كان ينبغي لك ان تكون بكليّتك للاشياء التي اوصاك بها الرب « فكيف سقطت من السماء ايتها الزُّهرة بنت الصبح » انك قد ازعجت بكبريائك السماء ولم تحفظ ادب الله الآب كلاّ انك خالفت رسوم الرئيس الأعلى فبكل صواب اذن

طُرِدتَ من السماء ولم تسعك بعدُ الاقامة بها لانك خالفت سُنَّة السكوت في الدير السماوي *

فلنمسك اذن عن ادّعاء وكلام كهذا كل الامساك ولنبادر الى ذاك السكوت الذي يستطيع ان يصون القلب من سقطات جسيمة عظيمة كما قال الحكيم : « احترزوا من التذمّر الذي لاخير فيهِ وكفُّوا السنتكم عن الثلب » (حكمة ١ : ١١) *

٧ : غير انهُ يوجد سكوتٌ ممنوع عن الملائكة والبشر بل لا يجوَّز في اي وقت كان وهو السكوت عن تسبيح الله والامساك عن العبادة والشكران . جاء في الكتاب المقدس عن هذا الخصوص : « احترزوا من السكوت ايها الماثلون امام الرب ولا تُمسكوا عن تسبيح اسمهِ القدوس » وقياماً بهذا الامر ينادي الطوباويّون بصوتٍ عالٍ قائلين : « قدّوس قدّوس قدّوس ربُّ الجنود الارضُ

كلها مملوءةٌ من مجده * (اشع ٦ : ٣) *

فلنهتف نحن ايضاً كذلك نحو السماء فتكون لنا رحيبةً لنمدح على الارض من تمدحهُ جميع الملائكة في السماء ولاننا بعيدون عن هذا المسكن حيث لا يخطىء احدٌ بلسانهِ فليرجع كلٌّ منا الى قلبهِ ويمتنع عن الاقوال الرديئة بل وبعض الاحيان عن الجيّدة ايضاً ابتغاء افضل منها نظير القدّيسين *

٨ : يا خادم الله اعتبر غالباً مثال الآباء الاولين في السكوت وان شئت فانتقل بالروح الى مساكنهم فلعلّك تجد هناك الاب اغاطون الذي حمل مدّة ثلاث سنين حصاةً في فمهِ لكي يلازم السكوت واذا وجدت أُرسين الجليل فربّما لا تجسر ايضاً على التكلم عند مشاهدتك سكوتهُ واذا طلبت غيرهما فتجد كثيرين ملازمين صوامعهم او مغاورهم مفضّلين

السكوت والتوحّد على الجولان في الخارج هنا وهناك *

فلا ينبغي لك أن تحفظ برخاوة ما يسبب لك في الرهبنة فوائد جزيلة اذ انّ كثيرًا من القدّيسين حصلوا بواسطة السكوت والاختلاء على راحة القلب وكثيرًا ما تعلّموا بهما ما القوةُ من ثمّ على غيرهم من المواعظ المفيدة فهكذا مار انطونيوس توغّل باديً بدء في البريّة ثمّ صار معلماً ماهرًا مجيدًا للرهبان ومثله مار بنوى ومار غريغوريوس ومار برنردوس وغيرهم كثيرو العدد *

فاذا اعتبرت سيرتهم تجد فيها ما يمكنك الاقتداء بهِ فانّهم قد صاروا مرآة فضيلةٍ بالقول والعمل *

العظة التاسعة

في الاختلاء الباطن الذي يرفع النفس فوق ذاتها

لنورد الآن كلاماً وجيزاً في الاختلاء الباطن فمن يرغب في الاتّحاد بالله عليهِ ان يطلب هذا الاختلاء المدعوّ الباطن وهو اشرف وانفع جدّاً من الاختلاء الظاهر اذ انَّهُ بدونهِ يكون الاختلاء الظاهر شغباً وضجّةً فهو الذي يصون الانسان الباطن من كلّ رذيلة ويقوّي بنوع خصوصي القلب تجاه وساوس الشيطان لانّ النفس المختلية في الباطن وان كانت مخالطة بافكار مختلفة فلا يستطيع مع ذلك العدو ان يدخل اليها او يقوى على ارادتها *

انّ الاختلاء الباطن ممدوحٌ لانَّهُ يُخوِّل النفس قوّةً عظيمة تقوى بها على كلّ شيء في العالم ويجعلها

تجهل حتى ما يحدث في مجالس العالم لانهُ يُعلّمها كيف ينبغي لها بالاحرى ان تتفرّغ لامورٍ أُخر اذ انّ كلَّ ما يلوح لنا في هذا العالم ثابتاً زاهياً يزول سريعاً وحيث يكون كلّ شيء خاضعاً للتقلّب والتغيّر فهناك تطلب تلك النفس على الدوام الالتصاق بشيء واحد ليس في غيرهِ ضرورةٌ *

٢ : من يختلي الاختلاء الباطن لا يزال يصلّي بقلبهِ وان كان مشتغلاً في الخارج واذا طاش قليلاً عن اتّحادهِ بالله فلا يلبث ان يعود اليهِ لانهُ يسمع في باطنهِ صوتاً يصرخ اليهِ قائلاً : ارجع الى قلبك فهاءنذا آتٍ اليك الساعة نفسها هاءنذا على بابك قائمٌ ادقّ . فافتحي لي يا أختي لانّ جمالكِ قد شغفني *

فطوبى للنفس التي لا يزال هذا الصوت يمسكها في يقظةٍ لانّها تُعطى مُلك جميع الخيرات الحاضرة *

٣ : فالغاية التي لاجلها يدعوها صوت الحبيب
ى الارتفاع هكذا هو الخوف من ان تُمسك في
سط الاشياء العالميّة بحبّ ممنوع لانّ من يمسكهُ حبّ
لاشياء العابرة يكون مشتّت البال في الباطن
ويتباطأ في مسيرهِ الى اختلاء القلب الذي فيهِ يكلّم
لله البشر ويحرم نفسهُ غالبًا افتقاد يسوع مولاهُ *
٤ : ففي ذاك الاختلاء قد دخل التلاميذ الذين
م يروا على جبل طابور بعد ذهاب الرويا عنهم
غير يسوع وحده واليهِ قد دخل موسى ايضًا اذ
اجى ربهُ فوق الجبل مناجاة صديقٍ لصديقهِ
ولبث هناك اربعين يومًا واربعين ليلةً بدون تسليةٍ
بشرية *
فمن ذا يستطيع ان يطيل نفس الكلام في هذا
الاختلاء غير الذي ذاق افراحهُ بوفور ولا
يلتفت البتة الى شغب العالم لانّ الشعور بالخيرات

الروحيّة لأعذب واشرف جدًّا من وصفها او ادراكها على وصف احد الابرار وشرحهِ *

فمن يُحبّ ان يشعر بها فليُطهّر قلبهُ من رسوب الاشواق العالميّة ويُمت اهواءهُ ويطلب على الدوام تعزيتهُ وفرحهُ بعيدًا عن الارضيّات فيستطيع اذ ذاك ان يذوق وينظر ما اطيب الرب *

طوبى للرجل الذي قد جعل في الرب رجاءهُ فانهُ يستطيب الاختلاء الباطن ويُكثر من التامّل في الاشياء الابديّة *

DOCTRINAL OU MANUEL

DES

JEUNES GENS

كتاب

رفيق الشبان

وهو

الكتاب الثالث عشر

من منتخبات الموقّر توما الكنبيسيّ

مقدّمة

انّنا عند انتهائنا الى هذا السفر ألفيناه مختصًّا برهبان العصر الثالث عشر اذ انّهُ يبحث في اكثر فصولهِ عن نقل الكتب والاعتناء بها والثواب على ذلك فاستحسنّا اذن ان نُبدل هذه الفصول بغيرها في الفضيلة التي تختصّ بجميع الشبّان ويجب عليهم ان يزدانوا بها اكثر من سواها أَلا وهي عفاف الحب «والله هو المرشد الى الحكمة ومثقّف الحكماء» (حكمة ٧ : ١٥) وامّا الفصول التي ابقيناها فهي الستّة الاخيرة *

الفصل الاوّل

في المحبّة ودواعيها

انّ للمحبّة عظيم شان في الانسان فهي محور جميع افعالهِ منذ ولوجهِ هذهِ الدنيا حتى خروجهِ منها ويؤيّد ذلك كلام القدّيس فرنسيس دي سال القائل : « انّ للمحبّة المقام الاوّل فيما بين الاهواء النفسانية وهي بمنزلة ملكةٍ لجميع حركات القلب تحوّل كلّ شيء الى طبعها » *

بيد انّ هذهِ المحبّة التي لا يحفل بها الانسان في صغرهِ لا تلبث ان تصير في كبرهِ شبه جمرة نارٍ تدفعهُ بشدّة حرارتها اما الى الصالحات واما الى المنكرات واماً الى امور غير نافعة للخلاص *

٢ : فمن يوجّه محبّتهُ نحو الصالحات فسنيًا ورعيًا لنفسهِ لانهُ يتنعم في هذا العالم بافراح تجلّ

عن الوصف وفي العالم الآتي « يعدّ لهُ الله ما لم ترهُ عين ولا سمعت بهِ اذنٌ ولا خطر على قلب بشر » (١ قور ٢ : ٩) *

واماَّ من يبذل محبتهُ في المنكرات والاباطيل فويحًا وتعسًا لهُ « اذ انهُ يصنع شرَّين: يترك الله ينبوع المياه الحيَّة ويحتفر لهُ آبارًا آبارًا مشقَّقة لا تمسك ماءً » (ارميا ٢ : ١٣) *

الفصل الثاني

في تغزّل الابرار بيسوع المسيح حكمة الاب

« لقد احببتها والتمستها منذ صبائي وابتغيتُ ان أتّخذها لي عروسًا وصرتُ لجمالها عاشقاً » (حكمة ٨ : ٢) *

انَّ قلب الانسان لايستطيع ان يحيا بدون

عية غير ان قوماً يحبّون الحقّ وقوماً يحبّون الباطل الاوّلون وهم الروحانيّون ينظرون الى باطن الاشياء والاخرون وهم الجسدانيّون يلاحظون ظواهر الاشياء . اولئك ينظرون الى الاشياء بعين الايمان وهؤلاء ينظرون الى هذه الاشياء بعين الجسد لا غير *

هذا ما يؤيّدهُ قول الرسول يهوذا في الاخير بن « انهم يفهمون الامور بالطبيعة كالحيوانات الغير الناطقة ففيها يفسدون » (ص ١ : ١٠) وقول حبقوق في الأوّلين : « البار بالايمان يحيا » (ص ٢ : ٤) *

٣ : وعليهِ فانّ البار يخرق دائماً بايمانهِ ظواهر الاشياء فينتهي بواسطتها الى ما ورائها فيجد هنالك ذاتاً ازليّة ابديّة جامعة فيها ملء وكمال المحاسن المنبثة في الخلائق كلّها اعمال يديهِ (ايوب ٣٤ : ١٩) وهذه الذات السامية التي لا ذات فوقها في الحُسن

والجمال والعظمة والمجد والبهاء هي يسوع المسيح ختن النفوس القدّيسة وحبيبها الوحيد « المكنونة فيهِ جميع ذخائر الحكمة والعلم » (قولس ٢ : ٣) *

فنحو هذهِ الذات الشريفة النبيلة بلا نهاية يصوّب البار جميع سهام حبّهِ وتغزّلهِ واليها يُصعد كعطرٍ ذكيّ كلّ شررٍ كَلَفهِ وودّهِ . فاذا شمّ وردةً اوطيباً او رائحة أُخرى وجّه للحال فكرهُ نحو حبيبهِ يسوع وقال لهُ في باطنهِ : « ادهانك طيّبة العَرف واسمُك دهن مهراق » (نشيد ١ : ٢) *

٢ : واذا شاهد اشجارًا او اكل اثمارًا قال : « كالتفّاحة في اشجار الغابة كذلك حبيبي بين البنين . قد اشتهيتُ فجلستُ في ظلّهِ وثمرهُ حلوٌ في حلقي » (نشيد ٢ : ٣) واذا سمع صوتاً رخيماً قال اسمعني صوتك يا حبيبي فانهُ لطيفٌ » (نشيد ٢ : ١٤) واذا ابصر وجهاً حسناً قال : « حبيبي أشقر ابيض

منتخب من بين ربوات . عيناهُ كحمامتين على مجاري المياه خدّاهُ مثل خميلة الطيب شفتاهُ سوسن تقطران مرًّا مائعاً . حلقهُ حلوٌ وكلّهُ شهوة هذا حبيبي وخليلي » (نشيد ٥ : ١٠ الخ) *

فهكذا يحيا الابرار وبهذا النوع يرتفعون من الارضيات الى السماويّات ومن الخليقة الى الخالق ويصونون حواسهم من الطيش عن الله غاية حبهم ويبلغون نظير بولس الرسول « الى احتساب الاشياء كلّها اقذاراً ليربحوا المسيح » (فيلبي ٣ : ٨) *

الفصل الثالث

في حكمة الابرار

« اني احببتُ الحكمة فوق العافية والجمال واتّخذتها لي نوراً لانّ ضوءها لا يغرُب فأُوتيت معها

كلَّ صنفٍ من الخير ونلتُ من يديها غنى لا يحصى» (حكمة ٧ : ١٠) *

فينجم مّما تقدّم انّ الرجل الحكيم العفيف ليس دون الجاهل الفاجر سعادةً (اذا كان للجاهل سعادةٌ كما يتوهمْ الكثيرون) . لانّ ما يحبهُ الحكيم ليس خليقةً من الخلائق لكنهُ « ضياء النور الأزلي ومرآة عمل الله النقيّة وصورة جودتهِ » (حكمة ٧ : ٢٦) « جميع الذهب بإزائها قليلٌ من الرمل والفضة عندها تحسب طيناً » (حكمة ٧ : ٩) *

٢ : غير انّ الانسان لا يقدران يحصل على حقيقة العفّة ويتخذ الحكمة الالهيّة عروساً لهُ فيكلف بها كما مرّ إن لم يُحسن خرق ظواهر الاشياء والارتقاء بواسطتها من السُفليّات الى العلويّات « ومن المصنوعات الى صانعها » (حكمة ١٣ : ١) *

لانّ الحكمة الالهيّة جميعُ نجدها في الداخل

(مز ٤٤ : ١٤) فمن يقف اذن عند الظواهر لا يبصر
شيئاً ولا يمكنهُ ان يصبو الى حسنها (مز ٤٤ : ١٣) *

ولذا كانت العفّة نادرة الوجود بين الناس
لانّ اكثرهم ضعيفو البصر قصيرو الاجنحة لا
يمتدّ نظرهم الى ما وراء المحسوسات ولا يستطيعون
ان يعلوا فوق افراح الجسد والخليقة . ولعدم علمهم
بافراح الابرار الباطنة الخفيّة يعدّون من يجانب
طُرُقهم ويخالف سلوكهم جاهلاً ميتاً وهو في الحقيقة
حكيمٌ فطنٌ حيٌّ (حكمة ٢ و ٣ : ١٥ و ٢) *

٣ً : ان الله قد رتّب بحكمتهِ ان تكون فطنة
الابرار وحكمتهم مستترة في هذه الدنيا « بل مزدراةً
وكلامهم غير مسموع » (جامعة ٩ : ١٦) وسمح
لغايات لا ريب في قداستها ان تكون حماقة
الاشرار ظاهرةً بيّنةً وان يكون « المنافق معتزّاً
منبسطاً مثل شجرةٍ نضرةٍ في ارضها » (مز ٣٦ : ٣٥) *

فيلوح للانسان اوّل وهلة انّ السعادة والحكمة للاشرار « اذ انّ المنافق يفتخر بشهوات نفسهِ (مز ١٠ : ٢) واماَّ الابرار فنصيبهم من الدُنيا الذلّ والهوان والحزن والهمّ والغمّ ولذا يكونون خاملي الذكر « مبغوضين عند الكلّ » (مت ١٠ : ٢٢) *

طوبى للانسان الذي يحترز من حكم عين الجسد ويسبر الاشياء بعين الايمان متحقِّقًا كلام رسول الامم لأَهل روميَّة : « ان فطنة الجسد موت واماّ فطنة الروح فهي حيوة وسلام . لانّ فطنة الجسد هي عداوة الله لانّها ليست خاضعة لناموس الله اذ لا تستطيع » (روم ٨ : ٦) *

٤َ : انّ ما يجلّهُ بنو العالم ويعدّهُ حكمةً وسعادةً هو الجمال الظاهر ومحبّة الجسد والخلائق . وطيّبات الدنيا ورغد العيش والايسار والايناس

والملاهي وما اشبه ذلك . بيد انّ هذا كلّهُ باطل لا نفع فيهِ لانّ جلّ ما يفعلهُ في الانسان هو انهُ بملاءَمتهِ اهواء النفس المنحرفة يزيد هذه الاهواء شدّةً والنفس عذاباً *

قال الحكيم : « اجلتُ في قلبي ان اختبر الحياة حتى ارى ما الخير لبني البشر فيصنعوهُ تحت السماء مدّة ايام حياتهم . فاتخذتُ لي مغنين ومغنّيات واصناف لذّات بني البشر وكلّ ما ابتغتهُ عيناي لم ادعهُ يفوتهما ولا منعتُ قلبي من الفرح شيئاً . ثم التفتُّ الى جميع اعمالي فإذا الجميع باطلٌ وكآبة الروح ولا فائدة في شيء تحت الشمس »

(جامعة ٢)*

فطوبى الرجل الذي يحتقر ويكفر بكلّ ما يجلهُ اهل الدنيا ويحفظ برارتهُ في وسط الشرور التي تحدق بهِ مقاوماً اهواءه واميالهُ الرديئة

وهاربًا من اسباب الخطيئة مهما تعاظمت قداستهُ وكثرت سجاياه وذلك « ليكون عضوًا موقَّرًا للمسيح » (اقور ٦ : ١٥) *

اجل « طوبى للرجل العفيف الذي لم تباشر يدهُ مأثمًا ولا افتكر قلبهُ بشرٍّ على الرب فانهُ سيعطى نعمةً سامية لأمانتهِ وحظًّا شهيًّا في هيكل الرب » (حكمة ٣ : ١٤) *

٥ : الهي ما احسن وما اجمل ما قالهُ عبدك اوغسطينوس اذ اراد الشيطان ان يغريهُ ويسوقهُ الى الشر . فانهُ اجاب قائلًا : « لأَشياء عظمى وُلدتُ » اجل يا رب انك كنت قادرًا ان تصنع من فطرتي اناء للهوان بتركك ايّاي اتبع اهوائي . غير انّك شئت فرحمتني فأَتيت بي من تيه الاباطيل الى معرفة اسمك القدوس ومحبَّتك لتصنع من فطرتي اناء للكرامة يحمل اطياب فضائلك

الذكية ولذا يحق لي ان اقول الان مع القديس اوغسطينوس الجليل : « لاشياء عُظمى وُلدتُ » او مع داود النبي : « حبال التقسيم وقعت لي في اراضي خصبٍ وميراثي حسنٌ جليل » (مز ١٥ : ٦) *

فارتضِ يا رب ان تتمّ فيّ رحمتك هذه الغزيرة بحفظك اياي على الدوام من كثرة المخاطر التي تحدق بي من كل صوبٍ وجانب فأُباركك الى الابد *

الفصل الرابع

في عداوة الابرار لاجسادهم

« إن كان احدٌ ياتي اليّ ولا يبغض اباهُ وامّهُ وامرأتهُ واولادهُ واخوتهُ واخواتهِ بل نفسهُ ايضاً فلا يستطيع ان يكون لي تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٢٦) *

انّ البار لا يبغض احداً في دنياهُ غير جسدهِ

وليس لهُ عدوٌّ على الارض سوى جسدهِ ايضاً ولذا لا ينفكّ في الليل والنهار يناضل هذا العدو تارةً بالصوم وتارةً بالسهر وأُخرى بالركوع المستطيل وأُخرى بغير ذلك من الاماتات والاعمال الشاقّة ولا يامن شرّهُ حتّى يفنى ويعود الى اصلهِ اعني الى الارض التي جُبل منها *

وفي الحقيقة اذا كنّا نعدّ عدوًّا من يريد لنا الشرّ في هذه الدنيا فكم بالأحرى كثيرًا يجب علينا ان نعدّ عدوًّا من يريد شرّنا وهلاكنا في العالم المقبل . فلا ريب انّ الجسد بهيجانهِ لا يطلب سوى ان يقتل النفس ويُهلكها الى الابد بافعالٍ يحجب عنّا اوّلاً شدّة قباحتها واقذارها وعواقبها واذا لم نسرع ونبعد عنهُ سبب هيجانهِ او نقمعهُ بالتقشّفات فلا يلبث ان يعتو ويدمّر على النفس دُمورًا *

٢ : وما هذا الجسد الذي يُشغل فكرك مهما

كانت هيئته الاّ قشرة فانية تغشّي نفسك وسيعود عن قريب الى الفساد والتراب ويترك نفسك هذه بفضائلها او رذائلها لتتنعّم او تتعذّب الى الابد. وما هي افراح الجسد بجانب الافراح الباطنة والسماويّة التي لأجلها خلقتَ واليها دُعيتَ الاّ افعال تساويك بالبهائم وتحطّ قدرك. لا تنخدع بما تجد حواسُّك في تلك الافعال من الايناس والاستلذاذ لانّ ذلك الوقت قصير وجيز يخلّف لك في الحال جانبًا عظيمًا من الخجل والعار والاضطراب مدّة حياتك كلّها وربما يكون سبب هلاكك ايضًا *

قال القدّيس ايرونيموس : انّ الشيطان اخزاهُ الله يوسوس كثيرًا الى المتبتلين ويثير في صدورهم هواجس اللذّات الشهوانيّة فيصوّرها لهم الذّ كثيرًا جدًّا مما هي في ذاتها وحينئذٍ يضطرب البتول.

لانهُ من شان الانسان ان يستحلي ما يجهلهُ وكما انّ الفراشة اذا نظرت لهيباً تتطاير حولهُ بغباوة لتمتحن هل لذّة اللهيب تضاهي جمالهُ فتحترق في الاخر. كذلك الاحداث فكثيرًا ما يرمقون لهيب الشهوة بالافكار الدنسة ومن قبل هذه الافكار يتنازلون الى امتحان لذّتها الكاذبة فيبيدون فيها ويشقون *

٣: فكاشف يا صاح جسدك بعداوة لا تنتهي الّا بنهاية حياتك واحرمهُ ما استطعت من طيّبات الدنيا ومن كل شيء يلذّ لهُ سيّما مصاحبة الاشخاص الذين تضرّك معاشرتهم وتهيّج فيك الاهواء الرديئة. واعلم انّ السنين الكثيرة التي صرفتها في العبادة وتهذيب نفسك وتقويم سُبلها لا تستطيع ان تقيك الشر إن لم تداوم حتى النفَس الأخير من حياتك على مجانبة اولئك الاشخاص *

من يجتنب كلّ سببٍ يفضي بهِ الى الشر يتنعم

منذ الآن براحة وسلامة تُجَلّان عن الوصف وكلّما صبر على غصص التجارب وظفر بها زادت راحتهُ وسلامتهُ واعدّ لهُ في السماء اكاليل لا تذبل زهورها ولا تسرق جواهرها *

الفصل الخامس

في الامانة الباطنة

« لا تكن تابعاً لشهواتك بل عاصِ اهواءك »

(سيراخ ١٨ : ٣)

الامانة الباطنة هي الامساك عن اشياء يستطيبها الانسان طبعاً كزيارة الاحباء او النظر الى الفُرج او اطالة الكلام مع من تسرّنا مكالمتهُ وغير ذلك . فمن اراد ان يصون عفتهُ ويسلم من كثرة المخاطر ينبغي لهُ ان يكثر من هذه الامانة ويفضّلها على

الاماتة الجسديَّة اذ ان هذه لا تفيد دون تلك *

انَّ الاماتة الباطنة لا تخلو من مشقّات غير انَّ عواقبها حيدة جيدة اذ انَّ الحروب والخصومات والاحزان والقلاقل تنشأ كلها من اهوائنا غير المقهورة . (يعقوب ٤ : ١) *

لو كانت امّنا حواء اماتت رغبتها في الاكل من الثمرة المحرّمة لما كان نزل بها و بذريّتها كل الشرور والبلايا التي نراها الان راي العيان : ولو كانت دينةُ ابنة يعقوب امتنعت عن الخروج لتنظر الى بنات شخيم لما كان حلَّ بها من الذل والهوان ما اثار نيران الحرب بين اخوتها واهل ذلك البلد . وقس على هذين المثلين سائر الشرور والفتن التي تحدث في العالم لعدم اماتة اللسان او العين او غيرهما من حواسّ الجسد *

٢ً : انَّ الله لم يترك فينا شوكة الجسد ويسمح

غالباً بأن نشعر بها الآ لكي نقوى عليها بنعمتهِ فنبين بعملنا هذا اننا تلاميذ المسيح وبنو الله ولذا لمّا طلب رسول الامم من الرب يسوع ان يعتقهُ من شوكة الجسد اجابهُ قائلاً : « تكفيك نعمتي لانّ القوّة انما تكمل في الضعف » (٢ قور ١٢ : ٨) *

من اراد ان يتبع اهواءهُ ولا يميتها او يخضعها للعقل ونور الايمان فأيُّ فضلٍ لهُ على البهائم والعجماوات وعليهِ فانّ قلب الانسان منجم يستخرج منهُ الرجل الحكيم الفطن كنوزاً لا تفسد وانّ ما يزرعهُ الانسان فاياهُ يحصد لانّ الذي يزرع لجسده فمن الجسد يحصد الفساد ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد الحيوة الابديّة (غلاطية ٦ : ٨) *

فامت اذن بادئ بدء مخيلتك ولا تدع الافكار تتلاعب بك حتى تغادرك هي من تلقاء ذاتها فاذ ذاك لم تكن انت قد تركتها بل هي تركتك والسبيل

الى تركها هي اشغال فكرك بحياة يسوع المسيح والآمه او بامورٍ لا علاقة لها بالافكار التي تطلب طردها *

وامت ايضاً رغبتك في معرفة امور لا تعنيك ولا تفيدك معرفتها . ايُّ ضررٍ يلحق بك ان عشت ومتَّ وانت كالطفل لا تعرف من امور هذه الدنيا سوى ما يقرّبك من الله ويبعدك عن الشر *

٢ : فدع الموتى يدفنون موتاهم . دع الخرنوب للخنازير . دع النجاسة للنجسين واطلب انت بالأحرى منّ السماء وخبز البنين *

انّ الاشرار يطوّبونك في الباطن وان كانوا في الخارج يشنّعون عليك لانّك نُحة موتٍ لهم (قور ٢ : ١٥) ويرغبون كلّ الرغبة في الحصول على شيء من راحة بالك وسلامة ضميرك فاجتنب اذن طرقهم وابغض افعالهم مهما لاحت لفسادك شهيةً لانّ في طيها سمّا ذُعافًا *

ولكن اياك وان تحتقرهم وتدينهم لانَّك قد كنت حيناً تسلك في خطاياك حسب دهر هذا العالم وعاشرتهم قبلاً في شهوات الجسد اذ كنت تعمل باهواء الجسد والافكار وكنت بالطبيعة ابن الرجز كالباقين «والله الذي هو غنيٌّ بالرحمة من اجل حبهِ الكثير الذي احبك بهِ حين كنت ميتاً بالخطيئة احياك مع المسيح ليظهر في العالمين الاتية عظم غنى نعمتهِ لانك بالنعمة نجوت ولم يكن ذلك منك انهُ عطيَّة الله لا باعمال لئلاَّ تفتخر لاننا نحن خلقتهُ مخلوقون بيسوع المسيح للاعمال الصالحة التي قد سبق الله فاعدَّها لنسلك فيها» (افسس ٢) *

فليكن اذن شكرك لله عظيماً وكذلك خوفك وتيقظك لانَّ النعم تاتيك بغير استحقاق بيد انها لا تؤخذ منك الاَّ باستحقاقك وذنبك ولذا ينبهنا يوحنا الرسول قائلاً: «احتفظوا بانفسكم

لئلاّ تضيعوا ما قد عملتم بل تنالوا الاجر كاملاً »
(٢ يوحنا ١ : ٨) *

الفصل السادس

في افراح العالم

قال المنافق : « تعالوا نتمتّع بالطيّبات الحاضرة ونبتدر منافع الوجود ما دُمنا في الشبيبة ونتروَّ من الخمر الفاخرة وننضمّخ بالأَدهان ولا تفتنا زهرةُ الأَوان ونتكلّل بالورد قبل ذبولهِ ولا يكن مرجٌ الاّ وتمرّ لنا فيهِ لذّةٌ ولا يكن فينا من لا يشترك في اذّاتنا ولنترُك في كلّ مكان آثار الفرح فانّ هذا حظّنا ونصيبنا » (حكمة ٢) *

فقالت النفس العفيفة : يا يسوع حبيبي ما لي ارى أُناسًا كثيري العدد يفوهون بمثل هذه الاقاويل

وهم على ما يلوح لي في سعادةٍ ونعيمٍ . وانا محرومة كلّ تعزية بشريّة وسلوان واذا اردتُ « ان اختبر الحماقة حتى ارى ما الخير لبني البشر فيصنعونهُ تحت السماء مدّة حياتهم » (جامعة ٢ : ٣) فلا اجد في هذا اختباري سوى العذاب والقلق والاضطراب والندامة *

فما معنى هذا الفرق يا رب ولماذا اناسٌ يتمسكون بالاباطيل فيسعدون ويتنعمون واناسٌ لا يستشهدون راحةً الاّ في اجتناب تلك الاباطيل والكفران بها « صديق يهلك في برّهِ ومنافق تطول ايّامهُ في شرّه » (جامعة ٧ : ١٦) *

اجاب يسوع وقال : اسمعي يا امتي الامينة كلامي واتّخذيهِ تسليةً الكِ في وسط احزانك واشجانكِ : « انّ الاوّلين الناسَ احتسبوا حياتهم لُعباً (حكمة ١٥ : ١٢) فأسلموا عتوهم الى الفساد

وصرفوا اعينهم لئلاّ ينظروا الى السماء فيذكروا الاحكام العادلة (دانيال ١٣ : ٩) فضلّوا لان شرّهم اعماهم فلم يدركوا اسرار الله ولم يُرجّوا جزاء القداسة ولم يعتبروا ثواب النفوس الطاهرة (حكمة ٢ : ٢٢) ثم لم يكتفوا بضلالهم في معرفة الله لكنّهم غاصوا في حرب الجهل الشديدة وهم يسمّون مثل هذهِ الشرور سلاماً (حكمة ١٤ : ٢٢) فأتركهم يتنعمون على الارض ويلهون ويربّون قلوبهم كما ليوم الذبح » (يعقو ٥ : ٥) *

« فلا تسعي انتِ يا عروسي الحبيبة الأَمينة كما يسعى سائر الامم بباطل رأيهم اذ انهم مضلّون في فكرهم متغرّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم . اولئك الذين قطعوا رجاءهم واسلموا انفسهم للدعارة ليعملوا النجاسة كلّها بالطمع واما انتِ فليس هكذا تعلمتِ»

(افسس ٤ : ١٧) *

« وكوني عالمةً هذا ناهمةً . انّ كلّ زانٍ او نجس او طمّاع ليس له نصيب في ملكوتي لا يضلّك احدٌ بكلام الباطل . فانّهُ من اجل هذه الامور يأتي زجر الله على ابناء المعصية فلا تكوني لهم شريكةً لانكِ قد كنتِ من قبل ظلمةً واما الان فانكِ نور بالرب فاسعي اذن سعي اولاد النور وكوني لي شاكرةً في كلّ حين . » (افسس ٥) *

٢ : اما الفئةُ الاخرى من الناس الذين لا يأنسون بشيء من افراح العالم ولا يستطيبون الارضيّات والزمنيّات فهم الجيل العفيف وشعبي المختارهم اولاد ابراهيم المحقّون وبنو الملكوت « دخلت الحكمة قلبهم ولذّة نفسهم العلم » (امثال ٢ : ١٠) فأَنفوا كلّ شرّ واستقبحوا كلّ جهل . ولانّهم لا يزالون بشراً فيفرط منهم بعض الاحيان عن ضعف لا

عن خبثٍ بعض هفوات اسمح بها في حكمتي لغايات مقدّسة فتشعر اذ ذاك نفسهم الزكيّة الرقيقة بقباحة صنيعهم فيندمون ويبكون وينوحون حتى تعود اليهم سكينتهم الأُولى ولذا قد سبقتُ فسلّيتهم قائلاً : «الحق الحقّ اقول لكم : انّكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح وانتم ستحزنون ولكن حزنكم يؤول الى فرح» (يو ١٦ : ٢٠) *

فكوني ياامتي العزيزة متشبهة : بهؤلاء واعتبري الذين يسيرون هكذا لان كثيرين يسيرون خلاف ذلك وهم اعداء صليبي «اولئك الذين عاقبتهم البوار الذين الههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين همتهم في امور الارض فامّا معاشرتنا نحن فهي في السموات» (فيلبي ٣ : ١٧) *

٤ : قالت النفس : « ليكن اسمك يا رب مباركاً من الازل والى الأبد فان لك الحكمة والجبروت .

وانت واهب الحكمة للحكماء والعلم لعارفي الفطنة . انت كاشف الاعماق والخفايا وعالم ما في الظلمة وعندك يحلّ النور . اليك اعترف يا اله آبائي واياك اسبّح لانك وهبت لي الحكمة والقدرة » (دانيال ٢ : ٣٠) *

« هاءنذا قد طفقتُ اتكلّم امام سيّدي وانا تراب ورماد » (تك ١٨ : ٢٧) فلي سؤالٌ آخر اسالك يا رب ان تجيبني عنهُ وهو « ايأخذ انسان نارًا في حجره ولا تحترق ثيابهُ . ام يمشي احدٌ على الجمر ولا تكتوي قدماه » (امثال ٦ : ٢٧) فكيف اذن ارى كثيرين يجاهرون بحبك يا الهي وهم لا يعبأون بمخاطر الدنيا فيجالسون بني العالم ويشاركونهم في احاديثهم السمجة وافراحهم الباطلة ويماثلونهم في المآكل والمشارب ومع ذلك يلوحون لي صالحين ورعين محبوبين موقّرين فكيف لا يغبّر الشر عقلهم

ولا يُطفئُ الغش نفسهم لان سحر الاباطيل يغشي الخير ودوار الشهوة يطيش العقل السليم (حكمة ٤ : ١١) *

٥ً : اجاب يسوع وقال : « ليس كلُّ من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السموات » (مت ٧ : ٢١) *

« انّ هؤلاء الانام افتتحوا امرهم بالروح وقبلوا كلمتي بفرح ولما نزلت بهم النوازل وحدثت عليهم الحوادث لم يقووا عليها لتوانيهم الذي رجوهُ من معاشرتهم بني العالم فختموا امرهم بالجسد واحتملوا هذه الاشياء عبثاً » (غلاط ٣ : ٤) *

« فاحذري يا نفس من هؤلاء الانبياء الكذبة الذين لباسهم لباس الحملان وهم من داخل ذئابٌ خاطفة (مت ٧ : ١٥) انّي قد حلفتُ برجزي انهم

لا يدخلون راحتي لانّ من لا يتالّم معي لا يتمجّد معي ايضًا» (روم ٨ : ١٧) *

«واعلمي انّ الدخول الى بيت النياحة خيرٌ من الدخول الى بيت الوليمة والحزن خيرٌ من الضحك لانّهُ بكآبة الوجه يُصلح القلب ولكن احذري الافراط في ذلك لئلاّ تكوني في وحشة» (جامعة ٧ : ٣ و٤ و١٧) *

٦ : قالت النفس: «يا يسوع حبي ان احكامك عظيمة لا يُعبّر عنها ولك سلطان الحيوة والموت فتُحدِر الى ابواب الجحيم وتُصعد (حكمة ١٦ : ١٣) وليس لملكٍ او سلطانٍ ان يطالبك بالذين اهلكتهم لانّك عادلٌ تدبّر الجميع بالعدل وتحسب القضاء على من لا يستوجب العقاب منافيًا لقدرتك لان قوّتك هي مبدأ عدلك وبما انّك ربّ الجميع فانت تشفق على الجميع» (حكمة ١٢ : ١٤) *

وقد اشفقت عليّ اذ لم اشفق انا على نفسي لانكّ اعطيتني وقتاً لأَتوب واَقلع عن الشر وادّبتني تاديب الام لوحيدها . واذ كنت مستوجباً العقاب صفحت عني والقيت جهالاتي وراء ظهرك وفهمتني بوخز ضميري الذي سلب مني كل راحةٍ وحوّل جميع افراحي الى نياحة وضحكي الى دموع ان لا سعادة للانسان في دنياهُ الاّ في عفاف حبّك وحفظ وصاياك بضبطٍ (مز ١٢٨ : ٤) *

« فالك يا رب اذبح ذبيحة الشكر واوفي نذوري لك قدّام كلّ شعبك لانّك انقذت نفسي من الموت وعينيّ من العبرات ورجليّ من الزلق . الهي انت فاشكرك الهي انتَ فارفعك » (مز ١١٤ و١١٥ و١١٧) *

الفصل السابع
في الاعتصام بالله

« حد عن الشر واصنع الخير فتعمر الى الابد » (مز ٣٦ : ٢٧) *

قالت النفس: ما اصعب هذا الكلام على من يعيش بين اناسٍ « طرقُهم معوّجة وسُبلهم ملتوية » (امثال ٢ : ١٥) ما اصعبهُ اذ تتلبّد غيوم الشهوة وتتكاثف في سماء العقل السليم فيمسي عاجزًا عن تمييز الخير من الشر وقبول انارة الحق وكانّهُ بالجميع يقولون لهُ « ليس لهُ خلاص بالاههِ » (مز ٣ : ٣) *

اجاب يسوع وقال : « اتكلي عليّ ايتها النفس حبيبتي واصنعي الخير . فوّضي اليّ طريقك وانا اصنع. خلاص الصدّيقين من قبلي هو وانا اعضدهم في زمان الضيق واعينهم وأُنجيهم وانقذهم من الاثمة

واخلّصهم لانّهم لاذوا بي» (مز ٢٦) *

«السَّتُ انا الذي انقذ لوطاً البار حين كان مُعنًّى من تصرّف الفجار في العهارة لانّ ذلك الصدّيق الساكن بينهم كان يوماً فيوماً يتنغّص في نفسهِ الزكيَّة ممّا يرى ويسمع من اعمالهم الفاحشة. اذن اعلم انا ان أُنقذ الاتقياء من التجربة وأن أُبقي الاثمة الى يوم الدين للعذاب» (٢ بطرس ٢ : ٦) *

قالت النفس: اجل يا رب ليس عندك امرٌ عسير وكلّ شيءٍ لديك مستطاع ولذا انت رجائي ومتَّكلي منذ حداثتي عليك استندت من الحشى ومن بطن أمّي انت وليّي (مز ٧٠ : ٥) عليك اتّكل آباؤنا فنجّيتهم اليك صرخوا فخلصوا عليك اتكلوا فلم يخزوا (مز ٢١ : ٥) *

ولكن ما لي اراني مع ذلك معذّبةً بكثرة المحن والافكار وكاني بها تهدّدني بلسان حالها قائلةً :

« قد اتكل على الرب فلينقذهُ ويخلّصهُ اذا ارادهُ »
(مز ٢١ : ٩) *

اجاب يسوع وقال : ما لكِ تتعجّبين يا نفس من شعوركِ احياناً بفساد طبيعتكِ . اتظنّين انّي أعصم من تمرّد الجسد من يتّكل عليّ . ولما لا تذكرين بالأحرى ان النجاسة تستحيل الى قداسة اذا ابيتِ الانطاخ باوضارها مع شدّة ميلكِ وانعطافكِ اليها . وانّ ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونهُ . فكلّما شعرتِ اذن برداءتك وبؤسكِ تذلّلي امامي وجدّدي اتكالك عليّ متمسكةً بتعاليم الحكماء ومشوراتهم فياتيكِ للحال عوني ولا يبطؤ « والذي اعاقب بهِ المقاومين هو الذي اجذبكِ بهِ اليّ واُمجّدكِ » (حكمة ١٨ : ٨) *

الفصل الثامن

في ترتيل الاناشيد والمزامير الكنسي

« وليسبحوه في مجلس المشايخ » (١٠٦ : ٣٢)

انهض ايها النائم فينيرك يسوع المسيح . قم ايها الكسلان ها ان الجرس يقرع ها ان يسوع يدعوك فانهض سريعاً لان في التاجيل خطر *

ها ان يسوع مقبل مع مريم وينتظرك جوقٌ من الملائكة مع الاكليل الذي يمكنك ان تستحقهُ في هذه الساعة *

بيد ان الشيطان ينفخ في أُذنيك قائلاً : اضّجع ونم ايضاً قليلاً فالوقت متقدّم ويمكنك مع تاخّرك ان تحضر في الوقت المعيَّن . فهكذا يملّقنا جسدنا الضعيف وهكذا يسحبنا وراءهُ العدو المحتال فانهما بذلك يُقنعانا ويكتسبانا اذا اذعنّا لهما وعُدنا نمنا *

وبالحقيقة ليس من شيء مهما كان صالحًا مقدسًا جيدًا الهيًّا نافعًا الاَّ ويجتهد الشرير بأن يمنعهُ ويفسده *

« يا رب أليس زرعًا جيدًا زرعتَ في حقلك فمن اين صار فيهِ زيوان . انسان عدوٌّ فعل ذلك *

٢ً : ولكن يارب كيف اقلع هذا الزيوان فيجيب بطرس الرسول قائلًا : « قاوموا ابليس راسخين في الايمان » (ا بطرس ٥ : ٦) ويقول كذلك يعقوب الرسول : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » (يعقوب ٤ : ٧) فاذا ساقك الى الشر لا تقبل واذا اراد ان يُغريك بتلذذات الجسد فارذُلها ودُسها برجليك والقها عنك بعيدًا جدًّا *

استغث بيسوع وبروحهِ القدوس واهب النعمة للمتواضعين واطلب مواهبهُ كلَّها فيُعطيك قوَّة الظفر بخبث الشيطان لانَّ الروح القدس لا يزال يلقّن النفس افكارًا صالحة تسوقها الى التواضع والطهارة

والقناعة والاحتشام والوداعة والبساطة والرافة والعبادة والشوق الى السماء الابديّة *

غير انّ الروح النجَس الممتلىء خبثًا فانّهُ امّا يرشد الى الشر بنوع صريح وامّا اذا اراد ان يسوق الى الخير فيفعل ذلك لكي يخدع ويغش فهذا الاستاذ في كلّ حيلة يحاربنا بانواع مختلفة واذا طُرد عاد بتجاربهِ كالسابق إن عملت الخير يبكي واذا عدلت عنهُ يضحك ولا يزال مع ذلك يسوقك الى الشرّ *

٣ : فتلفّظ دائمًا بمزمورٍ خاشع واجعل اسم يسوع العذب في قلبك واسم مريم المقدّس على شفتيك لانّ العدو النجس يهرب بعيدًا عنك عند استماعهِ هذين الاسمين *

وكلّما تلفّظت باقوال مقدّسة رشقتَ العدو باسهمة حادّة ومتى تركت الصلوة والقرآءة ياخذ العدو بالاستظهار عليك وبالانشراح ولكن اذا

داومت بهدو اخزيت المتكبّر فيهرب *

اطرد قبل الصلوة كلّ الاشياء الحاضرة وفي اثناء الصلوة استحضر يسوع المسيح طفلاً في مذوده او مصلوبًا فوق الصليب وبعد الصلوة احمد الله واشكرهُ وحيثما ذهبت امكث مع يسوع *

اختم جميع اعمالك وافكارك واقوالك بهذا الكلام : « ليكن الرب مباركًا عن كلّ خير في السماء وعلى الارض » *

الفصل التاسع

في اعياد يسوع المسيح وذخائر القديسين

« يا رب احببتُ معانَ بيتك وموضع محلّة مجدك » (مز ٢٥ : ٨) *

الهي انّ احتفالات اعيادك وذخائر قدّيسيك

الموقّرة في اماكن كثيرة تزيّن بيتك بتنوّع جليل لا نهاية لهُ وتحرّك بنوعٍ عجيب عبادة المومنين على تسابيحك *

يا رب انّك قد زيّنت السماء بالملائكة والقدّيسين والفضاء بالشمس والقمر والنجوم والجوّ بالطيور والبحار بالاسماك والارض بالبشر والحيوانات وكثرة الخيرات التي خلقتها لاستعمالنا *

والان في آخر الازمنة قد جُدت علينا بذاتك ووهبتنا ايّاها في سرّ القربان طعاماً شبيهاً بمنّ لذيذ لكيلا نحرم في هذا العالم من الله ومن خبز الملائكة ولذا فكلّ مكان وكلّ كنيسة يُقرّب فيها القربان او يُحفظ يستوجبان الاكرام نظير الكتب والآنية والاثواب المستعملة لخدمة الله *

٢ : فانظر اذن الى اعمال الله العجيبة في الكنيسة المقدّسة واعتبر انّ هياكل يسوع المسيح

والقدّيسين هي مراكز المسيحيّين التي ينبغي لهم فيها ان يسهروا ويصلّوا ويحاربوا الشيطان *

انّ اعياد يسوع المسيح والقدّيسين تشير الى افراح السماء حيث يملك الآن مع يسوع المسيح من احتقر العالم *

انّ اسماء القدّيسين وعلى الخصوص اسمَي يسوع ومريم هي آفات وصواعق للشياطين تُهيلهم بحيث انّهم يهربون من امامها . انّ اعمال القدّيسين تشجّع قلب الصغار ليداوموا على العمل ويتبعونهم في الطريق الضيّقة *

انّ كتابات القدّيسين هي مصابيح للسوّاح لكيلا يتيهوا في الشر بل يؤمنوا في اقوال القدّيسين ايمانًا ثابتًا *

انّ عجائب القدّيسين تبطّل اعمال الاشرار لكيلا يجوروا على الصالحين ويفتخروا بشرّهم . انّ

عظام القدّيسين تؤيّد ايمان الشعوب لكيلا يخافوا الموت بل يرجوا القيامة مع الابرار *

٣ : انّ ايقونات القدّيسين تنشّط نفوس العابدين على محبّتهم وتكريمهم لكي يصلّوا لاجلهم وهي للعاميّين كتب يقراون فيها ما ينبغي لهم عمله والغاية التي اليها يجب عليهم ان يتّجهوا *

انّ التراتيل في الكنيسة تحرّك قلب الفاترين وتثير فيهم الشوق الى مكافآت الطوباويّين الابدية *

فلنصلِّ اذن جميعاً باتفاقٍ مستغيثين بيسوع المسيح وليرتضِ ملكُ الملائكة ان ينقلنا الى جماعة سكّان السماء آمين *

الفصل العاشر

توصية بالكتب المقدّسة

« يا بنيّ اتّخذ التاديب منذ شبابك فتجد الحكمة الى مشيبكَ » (سيراخ ٦ : ١٨)

فاذن تعلّم قبل كلِ حرفة قراءة الكتاب المقدّس واحسن ادراكهُ آمن بهِ ايمانًا ثابتًا وسِر بعدالة واستقامة لكي تتوفّق للبلوغ بمعونة يسوع المسيح الى الحيوة الابديّة لانّ الجهل في شريعة الله يولّد الضلالة والموت ويمنع التامّل ويعطّل الفضيلة ويسبّب الهلاك *

غير ان كلام الله وتاديب يسوع المسيح هما نور الحيوة وخلاص العالم وباب السماء وقوت النفس وسعادة القلب الذي يُحبّ الله فوق كلّ شيء *

ترهّب شاعرٌ تقيّ فقال : من يعرف كثيرًا ويجهل يسوع المسيح فلا يعرف شيئًا . ومن يُحسن معرفة يسوع المسيح فحسبه ذلك وان جهل كلّ ما تبقّى اي الاشياء التي لا تستطيع الاّ مضرّتهُ *

٢ : فلا ينبغي لك اذن أن تفضّل شيئًا على الكتب المقدّسة او على يسوع المسيح او تعادلُ بهِ شيئًا فانهُ قال : « انا هو باب الخراف كلّ انسانٍ يدخل فيَّ يخلص » وقال ايضًا : « انا هو الطريق والحق والحيوة » لا يُقبل احدٌ الى الآب الاّ بي ولا يخلص احدٌ من الجحيم ويدخل الملكوت الاّ بي ايضًا *

ولذلك قال هامة الرسل مخاطبًا اليهود : « ليس تحت السماء اسمٌ أُعطي للناس وبهِ يجب ان نخلص غير اسم ربنا يسوع المسيح ابن الله » *

الفصل الحادي عشر

في آداب الاخ الوضيع وفي رذائل المتكبّر والكسلان

« الرب التفت الى صلاة المتواضعين ولم يرذل طلبتهم » (مز ١٠١ : ١٨)

يا لهُ تعليمًا جليلاً يعلّمنا ان نصلّي بتواضع ولا نيأس من رحمة الله*

فانظر يا رب الى ذلّي وتواضعي وسقمي ونقائصي اليوميّة واغفر لي كل خطاياي من اجل اسمك القدّوس واستحقاقات قدّيسيك الذين في السماء وابرارك الموجودين على الارض . لا تدع يا رب رجل الكبرياء تطأني والمجد الباطل يُغريني والحزن الرديء يوهنني ولا تدع ايضًا الاحتقار يقلقني لئلّا اخطأ اليك بفراغ صبري وكن يا الهي وراحمي معضدي في الخير ومحاميًا عنّي في الشر لانك انت رجائي

منذ حداثتي وتسليتي في جميع ضيقاتي وانت وحدك خلاص وجهي ونيك فقط كلّ قوّتي ومجدي امين*

في الاخ الوضيع

٢ : انّ الاخ الوضيع العابد يحب الفقر . وهو في البرارة عِبرة وللأُلفة الاخويّة صديق وللأدب تلميذ وللسلام محبّ وللبساطة تابع وللصبر خادم وللطاعة ابن وللعفّة حارس . تراهُ قاسياً على ذاتهِ لطيفاً نحو قريبهِ يطلب الاختلاء ويهرب من الضوضاء يحبّ السكوت ويجتنب اطالة الكلام . يتقد شوقاً الى الانقطاع لله فقط ويحتقر كلّ الاشياء الارضية راغباً كلّ حين بان يكون مع يسوع المسيح *

في الاخ المتكبّر

٣ : ليس كذلك الاخ المتكبّر فانّ هيئتهُ تشير

الى الجسارة والصلابة ويكثر من الخروج والتكلّم
وهو لكثيرين ثقلٌ وملَلٌ يحتدّ بسهولة ويطلب الغفران
بصعوبة · ثمّ انّهُ يطلب فائدة نفسهِ ويهمل عائدة
العموم وبالنادر يكون مسرورًا ولا يوجد السكوت
في باطنهِ ابدًا *

في الاخ الكسلان

٤ : امّا الاخ الكسلان فتراهُ دائمًا كالسقيم ياتي
بعد الجميع في كل مكان وكلّ حين ويتأخّر عن
الشغل ولا يلبث ان يهملهُ وهو على البطالة والنوم
منكبٌ وفي الخروج سريعٌ وفي الدخول بطيءٌ وعلى
المائدة جذلان وفي ايّام الصوم كئيب . وقت النوم
نشيط وعند الاستيقاظ ثقيل . في المحراب صوتهُ
أبحّ وللتكلّم ملازم . في الطاعة أصم وفي الشغل
اعرج . انّ فتور القلب داءٌ جسيم في النفس يولّد

الضجر من الشغل ويسوق الى طلب التسليات الخارجيّة البخسة الثمن *

فليس دواء انجع لهذا الداء من مباشرة الاعمال الصالحة بغيرةٍ وملازمة القراءات المقدّسة بطيبةٍ والمداومة على الصلوة العقليّة والتأمُّل في آلام المسيح *

من اراد ان يستظهر على رذائلهِ فينبغي لهُ ان يغصب طبيعتهُ غالبًا ويستمدّ بتذلُّلٍ نعمة يسوع المسيح ويتوقّعها بصبرٍ *

الفصل الثاني عشر

في الكفران بالذات وبكل شيء

« كلّ واحد منكم ان لم يرفض جميع اموالهِ فلا يستطيع ان يكون لي تلميذًا » (لو ١٤ : ٣٣) *

ايّها الرب الهي ان هذا الكلام يلوح لي صعبًا

جدًّا ومن يستطيع ان يحفظهُ *

١ : اسمع يا ابني فاعلّمك وما قلتهُ لا يكون لديك ثقيلاً وغير ممكن . احببني واترك نفسك فتجدني في كلّ مكان وزمان . اني انا الخير الاعظم والشهيّ لنفسك فوق كل شيء . هاءنذا قائم على باب قلبك اقرعهُ فافتح لي لكي ادخلهُ انا خلاصك وحياتك *

اني كلٌّ في كلّ شيء ويجب ان اكون محبوباً وممدوحاً فوق كلّ شيء . اني لك بكليتي حاضرٌ هنا وفي كلّ مكان غير انّ الأعمى لا يراني والاصمّ لا يسمعني والجاهل لا يفهم هذهِ الاشياء *

فكن انت لي بكلّيتك ولا تطلب ذاتك في شيء فتذوق عذوبة الهك الفائقة كلّ عذوبة *

٢ : يا رب ان اقوالك صادقة وكلّ ما تقولهُ يعجبني فأريد الوقت ان اترك ذاتي من اجلك

لئلا اتأخر عن وجدانك فليكن كلٌّ منّا في الآخر انت فيّ وانا فيك بواسطة الحب الذي تسعرهُ فيّ *

يا رب اسألك ان تمكث قريباً مني بالحب لئلاّ اضعف اذا ما تركتني كالمنفي في نفيهِ وكالسائح في الطريق *

اعضدني فاخلص واتأمّل في جميع طرقك واقوالك واعمالك في الليل والنهار احبك يا رب قوّتي حباً خالصاً كاملاً من اجلك واحبّ كلّ اعمالك من اجلك ايضاً ومن اجلك احبّ نفسي واحبك دائماً فوق نفسي وفوق كلّ شيء بل فوق كلّ الخيرات التي في السماء وعلى الارض *

انك وحدك تكفيني كفايةً تامةً كاملةً ولذا لا اطلب ولا اريد شيئاً سواك انت الاله المبارك مدى الدهور قبل كلّ شيء وفوق كلّ شيء وفي كلّ شيء *

الفصل الثالث عشر

في الشوق الى الافراح السماوية

« طوبى للساكنين في بيتك يا رب فانهم يسبّحونك مدى الدهور » (مز ٨٣ : ٥)

انهم يسبّحونك فيا لهُ قولاً عذباً سماوياً . انهم يسبّحونك فاياك يسبّحون لا ذواتهم وذلك بعزوهم اليك جميع الخيرات وبدون ان ينسبوا شيئاً منها لذواتهم باطلاً *

ولكنهم كيف يسبّحونك ان تسابيحهم تكون رفيعةً خاشعةً طاهرةً عذبةً حرّةً باهرةً اكيدةً سعيدةً في الغاية فاي شيء اعظم من هذا *

لا تطلب شيئاً افضل واعظم لان الله هناك حاضرٌ بكليتهِ ومعظَّمٌ وواهبٌ لجميع الاشياء ومُعطي الغبطة للجميع ولكلٍّ منهم في المجد *

٢ : فيا لها حيوةً سعيدةً حقًّا جديرةً بكل مدحٍ ومتناهاةً لحبٍّ سامٍ وشوقٍ غير متناهٍ. ففي تلك الحيوة جميع الخيرات المجتمعة في الله والممتزجة بهِ امتزاجًا تامًّا تدوم ثابتةً الى الابد في اعظم الابتهاج وبدون نقصٍ ولا خسارة « طوبى اذن لجميع المساكين الذين في بيتك يا رب فانهم يسبّحونك مدى الدهور » *

غير اني كثيرًا ما اتنهّد وانا منفيٌّ في هذا العالم بعيدٌ عن ملكوت الله واصلّي من صميم قلبي مع المرتّل القدّيس قائلًا : « متى تعزّيني وتشبعني فرحًا بنور وجهك في ملكوتك. اخرجْ من الحبس نفسي لأعترف لاسمك القدّوس وامدحك مع جميع قدّيسيك مدى الابد آمين » *

DE LA
FRAGILITÉ HUMAINE

كتاب

امعان النظر في ضعف البشر

وهو

الكتاب الرابع عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكنبيسيّ

الفصل الاوّل

في معرفةِ الانسان ضعفهُ

« قد علمتُ يا رب انّ احكامك عدلٌ وبواجبٍ اذللتني » (مز ١١٨ : ٧٥)

هذا ما قالهُ داود النبي القدّيس والملك الوضيع فماذا تقول في ذلك ايّها الانسان الحقير. الذي ليس هو الاّ ترابًا ورمادًا ماذا تعدّ نفسك وما هذه المكابرة التي تستلذّ بها *

كيف يمكنك ان تتشبّه بالصدّيقين وانت في الحقيقة خاطئ قد ولدت بالخطيئة ومفعمٌ رذائل واهواء *

فيقينًا انك لو تبصّرت في ذاتك وفحصت نفسك فحصًا مجرّدًا من المحاباة لحكمت بالصواب انّك شرُّ الناس اجمع *

٢ : قل لي ناشدتك الله ايّ خجل وايّ عقاب يستحق من يهين بالقول او بالفعل احد ملوك الارض أَو امراء مملكتهِ . او ايّ عار وايّ خزي يستوجب من ينبش بحضور الملك او وزرائهِ قبراً ويستخرج منهُ جثّةً منتنةً او يخاط وحلاً قذراً . أَما كان يُطرد للوقت بخجل ويحكم عليهِ الجميع بالسجن والاعدام *

فانت هو ايُّها الانسان ذلك الاحمق المقتحم هذا الفعل الشنيع اذ انّك لم تخشَ ان ترتكب الشر امام العزّة الالهية وامام ملائكتهِ القدّيسين وتحفظ فيك تخيُّلات دنسة كثيرة كان يجب عليك ان تلقيها عنك للحال وترذلها اكثر من رذلك طين الشوارع *

٣ : وفضلاً عن ذلك انك قد تركت قلبك ينعطف الى كلّ ما في العالم حتى في وقت الصلوة

وفي الكنيسة حيث كنت ملتزماً بان تقوم باعظم احترام واحكم انتباه مفتكراً في الله وحدهُ وفي نفسك بلا طيش *

فكيف يسوغ لك ان تُدعى راهباً وانت تبتعد من الله ومن قلبك بُعداً شاسعاً . الا تستحق من اجل تقصيراتك الجسيمة والعديدة ان تُطرد ككلبٍ قذرٍ من بين الاخوة القدّيسين وتعاقب اشدَّ العقوبات لكي تفي لعدل ذاك الملك الذي اهنتهُ بآثامك العديدة الغير المحصاة ولا تزال تهينهُ ايضاً *

٤ً : ولكن ما اعظم رحمة الله معك يا اتعس الناس اذ انهُ تعالى يتركك تعاين هذا النور بعد ان اهنتهُ تلك الاهانات ويحسن اليك احساناتٍ جليلة عوض شرورك الكثيرة مع انّك قد جحدت نعمتهُ وغدوت غير مستحقّ لها *

لو بصق احدٌ في وجهك او اشبعك خزياً

واهانات ترى بايّ سُخطٍ كنت تقابلهُ وايّ قصاص كنت تراهُ مستوجباً ولكن ما انت وما قدرتك بالنسبة الى الله الذي اهنتهُ في وجههِ *

فحقّاً ان رحمة الله لغزيرة نحوك اذ انهُ تعالى لم يحطمك بعدُ ويلاشيك ولم يُذقك حتى الان سخطهُ لكنهُ يؤجّل حكمهُ وينتظر ارعواءك بحنوٍّ لا مزيد عليهِ ويتغاضى عن الانتقام منك ليُقبل بك الى التوبة فتعلم عظم عذوبتهِ وحلمهِ وجزيل رحمتهِ في اعمالهِ *

٥ : قل لي ناشدتك الله كيف تقدر ان تنسى جميع المراحم والخيرات التي اسبغها الله عليك منذ ولدت حتى الان فكن وضيعاً شكوراً صبوراً على جميع المخالفات لتعوّض عن خطاياك وتسكّن غضب الله عليك . لانك إن لم تُفرغ وسعك في اصلاح سيرتك عاجلاً جدّاً وإن لم تغيّر حالتك

بأَحسن منها تحلّ بك مصائب تجهلها وتقوم السماء والارض ضدّك وسائر المخلوقات تصيح معاً على آثامك لانك تستخدمها لسدّ حاجاتك المتنوّعة وانت غير اهل لذلكِ لانّك لا تقوم بخدمة الله حق قيامها *

فلكي لا يفاجئك العدل الالهي بغضبهِ ولا يضطهدك ويحطمك تحطيم نبتةٍ جافةٍ صلِّ بثقةٍ وتواضع ما دام الوقت وقتَ رحمة ويمكنك فيهِ استمداد المغفرة وقل مع داود النبي : « فلتصر نعمتك لتعزّيني نظير قولك لعبدك » (مز ١١٨ : ٧٦) *

الفصل الثاني

في احتقار المجد الباطل

ان مشهد الاشياء العالميّة يُعلن لنا بالكفاية انهُ

لا يجب علينا ان نحبَّ هذا العالم . و بالحقيقة انَّ العالم بسهولة تقلّباتهِ يجهر لنا جليًّا عظم فسادهِ فلا ثبات لمعاهداتهِ لكنّهُ يملّق اصحابهُ في الظاهر لوقتٍ يسير وفي الآخر يخدعهم مزدريًا بهم *

فلا يفتننَّك اذًا جمال الناس ولا تتلذَّذ بهِ وبكثرة الغنى وبمدح المتملّقين وبالتفات العظماء اليك لانَّ كلَّ ذلك باطلٌ فانّ يُعدل بالانسان عن الخير الاعظم ويُوطّئهُ الى الافكار الدنيئة «كلُّ بشر كالعشب وكلُّ مجدهِ كزهر الحقل» (اشع ٤٠ : ٦) *

٢ : فلا ترغب في مديح الناس ولا تعظّم انسانًا باطلاً لانك لا تعلم ما يولّد الغد لانّ الاوّلين يكونون غالبًا آخرين والآخرين اوّلين *

اهرب من المديح كهربك من السمّ لئلّا تنخدع فتخسر جميع استحقاقات عملك الصالح . انّ الذين يجعلون سعادتهم في مديح الناس هم اغبياء متكبرون .

المدح لله لا للانسان الضعيف *

الرجل الحكيم ينظر الى الافعال اكثر مما الى الاقوال. العمل الصالح يمدح ذاتهُ. من يتتبَّع الاقوال فقط لا يجد غير العدم *

انّ العمل الصالح المصنوع لاجل الله ينال المجد من الله. إن اردت ان تجعل سيرتك في افواه الناس فتارةً تكون شيئًا وتارةً لا شيء ولا تحصل على الحريّة والسكون ابدًا *

الرجل البار لا ينقاد بالاقوال المزخرفة لكنهُ ينظر الى مسرّة الله دائمًا *

٣ : كثيرًا ما يمدح الناس ما يستقبحهُ الله واكثر من ذلك يُسرُّ الله بما تحتقرهُ الناس وتضحك منهُ *

من يمدحهُ الله العالم بكلّ شيء فذاك يكون ممدوحًا حقًّا. ومن يغيثهُ الله يكون قد حصل على عون وقوّة حسنين *

فاحبّ الحق وابغض كثرة كلام الناس الذين ينقادون غالباً الى الحبّ او البغض من دون ان يعرفوا باطن الانسان *

ارجع الى ضميرك وفيهِ يبدو لك الحق واعلم انك ضعيف وخاطئ ومائت لا محالة *

عند ساعة الموت يتّضح جليًّا للانسان عظم غرور خيرات هذا العالم باسرها وبطلان ذاك الفرح الذي كنت تطلبهُ في مديح الناس *

الفصل الثالث

في الصديق الامين الحقيقي

صديقك الحقيقي من يحبّك في الرب ويحتملك لوجه الرب . صديقك حقًّا من يحبّ خلاص نفسك لا من يملّقك ويمدحك في الظاهر . صديقك الافضل

من يبكي على بلاياك ويصلّي من اجل نجاتك منها ويفرح بتقدّمك وينضحك بمحبة *

انك لا تجد صديقاً اميناً الاّ بين رجال الله وبين الذين لا يطلبون فوائدهم . كيف يُقنع غيرهُ من يهمل اصلاح نفسهِ غير انك اذا اعتنيت كلّ الاعتناء فيما يُعنيك فاذ ذاك يتيسّر لك تقنيع قريبك *

ان رغبت في خلاص قريبك فلا تنسَ خلاصك وان اردت ان تتبع النظام فابتدئ اوّلاً بخلاص نفسك ولا تقدّم شيئاً عليهِ لئلاّ يعارضك احدٌ بهذا المثل السائر : « يا طبيب اشفِ نفسك » *

اتّعظ اوّلاً بما تروم ان تعظ بهِ غيرك وعلّم باقوال حيّة . كن قدوةً ومثالاً ولا تاتِ بامثلة غيرك الصالحة وانت تتغافل عن نفسك . كن صالحاً اميناً فتجد الصديق الامين . بمحبة الله يكون

الصديق الامين وبدونهِ تعالى لا تقوم محبةٌ ثابتة *

٣ : ولكن اين يوجد الرجل الامين في كلّ شيء ليت شعري ما اثمن الصديق المملوؤ حبًّا لله *

ان محبَّة العالم لا تلبث ان تدعك وتتركك في بؤس اتّقِ الله فيُصحبك بصديقٍ امين. حافظ على حُسن سمعتك تجد رفيقاً صالحًا واذا وجدتهُ صاحبهُ بحكمةٍ واحببهُ مثل نفسك . كثيرون يصادقونك في اليُسر ولا يكاد يبقى معك واحدٌ منهم في العُسر . ولكن لا تكتئب لذلك إن كنت قد جعلت الله نصب عينيك دائمًا *

انك إن لم ترضِ الله فلا يجديك نفعًا الاصدقاء المائتون. إن رايتَ رجلًا بارًّا يتقي الله فاحببهُ اكثر من رجلٍ ذي باس وقوّة تحمّل اقوال صديقك واذكر انهُ انسان نظيرك ولا يوجد احد معصوم من الضلالة والخطاء الا الله وحدهُ *

٢ : لا تسرّ احداً بما تريد كتمهُ . انّ كتم الكلام لخصلةٌ صعبةٌ يندر وجودها جدًّا . احفظ سرّك بحيث لا يلحقك من افشائهِ عارٌ ولا خزيٌ . من يجهل صيانة لسانهِ لا يلبث ان يخسر صديقهُ *

انّك ان قدرتِ ان تتعلّم متى يجب السكوت ومتى لا يجب فتكون قد تضلّعت علماً وان لم يكن لك علمٌ بغير ذلك *

فليهبك الرب الالهُ هذهِ النعمة الجليلة ان تعرف متى وكيف ومع من يجب الكلام لانّ ذلك بالحقيقة هبةٌ فاخرة قليلون ينالونها *

الفصل الرابع

في التحمّل الواجب للحصول على الإخاء

انّ الصبر على الشدّة لأحسن معرفةٍ . فيا الهُ

كلاماً نافعاً عمل بهِ كلمة الآب . ومن يحفظهُ لا ينتفع لونهُ يوم الدين الرهيب *

من يخلف وعدهُ ولا يعمل بموجب قولهِ يجلب عليهِ الخزي والعار. تحمّل بصبر وطول اناة نقائص غيرك كما يتحمّلها الله الذي يرى كلّ شيء *

كثيرون يهينون الله وهو يصبر عليهم الى الوقت . تحمّل بطيبةٍ وسكوت ما لا تطيق اصلاحهُ وضاعف تضرّعاتك الى الله . لانك انت ايضاً تخطأ في اشياء كثيرة وتخلف غالباً ما تقول او تعد *

من يبادر الى الانتقام ويطلب دائماً الاخذ بالثار لا يجتنب الغضب ولا يكون لهُ اصدقاء كثيرون *

ابغضت الشر دائماً ولكن آثر الصبر عليهِ *

٢ : من تعلّم ان يبغض كلّ شيء ارضي تيسّر لهُ الاستظهار على كآبة القلب ومن يبيد رذيلة الطمع يكون قد اهلك زرع الخصومات *

انّ الغنى والكرامات مهما تكاثرا لا يُشفيان غليل محبيهما لكنّهما يزيدانهم حيرةً وعذاباً . ضع حدًّا لرغباتك فينتهي غضبك *

لا شيء ثابت تحت الشمس فكلّ شي يتغيّر من غنى ومجد وكرامات فلا شيء ثابت الاّ في الله تعالى . محبّة الله اسٌّ مكين وانمّا التواضع يستحقّ هذهِ النعمة

من يثق في الله تعالى يصبر على كلّ شيء ومن يطلب الله بخلوص نيتهِ يُسرُّ عاجلاً . من طلب ذاتهُ وجدها ومن اراد ان يجيب لكلّ كلمةٍ يخسر ويضرّ نفسهُ *

طالما تطلب النفس تسلياتها في الارضيّات لا تزال في حيرةٍ وانمّا الفرح الحقيقي في الله وليس سلامةٌ خارجاً عنهُ عزّ وجلّ ولا راحةٌ *

الفصل الخامس

في الفقر الروحي وفي فقدان التسليات الباطنة

انّ خسارة النعمة لأصعب من كلّ فقر زمنيٍّ والفاقة الروحيَّة كآبة عسرة جدًّا على النفس . انّ البار يُعاقب غالبًا بفقد التعزيات الباطنة وهذه البليَّة تعلّمهُ ان لا يثق بنفسهِ في زمن اليُسر والرخاء *

الرب يعلم جيدًا ما هو خيرٌ لك فكثيرًا ما يفيدك التألُّم الشديد وما تظنّهُ غالبًا ضدّك فهو لك . انّ المريض يشتهي ما يعجبهُ غير انّ الطبيب يُعطيهِ ما يراهُ نافعًا لهُ *

خيرٌ لك ان تكون مُلقىً على الارض من ان تكون واقفًا وانت متكبّر . انّ الفقير يتمتّع في فاقتهِ بحريةٍ لا يتمتّع بمثلها الغني بين جميع كنوزهِ . لا جدوى لنا في كلّ شيء ظاهر ان كنّا خالين في

الباطن من النعمة والفضيلة *

٢ : اذا نزع الله عنك عذوبتهُ فلا تتعجبنَّ من ذلك لانّ كثيرين يبتلون بهذه البليّة لكيلا ينسبوا لذواتهم تلك العذوبة *

خيرٌ لنا ان نكون في حالة النعمة ونكابد السجن وانواع العذابات من ان نعيش في بيتٍ فاخر بضميرٍ سيّء . من شعر بتعزية الله يأنف من كلّ ما يقدّمهُ لهُ العالم لتلذيذ حواسّهِ *

ان شعرت بانّك مبتلٌّ بالطلال السماويّة فناجِ ربّك بتواضع وان كان قلبك قاحلاً ومتحفاً بالظلمات فلا تُبطل صراخاتك الى الرب لكن اطلب اليهِ ان يمدّك بنور نعمتهِ وزيت رحمتهِ لكيلا تعيا من التعب في الطريق المستقيمة *

انّ الآب السماوي يُعطي الروح الصالح للنفس التي تطلبهُ *

الفصل السادس

في الخضوع بتواضع وفي الكفران بالذات

ان اردت التخلّص من الشر والثبات في الخير فتواضع لله ولكلّ خليقةٍ من اجل الله . هذا ما يشهد بهِ داود النبي القدّيس القائل : « اتّضعت فخلّصني » (مز ١١٤ : ٦) *

أَمل اذنيك الى الاحكام الالهية واخضع بتواضع للكبير والصغير فانّ التواضع يولّد السلام والأُلفة ويحسّن احتمال الاثقال · انّ الانسان يستفيد باحتقارهِ ذاتهُ اكثر مما بالمديح الباطل الذي يُصيبهُ *

٢ : سقيًا لتذلّل النفس التائبة الذي يوقعها على معرفة ضعفها بحيث انّها تبكي بدموع غزيرة المآثم التي اقترفتها · فلنعوّض على الدوام بالتواضع ما ينقصنا من المحبّة الكاملة . ولنغفر عاجلاً

لمن يعترف بذنبهِ متذلّلاً *

من يجيب الغضبان بتواضعٍ يسكّن غضبهُ بسهولة . ومن يكفر بذاتهِ ويقهرها في كلّ شيء من اجل الله يعمل عملاً عظيماً لانّ من يقهر ذاتهُ يصبح سيّد الكون ووارث السماء *

كيف يتيسّر لمن لا يقهر ذاتهُ في الصغائر ان يغلب الموانع الكُبرى . من ترك ذاتهُ تركاً تاماً يرضي الله بجميع رغائبهِ *

الفصل السابع

في حمد الله عند نزول الشدّة

تعلّم ان تحمد الله في الشدائد التي تلمّ بك وحوّل الضرورة الى فضيلة لكي تزيد استحقاقاتك ويخفّ عقاب خطاياك *

ما لك تطلب التذمُّر على الله عندما يعاقبك ويمتحنك فهذا ما يضرّ بك فاسالهُ بالأحرى ان لا يصفح عن عقاب خطاياك. احمد الرب لانهُ صالح في احساناته واحمدهُ ايضاً لانهُ عادل في قصاصاته ان جودتهُ تعالى قد اسبغت عليك الخيرات وانت لا تستحق غير العقوبات من اجل كثرة خطاياك فقُل لهُ اذن بتواضعٍ وقنوت :

يا رب انّي لست مستحقاً بذاتي غير الوجع والعقاب ولست اهلاً ولا لاصغر تسلياتك لانّي قد اهنتك كثيراً فكن اذن مباركاً في جميع العقوبات والاوجاع التي ترسلها عليّ وان كانت قليلة فزدها ايضاً لانّ كل عقاب تعاقبني بهِ هو دون استحقاقي. فلتحمدك شدّتي ولتمجدك لانّ الافتخار هكذا بصليبك واجبٌ عليّ. فليستمرّ وجعي وليشتدّ ما شئت وكمّل فيّ مجدك لانّي اعلم بانّك مهما صنعت يكون ذلك

عادلاً صائباً *

٢ً : اني اطلب اليك يا يسوع ربي ان تكمّل في ّ ارادتك ورغبتك العُظمى الى الآخر *

قد قلتُ للفرح لستَ لي بشيء خلواً من يسوع مخلّصي فلا ارغب ان تاتي اليَّ إن لم يشأ ذلك الرب يسوع . فالوجع هو اعذب لديّ منك وذلك من اجل يسوع الذي يُحزنني بحُبٍّ *

لانهُ حيث يكون الصليب فهناك الخلاص وفي الفرح فخّ مكنون يعلق فيهِ كثيرون بالضحك *

انّ الحكيم لا يتبسّم الاّ قليلاً واذا تبسّم كان تبسّمهُ في رصانةٍ لانهُ ينظر بخوفٍ الى الشرور المقبلة القريبة الحدوث جدّاً *

ينبغي لك ان تحزن لذنبك اكثر ممّا للعقاب الذي استوجبتهُ ايّاً كان . اذا تذمّر جسدك الضعيف فلتكن روحك على القليل شديدة الباس لتحتمل كلّ شيء *

فقل اذن : يارب اني سأحتمل بنعمتك تاديبك وكلّ ما يجب عليَّ احتماله لاجل خلاصي الابدي وذلك بطيبة خاطر لانهُ احلى لديّ جدًّا ان اكون الان حزيناً مع الصالحين والمختارين من ان اكون فيما بعد معذّبا في النار الدائمة مع الاشرار والهالكين *

فكن حاكيًا قاسياً في دعواك لكي يغفر لك الرب ما اقترفتهُ من الذنوب . انك لا تزال خليقة الله وان اذنبت فاخضع اذن لتاديبهِ تعالى بتواضع لكي تنال غفرانًا وخلاصًا * اذ انّ خلاص الصدّيقين من قِبل الرب وهو يعضدهم في زمان الضيق * (مز ٣٦ : ٣٩) *

الفصل الثامن

في حمد الله بعبادة

يجب على جميع القدّيسين والمومنين وسائر الخلائق ان يحمدوا اللهِ لانّ اسمهُ يفوق جميعهم سموًّا. من يحمد الله يستحقّ المدح ومن لا يحمده يستوجب الخزي والاحتقار *

ما اشرف هذهِ العبودية وما احلى هذهِ الوظيفة ان نحمد الله بالقلب والفم ونمجّدهُ بقداسة السيرة. ان مدحت الله عملت ما يجب عليك وما لاجلهِ خُلقت وان اعرضت عن مديحهِ اخطأت وكنت جاحدًا وسوف تعاقب على ذلك امرّ العقوبات *

وظيفة الملائكة واشدّ فرح القديسين هي ان يحمدوا الله خالقهم ويباركوهُ ويمجّدوهُ بحرارة تجلّ عن الوصف. فمن احبّ الحضور في تلاوة الفرض

وصلى بعبادة في كنيسة الله او رتّل في الساعات القانونية بفرح تشبه بالملائكة والقديسين *

٢ : لا ينبغي لنا ابدًا ان نكفّ عن حمد الله وعن تادية الشكر لهُ . لانهُ تعالى لا يزال يُحسن الينا ولا يتاخّر ابدً عن ان يُسبغ نعمهُ على جميعنا . انّهُ لاسمهِ المجد يعتني بكلّ منّا وهو مستعدّ كلّ الاستعداد ليُجزل لك العطاء ان وجدك امينًا في الصغائر نشيطًا في تادية الحمد لهُ *

انّ الله لم يُعطك شفتين ولسانًا الاّ لكي تحمدهُ وتمجدهُ وتكرّمهُ . اذا احسنت الى انسانٍ او قوّمت سيرتهُ فانكر معروفك أَفلا يشقّ عليك ذلك . فانعكف اذن على تسبيح الله واحمدهُ مع جميع الخلائق بنشيد الفرح لئلاّ تقوم ضدّك تلك الخلائق وتزجرك لانك سكتّ عن حمد الله وتادية الشكر لهُ وقتما كانت هي تحمدهُ خاضعةً لهُ *

فانزُ اذن عند الفراغ هذه الصلوة ان اعجبتك لتنشّط بها قلبك على تسبيح اسم الله القدّوس *

صلوة لحمد الله بحرارة

ايها الرب الهي تسبحتي ومجدي انّي ارغب في ان احمدك بكلام جهير وقلبٍ نذير لم تحمدك بمثلهما خليقة في السماء وعلى الارض . واتوق الى ان اجلّك تبجيلاً انت اهلٌ لهُ ويفوق بعظمتهِ كلّ تبجيل اداهُ لك قدّيس في ملكوتك السماوي *

انّي اريد ان اكرّمك واحبّك محبة تفوق حرارة كلّ محبّة برزت من قلب انسانٍ ورعٍ وكاملٍ او تبرز منهُ . فلتتجدّد فيّ دائماً حرارة حبك الطاهرة المقدّسة ولتسعر كليتي وقلبي نظير لهبةٍ متقدة في السماء ولتطهّر ولتضرم كلّ ما في باطني بحيث لا يبقى فيهِ شيء رديّ ينفرُ بصائر محبّتك *

ايها الرب الهي فاحص خفايا قلبي وسرائره امامك هي كل شهوتي وتنهداتي التي لا ازال اتنهدها على نقائصي . فانّ روحي تزل غالباً لنقصان عبادتي الباطنة ومحبتي . فاقدّم لك على القايل شوقي الى تسبيح اسمك القدّوس وتمجيده . فاقبل اشواقي بمثابة ذبيحة الصباح ولتصعد اليك صلاتي كعطر المساء ولتكن شهية لديك الى الابد آمين *

ENCHIRIDION DES MOINES

كتاب

مصحف الرهبان في زمن الامتحان

وهو

الكتاب الخامس عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

توطئة

لمّا كانت فصول هذا الكتاب قد جاء مثيلُ بعضها في كتاب تهذيب الرهبان ونُقل بعضُها الى محلٍ آخر وجمع بعضُها عبارات مُحتويةً في غير فصولٍ من هذه المنتخبات أضفنا الى الفصول الاربعة التي ابقيناها فصولاً تعلّم الانسان في زمن الامتحان ان يقدّس محنتهُ بنور الايمان الامر الذي لا بدّ منهُ لكلّ من طلب القداسة واحبّ ان يسلك طريق السماء راهباً كان او علمانياً *

الفصل الاوّل

في طريق الابرار المستقيم الى ملكوت السماوات

« سبيل المستقيمين ممهَّد » (امثال ١٥ : ١٩)

وكيف ذلك !

بواسطة الشغل والوجع فانهُ هكذا يسير الانسان الى السماء *

افلا يوجد طريق اخرى تؤدّي الى الحيوة الابديَّة *

كلاّ *

هل طريق الصليب هو الطريق الوحيد المستقيم ؟

نعم وانمّا هو الطريق الذي ارشدنا اليهِ يسوع المسيح باقوالهِ واراهُ بمثلهِ المقدّس لجميع الذين يتبعونهُ وسلكهُ جميع القدّيسين حتى الموت قياماً بهذا كلام

الرب : « ادخلوا من الباب الضيّق المؤدّي الى الحيوة » *

فيا ايها الراهب ماذا تصنع في صومعتك ؟

أقرا وأكتب واعمل عملي وهذه هي تسليتي *

لقد احسنت في كلامك لانّهُ من صومعة الراهب يفوح شذا الشغل والدرس *

وانت ايّها الاكليريكي ماذا تصنع في المحراب ؟

انّي أقرأ وارتّل وابكي خطاياي *

بالصواب اجبتَ لانهُ من محراب الاكليريكيين تصعد تراتيل الفرح والابتهاج وينبغي لهم ان يحمدوا الله بالقلب والفم نظير الملائكة في السماء *

ايّها الراهب ايّ شيء تاكل على المائدة ؟

انّي افتكر في مرارة يسوع وجراحاتهِ واتوجّع لها واحسبها فابكي على كلٍّ منها *

يا ما احسن فكرك وما اصوبهُ لانّ مائدة المساكين

تتضح بدموعٍ مُرّة تولدها آلام المسيح وينبغي للرهبان ان يشكروا الله على مائدتهم *

وماذا تشرب ايها العابد في العشاء ؟

انّي اذوق العقائد المقدّسة الممتلئة خمرًا لذيذًا *

نعم الجواب جوابك لانّ العابدين يلتذّون وقت الغذاء بالقراءات المقدّسة ومعانيها النسكيّة *

أليس النفس افضل من الجسد فإذا كان المشرب اللذيذ يلذّذ الفم فبالاحرى كثيرًا يلتذّ القلب بادراك الكتب المقدّسة *

فاحسن طعام النفس هو استماع كلام الله والتامّل فيهِ بجدٍّ ومن يلتذّ بالاقوال المقدّسة يغتذِ باشهى الاطعمة غير انّ من يطلب الاباطيل ويحبّ استماعها يلبث زمانًا طويلاً بغير عبادةٍ قاحلاً *

الفصل الثاني

في خيرات النفس الفضلى

« احبك يا رب قوتي » (مز ١٧ : ١) الفضيلةُ اعظمُ الاشياء شرفًا والرذيلةُ اجدرُها مقتًا . العفةُ اعظمُ الفضائل حسنًا والحكمةُ اجدرُ الاشياء رفعةً . حياةُ يسوع المسيح انفعُ كتابٍ والصلوةُ الربّية اقدسُ صلوةٍ وتسبحةٍ لله تعالى والسلامُ الملكي اعذبُ واشهى شيء للملائكة *

٢ً : انّ الصلوة الربيّة تفوق شرفًا جميع اشواق القدّيسين ورغائبهم وتحوي في كمالها السرّي اقوال الانبياء وتراتيل المزامير والأناشيد الرخيمة كافة وتطلب كلّ شيء ضروري وتحمد الله حمدًا ساميًا وتصل النفس بالله وترفعها من الارض الى السماء وتخرق السُحُب وترتفع فوق الملائكة *

فطوبى لمن ينظر بانتباهٍ الى معنى كلٍ من اقوال يسوع المسيح ويعمل بموجبهِ *

الفصل الثالث

في تسليات النفس الحقيقيّة الباطنة

« من غلب فاني اوتيهِ المنّ الخفي وحصاةً بيضاء مكتوبًا عليها اسم جديد » (رويا ٢ : ١٧)

انّ المنّ الخفيّ هو التعزية التي يوتيها الروح القدس برجاء الغفران والندامة على الخطايا والقصد الصالح والعزم الثابت على الاصطلاح وادراك الكمال على الدوام *

انّ الله صادقٌ واقوالهُ حقٌّ ثابتةٌ جميعًا انّ الصديق الامين الحقيقي لا يكذب ولا يحتال على قريبهِ ومن يغشّ غيره لا حقَّ فيهِ *

٢ : من يتكبَّر بصلاحهِ يكن خائناً لله جاحداً
نعمة فلا تتكبَّر لئلاَّ تفقد العطيَّة التي قبلتها من
السماء بدون استحقاق *
حافظ على حسن سمعتك ولا تدَّعِ باكثر مما
لك وتحتسب نفسك اكثر قداسةً من غيرك .
لأنَّ السيرة الصالحة هي التي تجعل السمعة الحسناء
ومن يسر سيرة رديئة يفقد حسن سمعته *
من يترك اخلاقهُ السيئة يحصل على اسم
جديد ومن ينوِ ان يسلك بموجب الروح ويحتقر
الاشياء المضرَّة مجتنباً اياها كافةً يبتدئ ان يحيا
حيوة حقيقيَّة كولد حديث الولادة *
السمعةُ الحسنة الناشئة عن سيرة مقدَّسة لأفضل
من فوح العطور الثمينة والغنى الكثير *

الفصل الرابع

« انّ كلّ انسان كاذب » (مز ١١٥ : ١١)

لا ترتفع امام الناس لصلاحٍ فيك ايًّا كان . لانّ فيك ايضًا شوائب باطنة يراها الله وانت لا تراها ولا تلتفت اليها الالتفات الواجب *

من يطلب مدح الناس على كلٍّ من اعمالهِ يعترهِ بسماح الله الخزي جهرًا امام اكبر الجماعات *

انّ المجد الباطل وحبّ المدح يخدعان كثيرين ويحرمانهم الخيرات الأبديّة كما قيل عن العذارى الجاهلات *

ما من حماقة اعظم من هذهِ ان يحبّ الانسان الباطل ويحتقر الحقّ . وما من شرّ اجسم من هذا ان نترك الله ونلتفت الى الناس ولا جهل ابلغ من هذا ان يعتني الانسان بالعالم ويتغافل عن السماء . قلب الغني

هو في الارض وقلب المسكين في السماء. قلب الوضيع خاضع لله وقلبُ المتكبّر عدوّ لله *

الفصل الخامس

في غبطة من يؤمن بدون ان يرى

انّ الايمان هو اصلُ التبرير وركنهُ على حدّ قول المجمع التريدنتيني اذ انّ الحبّ نفسهُ اذا لم يوضع على هذا الاساس ويستقي حياتهُ من هذا الاصل يكون ثابتاً على الرمل ولا يلبث ان يسقط عند هبوب الرياح والعواصف *

قال الربّ يسوع « الحقَّ الحق اقولُ لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل من ههنا الى هناك فينتقل ولا يعسر عليكم شيء (مت ١٧ : ١٩) فهذا الكلام يُعني خاصّةَ الاعجوبة

الباطنة التي تحتاج الى صنعها كلّ يوم النفس الكثيرة المحن اذ انّها بدون ايمانٍ شديد مخرّج لا تستطيع ان ترفع وتحمل عليها مدّة مستطيلة جبل محن يزداد كلّ يومٍ ثقلاً *

انّ بولس الرسول كان حاصلاً على هذا الايمان فجعلهُ يمتلىء عزاء ويزداد فرحاً جدًّا بجميع شدائده (٢ قور ٧ : ٤) لانّهُ كان يعلم بالايمان انّ كلًّا من شدائده يُعطي الله مجداً ويجديهِ قداسةً *

فلو كان لك ايمانٌ مناسبٌ لِمحَنكَ لاستهدت نفسك راحتها وارتبطت بالله برُبُط حُبٍّ امين *

فلعلّك تقول اني لا افهم شيئاً من احكام الله فايّ حاجة لنا ان نفهم اذا كنّا نسجد لتلك الاحكام الالهيّة ساكتين وخاضعين أليس الايمان قائماً بان نعتقد بما لا نرى ولا نفهم ألم يقل ربّنا يسوع « طوبى للذين لم يروا وآمنوا » (يوحنا ٢٠ : ٢٩) *

نعم ان ظلمات الايمان تزيد صبرك ثقلاً وصعوبةً واذا أُعطيت الان جانباً من ضياء السماء لخفّ عليك المسير في طريق المحن الشاقّ في الغاية ولكن ثِق ولا تضعف عزماً فاذا كان الله لا يسندك بضيائهِ فانهُ يسندك بعون نعمتهِ وعلى هذا الوجه تسير في الحقيقة باعظم صعوبةٍ غير انّ هذا سيرك يزيدك فضيلةً وتربح بهِ ثواباً اعظم . واذا كنت سائراً نحو الغاية المقصودة فلا يهمنّك نوع الطريق الذي تسير فيهِ *

فليعطك الربّ الاله نور العلى وليشرق على نفسك كي يريك الاشياء جميعها حتى العُسرى منها في حالتها الحقيقيّة اي بموجب احكام الله الممتلئة كلّ حينٍ رحمةً وحبًّا لنا *

الفصل السادس

في حياة البار بالايمان

انّنا جميعاً نحتاج الى روح العلى الذي بغيره لا نقدر على شيء وبعونهِ نقوى على كلّ شيء فانهُ الروح المعزّي لانّهُ نورٌ وقوةٌ *

اذا كان النظر والادراك ليسا الكمال فانّهما مع ذلك اجلّ الاشياء وجوهرها واذا كان الرسول قد قال بعد النبيّ انّ البار بالايمان يحيا فحقيقة كلاهما يؤيّدها الاختبار كلّ يوم *

فيا حبّذا لو فنيَ روحُنا وترك المكان للروح الذي يريد الله ان يمنحنا اياهُ فانّ روحنا ينظر من قريب لانهُ ينظر بعين الحواسّ ويحكم بموجب هذهِ الحواسّ عينها امّا من ينظر بعين الايمان ويحكم بموجب الايمان يبصر الاشياء كما يبصرها الله نفسهُ

ويحكم فيها بموجب الحكمة الالهيّة *

لو كان الرسل قد حكموا في نوائبهم بموجب روح الانسان لكانوا أعدّوا انفسهم اشقى الناس طرًّا على حدّ قول بولس الرسول (٢ قور ٤) غير انهم بنعمة روح العنصرة علموا انّهم احبّاء الله . فعلى هذا النوع إن نظرنا نحن ايضًا الى شدائدنا بعين الجسد لاستوجبنا الرثاء من كلّ وجهٍ ولكن ان ارتضى الله ان يُرينا عظم تقدّم فضيلتنا بتلك المحن لغيّرنا حكمنا وشكرناهُ على جزيل احسانهِ الينا *

اجل اننا لكنّا نستوجب الرثاء لولا الايمان الذي يحوّل وجه الاشياء ويسند نفسنا البائسة ويُرينا ارض الميعاد في أُفق البريّة . ويُرينا ايضًا السماء فوق هذا وادي الدموع *

ولا ريب انّ تعاليم الايمان لا تمنعنا من الشعور بثقل هذهِ الحيوة ولا تكفينا تتميم واجباتنا

غير انها تُرينا في كلّ شيء اصبع الله الذي بهِ تنوط جميع الحوادث فتعلّمنا ان نقدّس احزاننا بالخضوع ونستعذبها بالرجاء وهذا داب الكنيسة التي تتألم منذ زمنٍ مديد بل دائماً . واقتفاء بمثال هذهِ امّنا القدّيسة يمكننا ان نبسط اليهِ تعالى ايدينا ونسالهُ الخلاص والنجاة بدون ان يدعنا نفقد شيئاً من اجر محننا فانّهُ يعلم كيف يخفّف علينا هذهِ المحن اذ يُرينا برافة ابويّة انهُ يهتمّ لفوائدنا ايّاً كانت ويعرف ان يوافق بين الزمنيّة منها والابديّة *

الفصل السابع

في قبول المحن بخضوع ومسرّة

في كلّ بليّة تعتريك اكتفِ بان تعرف انها

مُقبلةٌ من حكمة ومحبةَ ابيك السماوي لانّ قائدك هذا لا يقدر ان يغشّ ولا ان يُغشّ اي انهُ لا يضلّل ولا يخون احدًا لانّ حبهُ هو الذي يقودك فماذا تطلب ايضًا *

اجل قد تمرُّ بنا ساعات تحجب عنّا هذا نور الايمان بظلماتٍ كثيفة تحدق بنا من كلّ جهةٍ وجانب فلا يشاهدُ الروحُ اذ ذاك يدَ الله العاملة فينا والمبسوطةَ فوقنا غير انّ النعمة التي لا تنقُصنا في زمن الامتحان تجعلنا نعوّض عن الفهم بالارادة فنمسك هذهِ بيدِ قائدها ومُعينها ونُكثر من افعال الخضوع الخالص المحض حتى تعبر ليالي الشتاء بعواصفها وتعود علينا ايامُ الربيع بافراحها *

انّ الله قد اعدّ للذين يريد ان يرفعهم اليهِ ويتمجد فيهم تمجيدًا خصوصيًّا محنًا خارقة العادة لا يدرك اغلبُ الناس فوائدها بل وكثيرًا ما

يتشكّكون منها ولكن ايشقّ على النفس الخضوع لهذه المحن لكي يحبّها ملكُ الملوك حبًّا خصوصياً. ايعسرُ على النفس المحبّة قبول تلك المحن لتُظهر حبّها ليسوع ربّها وتنمو في محبّتهِ *

انّ الحُبّ يُصاغَ من بذل الذات حتى الضحيّة ومن لا يحبّ هكذا فمحبّتهُ ليست بحقيقيّةٍ لكنّها ذاتيّة وظواهر كاذبة *

انّ يوحنّا الرسول يُريد ان نُحبّ الله كما احبّنا هو فانّهُ تعالى قد احبّنا حتى الموت من اجلنا فكذلك يجب علينا ان نحبّهُ حتى الموت من اجلهِ نعم انّ المدعوّين الى الاستشهاد الشديد الألم قليلون غير انّ كلّ نفسٍ تستطيع ان تكون شهيدة بالموت الروحيّ بإماتة الذات وكلّما كانت دعوتها اسمى كمالاً وجب ان يكون موتُها ايضًا اعمّ وابلغ واوسع. والحالة هذهِ اننا لا نقدر ان نحيط علماً بوسع هذا

الموت الروحي الاّ بواسطة الاختبار اذ أننا نظن احيانًا باننّا قد افنينا كلَّ شيء طبيعيّ فينا ولا نلبث ان نتحقّق وجود اشياء أُخر كثيرة فينا غير مائتة وطالما تستصعب ارادتنا الخضوع لارادة الله توجد فينا اشياء غير مائتة ينبغي لنا ان ندفعها الى الموت الروحيّ المُولِّد فينا حياة الله المحضة *

الفصل الثامن

في انّ الايمان هو نبراسُ النفس الممتحنة

انّ الايمان يقومُ بان نخضع لاحكام الله بدون ان نفهمها ذلك لانّها احكام الله لا غير *

ربّما تشكين ايتها النفس الممتحنة قائلةً: انّي لستُ أقدر في زمن الوجع ان افعل افعال خضوعٍ لارادة الله فاذا كنت لا تقدرين على ذلك فاكتفي

بسكونك وامتنعي عن التذمر والتظلُّم فحينئذٍ يكون الاجرُ واحدًا *

من لا يقدر ان يُصدر أوان الوجع افعال فضائل او يفوهَ باقوالٍ مقدَّسة كاسمِ يسوع ومريم لا يُبطل عجزهُ هذا ثواب الصبر ولا يمنع الله عن قبول اوجاعهِ اذا يمتنع عن التذمُّر ويرغب في الباطن بان يفعل تلك الافعال ويفوه بتلك الالفاظ المقدَّسة التي يهواها بل انَّهُ اذا اراد مع ذلك عجزهِ ان يزحم ذاتهُ فانَّهُ يفقد بدون فائدة ما بقي لهُ من القوَّة. فاذا عادت عليهِ قوَّتهُ امكنهُ اذ ذاك ان يصدر الافعال التي كانت موجودةً فيهِ بالرغبة *

ان الله يطلب من النفس الممتحَنة ان تستودعهُ ذاتها بالكليَّة فطالما يوجد فيها شيءٌ غير مستودع فهو لا يكتفي بما قَبِل منها. انهُ تعالى يطلب النفس

بجملتها ويريد ان يجرّدها من كلّ شيء حتى من ذاتها لكي تكون له وحده ويكون هو وحده كلّ شيء لها لانّ النفس طالما تتعلّق بشيء في هذه الدنيا فلا تكون بجملتها لله لكن لذلك الشيء المتعلّقة به وذلك على قدر تعلّقها *

نعم انّي اسلّم باننا لا نقدر ان نبلغ من تلقاء انفسنا الى هذا التجرّد التام بدون قوّة باطنة خارقة العادة وهذه القوّة مستندة الى فضيلتين وهما الايمان والحب وكلّ حبّ مهما كان شديدًا لا يركن الى الايمان ويستنير بانواره فلا يلبث ان يفنى ويزول . انّ الحبّ يحتاج كلّ حين الى مسند يستند اليه فاذا ادبرت عنه كلّ تسلية ومواصلة ولم يستعن بتعاليم الايمان يضعف ويتزعزع غير انّه بواسطة صخرة الايمان التي لا تزعزعها عواصف المحن ورعود التجارب يستوي قائمًا ويلبث راسخًا *

فليته تعالى ينعم علينا بهذه النعمة القويّة الغالبة التي تحفظ فينا سراج الايمان موقداً كلّ حين لتكون محبّتنا له شديدةً على رغم بلايانا وتجاربنا *

الفصل التاسع

في اشتداد الحبّ بمناسبة ازدياد الايمان

انّ الايمان هو خبزٌ جوهريٌ يحوّلنا الى اناسٍ روحيين بعد ان كنّا ارضيّين قياماً بهذا قول الرب « انّ البار بالايمان يحيا » وكما انّ الحبّ يولد في السماء من روية الله كذلك الحُبّ الحقيقي الخالص يولد على الارض من الايمان وكلّما كان ايماننا نيرًا بليغاً متقرّباً من ضياء المشاهدة الالهيّة اشتدّ حبّنا وقوي وزاد رسوخاً وكان شبيهاً بذلك الحُبّ الغير المتزعزع الذي به نحبّ الآب والابن والروح القدس

في السماء مدى الابد *

فلنحيَ اذن بجُملتنا في الايمان اي في نور الله لانّ هذا النور لا يختلف في الحقيقة عن نور السماء الّا كما يختلف الفجر من الشمس في وسط النهار فلنتقدّس اذًا اكثر فاكثر باتّحادٍ تامّ كامل بالله ولنجتهد بان لا ندع فعلاً من افعال ارادتنا او شوقًا من اشواقنا غير موافقٍ لارادتهِ تعالى الكليّة العدالة والحكمة واشواقهِ الكليّة القداسة والمسجود لها. اجل فلنذهب بجُملتنا الى الله ولنتخذ من جميع اعمالهِ واحساناتهِ درجاتٍ نرتقي بها اليهِ *

الفصل العاشر

في انّ الايمان يُرينا السماء جزاء محننا

انّ امّ المقابيّين الصالحة كانت تشجّع اولادها

في اوان الجهاد بهذا الكلام « انظروا الى السماء » . انّ يسوع عند حملهِ الصليب كان ينظر الى الجلجلة امّا نحن فعند حملنا صليبنا نرى السماء بازائنا . نعم انّ دموعنا كثيرًا ما تحجب عنّا بهاء السماء ولا يسعنا غالبًا ان نشغل فكرنا بهِ لشدّة وطأة الوجع غير انّ الايمان يبقى فينا ويصرخ الينا من اعماق قلبنا كامّ صائحة : السماء انظروا الى السماء *

ويقول الايمان ايضًا للنفس التي تريد الله اكثر من ارادتها غبطة الحظوى بهِ : انّ الآب السماوي ينظر اليكِ ويُسرُّ بكِ في هذا الجهاد الشاقّ ويكون معكِ ليساعدكِ وكلّ مرّة تنتصرين فيها على الطبيعة وتجتهدين بعض الاجتهاد لتلبثي خاضعةً لهُ يتهلّل قلبهُ الابوي افتخارًا بكِ ويشجّعكِ بصوتهِ على الثبات في المجاهدة *

فلنرفع اذن قلوبنا الى فوق ولنقابل هجمات

الوجع بافعال الخضوع والاتّكال البنويّ على الله تعالى. أجل فلنتّكل على من يعرف وحدهُ وسع احزاننا واحتياجاتنا فانّهُ يشاهد دموعنا ويتأثّر منها غير انهُ يشاهدُ ايضاً الاستحقاقات التي نقدر ان نربحها والمجد الذي يجب علينا ان نبلغ اليهِ. انّ الحيوة قصيرة وسوف نستريح في الابديّة كلّها من اتعابنا ونتسلّى عن اوجاعنا *

الفصل الحادي عشر

في انّ الايمان يمنح الرجاء ويسند الخضوع

مهما تعاظمت محبّتك وبلاياك الباطنة فلا تفقد ثقتك بالله ولو هنيئة من الزمان فان تعاظم بلاياك هو نفسهُ داعٍ للثقة بالله *

انّ الله ليس نظير البشر فاذا احبَّ احدًا فانّهُ

يحبهُ دائماً ولا يعرض عنهُ ابداً . واذا رفع احدى النفوس الى شرف الاتحاد بهِ فلا يتركها في وسط محنها بل يستخدم هذهِ المحن نفسها ليزيد ذاك الاتحاد شدَّةً ويبلغ بهِ الى الكمال *

قالت القدّيسة تريزية « انهُ لمن المحقق انّ الله يسير بالذين يحبهم حبًّا رقيقاً في طرقٍ شاقّة عسرة وكلَّما أحبَّ نفساً ارسل اليها احزاناً واوجاعاً . » وهذا الكلام قد قالهُ ايضاً جميعُ القدّيسين لاختبارهم حقيقتهُ فضلاً عن انّ الكتاب المقدّس يؤيّدهُ بامثال وشواهد كثيرة العدد *

فلا تشكنّ اذن في جودة قلب الله وكثرة مراحمهِ فانَّهُ قد اجتذبنا اليهِ اجتذاباً يمنعهُ عن العدول عنَّا واذا تركنا الجميع فهو لا يتركنا بل كلَّما زدنا تجرّداً من الخليقة استغنينا بهِ *

قال الرسل لربنا يسوع « زدنا ايماناً » فلنقل

لهُ نحن ايضاً كذلك لانّ الايمان ركن كلّ فضيلة وهو الذي يحمل الرجاء ويلد الحُبّ ويسند الخضوع ويعلّم الكفران بالذات ويقوّم جميع اهوائنا ويصلح سائر افكارنا ويرتّب كلّ شيء فينا ويكون لدينا بمنزلة البستانيّ فيسقي ويربّي جميع الاغراس التي زرعها الربّ في كرم انفسنا ولذا قيل « انّ البار بالايمان يحيا » *

الفصل الثاني عشر

في انّ الايمان يمنع صراخات الانسان الادنى وتظلّماتهِ

تذكّر في ظلماتك انّ الرب يسوع اذ ابتدا بنزعهِ الاخير شرعت الظلمات تمتدّ في الارض كلّها ثمّ انّ الله نفسهُ قد امسك عن مساعدة حبيبهِ الصبور

فلم تحدث هذه الامور من اجل الذبيحة المائتة فقط بل من اجلنا نحن ايضاً لنتشجع بمثال هذا الابن الحبيب *

وعندما تركنا الربّ يسوع قال لنا : « انّي صاعدٌ الى ابي وابيكم » وقال ايضاً قبل ذلك بقليل : « انني انطلق لأُعدّ لكم مكاناً في بيت ابي ... سيكون لكم ضيقٌ في العالم ولكن حزنكم يؤول الى فرح » فافهم ايّها القارئ انّ حزننا يؤول الى فرحٍ وكلّما زاد حزننا زاد بمناسبة ذلك فرحنا ايضاً *

اذا كان الطريق الذي تسير فيهِ مظلماً فانت تسير حتّاً في طريق الجلجلة على آثار مخلّصك يسوع فسِر على هذهِ الآثار . انّ الايمان يُرينا فوائد هذا المسير وعواقبهُ الحميدة غير انّ الطبيعة هي تقاوم فينا واذا كان القدّيسون قد ادركوا لزوم الخضوع في كلّ محنهم فذلك لانّ ايمانهم كان نيّراً فيهم بحيث

انهُ لم يدع لطبيعتهم سبيلاً للاعتراض بل كان يمنع جميع صراخات انسانهم الادنى *

فاحيَ اذاً بالايمان واعتقد انّ التألم بجميع وجوهِهِ لدعوةٌ رفيعةٌ ساميةٌ . اذ انّ يسوع ابن الله نفسهُ قد اختارها لهُ ولم يشأ غيرها . ولعلّك تقول انّنا من خزفٍ سريع العطب وشيءٌ قليل يقلبنا قلتُ نعم نحن كما تفضّلت ولذلك يجوز لنا كلّ حين ان نسترحم الله طالبين منهُ نعمة الصبر التي تحوّل دموعنا الى ذهب خالص فلا نسقط آنئذٍ ولا تحطم إناء طبيعتنا بالضربات التي تتساقط عليهِ فبهذه الشروط ينبغي لنا ان نصلّي وعلى هذا الوجه نخضع لاحكام العناية الربّانيّة ونسلم من العوارض التي تقدران تحوّل الى هلاكنا ما اعدّهُ الله لمنفعتنا العظمى *

قال ايوّب البار : انّ حياة الانسان قصيرة وكلها اوجاع (ايوب ١٤ : ١) فلسعد حظّنا ان

ما يثير في غيرنا اليأس وقطع الامل هو نفسهُ يشجعنا . فاننا من اجل قصر حياتنا والراحة الأبديّة التي نعقبها نقول لأنفسنا تشجعي تشجّعي رويداً فيمسح كلَّ دمعة من عينيك (رويا ٧ : ١٧) الاله الذي يشاهد احزانكِ وخضوعكِ . تشجّعي فانَّ كلاًّ من صلبانك لا يدوم الاَّ زمناً يسيراً وبعد ان ينتهي يُنشىء فيكِ ثقل مجدٍ ابديّ اكثر فاكثر (٢ قور ٤ : ١٧) في حضن ابيكِ الذي ينتظركِ في السماء آمين *

DE LA MORTIFICATION DE SOI-MÊME

نبذة

في اماتة الذات

وهي

الكتاب السادس عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكنبيسيّ

انّ القدّيس بولس الرسول المجيد يعلّمني ان احيا حيوة قشفيّة اذ يقول : « احسبوا انفسكم امواتاً للخطيئة واحياء لله بربنّا يسوع المسيح » وقال ايضاً « ان كنّا قد متنا مع المسيح نومن انّا سنحيا ايضاً معهُ » (روم ٦ : ٨ و ١١) *

فمن الواجب اذن ان أُميت ذاتي واتركها في كلّ شيء واتسلّط عليها من اجل يسوع المسيح الذي مات لاجلي وقام من بين الاموات *

انّي اجد في حياة ربنا يسوع المسيح كمال هذه الفضيلة اي إِماتة ذاتي في اهوائي واميالي الحسيّة التي لابدّ لي ان اقمعها واذلّلها . واجدُ ايضاً في موت يسوع المسيح مثالَ حيوة روحيّة باطنة ممتلئة نعمة وقوّة ياخذ بي من وسط جميع الاشياء الزائلة و يفصلني من كلّ تعلّقٍ بانعطافٍ او نفور للخلائق ايًّا كانت *

واذا ما تجرّدتُ هكذا من كلّ شيء وكنتُ

فارغ البال من كلّ خليقةٍ ارتفعتُ مع يسوع الى السماء ولم اعُد آنسُ بتسليةٍ وأُسرّ بشيءٍ واطلب خيرًا سوى الاتّحاد بالمسيح ونجدهِ والحيوةِ معهُ *

٣ً : فما اسعد هذهِ الاماتة التي تفتح لي باب الحيوة الابديّة فانّ يوحنّا الانجيليّ قد سمع صوتًا يقول لهُ : « طوبى للاموات الذين يموتون في الرب انهم من الان يقول الروح يستريحون من اتعابهم » (رؤيا ١٤ : ١٣) *

فحقًّا انّ هذا الكلام الدالّ على الموت للخطيئة وغضب الطبيعة لنازلٌ من السماء والانسان لا يجد السلام الباطن الحقيقي الاّ في موتهِ لذاتهِ وللعالم وذلك كلّ يومٍ من حياتهِ *

فيجب اذن عليّ كلّ يوم ان اجدّد العزم على ان اموت لاجل يسوع المسيح وابتدئ باصلاح سيرتي واتأهب للتألم والموت قاهرًا ذاتي *

ويجب عليّ فضلاً عن ذلك ان اجتهد كلّ ساعة وحينٍ في الخروج من ذاتي وتركها تماماً لاجل يسوع المسيح وفي الكفران بحُبّ ذاتي وملاشاتِهِ ملاشاةً كليّةً لاجل حبّهِ تعالى لاني اربح كلّ ما اتركهُ لاجل يسوع المَسيح وكلّما خرجتُ من ذاتي زدتُ تقدّماً *

متى اترك ذاتي اجدُها ومتى طلبتُها فقدتُها ومتى ارغب في راحتي اجرحُ نفسي *

٢ً: ويجب عليّ ايضاً ان اموت بالروح لذاتي في اشياء كثيرة ولو كان الجسد ضعيفاً مارداً واعمل غالباً ما يضادُّني واترك جانباً ما احبّ عملهُ فبهذا فقط يقوم جهادي وانتصاري وطوبى لمن يعرف ان يترك نفسهُ ويكسر ارادتهُ في كلّ شيءٍ لانهُ ينال من لدن الله اكليل الحيوة الابديّة *

ان المكافآت البشريّة قليلة حقيرة وتزول عاجلاً

ولكن لا يضيع شيء عند الله لا في هذا الزمان ولا في الابدية فمن جهتي انّي اروم ان البث قُرب حبيبي يسوع فليعمل بي حسب قدرتهِ فانهُ يريد ان يغفر لي إن اسأتُ اليهِ ويكافئني إن احسنتُ عملي كما اكّد لي ذلك هو نفسهُ *

٤ : يا يسوع حبيبي ارتضِ ان تنعم عليَّ بهذا الاحسان فانّي لست بشيء . نعم يحقّ لي ان اتشكى من نفسي واسكب دمعاً غزيرًا على حالي فانا الذي اعطّل مسيري واحمّل نفسي الاثقال واذا تفكّرتُ ونظرتُ فيّ بعين صائبة اعترفت لله بانّ ذلك ذنبي وخطيئتي *

وعليهِ فكلما تواضعتُ واحتقرتُ ذاتي من اجل جميع تلك الموانع تيسّر لي نوال الغفران وقويتُ على كلّ ثقلٍ باحتمالي اثقال يسوع المسيح بتذلل *

ماذا ينفعني ان اضع على غيري حمل شقائي .

فإن كنتُ مُصيباً فخيرٌ لي ان احتمل ساكتاً اذ انّ جميع تشكياتي لا تحسّن حالتي وان كنتُ مخطئاً فليس لي الاّ ان ابادر الى الاذعان *

يا يسوع حبيبي ساعدني على احتمال حملي لانّي بغيرك لستُ اقدر على شيء فانك آمنُ صديق وافضل معين عند ورود الحاجة وينبغي لي ان اصبر على كلّ بليّة واحتمل على السواء العدل والظلم خاضعاً وان كان يشقّ عليّ ذلك غالباً لانّ نهاية الفرح كنهاية الحزن قريبةٌ جدًّا في هذا العالم *

طوبى لمن يتوقّع المواعيد الالهيّة ويترك الله يعمل فيهِ كلّ حين بحسب مسرّتهِ الصالحة بدون اختيار وبلا قلق *

٥ : اشكرُك يا رب على كلّ الاحزان والخيرات التي اتتني وان كنتُ غير اهل لها وكن الى الابد مباركاً ومحمودًا على كلّ تسلية شعرتُ بها *

انّي لا البث ان انجو من ضيقاتي واعود الى ما كنتُ لان لا شيء يدوم تحت الشمس ولمّا كان كلّ شيء باطل هنا فسوف يزول ويعبر ولا يسلم احدٌ في هذا العالم من الوجع حيث كان ومهما ملك *

مباركٌ الربُّ فانّي قد استحقيتُ الوجع ولي خاصّةً يحق الاحتقار والشدّة بمقتضى العدل . اعني يا يسوع المحبوب على البلوغ الى آخرة صالحة مقدّسة فانّي ارجو ان كلّ شيء يؤول الى خيري وان كانت جميع الاشياء تعبر في هذا العالم متفاوتة متمايلةً فبمن اثق الّا برحمتك يا يسوع حبيبي وملجإي الوحيد *

٦ : ماذا تنفع التسلياتُ البشريّة اذا تركتني انت او من ذا يعينني اذا عضدتني غير انّك كثيرًا ما تلبث بعيدًا عنّي محجوبًا *

انّي لا اقدر ان اثق بشعائر قلبي الحسنة وتسلياتهِ لأنّي افقد غالبًا هذهِ الاشياء بدون علمي ومعرفتي

والذا ينبغي لي ان اموت ايضًا لذاتي في هذهِ الاشياء واكفر بكل تسلية باطنة واضع ارادتي في ارادة ربي واتعلّم ان احتمل منفاي وضيقاتي وظلماتي حتّى يرتضي لاسمهِ المسجود ان يرحمني ايضًا انا البائس ويسلّيني *

وينبغي لي ان اتوقّع نعمة الله وارتضي بفقري وافتكر بانّي لا اساوي فلسًا غير انّ الله هو مبدأُ وغايةُ كلّ الخيرات وهو الذي في لحظة واحدة يغني ويفقر. يُضرم ويبرّد يرفع ويضع ينير ويُدخل في الظلام ويعمل هكذا في باطن الانسان عجائب عديدة يتعذّر ذكرُها *

٧ : فيا يسوع حبيبي اصنع فيّ ما تراه خيرًا لي لانّي لا ارى بواطني وانت وحدك تعرف ما هو اشدّ نفعًا لي . فاستودعك نفسي واثقًا بك فاصنع فيّ حسب مشيئتك العالية *

اذا اضرّني شيء شعرتُ بهِ للحال لانّ قلق

القلب عسر الاحتمال فكلّ الموانع والقلاقل ناتي من طلبي ذاتي اذ انّ الطبيعة تطلب دائمًا ما يلائمها بايّ نوعٍ كان ذلك في الداخل والخارج في الاشياء الكبيرة والصغيرة ويشقُّ عليها جدًّا الموت والكفران بذاتها *

ومع ذلك لابدّ لها ان تموت وتُقهر اذا اراد الروح ان يتنعّم بالسلام والاتّحاد بيسوع المسيح *

فيا يسوع حبيبي اشركني في نعمتك ولا تتركني في احتياجاتي لانّ لي موانع كثيرة يجب عليّ تذليلها ايضًا *

اني لم اكفر بعدُ بذاتي كفرانًا تامًّا ولست مائتًا لذاتي بالكليّة ومجردًا من كلّ الخلائق ومعتوقًا من كلِّ الانعطافات التي تغلّلني بل انّ الطبيعة تحيا ايضًا فيَّ حيوةً شديدة ولا تزال ملازمةً مكانها وتُعلمني انّ شرارة الخطيئة باقيةٌ في جسدي *

فجُد عليَّ ايها الرب حبيبي باحسان نعمتك اذ ان جميع اعدائي يبيدون للوقت بقدرتك ويهربون من امامك بمجرَّد كلمتك ولحظة بصرك *

٨ : ولكن ينبغي لي ان احيا دائمًا في الخوف ولا اتكل على ذاتي ابدًا لاني لستُ في امنٍ وإن نجوت وتخلَّصت من الشرّ مرارًا كثيرة فلا ينبغي لي ان اتكل على علمٍ ولا على مزيَّةٍ ولا على تسليةٍ لكن اتّكالي على رحمتك فقط يا يسوع الرحيم الحليم لانّي بدونك موبَقٌ وحملٌ ثقيلٌ لنفسي وبمعيَّتك اكون حرًّا ثابتًا سائدًا على نفسي اني لست اقدر ان اضع قلبي على شيءٍ مهما بدا لي جميلًا لانَّ كلُّ ما اطلبهُ في هذا العالم خارجًا عني عابرٌ بزول فلا ثبات ولا امان لا في البشر ولا في الاشياء ولا في القصور ولا في الاديرة وفي كلّ مكان شوائب ومخالفات ومقاومات من كلّ جهة وجانب . وكل

شيء هنا غايتهُ زيادةُ الاوجاع والضيقات في الداخل والخارج ومتى حلّ الوجع بأحدٍ لا يفيدهُ ان يكون في قصرٍ فاخرٍ وذا اموال طائلة *

٩ : من يعرف ان يؤالف الفقر ويتألّم لاجل الله ويفضّل القلّة على الكثرة ويحصل على السلام الاعظم والفرح الاجزل لدى الله *

متى احبّ انسانٌ شيئاً زمنياً محبةً زائدة فلا يستطيع ان يتمتّع بالسلام الباطن زماناً طويلاً *

ينبغي لنا ان ننظر الى كلّ شيء بعين بسيطة وقلبٍ طاهر ونتحذّر من النظر الى الاشياء بتلذذٍ حسّيّ فعلى هذا الوجه يسلم الانسان من الدنس ويلبث طاهر الضمير *

وينبغي لنا ايضاً ان نفضّل ارادة الله على كل الاشياء العالميّة وعلى كلِ افراح السماء فليمنحنا الربُّ الاله نفسهُ هذهِ النعمة آمين *

ELOGE DE L'HUMILITÉ

ثناء

على فضيلة التواضع الحسناء

وهو

الكتاب السابع عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

قال الرب : تعلّموا منّي فانّي وديع ومتواضع القلب *

ان ربّنا ومعلّمنا يسوع يحثّنا بهذا الكلام على اكتساب فضيلة التواضع التي تجعل من يحسن حفظها كاملاً في الحال وبدونها لا يفيدنا علمٌ للخلاص لانّ من يجتهد في معرفة شيء بدون تواضع فباطلاً يسعى ويشتغل *

فاوّل شيء يعلمنا اياهُ يسوع المسيح هو تواضع القلب لانهُ اساس كلّ فضيلة وضروري للبلوغ الى الخلاص الابدي *

فليسمعهُ جميع المسيحيّين والرهبان والكهنة والرؤساء والاشراف والعلماء والجهّال لان تعليم يسوع المسيح ليس بغويص لكنّهُ وضيعٌ وليس باطلاً لكنّهُ نافعٌ وليس كاذباً لكنّهُ صحيحٌ وليس ارضياً لكنّهُ سماوي *

٢ : من يقتدِ بتواضع يسوع المسيح يضحِ للحال عالمًا سعيدًا. انّ التواضع فضيلة يسوع الخصوصيّة وهو مخالف للشيطان مكروه لدى العالم ومن يحفظهُ في قلبهِ واعمالهِ يُرضِ الله والملائكة ويقلّ خوفهُ عند انتقالهِ من هذا العالم كما قال الرب يسوع : طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات * (مت ٥ : ٣) *

فإذن بدون تواضع ليس خلاص ولا فضيلة ولا عمل يرضي الله . وبدونهِ ايضًا كل عمل مهما عظم واستطال يكون باطلاً . لانّ التواضع البليغ هو ذروة الفضائل ويظفر دائمًا باعدائهِ وظفرهُ هذا يكون بنعمة يسوع المسيح الممنوحة لهُ كصديق أمين لانهُ يخضع بطيبةٍ لخالقهِ وينسب اليهِ كلّ خير متصاغرًا في كل شيء *

انّ شُهرة القداسة ليست بشيء بدون التواضع

الحقيقي . والاحتشام الظاهر لا يُجدي نفعاً اذا كان الباطن خالياً من التواضع *

من كان حائزاً فضيلة التواضع يبلغ بقفزة واحدة الى الخير الاعظم امّا من يكون عرياناً منها فيتدهور من الاعالي الى دركات الجحيم *

واليك شاهدًا في ذلك العشّار المتواضع والفريسي المتكبّر . انظر بفزعٍ الى زعيم الشياطين ساقطاً من السماء وشاهد لعازر مطروحاً في تواضعهِ ومنقولاً بفرحٍ بواسطة الملائكة الى حضن ابراهيم فهذا ما حمل مريم العذراء الوضيعة ام يسوع على ان تقول . انزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتواضعين وامثلة الكتاب المقدّس كثيرة في ذلك وكلُّ يومٍ يُرينا الاخطار التي تتوعَّد المتكبّرين بفضيلتهم *

٢ : وفي الحقيقة انّ من يطلب رضى الناس وان يعدّوهُ عظيماً برذالة الله فيفنى كالدخان وكلّ

من يرتفع امام الله بجهل ذاتهُ ولا ينظر الى السقطات التي يعرّض اليها نفسهُ *

فكلّ من يسقط في الكبرياء يسلمهُ الله بحكم عادل الى رايهِ المرذول . من يعظّم نفسهُ ويفضّلها على غيرهِ يسقط من العلى امّا المتواضع فيلبث واقفاً *

الكبرياء الخفيّة شرّ من الاوبئة فانّ صاحبها يُظهر الوداد في الظاهر وهو في الداخل شرسٌ قاسٍ . يفرح في الرخاء ويضطرب في البلاء . من يطلب ان يخزي غيره ويبرّر نفسهُ يجلب الخزي على ذاتهِ ويُظهر كبرياءه *

من شان المتكبّر ان يرضى عن نفسهِ ويثق بها اكثر من ثقتهِ بغيره وينتهر في الحال الناس على اعمالهم ويضحك من السذّج ويميل الى كلّ شرّ لانّ من يُحسن الظنّ بنفسهِ ويُسيئه دائماً بقريبهِ يخطأ في احكامهِ *

٤ : ليس واسطةٌ احسن لاكتساب الفضائل من التخرّج الدائم في الاعمال الوضيعة واحتمال اهانات كثيرة والجلوس في الامكنة الاخيرة *

من يستصعب الخضوع والطاعة لشيخٍ يكون بعيدًا من التواضع الحقيقي. انّ التواضع هو اصل الفضائل ويأتي من ذاتهِ بثمرة الطاعة الثمينة التي تنضج في المحبّة *

ان المتواضع الحقيقي هو الذي ينظر في شوائبهِ الذاتيّة ويدين نفسهُ ويبكي في الليل والنهار على زلاّتهِ *

انّ الاخ الوضيع لا يدين رئيسهُ ولا يهين الله ديّانهُ ولا يُحزن رفيقهُ لكنّهُ يُوقّر الشيخ ويحتمل الناقص ويُصلّي لاجل المُجرَّب ويساعد المحتاج *

انّ المتواضعين يتّفقون فيما بينهم غير انّ المتكبّرين يتخاصمون حتى على احقر الاشياء . اذا مُدحَ المتواضع الحقيقي لا يضرّهُ هذا المدح لانهُ

يعرف معرفةً حقيقيّةً انهُ ضعيف جدًّا ويخشى في كلّ اعمالهِ وافكارهِ نظر الله الثاقب *

٥ً : انّ دخول الخوف من احكام الله السريّة في عقل الانسان وذكر الانسان عواقبهُ الاخيرة على الدوام يساعدان كلّ المساعدة على التواضع والتذلّل *

المتواضع الحقيقي هو الذي لا تؤثّر فيهِ مدائح الناس ومن يتأمّل مجد السماء يحتقر بسهولة كلّ الكرامات الزمنيّة امّا من يطلب مجدهُ فيعدل عن الصواب ولا يُحبّ الله محبّة كاملة فوق كلّ شيء . الرئيسُ الوضيع عزيز لدى الله وخليق بكلّ الكرامات والمرؤوس المتواضع يتكلّل في السماوات باكليل بهيج رفيع *

الرجلُ القنوع العفيف رفيقُ الملائكة ومجد المائتين ومن يجتنب ضوضاء العالم يزدد عفةً .

النفس العابدة الباطنة تحبّ الاختلاء لتتفرّغ لله بأعظم حريّة. والراهب السَّكوت المواظب على الصلوة يسير مع الله ويخرق السماء *

من يصنع الخير ويصبر على الظلم يأتِ باحسن الاثمار. من يشغل فكرهُ بالمسائل الباطلة ويجتنب سُبُل التواضع يحفر لهُ حفرةً يسقط فيها بدون علمهِ * من يتق الى المواضع الرفيعة يشنق نفسهُ فيها ويخنقها *

الرجل الفطن يجتنب العجلة في اعمالهِ والعبد الامين لا يهمل شيئاً ولا يُغشّ. الرجل البار يفحص الاشياء قبل ان يحكم فيها. امّا نحن فنخدع بظواهر الصلاح *

٦: من يعتمد كثيراً على نفسهِ يلقِها في الخطر ومن يذعن لمشورات الاختبار والعلم يتدرّب بحكمة عظمى *

من يطلب المشورة ويستغيث براي غيرهِ يسلك طريق التواضع اذ انّ الله كثيراً ما يقول لنا بغيرنا

ما يابى اعلانهُ لنا بذاتهِ *

من يسمع كلام الله من فم جاهل ويحب الغضبان بحلم يبدِ تواضعاً وطاعةً بليغين *

من يسكت عندما يُظلم ويجار عليهِ لخليقٌ بكلِّ مديح امّا من يقاوم الرئيس ولا يذعن لأوامرهِ ومشوراتهِ في الفضيلة يكون اهلاً للخزي *

انّ المتواضع الحقيقيّ يخضع حتى للاوامر الصعبة والحقيرة وكلّما بالغ الانسان في التواضع فاق غيرهُ بتقدّمهِ الروحيّ *

من يكفر للحال بآرائهِ يسحق بضربةٍ واحدة عدوّهُ ولا شيء اعظم من هذا ان لا نطمع بنعمة الله وبما يمنحنا من القوّة *

٧ً : فلكي نسلم اذن من مخاطر الشيطان الذي يتهدّدنا يميناً وشمالاً علينا بالتواضع الحقيقي والصلوة الورعة بضمير طاهر فانهما اقوى سلاح لنا *

الرجل المتكبّر يُمسك في فخاخ افكارهِ الرديئة والمتعجرفة والمتواضع لا يرتفع في الصلاح بل يشكرهُ تعالى على كلّ خيرٍ ينالهُ *

من يتواضع في حينهِ يتدرّب بحكمتهِ لكيلا يصيبهُ شرٌّ . انّ التواضع يُهدّئ غضب الله من كل اهانة ويبني القريب المتشكّك ويخزي الشيطان ويفتح ابواب السماء للخاطئ ويمحو كلّ المآثم *

تواضَع فلا تخشى الشيطان لانّ التواضع وحدهُ يسلم من كل فخاخ الشيطان ويستظهر على قوّتهِ *

انّ جميع الذين خُدعوا وسقطوا كانوا قد امتلأوا من روح الكبرياء فكن اذن وضيعاً حقيراً في عينيك لكيلا تسيء الى الله فتُطرح مع الشيطان لانّ السماء لا يدخلها غيرُ المتواضعين ولا ينتخب الله غيرهم ولا يقبل الصدّيقين الاّ متى كانوا متواضعين *

DE LA VIE BONNE ET PAISIBLE

نبذة

في الحيوة الصالحة الهادئة

وهي

الكتاب الثامن عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

إِن شئت ان تحيا حيوةً خليقةً بالله فينبغي لك ان تسلم ذاتك لهُ تعالى . ضع قلبك حيث يجب فتملك السلام في كلّ مكان *

اقصد ان تحمل اثقل الاحمال فيتيسّر لك حَمل الخفيفة منها تعلَّم ان تغصب نفسك في كلّ شيء فيسود السلام في باطنك *

أَرِد ما يجب فتحصل هكذا على السماء . بالصبر والسكوت يكتسب الانسان سلاماً اعظم . الصبر الجميلُ حكمةٌ جليلة *

اذا كان يجب عليَّ ان اغصب نفسي في كلّ شيء فعليَّ بادئ بدء بالامانة اذ انَّهُ لا بدّ لي من الامانة المقدَّسة قبل كلّ شيء *

انّي لا اجد كفايتي في شيء من الاشياء وان حصلت على هذا او ذاك *

ضع عنك كلمة أُريد وما أُريد فلا يزحمك

شيءٍ. اذا لا تركن بزيادة الى الاشياء الخارجية تكون هادئًا في الباطن *

لا تهتم بخيرات الارض لئلَّا تفقد خيرات السماء الابديَّة التي وعد بها يسوع المسيح احباءهُ *

مهما عرفت واكتسبت فلا يكون ذلك شيئًا اذا لم تملك الله بموجب مسرَّتهِ . من يستهن بكلّ ما يلذُّ تحت السماء يستطيع ان يرفع فكرهُ فوق السماوات ويذُق شيئًا من افراح السماء *

٣ : ليت شعري كيف يمكن ان توجد هذه الاشياء التي نتوق اليها. انَّنا في الحقيقة لسنا شيئًا وان لاح لنا اننا شيء *

ما لك تتشكَّى كثيرًا وتركض هنا وهناك فحيثما ذهبتَ والى ايّ موضع توجّهت فلا تجد يُسرًا بدون عسرٍ اذ انَّهُ ليس مكانٌ خاليًا من الالم . واذا كنت لا تحسن الفرح بالالم فينبغي لك على

الاول ان تصبر عليهِ بسكون وتغلب هكذا بالصبر كلّ شدّة *

لا يفيدُك شيءٌ إن كنت لا تترك ذاتك في كلّ شيء ومهما طال بقاؤك على الارض فينبغي لك ان تحارب ذاتك وتدفع عنك العدو بهذا يزيد ثوابك ان احتملت ما يشقّ عليك لاجل الله *

٢ً : اذا هربت من الوجع تبعك لانّ هذهِ الحيوة مملوّة نقائص وضيقات .اجل انّك تطلب التخلّص من كل اهوائك غير انّ هذا لا يُجديك نفعاً فاصبر اذن ان كنت تُريد ان تُرضي الله وتزيد ثوابك لانّ كلّ شيء يؤول الى منفعتك اذا قبلت من يدي الله البلاء كربح لنفسك *

إنّ طريق السماء المستقيم هو التالم لاجل الله. الصبرُ الوضيع يدلّ على سيرة فاضلة وحكمة سماويّة وهكذا يبلغ الانسان الى افراح الملكوت الابديّة *

فليرتضِ يسوعٍ الرحيم الذي يملك مع الآب والروح القدس الهًا مدى الدهور ان يمنحنا هذهِ النعمة باستحقاقات موتهِ المقدّس وشفاعة امّهِ الفريدة مريم الدائمة البتوليّة آمين *

MARTHE ET MARIE

OU

LA VIE ACTIVE
ET LA VIE CONTEMPLATIVE

كتاب

في مرتا ومريم

او

في الحيوة العمليّة والحيوة النظريّة

وهو

الكتاب التاسع عشر

من مُنتخبات الموقّر توما الكنبيسيّ

ان نصيب مريم وان كان افضل واعذب غير انّ نصيب اختها القدّيسة مرتا المجتهد محمودٌ وشهيٌّ لدى الله كما قال الرب نفسهُ في الانجيل : ان كان احدٌ يخدمني يكرمهُ ابي (يوحنا ١٢ : ٢٦) *

فالخدمة تختصّ بمرتا كما يختصّ التامّل بمريم غير انهُ لا ينبغي لهاتين الاختين ان تتفارقا وتتخاصما في وظائفهما بل الاحرى بهما ان تتّفقا في قبول المسيح في منزلهما لكي يسوغ لهما الثبات في الكمال في كلّ شيء والنمو كلّ يوم في الفضائل *

٢ : فلتخدم مرتا وتشتغل وتدبّر منزلها احسن تدبير قدّام الله والناس لكي تستطيع اختها مريم ان ترتقي الى الاشياء الالهيّة بحرّيّة عظمى . ولتمتنع من التذمّر على اختها لانها تتركها تخدم وحدها بل بالاحرى فلتحثّ مريم على ملازمة السكوت والاعتزال عن امور العالم ولتحثّها ايضًا على ان تجعل دائمًا نصب

عينيها يسوع الذي تتوق الملائكة الى مشاهدتهِ وتسمع منهُ متعجبة من كلام النعمة البارز من شفتيهِ وتتأهب لاستماع الاعلانات الالهية وتطهّر قلبها وتجرّدهُ من الارض بحيث انها تستحق ذات يوم وهي مضطرمة اشواقاً سماويةً ان تدخل مع يسوع حبيبها الى افراح عذوبتهِ الغير المالوفة *

٢ : اما مريم فينبغي لها ان ترقّ لاختها وتكثر من الصلوة الى الرب لاجلها لكي تستطيع ان تقدّم لها ولغيرها بلياقة وعبادة واجبات المعيشة وتكون صبورة في الشدّة وامينة فطنة في جميع اعمالها وتتفرّغ للاعمال الخارجيّة بنظام وسكون بحيث انها لا تتغافل كلّ التغافل عن نفسها في الباطن بل تنفرد في الخلوة عند سنوح الفرصة على مثال اختها لكي تعتني قليلاً بنفسها وينبغي لمريم ايضاً ان لا تعدّ شيئاً عظيماً لذيذاً الحيوة لاجل الله وحدهُ ولنفسها تاركةً اختها

تحت الثقل بل فلتنظر اليها بعين المحبّة وتذكرها عند حبيبها ولا ترفض ان تخفّف عنها على قدر وسعها بكلمةٍ مسلّية *

واعلمي يا مريم انكِ لا تقدرين ان تحسني التأمّل والنظر في الاشياء الباطنة اذا ابت مرتا ان تشتغل لاجلك وترتّب الاشياء الخارجة . فاهتمام اختك نافع لكِ جدًّا ويمنع الانزعاج والاضطراب عن اختلائكِ الشهيّ فلا تحتقري اذن اختكِ او تحسبيها اقلّ قداسةً منكِ لاهتمامها بامورٍ زائلة واشياء حقيرة بل انظري كم تسوّغ لكِ التأمّل بخدمتها الوضيعة ثمّ انها وان كانت تعتني بامور خارجيّةٍ وترتّبها وتحفظها فانّها في الباطن تشتغل بامورٍ تفضّلها على سواها اذ انّ يسوع هو الغاية التي لاجلها تشتغل كثيرًا ولاجلها تودّ ان تتعب من الصباح حتّى المساء لكي يجتني غيرها من هذهِ اتعابها اثمارًا روحيّة اغزر *

فاحبّي اذًا اختكِ وترفّقي بها وصلّي لاجلها واحترميها واعذريها واذا كانت تقصّر هي بعض التقصير في الحيوة الروحية فعوّضي انتِ ذلك من رياضاتك المقدّسة التقويّة ولا تنسبي ذلك لذاتك وتدّعي باكثر ممّا لكِ بل وجّهي لهذا العمل افعال محبّتك الصالحة بموجب تحريض نعمة الله اياكِ في الباطن لانهُ ينبغي لكِ ان تقاسمي اختك كلّ اعمالكِ الصالحة لانّ اعمال العبادة تتعذّر عليها اكثر من تعذّرها عليكِ ثم انها اختكِ وكلّ ما تشعرين بهِ من الصلاح امام الله فهو من فضلها *

٤ : وانتِ ايضًا يا مرتا المجتهدة والمهتمّة بامورٍ كثيرة اسمعيني . احترزي من القلق في الشغل ومن الفشل في الشدّة لانّ دواعي القلق ستنهلّ عليك وستصيبك انواع كثيرة من المخالفات ولكن طوبى لكِ ان قبلتِ الكل بصبرٍ واعترفتِ بحكمة

وشكرٍ . انّ الشرور (١) والخيرات تاتي من عند الله فانّك تحتاجين كلّ حين الى صبر وفطنة لتحتملي الشر وتفيضي الخير برحمةٍ على القريب وإن كان غير مستحقٍ تاملي من تخدمين ولأيّ مكافأة تشتغلين. اليس المسيح الذي لهُ وهبتِ ذاتكِ بجملتها فانتِ لهُ وينبغي لكِ ان تعملي ارادتهُ والاّ فانّك تخطئين وتهينينهُ . انّ الرب يقدر ان يزيد نعمتهُ فيكِ ويريكِ مجدهُ بحيث انّك تجلسين قريباً منهُ في ملكوتهِ بعد ان خدمتهِ في هذا العالم باعتناء وعبادةٍ جزيلين*

٥ : اجل يا مرتا انّ ثوابكِ يكون عظيماً في السماء إن كنتِ امينة في خدمتكِ فاخدمي اذن وكملي وظيفتكِ اعدّي احتياجات المعيشة اذهبي الى المطبخ او الى بيت المؤونة اطحني الحنطة إصحني

(١) لا تفهم بالشرور الخطايا لكن الشدّات والمصائب والتجارب وكل ما يخالف اهواء الطبيعة وميلها (المترجم).

الخردل والحبوب الأُخر واذا كان العمل دنيئًا فالمجازاة هي حياة الابد لانكِ مهما صنعتِ لخدّام المسيح يردّهُ لكِ الحاكم العادل في يوم الدينونة . فاذا تركتِ ارادتكِ لمنفعة القريب ايًّا كانت او عدلتِ عن قراءتكِ الروحيّة من اجل احتياجات اخوتك فاذ ذاك تشترين من المسيح ميراث الحيوة الابديّة ويكون يسوع المسيح لديكِ عربونًا حقيقيًّا أكيدًا عن المجد الابدي وعليهِ نسمعهُ يسأل اباهُ قائلًا : يا ابتِ انّ الذي اعطيتني اريد ان يكونوا معي حيث اكون انا * (يوحنا ١٧ : ٢٤) *

مرتا مرتا انّكِ تقدرين ان تعملي اعمالًا صالحة كثيرة اذا كانت لكِ ارادة صالحة وكنتِ مُستعدّة لايّ عملٍ كان لانّ خدّام يسوع المسيح يحتاجون الى خدمتكِ ولا يكونون احرارًا في امور الله بدون همّتكِ * ولكن إن شئتِ ان يكون عملكِ ذا ثوابٍ

فاعمليهِ بطيبةٍ وبدون حزنٍ ونفورٍ. انكِ تقدرين ان تعملي عملَ محبةٍ جزيلَ نحو اخوتك وتجزلي لهم الفرح فانهم جياعٌ عطاشٌ وليس لهم ما ياكلون وانتِ تقدرين ان تسدّي احتياجاتهم بتقديمكِ لهم ما منح الرب لضعف الجسد البشريّ. اسمعي ما قال اسحاق لابنهِ عيسو: «خذ اداتك وجعبتك وقوسك واخرج الى الصحراء وصِد لي صيدًا واصلحهُ لي الوانًا كما أُحبُّ واتني بهِ فاكل لكي تباركك نفسي» (تكوين ٢٧ : ٣) فهكذا يا مرتا يباركِك جميع الذين تجدّد قواهم خدمتُك باسم الرب بواسطة الماكل والمشرب وهذهِ البركة لا تكون لديكِ كمكافاةٍ زمنيّة لكنّها تؤكّد كذلك التمتّع بالميراث الابدي *

٦ : وينبغي لنا ان نعود الى كلامنا مع مريم اخت مرتا لكي تلازم البيت وتتامل كيامةٍ في الاقوال السماويّة* أجل يا مريم المغبوطة تاملّي في الاشياء الابديّة

وذوقي الخيرات الباطنة بحبٍّ وعذوبة هذا حدَّها حتى انهُ ينقص همُّك ببؤسك الشديد · لا تكتئبي البتَّة اذا ما ضعف مرارًا طعامُك او تأخَّر او كان خلاف ذوقك او وجدت تقصير آخر في خدمة مرتنا . فانّها تستفيد جدًّا عند مشاهدتها اياك جزيلة الصبر في العوز وعندما يمكّنها الرب ستصلح بطيبة خاطر كلَّ هذه الاشياء معلّلةً لصبرك في هذه الساعة التي لم يمكنها ان تعمل فيها اكثر واحسن مما عملت وكلما كنت صبورة جيّدة هادئة خفَّ على اختك الشغل والاتعاب . فانَّها تنظر الى اثمار تقدُّمك الروحي وتتسلّى جيدًا في تعبها بكونك تُقيمين الروح احرى من الجسد وتفرح ايضًا امام الله بكونك تكتفين باليسير من خدمتها لكيلا تثقّلي عليها وتسامحينها بالشغل وتطيلين وقتها للتامّل والصلوة وفي الحقيقة انك لو ثقّلت على من يشتغل لاجلك لكنت تستوجبين

الملامة بينما ينبغي لكِ ان تسلكي طريقكِ بهدوءٍ *

فكوني في كلّ شيءٍ وديعةً صبورةً عابدةً غير حافلةٍ بامور الدنيا متّحدةً بالله متفرّغة للتأمّل فيهِ كثيراً . كيف يمكنكِ ان تنوبي مناب مريم الحقيقيّة اذا لم تعتني بصيانة نفسكِ في الراحة اتظنّين انّ الروح لا تستثقل الاهتمام الكثير بالامور الزمنيّة والعجز عن التفرّغ للامور الروحيّة خافي من ان يُنزع منكِ نصيبكِ من اجل خياناتكِ ويُعطى لاختكِ التي تاتي بثمار فاخرة . حقّاً انّ النفس التي تحيا هكذا ليست باهلٍ للتمتّع براحة مريم القدّيسة ولا تلبث ان تفقد بعدالة كلّ الافراح الباطنة *

ولكن ربّما يتعجّب القارئ من وجودنا في مريم ما يستوجب بعض اللوم بعد ان مدحها يسوع المسيح نفسهُ*

فينبغي لي ان اعلم هنا القارئ انّ كثيرين يقيمون بمكان القدّيسين ومع ذلك يختلفون عنهم

يرتهم . غير انّ كثيرين يدعون رهبانًا ومع
لك يرقدون في طيّبات العالم . كثيرون يلقون
هم في الخارج عناء الوظائف التي فوّضوا بها
لا ينزعون عنهم ايضًا الرغبة في الاشياء العالميّة
كثيرون ايضًا من اجل ضعف حرارتهم الروحيّة
يرحون جالسين في الراحة ومع ذلك لا يجتهدون
الاعتناء بامر نفوسهم كما يجب عليهم فهؤلاء هم
ين الوهم باسم مريم لانهم اسرى الاهمال بعيدون
جدًّا عن نيران الحبّ الالهيّ متراخون في العبادة كلّ
تراخي غير انّ مريم الحقيقيّة تطأ دائمًا آثار يسوع
تقول مع العروس « تحت ظلّهِ اشتهيتُ ان اجلس
ثمرتهُ حلوةٌ في حلقي » *
انّنا اذا تاملّنا وحفظنا باعتناء هذه العبارات
خدمة مرثا وراحة مريم نعطى بعد اشغالنا الحاضرة
ثمار الحبُ مع اكليل البرّ امين *

SIX EPITRES

DE

PIÉTÉ ET DE CONSOLATION

ست

رسائل تقيّة مسلّية

وهي

الكتاب العشرون

من منتخبات الموقّر توما الكمبيسي

الرسالة الاولى

تحريض على التقدّم الروحي

اخي العزيز انّي اقاسمك بطيبةِ خاطرٍ ما ارتضى الله ان يلقّن عبده المسكين من الصلاح فاني مسكين بائس غير انّي ارجو ان الرب يهتمّ بي كما يهتمّ بك ايضًا فأسال اذن رافتهُ ان يجعل الصدقة من فيض مائدتهِ مشاعةً بيننا *

فاليوم قد اتى الربُّ الى فقيره باعذب خبز السماء وقد نفذ أُذني اشهى الكلام واطيبهُ فقد سمعتُ فصلاً من سفر الرؤيا وحفظتُ من جملة اسرارهِ الرفيعة قطعةً وجيزة جدًّا لأَني لا اقدر احمل اكثر من ذلك حتى اوجز القطع اذا كان مبهمًا يتعذّر عليهِ حفظهُ *

فقد انعم الرب عليّ بان اسمع كلمةً وجيزةً

عذبة اجتذبت قلبي فليعطني ايضًا ان افهم فحواها فانّها وان كانت واضحةً للروحانيين فهي مع ذلك مبهمة للجسدانيين *

فاريد اذن ان اشاركك في هذهِ العطية لاننا في هذهِ الساعة قد صرنا حقًّا رفيقين غير منفصلين اذ اننا نحبُّ شيئًا واحدًا ونطلب شيئًا واحدًا ونقصد غرضًا واحدًا في يسوع المسيح فتعلّم اذن واقبل برغبةٍ هذهِ الاقوال العذبة في الغاية *

« من لهُ اذنٌ فليسمع ما يقولهُ الروح للكنائس من غلب فاني اوتيهِ المنّ الخفيّ وحصاةً بيضاء مكتوبًا عليها اسم جديد لا يعرفهُ احدٌ الّا الآخذ » (رويا ٢ : ١٧) *

اتسمع ايها الاخ صوت السماء فيا ليتهُ يذهب في أُذُن قلوبنا الباطنة لكي نشعر بكلّ قوّة معناه لانهُ كلمة حيوة تستحقّ ان يقبلها الجميع. اجل انهُ

لصوتٌ سماويٌ لا ينطق بشيءٍ ارضيٍ واذا كان الجسد لا يفهم فليفهم الروح لانّ هذا الكلام مملوءٌ اشياء روحيةً وقد قيل: « الروح هو الذي يحيي واما الجسد فلا يفيد شيئاً والكلام الذي كلمتكم بهِ هو روح وحيوة » (يوحنا ٦ : ٦٤) *

فالانسان الظاهر الشهواني المتكبر الطائش لا يفهم اسرار الوحي الالهي كما يؤيد ذلك القديس بولس الرسول بقولهِ: « والانسانُ الحيوانيّ لا يدرك ما لروح الله لانّ ذلك جهالة عنده ولا يستطيع ان يعرفهُ لانهُ انما يحكم فيهِ بالروح » (١قور٢ : ١٤). فذاك الكلام للروحانيين الذين يميتون بالروح اعمال الجسد ويبغضون العالم و يرذلون مشورات الشيطان الرديئة ولانهم حائزون على اوائل الروح لا يجهلون ما هو ذاك المنّ الخفيّ اذ انهم قد عرفوه بالذوق احرى مما بالكتب او بالكلام

لانّ المنّ يُعطى للاولاد الاحباء الذين يخدمون الله الآبَ بحُبٍّ ويجتهدون بان يعملوا بمشيئتهِ على الدوام طالبين في كلّ شيء مجدهُ . واذا كان هذا المعنى لا يسيئك فاقول انّ المنّ يدلّ على طيّبات النفس الباطنة او على تسليات القدّيسين في هذهِ الدنيا « من غلب أُوتيهِ منّاً خفيّاً » من احتقر طيّبات الجسد أُوتيهِ طيّبات روحيّة . من احتقر الخيرات الارضيّة الظاهرة اوتيهِ نعماً سماويّة باطنة تفوق فضلاً وقيمة على كلّ فرحٍ ونعيم وهي لذيذة جليلة بحيث انهُ لا يستحقّ احدٌ ان يعرفها اذا لم يرذل بادئ بدءٍ التسليات الباطلة الحقيرة لانهُ مكتوب : « الانسان الجاهل لا يعرف . والغبي لا يفهم هذه الاشياء » *

ولكن جيدٌ هو ان نتوسّع هنا قليلاً لمقاومة الرذيلة وقهر الملكات السيئة فكما انّ الله قد امطر في السابق المنّ على بني اسرائيل وهم في البريّة كذلك يمنح الان

بنيهِ الروحيين نعمة التعزية الباطنة تجاه التجارب. انّ بني اسرائيل اغتذوا بهذا القوت حتى بلغوا الى ارض الميعاد وكذلك الابرار فانهم كلما يسيحون في هذا العالم يتقوّون بخبز الحيوة والفهم حتى يتركوا اجسادهم فيدخلوا ارض الاحياء ومنذ بدأ العبرانيون ياكلون اثمار البلدة الموعود بها بطل مطر المنّ وكذلك لمّا يرتفع القدّيسون الى مجد السعادة لا يحتاجون ايضاً الى تقوية ذواتهم باطعمة روحية نظيرنا ومع ذلك واحدٌ هو الخبز الذي يقيت الملائكة والبشر والنفوس المجيدة والمسافرين في عالم النعمة.

ولكن يوجد شيء يؤثّر فيّ كثيراً وهو انّ كثيرين يكونون سبباً لنقصان المنّ عنهم وكثيراً ايضاً من الذين كانوا يقتاتون بهِ قد فقدوا ذوقهُ فهل من سبب آخر لهذه اليبوسة وفقدان ذوقك غير عودك الى تسليات العالم الدنيئة الخسيسة *

فاذكر خروجك من مصر وتذكّر الى الابد هذا اليوم الذي يذكّرك اسم الرب فلا يشكّ احدٌ بان يمين الرب لم تكن معك والّا فكنت تكون باقيًا في العالم. فاين اذن ذاك الروح وتلك الحرارة الاولى والنيّة الثابتة وذاك القصد المكين والحُبّ الشديد كالموت *

انّك خرجت من العالم لابسًا السلاح لانّك كنت قد ارتضيت ان تتجلّد في المحن والاهانات والشدائد وانيت بفرح الى جبل الله حوريب لتسمع ناموس الحيوة والادب اذ انّك كنت قد وعدت ان تسمع بحُبٍّ مشورات الشيوخ وتحيا مقتفيًا آثارهم بورع فلماذا تسأم الآن من الطريق وتجلس عند الحمل نائحًا من التعب *

فكان ينبغي لك منذ زمن مديد وسنين عديدة ان تاتي بثمار ارض الميعاد وتوزّع على الغير العنب

والرمان وها انّ المنّ ينقص عنك . توبوا يا بنيّ وارجعوا لانكم اذا لم تدخلوا العالم بالجسد فقلبكم مرتبك مع ذلك باشواق الارض المتنوّعة . فيا للاسف انّ كثيرين يخرجون بالروح من مصر ويعبرون البحر الاحمر ويسيرون في البريّة ويحملون النعش وآنيته المقدّسة غير انّهم لا يدخلون ارض الميعاد فيحدث لهم كلّ ما حدث لبني اسرائيل الذين تذمّروا على موسى وتظلّموا اليهِ لانهُ اخرجهم من مصر . فكذلك يوجد اليوم كثيرون يتركون العالم ويهجرون اقرباءهم واصدقاءهم ويبكون خطاياهم ونقائصهم الماضية ويرذلون اهواء الجسد ويكرهونها ويتبعون بهداية المعلمين شريعة العدل المجهولة ويتأمّلون في حياة يسوع المسيح المصلوب ويحملون نير الرب الخفيف في الطاعة والكفران بذواتهم بحيث انّهم لشدّة نشاطهم يُعدّون انفسهم لجميع الاشغال

والصيامات ويظهرون حلمًا بليغًا اذا وبخهم احدٌ. وتواضعًا عميقًا اذا اذلّهم وصبرًا جميلًا اذا اذّيهم وثباتًا وطيدًا في جميع الشدائد والمظالم غير انّ جميعهم لا يثبتون في هذهِ الحرارة. وبعد خروجهم بزمنٍ يسير اي بعد توبتهم يرتخون في قصدهم واعتنائهم بتقدمهم فيسقطون في التجارب المتنوّعة وامراض الاهواء وهكذا البعض يحزنون على ابتدائهم والبعض يتردّدون مفتكرين كيف يرجعون والباقون ينتهون مع الزمان وقوّة العادة الى ان يسحبوا ثقلهم كبهيمةٍ لانْ ليس لهم لا عبادة ولا رغبة في الاشياء التي تعلموها ويستثقلوا كلّ شيء ويستصعبوا كلّ شيء لانّ المنّ ينغصهم وكأنّ السماء قد امست لديهم نحاسًا والارض حديدًا فلا يعرفون ان يتبصّروا في الاشياء السماوية ولا ان يحرثوا حقل قلوبهم بممارسة الفضائل ورياضات العبادة ومع ذلك يقولون نودّ لو كنّا عابدين نودّ لو

كنّا مزدانين بالفضائل ومتسلّطين على الرذائل فالرغبة وحدها لا تكفي اذا لم تكن مقرونة بالعمل فينبغي لك ان تعمل وتغصب طبيعتك كما قال الرب : انّ ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونهُ » (مت ١١ : ١٢) فلا بدْ من الاغتصاب وانّك تعلم انّ القدْيسين لم ينالوا ملكوت الله بالنوم والبطالة *

فحتى مَ تتأخر ولِمَ لا تنهض باسلحتك ضدّ اهوائك لتكتسب الفضائل وتوجد اهلاً لقبول انواع التسليات فكلّما تأخّرت زادت حالتك شرًّا ولا تنال بدون تعب ووجع الراحة المرغوبة « اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم » انّ الكسل والاهمال قد امسكانك فتسلّح وحاربهما حروب الرب ولا تهمل تقدّمك فانْك لاجلك تشتغل وشغلك هذا يساعدك على اكتساب الراحة والسلام كما قال الكتاب :

« تعبتُ قليلاً فوجدتُ لنفسي راحةً كثيرةً » (سيراخ ٥١ : ٣٥) *

فلعلّك تجيب قائلاً : من ذا الذي يقدر ان يحارب رذائلهُ واهواءهُ على الدوام فانّها على ما يلوح لي عديدة تكاد لا تحصى فمن يستطيع ان يقاومها *

فاسمع ايّها الجندي الغير الموءمن المتمرّد الممتلىء رخاوة وكسلاً انّك تنظر الى التعب وتفتكر في الجهاد ولكن لا تنظر الى المكافاة والانتصار . وما هي كلّ الاشغال بالنظر الى الراحة الابديّة وما هي محنة وجيزة جدًّا بالنظر الى تسليات ضمير حسن فلو كنت قد بدات وعزمتَ عزماً ثابتاً بدون استثناء وصمّمت على الانتصار او على الموت فلا ريب انّك لكنت نظرت بنعمة الله خفيفاً ما تستصعب الان قهرهُ . انّك لا تكاد تجد انساناً كثرت رذائلهُ ولم يحصل على الفضائل بواسطة عزم مقرون بالثبات في الصلاح .

انّ الاستظهار على اهوائك يلوح لك شاقًّا غير انّك بدونهِ لا تحصل البتةَ على راحة القلب الحقيقيَّة وبينما يكون غيرك عائشًا مع الله في العبادة والسلام الجيّد تكون انت في الباطن والخارج معذّبًا بالحزن والضجر والعجز فلا تكون اذن ساكنًا فرحًا في الحقيقة اذا لم تُمِت اهواء جسدك واذا كان تديّن القدّيسين وعبادة كثيرٍ من النفوس لا يجتذبانك فليُخِفك على القليل حكم الانتقام الالهي وبؤسك الشديد قال الرب: «اني اجمع عليهم الشرور واكثر فيهم نبالي فيفنون بالجوع وتاكل الطيور لحمانهم»

لعمري انّ هذا الكلام صعب فلينهُ يُقبل بك الى سيرتك الأُولى حتّى تتجدّد وتتنشّط وتجعلك مواعيدُ الروح القدس تنمو كلّ يوم في الصلاح والحرارة «من غلب أُوتيهِ منّا خفيًّا» ان شئتم وسمعتم فانّكم تاكلون طيّبات الارض (اشعيا ١ : ١٩) وعوض

الاشواك بزهر لكم اجمل ورد وانصع زنبق * فيا لها من مواعيد جليلة عذبة مسلية للذين يرغبون في التقدّم . فلا تضطرب يا رجل الله ولا تضعف قوّةً من اجل كثرة الرذائل بل توكّل على الله وارجُ بهِ فتغلب احسن غلبةٍ « انّ الرب يقاتل عنك (خروج ١٤ : ٢٥) وانت تلبث ساكتاً » اتفهم هذا الكلام . انّ الرب نفسهُ يخوّلك القوّة لتقاوم الغضب وتلقي عنك الكسل ولا تذعن لاهواء القلب وتلبث انت ساكتاً لانّك لا تنسب لك هذهِ القوّة ولا ترتفع من اجلها بل تعزو الكل ببساطةٍ لله الواقف عن يمين المسكين *

وفضلاً عن ذلك اختفِ عن اعيُن الناس ما امكنك واعترف بانّك لست الاّ انسان سقيم بائس واذا قام عليك احدٌ بعض المرار وقال لك اشياء يشقّ عليك استماعها فكن صبوراً ساكناً والرب

يجيب عن الشر المنسوب اليك لانّ الرب العادل لا يدع كلمةً مضرّة بدون عقاب وايُّ ضررٍ يلحقُ بك خبث غيرك اذا قام وافترى عليك وبخك فانهُ بالاحرى يخون نفسهُ ويظهر رداءته . وان كنت صالحاً وصبرت فلا يستطيع كلامهُ ان يضرّك بل بالاحرى يزيد استحقاقاتك وتنال امام الملائكة بهاء اعظم من اهاناتك وتذللاتك وتكون قد ظفرت بواسطة صبرك بجنةٍ أُخرى . فرداءة الغير لا تضرّ باحدٍ والاقوال المهينة لا تجرح من كان تقياً صبوراً . انّ الشدّة الخارجيّة تكون للانسان مثلما تجدهُ في الباطن فاذا كنت صالحاً بسيطاً مستقيماً خائفاً من الله فلا يقدر احداً ان ينزع منك صلاحك وبرارتك وسلامك الاّ اذا نزعتها انت باختيارك . من يضطرب باصغر الاشياء لا يكون ذا صبرٍ جميل فتعلَّم على القليل ان تقابل الاهانة بالسكوت لانَّ

من يسكت في زمن السوء يكون عاقلاً ومن احبَّ الانتصار فليتظاهر بالانغلاب · افتكر في الاكليل وفي كيفيّة شفاء خصمك ولا تتذكّر الاهانة وتطلب اجوبة بها تُدحض عدوّك كان ذلك غيرة العدل · اذا ابى عدوّك ان يغفر لك فاغفر انت لهُ لانّهُ يحدث عادةً ان يكون خطأ من يسخط أجسم من خطإِ من يحتمل السخط . انما الاشقياء هم الذين يتذمّرون والقديرو الصبر هم الذين ينزعجون للحال ويطلبون مخاصمة الغير فاعترف اذن بذنبك بطيبة لتكون بريئًا امام الله · ابتدئ اوّلاً بنفسك وهكذا تقدر ان تشفي ايضًا اخاك فليحترز من يُرى أنّهُ ممتلئ غيرةً على رذائل الغير ويحتدّ عند حدوث شيء ضد العدل . انّك لو وجّهت غيرتك على هذا احتدادك واصلحتَ فيك ما تونّب غيرك عليهِ لحسّنت عملك وتصرّفتَ بفطنة . ماذا يفيدك عند سخطك من

زلات غيرك ان تخرج قذًى من عين اخيك ولا تردع سَورة احتدادك بل قد لا تحتسب زلّتهُ قذَى بل سارية . فاحترز من ارتياب دينونتك فلعلّها تنظر ساريةً ما لا يكاد ان يكون قذًى في عيني الله فلا تعتمد كثيرًا على حكمك لانك انسان ولست الهًا وعلى كلّ حالٍ فسواءٌ كانت الزلّة جسيمة او خفيفة يحسن بك دائمًا ان تنظر الى نفسك لأنّك انت ايضًا خاطئ وتحتاج الى دواء « انّك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك اذا فعلت ذلك بعينهِ» (روم ٢ : ١) *

اجل ماذا يفيدني ان اشفي غيري باقوالي واستمرّ انا في رذائلي فسفيًا لمن يكون نفعهُ شرًّا لي وتبًّا لي انا الذي اخسر خلاصي» من كان وديعًا فلا يونّب غيرهُ بدون تمييز ولا يتجاوز الحدود في توبيخهِ ولا يجهل تاجيل شدّة التوبيخ حتى يعود الغضب الى

الوداعة والغيرة المرّة الى العذوبة فان كنتَ يا هذا كذلك فانّك ستتحقّق آتئذ انّ من وبّخته لم يكن قد اذنب ذنباً عظيماً وتعذرُ ايضاً بسهولة عظمى من اسرعت في الغضب عليهِ قبل قليل وتنسب احتدادك على اهانة خفيفة جدًّا الى شرّك من دون ان تخطىء وتنوح على ظلم تاديبك اكثر ممّا على زلّة اخيك فاخجل اذن من كونك لم تتعلّم بعد احتمال نقائص اخٍ وانت تريد ان يحتمل الغير ضعفاتك اليوميّة فلمَ لا تعامل غيرك بالرحمة التي تريد ان تُعامل انت بها فارجع الى نفسك وخف من ان تزلّ باحتدادك وسخطك زلّةً اعظم من زلّة زلّها اخوك ولعلّهُ عندما عرفها قد بكى عليها وقصد قصدًا صالحًا ان يتحفّظ في ما ياتي امّا انت العديم الصبر والشفقة فلم تنظر في خطيّتك ولم تبكها . الا تنظر كيف لا يزال يودّك في باطنهِ ولا يسيء الظن فيك بل يتواضع

لك ويبرّرك اكثر من تبريرهِ لنفسهِ فخفف اذن من ان يسبقك الى ملكوت السماوات وهو ظاهر لك بشكل خاطئ وانت مع مُدَّعاك بالحق والعدل تكون نظير الفريسي المتكبّر الذي رذلهُ الرب من اجل كبريائهِ بازاء العشّار المتواضع *

فقد سمعت يا عزيزي كيف ينبغي لك ان تقهر نفسك وتغتار على نقائصك الذاتيَّة فاجتهد اذن بان تتقدّم كلّ يوم وتستاصل عوائدك السيئة وكما انّ الاهمال من شانهِ ان يُغذي الرذيلة ويهلك الفضائل كذلك النشاط يقلع ويبيد كلّ الشرور مهما كانت قديمة واذا وجدت اوائل الجهاد شاقّة فلا تلبث ان تتسلّى بحسن نتائجهِ اذ تشاهد اعداءك يتساقطون واحدًا فواحدًا غير انّ المانع الاعظم هو انّنا نأبى ان نغصب الطبيعة . يا ما اكثر الاشغال التي يباشرها الناس طمعًا في الارباح الارضيّة ونحن

نغفل عن الخيرات الابديّة فالملاّح يكافح الامواج والتاجر يجوب الآفاق والمحارب يشكّ اسلحة الحرب والفلاّح يحرث الحقول ولا يقدر احدٌ بدون تعب ونصب ان ينال الغنى والكرامات فلماذا اذن نظن انّنا نقدر ان نكتسب الفضائل بدون عناء جزيل فلنبتدئ اليوم وانضف غدًا بعض الاشياء وهكذا نُلصق كلَّ يوم فضيلةً بفضيلةٍ وقصدًا صالحًا بقصدٍ صالحٍ وهذا ما يجعل الانسان فاضلاً عابدًا طاهرًا قدّيسًا متدينًا عزيزًا لدى الله ومحبوبًا عند الناس ويستحقّ ان يفهم الاسم الجديد المكتوب على الحصاة لانّهُ يطأ برجليهِ الرذائل فيتكمّل باطنًا في البرّ والطهارة ويتمتّع غالبًا بعذوبة التسليات السماويّة التي لا تزال ممنوعة عن الجسدانيين والفاترين *

فلنردّد باعتناءٍ جزيل في بالنا تلك الآية لنحارب الكسل المرذول ولنتقد نحن واخوتنا بحبّ

تقدّم الروحي لكي نُشفى من رذائلنا وتزيد فينا
وهبة الفضائل السماوية لانّ الروح القدس لا يخيّب
غبة مجاهديهِ الامينين لكنّهُ ابتغاء ان يجعلهم يجاهدون
شجاعة يسمّعهم كلامهُ المشجّع وهو « من غلب فانّي
وتيهِ المن الخفيّ » *

—oo:o:oo—

الرسالة الثانية

في صيانة الانسان نفسهُ

ايّها الاخ العزيز في الرب يسوع عليك ان
سلك بفطنة لان الايّام سيئة وينبغي لخادم الله ان
تكلّم ويعمل جميع اعمالهِ بفطنة عظيمة لانّ من يتدرّب
غير فطنة لا يلبث ان يجرح نفسهُ او يجرح غيرهُ
ومن يتغافل او يستعجل في البداءة يحسُّ بخسارة عظيمة
ي النهاية . فيجب ان نفتكر كثيرًا قبل ان نعمل

شيئاً ويجب ايضاً ان نكثر من الالتجاء الى هيكل قلبنا لئلا نلبث بدون مشورة كأصل رديء خالع الحياء لم يوجّه قلبهُ الى الله · فليمتدّ اذن نظرك الى ما بعد عملك واعمل كلّ شيء بفطنة. لا تتداخل في امور غيرك وانت تتغافل عن ذاتك لانهُ ليس احدٌ اعقل من الذي يحمل كلّ حين نفسهُ في يديهِ وليس للانسان على الارض كنز وخيرٌ اثمن وافضل من نفسه لو احسن الفكر في ذلك . فيجب عليهِ ان يسهر ويتحفّظ دائماً على هذه النفس اذ انهُ لا شي يعادل خلاصها *

انّ الخلاص قائم بالفضائل الحقيقيّة والفضيلة الحقيقيّة تمقت وتبغض كلّ الرذائل وكلّما اجتهد الانسان في قهر الرذائل تقدَّم في الفضائل وكلّما احبَّ الفضيلة ابغض ما يضادّها. انّ معرفة الرذائل تنفع جدّاً للاستظهار عليها . كثيرون لا يعرفون نقائصهم حقّ معرفة وقليل الذين يعرفونها واذا

فوها لا بزنونها وزناً كافياً او اذا وزنوها يصرفون
ظر عنها للحال وينسون الثقل الذي عليهم *
فلا ينبغي لك ايها الاخ العزيز ان تعمل هكذا
قاوم الشر والاثم على الدوام. اطلب الدواء واستغث
وعلى الخصوص اسبق حركات الاهواء منذ
اءة الحرب لانهُ اذا اشتدت الحرب فماذا يكون
الانسان الشديد الضعف فكثيرًا ما يتولد قلق
يد من شيء طفيف واقوال كثيرة من كلمةٍ واحدة
يش بليغ من تبسم لطيف واهانة خفيفة تعمل في
قي والاغبياء جرحاً بليغاً يعسر جدًّا شفاؤهُ .
يهمل كل شيء لا يعنيهِ ويصون نفسهُ
ينها ويرتبها ويتدرب بفطنةٍ وجودةٍ وكلما مال
سان الى دينونة غيره قل انتباههُ على نفسهِ
ن احب السلام ينبغي لهُ ان يسكن في صهيون
ذا المثل نافع للرجل الذي لا يجد راحةً في هذا

العالم لكنّهُ يلتجيء الى الله ويطلب سرعة انحلالهِ ليكون مع يسوع المسيح اذ انّهُ ليس من يفانل عنّا هو غير الذي صنعنا . اذا هجست بثوران الرذائل فاستعمل الادوية الناجعة فيك واذكر غالبًا الذين اجلّهم الغير اذا نفعك ذالك . فيجب علينا ان نحارب كلّ يوم لاننّا نجرّب كلْ يوم ومن يشعر غالبًا بتمرّد ملكةٍ رديئة لا يُعدُّ مغلوبًا وينبغي لهُ ان ينوح لانّ الشر لا يزال يحيا فيهِ ولانّهُ لم يمت بعدُ عن ذاتهِ ينبغي لهُ ان يجدّد كلّ يوم ثقتهُ وان سقط غالبًا . وذلك ليَعزِم على ان يحارب بشدّة عظمى تلك الرذائل التي تزعجهُ وتناضلهُ اكثر من غيرها من مثل رذيلة الغضب او الكبرياء او الشهوة الرديئة التي تعذّب قلبهُ وتوقد بجميع نيرانها فيجب اذ ذاك الاستعانة بتُرس الصلوة وتنهّدات القلب او الاستغاثة باسم يسوع الاقدس

الالتفات الى السماء الذي منهُ تاتي كلّ معونة
الصلوة من مرة الى اخرى على هذا النحو او ما
بهُ ذالك : يا يسوع الصالح اعنّي في هذه الساعة .
حسرتاه ايها الرب الهي ساعدني ماذا يمكنني انا
عس ان اعمل بدونك . الهي بماذا ابتدئ وكيف
ي عملي *

فقد احسنتَ الان العلم بما يلزمك خاصةً
هذا القتال الدائم يفقهك في ذلك وتعزية الروح
دس تعلّمك كيف تسلم من ذلك القتال فاطلب
ل هذا الروح عوناً ومشورةً واسألهُ ان يبرّد
يك . افحص ذاتك وانظر الى ما تطلب وتحبّ
كره في اعمالك . فانّ الانسان يكون ثابتاً او
كاً على مقتضى اشواقهِ وكيف يمكث في ذاتهِ من
وق الى اشياء كثيرة ويرغب فيها . كلّ هوى
لبهُ ويُمسكهُ في فخ الاشواق الارضية وكثيراً ما

يكون طفيفًا جدًّا الشيء الذي يملأُ الانسان قلقًا واضطرابًا غير انّ من يتخلّص من كلّ شيء ويترك كلّ شيء في حالتهِ فذاك يكون راسخًا في السلام امّا من يتداخل في امورٍ كثيرة ويتفوّض ويتصرّف باشياء كثيرة فيُجهد نفسهُ ويُهلكها ولانّهُ يُريد ان يكون استاذًا في امور غيره فلا عجب اذا جهل ان يكون تلميذًا في امور نفسهِ فيا ما اكثر الاشياء التي يجب عليهِ ان يعرفها وهو لا يراها وما اكثر الاشياء التي تنقصهُ وما ابعده عن الغاية. فلماذا يتداخل اذن في امورٍ لا يستطيع تقويمها ولِمَ يرتبك في اشياء لا تُعنيهِ *

ولعلّك تعارضني وتقول وما الذي يعنيني اذن. فأُجيبك انّ ما يُعنيك هو أن تفتكر في خلاص نفسك فقط وتلقي عنك كلّ امرٍ سواه ايًّا كان فهكذا تجد نفسك وتصونها وتربح كثيرًا

وتسلم من الظنون والغضب ويقلّ همّك بامور الخارج وتدبير المنزل *

فليحفظك الرب ايها الاخ العزيز من كلّ سوء وليقِ نفسك آمين *

الرسالة الثالثة

تشجيع شخص تقيّ

ايّها العزيز فلنقبل من يدي الله كلّ ما يريد ان يرسلهُ لنا اذ انهُ لا يحدث شيء على الارض بدون سبب عادل حقيقي فلنجتهد اذن بان نخضع عقلنا وقلبنا لله لكي ينظر الى تواضعنا وصبرنا فيتصرّف برغبتنا احسن تصرّف. لنخضع لعظمتهِ المجيدة المقدّسة لاننا تراب ولننظر الى عظم شرفنا اذ يفتكر الله فينا مرارًا . فبعد ان نظرنا في ذلك بتذلل

واعترفنا بزلاتنا واكرمنا حكم الله الذي لا يزال عادلاً وان اختفى عنّا غالبًا . لنثق ونرجُ بهِ. لنصلِّ كثيرًا ولنطلب صلاة الغير بالحاح لكي يرتضي في رحمتهِ الغير المتناهية ان يحوّل شقاءنا ومحنة التجارب الشديدة في الغاية الى خيرنا ثم ايانا وقطع الرجاء من اجل كثرة المخالفات التي تصيبنا وتعذّبنا او من اجل انّ تجاربنا تجاوز رغبتنا وتفوق تجارب غيرنا شدّةً او لاننّا متقلّبون قليلو الاجتهاد فنزلُّ كثيرًا ونتأخر جدًّا عن القيام او في الاعمال لاننا باردون في العبادة فاترون بحيث اننا لا نكاد نشعر برغبةٍ في الفضيلة وفي امور الله . فجميع هذهِ المحن تصيب عادةً ذوي الصلاح وكثيرًا ما قد شعر بها الاكثر تعبُّدًا منهم . فاذا اعترانا حزنٌ في وسط هذه الشدائد لنقل للرب بتذلّل : « ايّها الرب الهي اذا كانت نجاتي من ضيق قلبي لا تسرّك او كنتُ غير اهلٍ لذا فارتضِ

على القليل ان تمنحني نعمةً بها اصبر ولا اتذمر على قضيبك . اجل انّي اتذكّر ما تترنّم بهِ الكنيسة : «انّ الاحتكاك اي الشدّة يصقل الحجر وكلّ مظلوم من اجل يسوع المسيح في هذا العالم يُقبل في البنيان» فلذلك اسالك ان تحوّل دائمًا هذهِ المحن الى قداستي لايّ علّةٍ تصيبني وتعلّمني ان اقبلها كدليلٍ على رافتك لا كحكم في الشجب *

فهكذا ينبغي لنا ان نخضع لارادة الربّ بحبّ لا استثناء فيهِ ونثق بجودتهِ اكثر ممّا نطلب . اننا خلائقهُ وهو يهتمّ بنا والذي دعانا اليهِ يساعدنا ويحفظنا الى الابد من هذهِ التجربة لكيلا نرغب في فرح هذا العالم ولا نعود نمشي في الطريق الرحبة التي يمشي فيها الجميع . انّي أُنبهك ان تتأمّل الكتب المقدّسة مليًّا اتريد ان تتبع يسوع ام هذا العالم . اتؤمن بالرسول ام بالفيلسوف . قال الرب يسوع : ادخلوا

من الباب الضيّق المؤدي الى الحيوة » وقال ايضاً: « احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب » وقال رسول الامم : « لا تتشبّهوا بأهل هذا الدهر . ان سلكتم بموجب الجسد تموتون . لا يضلّكم احدٌ بالكلام الباطل . جميع تلاميذ يسوع المسيح قد صلبوا اجسادهم مع اهوائهِ وشهواتهِ . انّي موثقٌ بالصليب مع يسوع المسيح . اني محتملٌ في جسدي اوسام الرب يسوع . صُلب العالم لي وانا ايضًا صُلبت للعالم . انّي اعتدّ كلّ الاشياء نفايةً لاكسب المسيح » *

فهذهِ هي اقوال الرسول غير انّك لا تجد هذه الحِكَم عند الفلاسفة وحكماء الدهر واذا وُجد بين الامم من جلّوا احتقار الغنى ورذلوا الملذّات واضحت تعاليمهم اليوم لدى كثيرين قواعد مُثلى فما كانوا ليعرفوا شيئاً عن المسيح اذا لم يمارسوا تلك الفضائل

لاجل حبّ الحيوة الابديّة ولذا قد بادوا في افكارهم *

وعلى ظني انّ جميع الناس يرغبون ان يكونوا مع يسوع المسيح ومن حزبهِ غير انّ قليلاً منهم يرغبون في الاقتداء بسيرتهِ وكثيرين يقولون ايضًا انهم قد تركوا الشيطان ولا يريدون ان يتبعوهُ غير انّ قلّة الذين يمتنعون عن اعمال العالم واهواء الجسد تُرينا بالكفاية كثرة الذين يتبعون الشيطان. ومن الاعمال يُعرف الانسان ان كان يخدم الله او الشيطان فالرب يسوع يقول: « من يتبعني لا يمشِ في الظلام بل يكون لهُ نور الحيوة. اني اتيتُ دينونة الى هذا العالم لكي يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون (يوحنا ٩ : ٣٩) فكأنهُ يقول اني اظهرت ذاتي في هذا العالم للمساكين والبائسين ليكونوا مثلي سلماء متواضعين ويفهموا اعمالي

الالهيّة ومعجزاتي السماوية فيؤمنوا بي . والذين يعرفون انفسهم خطاة حقيرين ممتلئين جهلاً وعمىً يستحقّون ان تنيرهم نعمتي وبتواضعهم وتقواهم يدركون ما لا يدركهُ ابدًا المتكبّرون ولا الحكماء في راي انفسهم الذين يلبثون بعمى قلبهم ورايهم الفسود معتقدين انّ تعاليمهم لا ريب فيهِ وتعليمي مرتاب فيهِ ومميت للعالم وكما انّ اليهود احتقروا المسيح الحاضر بينهم بالجسد كذلك كثيرون الان لكونهم جسدانيين يحتقرون المسيح ويلبثون لسوء حظّهم في عماهم ويؤثرون الاعتقاد براي انفسهم على الاعتقاد بالانجيل ويفضّلون الطاعة للجسد على الطاعة لله ويرغبون في ايّام طويلة طيّبة على الارض ويعرضون عن النظر الى السماء غير مفتكرين في سرعة زوالهم امّا انت فاذا افتكرت في هذهِ الاشياء فلا ريب انّك تشعر بانّهُ خيرٌ لنا ان نتبع الاله المتواضع المصلوب والمتالّم

لاجلنا وانّهُ ينبغي لنا من قبل العدل ان نتالّم معهُ ونُحرم من اقربائنا واصدقائنا في هذا العالم . فاستمر مع الله الذي دعاك اليهِ ولا تنفصل من حبّهِ بل اصعد على شجرة الصليب لتنظر من هناك يسوع ماشيًا ومعدًّا طريق الحيوة الابديّة قال اشعيا النبي : « هذا هو الطريق فاسلكوا فيهِ » (اشع ٣٠ : ٢١) *

فطريق الصليب هو طريقنا هو طريق المنتخبين طريق القليلين طريق المرارة . طريق الحيوة والخلاص طريق قصير مستقيم طريق الشغل والكمال . اجل انهُ شاقٌّ غير انّهُ يؤدّي الى المجد الغير المتناهي والى الملكوت السماوي والى افواج الملائكة والى العذوبة العجيبة الغير المتناهية والى طول الايّام الدهريّة والى الحصول على جميع الملذّات ورغبات القلب الشهيّة والى الراحة والسلام الأصفى والفرح والحبور الألذ كما يشير الى ذلك

النشيد الذي يقال في عيد الصليب وهي : « ليمدح الصليب عبيدُ الصليب وليبتهجوا لانّهم بواسطة الصليب وُهبت لهم مواهب الحيوة *

وكما انّ حياة يسوع المسيح كانت صليباً كذلك يجب ان تكون صليباً ايضاً حياة المسيحي وبالاحرى جدًّا حياة الرهبان والاكليريكيّين وسائر المتديّنين فانّهُ ليس خلاصٌ خارجاً عن الصليب وبدونهِ لا يبلغ الانسان الى ملكوت يسوع المسيح « كان ينبغي ان يتألّم المسيح هذه الآلام ويدخل الى مجدهِ » (لوقا ٢٤: ٢٦) اذا طلبنا طريقاً آخر ضللنا وانتهينا الى هلاكنا وفي هربنا من الصليب نسقط في بحيرةِ قارٍ محميٍّ وكبريت ملتهب. انّ صليبنا بالنظر الى عذابات الابد نعيمٌ وحبور وشغلنا الذي سوف يستحقّ لنا الراحة الدائمة خفيفٌ جدًّا. أجل انّ كسر الارادة صليبٌ وربّما لا يوجد صليبٌ اثقل منهُ امّا في الجحيم فمن ذا يعمل ارادتهُ ولو الاشياء في الصغيرة

فانّ هنالك يُغصَب الانسان دائمًا على احتمال ما يكرههُ ويُمنع عنهُ الى الابد ما يرغب فيهِ *

قال الرب : « تذكّر يا ابني انّك قد استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر بلاياهُ » (لوقا ١٦ : ٢٥) انّك قد اكلت وشربت وملأت بطنك فوق الحدّ وقد اخترت لك افخر الملابس وانعمها وتوشّحت بالزينات وضحكت وغنّيت ورقصت في فرحك ولم تمنع قلبك من الملذّات بل ارضيت كلّ اهوائك ولم تخالفها وجعلت ذلك كلهُ نصيبك وملكوتك ومجدك ولم تفتكر البتة في لعازر وفي شدّة فقرهِ وبؤسهِ ومرضهِ « فتذكّر اذن يا ابني انّك قد استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر بلاياهُ والآن فهو يتعزّى وانت تتعذّب » هو كان لهُ صليب في حياتهِ فحملهُ بعض خطواتٍ وانت مدةَ حياتك كلّها جعلت سماءك على الارض وقضيت حياتك بهناء بين

الافراح والان فهو قد نجا من عذابات النفس والجسد ويتنعَّم براحة مغبوطة وانت تتعذَّب الان في نفسك وسوف يحكم عليك فيما بعد بعذاب النفس والجسد جميعاً *

تأمَّل هذه الاشياء في وسط تجاربك فتسكن شدَّتها بهبوب الرب لانَّ الشدَّة تسكّن عادةً بالشدَّة والشغل يخفّ بشغل اصعب منهُ فامكث اذن في هذا المكان الذي اخترتهُ واجعل ترس الصبر تجاه ضربات التجارب مفضّلاً الموت على الاذعان لأذيّات العدو القديم . قال الروح القدس : « من غلب فانّي اجعلهُ عمودًا في هيكل الهي فلا يعود يخرج واكتب عليهِ اسم ابي واسم اورشليم المدينة الجديدة » (رويا ٢ : ١٢) *

اعتبر ايضًا فضلاً عن ذلك امثلة القدّيسين واستشفعهم على الدوام تذكّر كم اشتغل القدّيسون

لاجل الحيوة الابديّة حيث يتنعمون الان مع يسوع المسيح في ملكوت لا نهاية لهُ وبقدر ما كانوا في هذا العالم محتقرين بائسين صاروا يلمعون الآن مجداً وشرفاً في السماء *

فإذن ينبغي لك ان تُسرَّ كثيراً بالموضع الاحقر والحالة الدنيا وتستطيبهما من اجل حبّ يسوع المسيح لانّ من اراد ان يُعدَّ شيئاً في هذا العالم يكون باطلاً فكلّما وُجد الانسان في حالةٍ وضيعة حقيرة امكنهُ ان يعمل الصلاح ويتيسّر لهُ حفظ كنزه . ماذا يعنينا اذا سبقنا غيرنا فلنتبع نحن يسوع بتواضع وسذاجة تاركين الاهتمام باباطيل البشر ولنكن من اجل يسوع المسيح جهلاء ادنياء ضعفاء ولنرضَ من اجلهِ ان يرذلنا الآخرون ويعدّونا آخر الناس . قال الرب يسوع بلسان داود . « انا دودة ولست انساناً عارٌ للبشر ورذالة في الشعب » (مز ٢١ : ٧)

فايُّ مجدٍ اعظم من ان نتمجَّد مع يسوع المسيح على الصليب وايَّة تسلية اعذب من ان نحمل صورة المصلوب حيَّة فينا . قال الرب يسوع تشجَّعوا وتقوَّوا لا تخافوا فاني معكم وانا اُنجّيكم *

انّي شفقةً عليك قد خاطبتُك كما يتخاطب مريضان لكي نتسلّى كلانا في الرب ونُشفى فيهِ وبواسطتهِ آمين *

الرسالة الرابعة

في التوبة والثبات في القصد الصالح

ايُّها الاخ العزيز اني اقاسمك بطيبةِ الفرح الذي شملك بوجودك مكانك في خدمة الله ليكن مباركًا الرب الذي دعاك الى خدمتهِ . اجل انَّ هذه الدعوة هي هبة الله اذ انَّهُ ليس من اجل استحقاقاتك

بل من اجل رحمتهِ قد اجتذبك من اباطيل العالم واتى بك الى هذه الجمعيَّة المختارة حيث تتعلم وتنظر عياناً كيف ينبغي لك ان تخدم الله. كم من شبَّانٍ اغنياء شرفاء عظماء وكم من حكماء وأُدباء ذوي شهرةٍ تتلاطمهم امواج العالم بتعاسةٍ ولا يقدرون ان يلقوا عنهم نير الشيطان ولا يشعرون الى الآن بحركة من يسوق الى الكفران بالعالم. فيا محبَّة العالم ويا قلَّة الاهتمام بامور الله انكما باطلُ الاباطيل. آه سياتي زمان وهو قريب تبلغ فيهِ جميعُ ملذَّات العالم والجسد الى نهايةٍ واحدة واذ ذاك يجب على اصحابها ان يغادروا هذا العالم لا محالة وان كانوا الآن يرفضون الكفران بأُمّهاتهِ. امَّا انت ايُّها الاخ فقد قبلت من الله نعمةً عُظمى اذ انهُ قد حفظك بين كثيرٍ من رفاقك من عدَّة مخاطر روحيَّة وجسديَّة ومن فخ الشيطان ووضعك في محلّ

جدير بخلاص نفسك . فايّ شكر يجب عليك ان تُؤدّيهُ لهُ تعالى على جعلهِ ايّاك تستحقّ ملكوتهُ الذي لا يستطيع الغني ان يشتريهُ بفضّتهِ . وايّ تعجّب تثير فيك هذه نعمة الله التي تجعلك مع ضعفك وعدم خبرتك ان تسلك بشجاعة طريق القدّيسين الذي كثيرًا ما لا يكاد الانسان القوي والعالم الخطير ان يسير فيهِ *

افتكر اين الذين كانوا يدرسون معك قبل ايامٍ اين اولئك الرفاق المالوفون الذين كان يلذ ويروق لك حسب الجسد ان تحيا معهم وتلعب وتسافر الى بلادٍ بعيدة لا ابتغاء محبّة يسوع لكن انتجاع تقدّمٍ او ربحٍ زمنيٍ . كم قد مات منهم وكم قد بقي تائهًا في العالم فيمكنك عند تفكرك في عاقبتهم ان تقول نظير موسى : « ليتهم يعقلون ويفهمون هذا ويتدبّرون عاقبتهم » (تثنية ٣٢ :

٢٩) فقد سمعت انَّ البعض منهم قد ذهبوا الى رومية حيث يشتغلون لاجل الارباح وبعضًا ماكثون في باريس يتوقعون الرُتب العالية وبعضًا قد نالوا هذه الرتب وهم الان مرتفعون في وسط العالم وانت ماذا صرت فانّك بنعمة الله لم تحاول الحصول على شيءٍ من ذلك بل قد اعتددت من اجل يسوع كلّ هذه العظائم وافراح العالم اقذارًا واردت ان تحتقر ذاتك قائلاً مع داود النبي الملك القدّيس : « اخترت ان اقف على العتبة في بيت الهي افضل من السكنى في مساكن الخطاة » (مز ٨٣ : ١١) اجل انّك قد اخترت اليوم الربَّ الاله ابًا وانَّ خدمتهُ لديك ملكوت والتذلّل من اجلهِ في هذا العالم يكون لك سبب رفعةٍ ابديّة . فليكن دائمًا الشغلُ المحتمل لأَجله راحةً لديك والفقر غنًى والاحتقار كرامةً والشدّة تعزيةً والسقم قوّة والحزن

فرحًا وكلّما كان حبّك ليسوع خالصًا شديدًا زاد احتقارُك لجميع خيرات الارض *

ولكن احذر ايّها العزيز ان تدع الشيطان يدخل قلبك بوساوسهِ ليملأكَ حزنًا على فرقة اصدقائك ورفاقك وعلى تقدّمهم ورفعتهم بينما تكون انت باقيًا في برارنك ولا تُعطِ سمعَك للذين يطلبون ان يعدلوا بك الى طريق آخر قائلين لك حتى متى تبقى في هذه الحال ولِمَ لا ترتقي الى مقامٍ اعلى وتسلك طريقًا آخر تفيد بهِ غيرك. فهكذا قد اعتاد الشيطان ان يجرّب خادم الله بعد ارعوائهِ بقليل بالاشياء الماضية وبزيارة اصدقائهِ وسلوك كثيرين من رفاقهِ حتى يعود بهِ الى العالم او يمنعهُ التقدّم ونسيان الارض. لكن اركن الى هذا كلام الاختبار انّ ذكر حياة العالم يضرّ كثيرًا خادم الله المائت بجُملتهِ عن الدنيا وذاتهِ وكذلك

ايضاً كلام الملقين الذين يرومون اقناعهُ بطلب مقامٍ ارفع ومحلٍ افضل واعطاءهُ لحكماء مشوراتٍ فطِنة وهم لا يفهمون فهم المسيحيّين احتقار الذات والتواضع والهرب من العالم والثبات في الطريق الضيّق ومن اجل ذلك يأبون ان يتبعوا المسيح عُرياناً او انهم يأجّلون هذه الضحيّة خشية ان يحرموا القريب تسلياتهم . ولخلوّهم من نعم الله التي يسبغها تعالى بفيضٍ على خادميهِ والزاهدين في كلّ شيء يزعمون ان كفران الانسان باصدقائهِ وخيراتهِ لمشورة صعبةٌ شاقّة ويتيسّر لهم ان يقنعوا غيرهم بفكرهم غير انّ للربّ كلاماً يشجبهم وهو: «احترزوا من الناس لانهم كثيرون الذين يعرفون بكلام جميلٍ واسبابٍ تلوح لهم صائبة ان يرغبوا في الطريق الطيبة السهلة ويبرّروا الجاهل ويستحسنوا اعمالهُ وبكلامهم هذا يرخون عزائم من كان يتقدّم في

الصلاح باقدام راسخة وبالحقيقة انّ الله سيسحق اسنانهم في افواههم لأنهم لا يسيرون في جادّة طريق القدّيسين ولا يتكلّمون كلامهم . فلتمتنع اذن نفسي من الحضور في مجالسهم ولتبتعد عني منازلهم *

فإذن ايّها الاخ العزيز لا تانس ابدًا باستماعك هذه الاشياء وعلى الخصوص لا تصدّقها ولتكن لديك اغراء شيطانٍ وكلام انسانٍ وامكث انت في العزم الذي عزمتهُ . بادر الى الانجيل واسمع هذه الآية التي هي احسن دواء تجاه الارتخاء : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّهُ وخسر نفسهُ » فأحفظ هذا الكلام ابدًا وصد عنك بتُرس الانجيل اليد التي تعاديك ايًّا كانت. غير انّ اناسًا خالين من روح الله وعلمهِ قد اعتادوا ان يعارضوا غالبًا من يكفر بالعالم قائلين لهُ : « اذن الذين يعيشون في العالم يهلكون وانت وحدك تخلص اذن لا

يستطيع احدٌ ان يذهب الى السماء اذا لم يعش مثلك » ؟ *

فلماذا تتكلّمون بالخطاء ضد الله وخدّامهِ انّ الرب يسوع وخدّامهُ لم يتكلّموا هكذا ابدًا فاعملوا الصلاح وعيشوا باستقامة واحفظوا وصايا الله فيدنو منكم الخلاص غير انهم يستانفون الكلام فيقولون : اننا نريد ان نحفظ الوصايا غير اننا لا نقدر على ذلك ولا بدَّ لنا لاكتساب القوت واحتياجات المعيشة ان نخالف غالبًا ارادة الله وكيف يمكننا ان نترك امور العالم ونحن عائشون فيهِ *

فاذا كنتم صائبين في كلامكم ولا تجهلون مخاطر العالم وغرورهُ فما بالكم تعارضون خدّام الله اذ يطلبون الهرب من العالم والدخول في الاديرة والاخويّات التقويّة ليخدموا الله بدون تلك الموانع فاذا كنتم لا تريدون او لا تستطيعون

الاقتداء بهم فينبغي لكم على القليل من اجل خلاصكم ان تفرحوا مع الصالحين وتساعدوهم *

ولكن كفانا الكلام ايّها الاخ العزيز عن هؤلاء الناس لانّ الذين يتكلّمون هكذا ليس لهم في الحقيقة عذر يعذرون بهِ خطيئتهم فاعمل اذن انت بثبات ويسوع المسيح الذي اعطاك ان تبتدئ هو يكمّل ويثبّت الى النهاية عزمك . تامّل : ان الزمان قصير والموت مجهول وكلّ شيء في العالم خسيس حقير . كثيرون قد نتنوا في القبر وكانوا يظنّون انّهم يعيشون طويلاً وقد انمحى ذكرهم بعد ان كانت جميع الافواه تلهج به انّ العالم يجلّ الحاضرين ويجهل الغائبين وينسى المائتين فاذن احتقار هذا العالم الخدّاع واتباع الحق لسعادة عُظمى فليت هذه الحقيقة تمنح لكلينا حياة الابد آمين *

الرسالة الخامسة

في ذكر الموتى

ايها الاخ العزيز كنتُ قد عزمت منذ زمنٍ ان اقدّم لمحبّتك بعض عبارات في تذكار الموتى ولاسيما اقاربنا واصدقائنا الخصوصيين وجميع المتعبّدين الذين يرتضي الرب ان يكتب اسماءهم في سفر الحيوة ويجعل نفوسهم بين صفوف القدّيسين بينما تكون اجسادهم مدفونةً بيننا على الارض. فلنصلِّ بطيبةٍ لاجلهم ولجميع الموتى المومنين لانّ هذا هو عملُ محبةٍ عظيمة ورحمة وكما نحبّ نحن ان يساعدنا الناس بعد موتنا كذلك يجب علينا الان ان نُبذل وسعنا بعون الله في مساعدة موتانا لانّ من يكون اميناً في نجاة الانفس يؤدي لنفسهِ اعظم الخدم ولا غروَ اذ انهُ بصلاتهِ لاجل تلك الانفس

لا يخسر شيئاً من ثمرة الصلوة وفضلاً عن ذلك يتذكّر الموت ولا يكاد يحتاج الى نعمة التخشّع ليعود الى رياضاتهِ عالماً انّ كلّ ذي جسدٍ لا بُدَّ لهُ ان يجتاز من هذا الباب وما اصاب الموتى سيصيبهُ ايضاً لا محالة فلنصلِّ اذن للذين كانوا اعزازاً لدينا لاننّا سنتبعهم بعد قليل ولما يبلغون هم دار النعيم سوف يذكرونا من كلّ بُدٍّ ونحن في الحاجة التي كانوا فيها . فلا يكن ايماننا بالفم فقط ولا نكتفِ بالنظر الى الاشياء المنظورة بل فلنمارس المحبة إن حاضرين او غائبين . انّ المحبّة لا تفرّق ابدًا والمتحابّين حقّاً لا ينسى بعضهم بعضاً والصديق الامين يبين عند الحاجة . حقّاً انك لو رايت اخاك او عزيز قلبكِ ملقىً في سجن محصّن بلهبات نارٍ ولا تبكي عليهِ وتمدّ لهُ يد المعونة مع قدرتك على ذلك او كنت تقدر ان تنجيهُ ببعض كلمات

ولم تعمل ذلك تكون قاسياً جدًّا لا مروءة لك . سقيًا لذاك السامريّ الذي ابصر انساناً مجروحاً مسروقاً فتحنن عليهِ ولكن ويلاً ثم ويلاً لذاك رئيس الخبازين الذي نسي بعد خروجهِ من السجن يوسف مفسّر احلامهِ وعليهِ فانّي اخاف من ذلك جدًّا وكثيرًا ما يحدث انّ احد اصدقائنا يتوفّى وكان قد طلب بالحاح ان يُصلّى لأَجلهِ ويذكره الاحياء . ومع ذلك يُنسى او تصله آجلاً او ناقصةً ذبيحةُ الوفاء التي يتوقّعها ولذلك ايّها العزيز اني انبهُ كلينا بأن نوجّه غالبًا اعمالنا الصالحة لذكر الموتى ونعمل باجتهاد دينيّ كلّ ما يؤُول الى نجاتهم متذكّرين شدّة عذاباتهم وحرمانهم من الراحة الابديّة حتى يطهروا . فتسليتهم ونجاتهم تاتيان خاصّةً من استحقاقات يسوع المسيح وشفاعة القدّيسين وحسنات المومنين فلنتنشّط اذن في وفاء هذا

الذين النافع ولنصلِّ بعبادة لاجلهم على حدةٍ ومجتمعين ولنتلُ فرضنا بانتباه ولنكثر من خدمة القدّاس واستماعهِ برغبةٍ ولنقدّم مع الكاهن تضرّعات شفاهنا امام حضرة الكاهن الاعظم الحقيقي الذي هو اجدر ذبيحة بمحو خطايا الجميع . ففي تلك الساعة التي يقدّم فيها الكاهن على المذبح يسوع المسيح الى الله الآب لاجل خلاص الاحياء والاموات لا تنسى ان تقدّم ذاتك مع جميع الطالبين صلاتك للحصول على الخلاص الابدي فلكي يشترك جميعهم في هذه الذبيحة الفائقة الثمن التي قُرّبت مرّة واحدةً فوق الصليب واضحت كافية لنفي عن كل الخطايا اذكر خاصةً في وقت تقدمتها أُولئك الذين اوصوك ان تصلّي لاجلهم وقرّر اسماءهم امام يسوع المسيح ساجدًا بعبادةٍ ووقارٍ في الموضع الذي انت فيهِ امام ينبوع مراحم الرب

سجدات باطنة متواترة وكلما قبلتَ جسد يسوع المسيح او تأهبت لقبولهِ اسالك ان تذكر ايضاً الموتى المومنين وتطلب لهم الرحمة بحرارةٍ تناسب يقينك في امتلاكك عربون الخلاص الابدي *

اجل اذكر غالباً في الصباح والمساء وعند الشغل موت اعزّائك . افتكر في حالتهم واطلب الوسائل التي يمكنك ان تسعفهم بها من دون ان تضرّ نفسك . قال ايوب البار : « اني اتقدّم الى الطعام بالنحيب » فهذا كلام الرحمة والشفقة يعلّمك ما يجب عليك عملهُ اي ان لا تتناول طعاماً من دون ان تُلقي اوّلاً في ايدي الموتى المومنين صدقةً روحيّة . قد علمت انّ البعض قد اعتادوا ذلك وعندما يحين وقت الطعام يبادرون منعكفين على الصلوة ليخفّفوا عن نفوس المومنين الذين نُقيتهم حسناتهم *

الرسالة السادسة

الى فانونيّ

انّ الاشياء الآتية ضرورية ونافعة جدًّا لحفظ العبادة وسلامة القلب والتقدّم في الفضيلة وبنيان القريب وهي الاختلاء والسكوت والشغل والصلوة والقراءة والتأمّل في الكتاب المقدّس والفقر والقناعة ونسيان الوطن والهرب من العالم وهدوء الدير وملازمة الخورس والاقامة في البيت . فبهذه الاشياء يكون الانسان تائبًا متدينًا باطنيًا . انّ الاهتمام البليغ بالاشياء الخارجيّة يمنع صاحبهُ كثيرًا عن الامور الباطنة ويخمد الشوق الى السماء . مانعانِ يضرّان جدًّا بالرهبان ويحرمانهم انوارًا غزيرة وهما تفرّغهم الزائد لامور الجسد غير مفتكرين في غاية وضع الاشياء كلّها وعدم اعتنائهم بالفحص عن

بواطنهم وعن نوع رغبتهم في الفضيلة او في الرذيلة وبعدهم عن الاتّحاد التام بالله اذ انّ الانسان كلّما ابتعد عن هموم العالم زاد بقياس ذلك اتحادًا بالله واستنارةً. وكثير من الاشياء لا حاجة للمرء الى معرفتها والحصول عليها غير انّ الفضول والحرص يسوقانهِ الى اعمال كثيرة مضرّة بنفسهِ فارتضِ من اجل يسوع المسيح بلباس بسيط وطعام زهيد ولا تطلب الملابس الفاخرة. انّ يسوع المسيح يحبّ قلبًا نقيًا لا حلّةً ناعمةً جميلة مطرّزة تطريزًا انيقًا بالوان مختلفة ولا تحبّ ان يكون ديرك فائضًا بالغنى وجدرانهُ مرتفعةً بل احبّ ان يزهو جميع الاخوة في الآداب الحسنة والفضائل المقدّسة. اذا رايتَ في محلّ آخر اشياء انيقة فاخرة فيمكنك ان تعذرها وتحتملها اجلالاً لله واحترامًا للمحلّ مجتنبًا الرغبة في مثلها. لمّا تترك اصدقاءك لاجل يسوع المسيح وتابى

تسليات البشر وتمكث في فلاينك مواصلاً عملك تحلّ اذ ذاك عليك النعمة السماوية وتنير قلبك وتفرح بك الملائكة القدّيسون ويحفظونك من هجمات العدو لكيلا يتسلّط عليك فتعمل عمل خلاصك بشجاعة مقاوماً تحريضات عدوّك *

اجتنب كلّ ما يفضي بك الى معرفة العالم وشهرتهِ واسلك دائماً طريق التواضع على مثال يسوع ومريم العذراء القدّيسة. تامّل ايضاً في حياة القدّيسين وعلمهم وصبرهم فانّهم كانوا حائزين على الحكمة الحقيقية وبها كانوا يجتهدون بان يرضوا الله لا غير. انّ الرب الرحوم لا يترك مختاريهِ الممتحنين في هذا العالم بل يجتذبهم في حينهِ من الفخاخ التي تتهدّدهم لئلاّ يسقطوا في شرور عظمى قد تفوق طاقتهم. ينبغي لك ان تفتكر مليّاً في شوائبك وتنوح عليها غالباً لئلاّ تقهرك او تغرّك. صلِّ اولاً لاجلك ثم

لاجل اصدقائك احياء كانوا او اموات كما تفرض المحبّة الاخوية. ولكن يجب عليك مع ذلك ان تثق بنعمة الله ورحمتهِ وباستحقاقات القدّيسين احرى ممّا بصلواتك واعمالك الصالحة. اعزم عزماً ثابتاً بان تُصلح سيرتك واذا اقتضى ان تعيش مئة سنة ايضاً فقُل في نفسك انك لا تريد ان تعيش الاّ لتخدم الله اكمل خدمة *

ويجب ان تحارب كلّ يوم ثلث رذائل لا يستظهر عليها الانسان استظهاراً تامّاً الاّ نادراً وهي الكبرياء والشراهة والتواني فالكبرياء تختفي في القلب وترفع الجاهل بانواع شتّى الى الاعجاب بنفسهِ وكثيراً ما تُرى على الثياب وفي الصوت والسلوك والخفّة. والشراهة رذيلة جسمية فاذا لم يكبحها الانسان جعلتهُ رخواً كسلان عاجزاً عن الامور الروحيّة او افضت بهِ الى الفتور واثارت اهواءهُ. والتواني يُبعد عن

الرياضات الروحيّة والتامّل الجيّد ودرس الكتب المقدّسة ويطلب طيبات الجسد ويهرب من الشغل ويبغض الانفراد ويحب الهذر ويانس بالأحاديث الباطلة ويضجر من الاشتغال بالله . من لا يقاوم هذه الرذائل الثلث بشجاعة وقوّة يتقدّم قليلاً في السيرة الحسنة ولا يلبث ان يسقط في شرور عُظمى تتولّد من تلك الرذائل *

انّ محبّة الله الحقيقيّة تظهر في احتقار الانسان نفسهُ وكافّة خيرات الارض اكثر ممّا بحُسن الكلام وصلاة القلب المنكسر المتّضع ترضي الله اكثر من صراخات صوت متعجّرف . انّ الوضيع يجد النعمة على الدوام ومن يطع ببساطة يتنعّم بالضمير الانقى والسلام الاعظم وكثيرًا ما يطلب الانسان بكبرياء سريّة الحصول على الاعلانات والعبادة الرفيعة فانظر نفسك بالاحرى غير اهلٍ للتسليات الالهيّة .

انّ الافتكار في نقائصك وتجاوزاتك يرضي الله وينفعك اكثر من اهتمامك بالاسرار السماويّة. لا ينفعك ان تخرق الاسرار الغويصة طالما لا تكون وضيعاً في الحقيقة ومميتاً باطنك اماتة كاملة بحيث انّك لا تفرح بالمدح ولا تنفعل من الشرّ المقول عنك. انّ الرب يسوع كثيرًا ما سكّت رسلهُ اذ كانوا يتكلّمون عن الامور المقبلة ومسائل أُخر دقيقة. فلماذا تريد اذن أن تعرف ما يفوق علمك. طهِّر ضميرك واجتنب الادّعاء واجتهد بان تعرف وتكمّل ارادة الله لا ارادتك فهكذا كان يصلّي الملك داود القدّيس والخبير البليغ بالاسرار السماوية: «يا رب اليك التجيء علّمني ان اعمل رضاك» (مز ١٤٣ : ١٠) فلا ترغب ولا تهتمّ بالاشياء التي لا تزيدك تواضعاً ولا تتجه بك نحو مسرّة الله الصالحة لانّك ملزوم من قِبَل الله بان تحفظ ضميرك طاهرًا

وتكفر بأباطيل العالم . تأمّل باعتناء جزيل في كلام ربّنا يسوع المسيح والهج غالباً بمزامير داود لأنها تحتوي على الحكمة الحقيقيّة وعلى وسائط خلاصك حرّر على قلبك كتحريرك على كتاب الآم يسوع المسيح وجراحاتهِ وضع رجاءك كلّهُ في استحقاقات المسيح وصلوات القديسين وبالحقيقة ماذا يمكننا ان نعمل نحن الكثيرو الضعف الاّ ان نتواضع تواضعاً بليغاً جدًّا تحت يد الله القديرة ونستغفرهُ بتذلّل . انّ تجلّدنا وثباتنا في الرياضات الحسنة يضعفّان فينا شيئاً فشيئاً الاهواء والشهوات ويؤيدان الفضائل اكثر فاكثر ويفرّحان الانسان غالباً سيما اذا كان يطلب كرامة الله لا عائدتهُ او راحتهُ والاّ فلا تكون نيتهُ طاهرة بجميع اطرافها ولا يكون فاضلاً حقاً . وكلّ ما عمل الانسان من الصلاح يجب عليهِ ان يعدّهُ هبةً من لدن الله . ولا يفتخر

بهِ اذ انهُ ملتزم بان يشكر الله عليهِ ويزداد تواضعاً
والاَّ فيكون عملهُ اثماً ويُدان دينونة عظمى على
كفرانهِ بالجميل *

كلّ عمل صالح مصنوع لاجل الله يستحق
نعمة عُظمى ويفرّح النفس ويملأ صانعهُ حبوراً
لاعتصامهِ بالله. من رغب في التعزية السماويّة
فليُمسك عن الكلام في امور العالم وليصلِ كثيراً
وليخرج نادراً. كلّ خطيئة تولّد الحزن وتفسد
الطبيعة وتستوجب عقاباً. انظر في غيرك عطايا
الله واحببها محبّتك لما ياتي من عند الله حقاً. انّ
هذه العطايا هي عطاياك ان احببتها محبّتك لشيءٍ
يخصّك وعزوتها بجملتها الى الله بتواضع لئلاّ تخسر
الخير بسوء استعمالك اياهُ. وعليهِ فانّك تسيء استعمال
الخير اذا ارتفعت وافتخرت بهِ باطلاً وتُحسن التصرّف
عند حلول الشرّ اذا تواضعت وحزنت من اجلهِ

وتُبت عنهُ ولا تعتذر منهُ بكبرياء . انّ هذه الحيوة وهنٌ ومخاطر لا تعداد لها فلذلك ينبغي لنا ان نلتجيء على الدوام الى الله ونصلّي لكي يحفظنا ويساعدنا في جميع جهاداتنا واعمالنا الصالحة الى النهاية آمين *

LE PETIT LIVRE

DE LA

SOLITUDE ET DU SILENCE

كتاب

ترويض الانسان بحبّ الخلوة وحفظ اللسان

وهو

الكتاب الحادي والعشرون

من مُنتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

مقدّمة

لما كنّا قد حللنا رباط هذا الكتيّب فنقلنا منهُ بعض الفقر الى محلّ آخر كما تقدّم القول ورفعنا منهُ الاعادات وما رايناهُ مختصًّا بالافراد نقُصَ حجمًا عند اعادتنا رباطهُ بدون ان ينقص فائدة ويفقد شيئًا من نضارتهِ وحسن معانيهِ رأينا ان لا حاجة الى تعويض ما نقلنا ورفعنا . غير انّنا نظمنا لهُ فصولًا وجمعنا في كلٍّ منها جملةً من اعدادهِ المتشابهة المعنى ليكون على نسق متقدّماتهِ *

الفصل الاوّل

في حبّ الخلوة والعُزلة

قالت العروس: « اهرب يا حبيبي » ونقرأ ايضاً عن العريس يسوع انهُ ابتعد عن الموضع الذي فيهِ كانت تجتمع الجموع *

فان احببت العزلة واجتهدت في ملازمة فردوسك وهو صومعتك بحسب تشبيه القدّيس هيرونيموس فتكون غالباً مع الرب يسوع *

قال القدّيس هيرونيموس: اجعل قلاّيتك فردوسك ما عشتَ بعيداً عن وطنك. فهنالك تفرح مع الرب وتخاطبهُ وتسمع مجاوبتهُ فيدنو من قلبك نورهُ وتعلن الك حقائقهُ اكثر فاكثر *

متى اشرقت الشمس واشتدّت حرارتها فحينئذٍ تكثر اشعتّها ومتى ياتي الرب فانهُ ينير داخل

بينك فتطهر بهذا النور الجديد وبضيائهِ ترتعد جميع قواك فتقول: « من مثلك يا رب » وما اصدق هذا الكلام الذي قرأتهُ: « اننا بنورك نعاين النور » والآن ايها الرب الهي وضيائي وخلاصي اني اسير في نورك وامتلىء طول النهار فرحًا باسمك وافتخر ببرّك لانّك انت تجد فضيلتي وستثبت ارادتي في مسرّتك *

٣ : فيا ما احسن فعلك يا ساكن الصومعة عندما ترذل شغب العالم وتلتجىء في ظلّ يسوع المسيح فتستشهد راحة هنيئة. لقد اصبتَ حكمة سامية باختيارك العزلة. ويفيدك جدًّا ان تبذل جهدك في ان تحيا لاجل الله ولا تظهر الاّ لمعاينتهِ فقط *

انّك اذا احببت المسيح وامّهُ واقتفيت آثار الذين يحبّون يسوع ويسعون وراءهُ سلمت من شبة الجسد وهمومهِ وحينئذٍ فلا يلوح لك بينك

ضيقاً ولا يشقّ عليك الشغل ولا تحزن من الخلوة ولا يكون السكوت مرًّا لديك *

الفصل الثاني

في السكوت امام احكام الله وتدابيرهِ

آ: ينبغي لنا في جميع الاحوال التي تعترينا او تعتري غيرنا على الارض ان ننظر الى الحكمة العالية التي ترتّب كلّ شيءٍ ونسجد بازاء هذه الحكمة لله بتذلّلٍ ونسألهُ ان يعطينا هو نفسهُ ما يراهُ انفع لخلاصنا. اننا في يديهِ كالخزف في يدي الفخّار فليرتضِ فقط ان يصنع من فطرتنا آنيةً للكرامة لا للهوان *

فاذا جُعلنا صغارًا حقيرين بين اخوتنا فلا نهتمّ كلّ الاهتمام ان قدرنا مع ذلك ان نرضيهُ

ونسرّهُ ايضاً *

وفي الحقيقة انّنا نومن وينبغي لنا ان نعتقد انّ لجميعنا سوآءٌ كان ذلك في عالم النعمة او في عالم الطبيعة ابًا واحدًا وهو الله فلا يجب علينا من من اجل اختلاف الاستحقاقات وتوزيع الوظائف ان نسيء الظن في احدٍ ايًّا كان وان عاش في العالم حقيرًا وكان اخسّ الناس *

الفصل الثالث

في تسليات الصامتين الباطنة

اذا لم يستطع الانسان بعدُ ان يستغني من تسليات البشر فينبغي لهُ ان يسمع بتواضع للّه نفسهِ الكائن في عبيدهِ ويقبل تسلياتهِ لا كأنْها آتية من البشر بل كانّها خارجة من فم الله. ثم انّ الله يكلّمنا

ايضاً في الكتب المقدّسة كما نكلّم نحن الصبيان لكي نجد في كلٍّ من حوادث تلك الكتب ما يدعونا الى التسلية *

من يجتنب التسليات الخارجيّة ويطلب تسليتهُ في الكتب المقدّسة لا تكن تسليتهُ قليلةً لانهُ عند قراءتهِ الانجيل او الانبياء يتفاوض على نوعٍ ما مع يسوع ورسلهِ ومع انبياء الازمنة القديمة ولما يطالع برغبة كتب الملافنة تنفي صحبتهم كلّ ضجر من قلبهِ *

اجل اننا عند قراءتنا تآليف القدّيسين نراهم غالباً حاضرين امامنا ولا ينبغي لنا ان نسمع كلامهم باقلّ رغبة لسبب انهم ليسوا في الجسد ولا يقدّمون لنا بانفسهم كتاباتهم *

حقّاً انّ حضورهم الموقّر قد كان يمكنهُ ان يؤثر فينا اشدّ تاثير غير انّ الانسان الروحيّ الذي يرى الجميع احياء وحاضرين في الله يتيسّر لهُ الارتفاع

فوق هذه الرغبة ولا ينظر في القدّيسين الهيئة الجسمية لكن النعمة الالهيّة تحبهم ويوقّرهم في كلّ مكان ويتذكّر كلام القدّيسين اوغسطينوس وغريغوريوس القائلين: انّ الرب يسوع قد غاب عنا بالجسد لكي نوقّرهُ بالايمان احرى مما بالنظر ولكي نحبهُ بالقلب والعقل احرى ممّا بالحواس ولذا قال هو نفسهُ . « انهُ خيرٌ لكم ان انطلق لاني ان لم اذهب لم ياتكم الفارقليط » (يوحنا ١٦ : ٧) *

الفصل الرابع

في غبطة من يموت في الرب وعن التسليات البشريّة

اذا مات اصدقاؤنا الروحيّون وتبعوا يسوع المسيح صاعدًا الى السماء فينبغي لنا بدون شكّ

أن نطوّبهم على ذلك لانهم قد انطلقوا الى الرب وملكوا ذاك المقرّ السماوي الذي كثيرًا ما نتنهّد نحن اليهِ في هذا وادي الدموع. واذا كان الرب يبقي البعض في هذا العالم ويؤجل حظواهم بغبطة ملكوتهِ فانمّا ذاك لاجل تسلية الاولاد المحتاجين الى حليب التسليات الروحيّة *

فليفرح من استحقّ هذا الاحسان الجليل في الغاية وهوان يحيا في الخلوة وبدون تسلية بشريّة. ويجعل غبطتهُ في هذهِ الحيوة لانهُ كلّما قلّ سعيهُ وراء الاشياء الخارجيّة زاد استحقاقهُ لقبول تسليات الروح الباطنة بفيض وغزارة وانما بهذا الانسان يجدر نسيان الاشياء الارضيّة بتاملهِ في شريعة الله دائمًا والاختلاط بافراح الطوباويين بشدّة رغبة قلبهِ وجعل كلّ عذوبة تسلياتهِ في غبطتهم وبهِ ايضًا يجدر كلّ حين ان يستقي من هذهِ الغبطة

سيول دموع خاشعة تجعلها شدّة الحب عذبة ايضاً بحسب قول داود الملك القدّيس في شوقهِ الى رؤْية الله: «صارت لي دموعي خبزاً النهار والليل اذ قيل لي كلّ يوم: اينَ هو الهك» (مز ٤١: ٤)*

فيا ما احسن للانسان ان يحيا هكذا غير انهُ لا يستطيع ذلك بدون شغل وانتباه اذ انّ دواعي التشويش كثيرة جدًّا*

٢ً: اذا ترك الانسان كلّ زيارة او جولان غير لازم فيكون قد تقدّم تقدّماً بايغاً. غير انّ الذين يحتاجون الى تسليات اكثر من غيرهم يجب ان يعاملوا برفق وسهولة. فقد ينبغي للبعض منهم ان يستنشقوا هواء انقى حتى اذا حرموا كلّ تسليةٍ بشريّة وهم غير جديرين بعدُ بادراك التسليات الالهيّة ادراكاً تاماً يهلكون ضجراً ويغتمّون فوق الحدّ لعدم معرفتهم السلوك في طريق الاقوياء.

امّا انت فاصعد قليلاً الى ما فوق واشفق على الضعفاء بدون ان تماثلهم ولستُ اريد ان تعمل اشياء فوق طاقتك غير اني احرّضك على الخلوة والسكوت بموجب قواك لتعيش باعظم عبادة *

انّ احدى علامات العبادة الجيّدة هي ان يحب الانسان قلاّيتهُ او يطلب محلاً آخر يمكنهُ فيهِ ان يتفرّغ لله بصلاة دائمة وتاملات سماويّة غير منقطعة. انّ من يحيا هكذا تكون حياتهُ شهيّة خفيفة لانّ الخلوة هي محلّ الغبطة والسلام لقلوب العابدين الذين يجدون الوقت كلّ حين قصيرًا جدًّا لرياضاتهم الروحيّة غير انّهم يشعرون مرارًا بخلاف ذلك وما كان لديهم سهلاً عذبًا يتحوّل الى مرارة وضجر فلا ينبغي لهم آنئذٍ ان يفتكروا بانّهم قد خسروا ما ربحوا واساؤوا الى الله بقصدهم الصالح بل فلينظروا في الفائدة العظيمة الناجمة هم

من هذهِ الشدائد الصغيرة التي تتناوبهم من مدّة الى اخرى وتجعلهم بواسطة صبرهم عليها ان ياتوا بثمار جيدة وتنبههم ايضاً بان يزدادوا في ما ياتي احتفالاً بالشدائد الواجبَ عليهم احتمالها اذ انّ من يحبّ ان يحمد الله ليس في الراحة فقط بل وفي الشدائد والتجارب ايضاً يسير حقاً الى الحيوة الابديّة في الطريق الأَمجد من الكمال *

الفصل الخامس

في عذوبة يسوع المسيح السماويّة ومودّتهِ وانواع ظهورهِ لاحبّائهِ

انظر الى جمال الختن السماوي وتامّل في منزلة حبّك لانهُ اي شيء احببت خارجاً عن يسوع لا يملأك ويفرّ من بين يديك . كلُّ مجدٍ عالميّ

يهرب ويلقي في قلوب من احبوه خلاً ومرارة. ليس للعالم شيءٌ يشبع او يلذّ اما يسوع العذوبة الغير الموصوفة والشهية في الغاية فانهُ يزور غالباً خاصتهُ في هذهِ الحيوة بتسلية السلام الباطن ويملأهم في الحيوة المقبلة غنى عجيب *

فاجتهد اذن بان تستغني من تسلياتهِ وتسترجع قواك بعذوبتهِ الباطنة ونقبل بمودّتهِ الطاهرة في لجج اللاهوت اذ انهُ قد قيل: لا يُقبل احدٌ الى الآب الّا بالابن. فليس خلوة الّا وفيها ليسوع المكان الاوّل فبدونهِ كلّ خلوة ضوضاء وبصحبتهِ كلّ مكان هادىء طيّب واعذب لنا من ان نكون في الفردوس بدونهِ واذا حضر هو فماذا ينقصنا ايضاً *

انهُ والحالة هذه يظهر لنا الآن بحالة تناسب سياحتنا وسوف نعاينهُ ذات يوم كما هو. انهُ ياتي الينا الان غالباً وبانواع مختلفة مراراً يعلن لنا عدالة

بضربات الشدائد ومرارًا يُرينا مراحمهُ برفعهِ عنّا الشدّة وردّهِ الينا السلام فعلى هذا النحو ياتي الى احبّائهِ الاتقياء بحيث انهم لا يلبثون دائمًا بدون ضيقٍ في هذهِ الحيوة وقد قال في انجيلهِ الطاهر: « سيكون لكم ضيق في العالم ولكن ثقوا انا غلبت العالم » (يوحنا ١٦ : ٣٣) *

انّهُ ياتي هكذا كابٍ الى بنيهِ فيادّبهم بدون ان يسلمهم الى الموت ويهملهم بدون ان يتركهم ويُريهم ضعفهم وبؤسهم بدون ان يسوقهم الى اليأس ويجعلهم يبكون وهم مغبوطون بالرجاء ومضطرمون بالمحبّة. ويستخدمون الخيرات الحاضرة باعظم خوفٍ واشدّ احتقار ويبلغ بهم على هذا الوجه الى الخيرات الابديّة بلوغًا اسهل واسرع *

ثم انّهُ يعود ايضاً ويفيض نعمتهُ على اصفيائهِ فيسليهم في الباطن ويُوحي اليهم بالاشياء السماويّة

ويعطيهم قوت النفس والجسد ويقلع منهم الرذائل والاهواء ويرفع عنهم التجارب والبلايا الأُخر *

غير انَّ هذهِ ساعة الضياء لا تدوم دائمًا لانهُ يتوارى عنهم ايضًا فيحدث لهم عكس ما كان ليكون ايمانهم اثمن من الذهب الممحوص غير انهُ يكون مع ذلك حاضرًا ايضًا وحضورهُ يكون نافعًا مثمرًا ولو شعر الصابر على محنتهِ بشدَّة ثقل هذهِ المحنة ومرارتها *

الفصل السادس

في تسليات من يصاحب يسوع المسيح ويماثلهُ

يا ما اجدر بالمديح من يحب يسوع في الشدَّة كما يحبهُ في الراحة ونضارة العيش . ومثلهُ من ياكل ويشرب مع يسوع ويحتمل معهُ الجوع والعطش

بدون تشكٍّ ويتبعهُ الى جبل الرؤية والمجد ولا يفزع من انْ يتبعهُ ايضاً الى خشبة الصليب بثبات شديد معترفاً في جميع هذهِ الاحوال انّ الرب صالح حلوٌ شهيّ وجديرٌ بجميع التسابيح وبهذا المعنى قال هو نفسهُ « طوبى لمن لا يشكّ فيّ » وذلك عند حدوث الشدّة اذ انهُ لا يشتعل نار الشك في اوان الرخاء ولا يبين اذ ذاك تلميذ يسوع المسيح فاحبب يسوع عندما يمنحك بعض الخيرات واحببهُ ايضاً عندما ينزعها منك بل احببهُ كذلك عندما يرميك بنبال الشدّة ولا تفصل قلبك منهُ لا في الفرح ولا في الحزن · اجل انّ الطبيعة تشعر في زمن الالم بضيق واوجاع ولكن كلّما خضعت النفس لارادة الله واوامره فبقدر ذلك يثبت الحب في الطبيعة المتألمة *

٢ً: فليكن اذن يسوع المسيح تسليتنا الوحيدة

وحيثما كنت وباي نوع افتقدك تُق دائمًا الى سكناهُ فيك ووجّه اليهِ جميع مقاصدك وعلى الخصوص احترز من ان تحتقر نعمتهُ وتدنْس حضورهُ لانّك اذا اهنتهُ فايّ سلام يكون لك *

انّ الافكار الباطلة وشعائر الكبرياء ومحبّة ما يزول والرغبة في الاشياء المنظورة وسائر الافراح الحقيرة التي تاتي من الخلائق تُعمي بصائر القلب القدّيس نفسهِ بحيث انهُ لا يعود يبصر يسوع مع الآب في السماء او مع مريم في المغارة . انّ جميع اسرار المسيح الخاشعة تكون تفهة لذوق من يلتفت الى الاشياء الخارجة الباطلة غير انّ الحبّ يظفر بالحبّ ومن ذاق الاشياء الروحيّة يترك بطيبةٍ من اجل يسوع المسيح كلّ شيء دونهُ *

الفصل السابع

في الابتعاد عن العالم

* انّ ابن الله مثالنا قد سار امامنا وجميع اجناد القدّيسين قد تبعوه بثياب بيضاء * كلّ ما للاشياء المحسوسة من جمال ظاهر كان حقيرًا مرذولاً في عيني احباء يسوع المسيح وكذلك الفضّة والذهب والحجارة الكريمة والاثواب المزخرفة الكثيرة الالوان واطعمة المآدب الفاخرة وملذّات الجسد وكثرة الغنى والاواني وانواع المسرّات وكلّ شيء يلذّ للجسد او يُريحهُ بل لم تستطع كافّة هذهِ الاشياء ان تليّن قلوب القدّيسين ولم تقوَ على ان تفتن شمّهم او تخدع نظرهم لانّهم باحتقارهم ايّاها في الباطن كانوا يطأون بارجلهم جميع زهور العالم لتحققهم انّ كافّة افراح هذهِ الدنيا سريعة الزوال وتعقبها عاجلاً المجازاة الغير المتناهية *

ومع ذلك فقد ارتبك العالم لتعاسة حظّهِ في كافّة تلك الاشياء المارّة بك وقد جعل فرحهُ في تلك الملذّات البعيدة عن الحكمة وفي ذاك الوحل وتلك الحمأة ولكن الاجدر بنا ان نلازم هنا السكوت احرى من ان نحرّك هذهِ الاوساخ خشية ان يلقي العدو داخل انفسنا غبار دنسهِ ويزرع فيها القلق ويسحت منها الافكار الصالحة وينتهز فرصة تذكّرنا اوضار العالم ليدنّسنا بدون ان نستطيع ان نفلت منهُ *

٢ً: اصنع لك خلوة في قلبك ترافقك الى حيث تمضي. شيّد لك فلكاً محصّناً قوياً من كلّ جانب لكي تسلم بهِ من مياه الطوفان لانّ امواج البحر العظيم اي العالم عظيمة تجلّ عن الوصف. انّ يوحنّا كان واقفاً عند سواحل نهر الاردن فابصر يسوع مقبلاً اليهِ فمن يبتعد عن افعال البشر ليتأمّل عن بعدٍ في

يسوع المسيح بعيني الايمان يكون نظير يوحنا واقفاً عند ساحل النهر *

اجعل في فلكك نافذة ليدخل منها يسوع المسيح ثم اغلقها لكيلا يقبل الشيطان لانّ فرحنا بقبول الصديق ينقص اذا لم نحترز من حيل العدو او نصغي الى كلامهِ. انّ الشيطان هو عدو جميع الصالحين ولا يزال ينصب لهم فخاخهُ غير انهُ يجرّب على الخصوص الرهبان والمتزهّدين وكلما سار هولاء في طريق الفضيلة بكمال اعظم بالغ هو في تعطيلهم بما يمكنهُ من الوسائل *

فليرتضِ ربنا يسوع المسيح ان يقوّي عبيده المساكين ويقيهم من خبث ذاك الوحش ويبعدهُ عنهم *

الفصل الثامن

في فضيلة السكوت

لا يكفيك لتقدّمك الروحيّ ان تحبّ الاختلاء بل ينبغي لك ان تحبّ ايضاً حارس العبادة اعني بهِ السكوت المقدّس. انّ داود النبي القدّيس مع وسع علمهِ باسرار ديانتنا وكثرة تراتيلهِ السماويّة كان يحبّ السكوت حبّاً شديدًا اعرب عنهُ في عدّة مضامين من مزاميره من ذلك: «قلتُ اني احافظ على طرُقي لئلاّ اخطأ بلساني» واستتلى قائلاً: «خرستُ سكوتاً صمتُّ عن الخير» (مز ٣٨: ٢و٣) بل انهُ سأل الربّ ان يحفظ لسانهُ فقال: «اجعل يا ربّ حافظاً لفمي وحارساً لشفتيّ» *

فانظر كيف كان يحبّ السكوت هذا الرجل الشهير كلّ يوم بين جموع كثيرة والمالك بسلطنهِ

على شعوب عديدة وكيف كان يجعل حافظاً لفمهُ ويسأل الله بتذلّل ان يصون لسانهُ خشية ان يستظهر عليهِ الضعف او الخفّة *

فاين قرأ هذا النبي القدّيس قانون السكوت المفروض على الرهبان واين تعلّم الآداب النسكيّة. انّ نعمة الروح القدس بادرت اليهِ وعلّمتهُ ومنها قبل وبها حفظ طريقة الحيوة النسكيّة وآدابها فاذا كنّا قد اعطينا هذه النعمة فيمكننا ان نحافظ على وصيّة السكوت التي قبلناها من سلفائنا واوصينا بها منذ الازمنة القديمة بتشديد بليغ *

٢ً : انّ جميع روساء الرهبنات قد اوصوا بالسكوت وبعضاً من القدّيسين انفسهم الذين عاشوا عيشة منفردة قد حفظوهُ واندروا بهِ *

انّك وان كنت غير ملتزم بحفظ سكوت نظير سكوت الرهبان فمع ذلك ترج ثواباً جزيلاً عند

الله اذا حفظت لسانك حبًّا بالسكوت ورغبةً فيهِ وتكون فضلاً عن ذلك للغير قدوةً صالحة مفيدة حين يشاهدون خصائل الترهب المقدّس تزهو فيك *

كن غيورًا على حفظ السكوت من اجل الفضائل الكثيرة الناشئة منهُ اذ انّك بحفظ السكوت تحفظ ايضاً الطاعة وتصون التواضع وتجمّل الاحتشام وتحترم الشيوخ وتعطي الشبّان مثالاً صالحاً وتلقي الهيبة في القلوب الخفيفة الطائشة وتجعل الغرباء يجلّونك ويحسنون الظنّ فيك وتضع السلام والاتفاق بين سكّان الاديرة *

اذا حان وقت التكلّم فتكلّم بحدود وقُل ما تراهُ نافعاً او ضرورياً لك او لغيرك واجتنب للحال كلّ كلام يفضي بك الى الاكثار والبطالة والاهمال واذا زلّيت بهذا الخصوص فزد تيقظك في ما ياتي *

الفصل التاسع

في مداواة كثرة الكلام

انّ الامساك عن الكلام المفيد والجائز في بعض الاحيان لدواء ناجع في كثرة التكلّم. اذ انّ الحمل الذي يحملهُ الانسان من تلقاء رغبتهِ وبالهام الروح القدس الباطن يكون اعذب واخفّ من الحمل المفروض. ومتى عرف التلميذ ذنبهُ فخيرٌ لهُ ان يأدّب نفسهُ هو من ان يُقبل المعلّم عليهِ بعصاهُ ويعاقبهُ شرّ عقابٍ *

اذا تعوّد الانسان على التكلّم بمناسبة كلّ شيءٍ لا يكون حرًّا هادئًا في باطنهِ. انّ المهذار لا يكاد يجد وقتاً للسكوت وكلّ شخص يوافقهُ وتراهُ يمشي مع الرجل السكوت والغريب يخاطبهما كأنّ الجميع يعرفونهُ ويلقي كلامهُ على العاقل والجاهل واذا كان

يحسن التكلّم ولهُ موادّ غزيرة فيعدّ نفسهُ عالمًا في كلّ شيء ولا يستطيع شيءٌ ان يكرههُ على اقتصار كلامهِ غير مرور الوقت وذهابهِ . فهذه عادةٌ رديئة جدًّا من يهمل اصلاحها يكون اهمالهُ شرًّا ممقوتًا . غير انّها قد تكون في البعض ضعفًا يستوجب المغفرة ولا يلبث صاحبهُ ان يصطلح منهُ *

الفصل العاشر

في اطالة الكلام المفيد

لا تظنّ انّ كلّ قول او كلام اذا طال يكون مرذولاً ويمكننا اثبات ذلك بتعاليم يسوع المسيح واعمال الرسل انفسهم . فربّنا يسوع اذ صعد على الجبل ليعلّم تلاميذهُ افاض عليهم غنى عظات مستطيلة ولمّا انتخب رسلهُ الاثني عشر اخذ يعلمهم باسهاب

مشورات حكمتهِ قبل ان يرسلهم ليكرزوا واذ قربت ساعة مضيّهِ شرع يكلّمهم بعد العشاء المثلّث القداسة كلاماً اسهب فيهِ فوق العادة لعلمهِ بوجوب ذلك لاولئك اليتامى الحزانى الذين اوشك ان يحرمهم حضورهُ المفعم نعماً *

ومن المحقّق انّ بولس الرسول قد اطال مراراً عظتهُ الى نصف الليل من اجل الفوائد الناجمة منها وقد حذا حذوهُ الآباء الاوّلون منهم القدّيس انطونيوس الذي اطال ايضاً كلامهُ مع اخوتهِ الرهبان ومثلهُ القدّيس بنوى فانهُ قد فسح لاختهِ خلاف العادة والرسوم ان تتفاوض معهُ في الليل عن افراح السماء *

فاذا احبّ احدٌ استماع كلام الله واجبنا الى طلبتهِ من اجل الفوائد الحاصلة لهُ نعمل عملاً صالحاً جدًّا ولا نترك آنئذٍ نفسنا تاملّاتها لكنها تُعطى في

تلك الساعة نفسها فهما اوسع من اجل الفوائد التي يكتسبها سامعونا *

غير انّ الانسان الخاضع لرئيس لا يستطيع ان يعمل شيئًا او يتكلّم بدون اذن رئيسهِ وان كان كلامهُ نافعًا اماّ الرئيس او من يكون رئيس نفسهِ فهو خاضع في ذلك لله . قالت الحكماء : انّ الكلام المستطيل والنافع لا يُعدّ خطأً ولو قيل ثقيلًا او كان زائدًا لان ذوي الافهام الثقيلة يحتاجون الى مثل ذلك والاّ فانّهم كثيرًا ما يلبثون بجهلهم غير انهُ يجب من وجه الصواب على النفوس الطاهرة ان ترذل كلّ كلمة لا يفوح منها عطر الرزانة والبنيان *

فاذن وان كان ينبغي لك ان تجعل حافظًا للسانك وتكون قليل الكلام لكي يزداد كلامك المقول في حينهِ فطنة ومنفعة فاحبب مع ذلك السكوت حبًّا مقرونًا بتلك الحكمة التي لا تخل بكلمة

على اخٍ محتاج اليها *

ونعلّم ان نستغني ايضاً من كلّ تسلية غريبة ولكن احبب مع ذلك ان تتفاوض عند الوجوب مع صديق لك وتعمل بموجب مشورتهِ قال داود النبي: «اني اجعل باب حراسة لفمي» فكلّ باب يفتح ويُسدّ فانهُ يفتح للاقوال الضرورية ويُسدّ عن الاقوال الباطلة *

الفصل الحادي عشر

في اجتناب المبالغة في السكوت والانفراد

لنجتنب في سكوتنا المبالغة المخالفة لاصول الفطنة سيّما اذا كنّا عائشين مع جماعة لانّ من يمتاز عن غيرهِ بسكوت فائق الحدّ لا يستطيع ان يحافظ على الأُلفة الاخوية زماناً طويلاً. لكنّهُ امّا يسقط من

ذاتهِ او بزلّ في اشياء عُظمى باهواء شيطانية. اني قد رايت وسمعت امثلة كثيرة في ذلك ومنها حديثة الوقوع وربّما قد سمعت انت ايضاً مثل ذلك *

من يحبّ ان يتقدّم بسرعة وثبات فينبغي لهُ ان يكون شجاعاً في نهاية العمل كما كان في بداءتهِ اذ انّ كمال كلّ عملٍ في نهايتهِ. كثيرون صارت اواخرهم خلاف اوائلهم الحسنة بل انهم فاقوا في شرورهم كافة رفقائهم. والبعض رجعوا الى الوراء لانهم احتسبوا نير الرب غير محتمل. انّ الحرارة لازمة في بداءة العمل غير انّ اهمال تسكينها وتخفيفها مضرّ بصاحبها. الحرارة المثلى المستوجبة المدح هي ان يفضّل الانسان رياضات الجماعة على رياضاتهِ الخصوصيّة ويجتهد بان لا يلقي عنهُ ابداً الاثقال التي حملها كباقي اخوتهِ اذ انّ الامساكات الخصوصية كثيراً ما تكون للمتمسّك بها بمثابة فخٍ ومعثرة *

٢٠ كثيرون يعدّون السكوت الدائم شيئاً عظيماً وحسناً يفعلون غير انّ السكوت في حينهِ والتكلّم كالواجب لأعظم من ذلك . من يعش في الانفراد يمكنهُ ان يحفظ سكوتاً بليغاً ما شاء امّا من يكون مع جماعة فيجب عليهِ ان يحسن معاشرتهم ليس من اجلهِ فقط بل من اجل الذين معهُ ايضاً وكذلك من يكون متفوّضاً بامور خارجيّة فيجب عليهِ ان يتكلّم مع اناس بعيدي الاختلاف ويعسر عليهِ جدًّا ان يتيقظ على لسانهِ تيقّظاً يعصمهُ من الخطأ وطوبى لهُ اذا سلم من الهلاك *

سقياً لمن اعطاهُ الرب ان يلازم صومعتهُ ويستشهد فيها راحتهُ لانّ الاشياء الخارجيّة وامور العالم لا تكاد تُقضى بدون خطاء وخسارة روحيّة *

وفي الحقيقة انّ من يكون بين الجمع لا يستطيع غالباً الامساك عن الكلام واذا ابى التكلّم الّا من

وجه الضرورة تعوّد شيئاً فشيئاً على اطلاق لسانهِ فتحملهُ بادىء بدء هذه العادة على اهمال نفسهِ وتنتهي بهِ شهوة الكلام الى الارتخاء في كلّ شيء وكثيراً ما يكون نتيجة ذلك انّ ما كان يصعب عليهِ استماعهُ في اوّل الامر من اجل صيانة قلبهِ لا يخجل في الحال من المجاهرة بهِ لكثرة اهمالاتهِ *

الفصل الثاني عشر

في خسائر بعض الكلام

اعلم انّ المحادثات تسبّب عادةً للروحيين خسائر عديدة فخيرٌ لهم اذن ان يعرفوا ذلك وينتبهوا لهُ ليتحفّظوا على الخصوص من بعض الكلام. انّ الاكثار من الكلام كلّ حين مخطر ومخالف لقوانين الرهبان اذ انهُ يجعل الانسان فارغاً ساهياً عن

مقاصدهِ الصالحة كسلانَ عن الانفراد بصومعتهِ اعمى وبدون ذوق للافكار الالهيَّة. من يجُل هنا وهناك ويحادث هذا وذاك ففي النادر يبني قريبةً *

فالاسهاب في الكلام عن غير مواد خصوصيَّة لا ينفع شيئاً سيمّا في الاوقات المخصَّصة للتفرّغ لله ومناجاتهِ وعلى هذا الوجه ينبغي لنا صباحاً ومساءً خاصَّةً ان نعرض عن كلّ فعل وكلام مع البشر لانّ هذين الوقتين هما وقتا العبادة والاستغفار والتعويض والمقاصد الصالحة ويُخشى على الانسان اذا تماهل في هذين الوقتين ان يقضي نهارهُ كلَّهُ في طيش عظيم ويسقط في نقائص كثيرة العدد *

٢: انّ البعض يحبّون ان يعملوا بموجب هذا التعليم فيقصدون ان يجتنبوا الاقوال الخفيفة والغير اللائقة غير انهم لا يلبثون ان يعودوا ايضاً الى عادتهم القديمة لتسلّطها عليهم فيظنّون اذ ذاك انهُ

عسرٌ عليهم ان يقهروا محبّتهم للاقوال الخفيفة . فمن احبّ اذن ان يترك هذهِ العادة ويقلع عنها فليجتهد بان يجدّد كلّ يوم قصدهُ في حفظ السكوت على حبّ يسوع المسيح ويجتنب مجالسة الناس الخفيفين والمحبّين للتكلّم وليفعل ذلك لا من جهة هولاء الناس لكن من جهة ضعفهِ ثم ليتامّل بموجب خُلقهِ في كثرة الشرور التي تصيبهُ غالبًا من قبل هذهِ عادتهِ الرديئة وتتوعّدهُ اذا اهمل الاعتناء بحفظ لسانهِ *

« ليس انسان يستطيع ان يحفظ لسانهُ » فيا لهُ حكمًا شاقًّا يُرثى لهُ . انّ الجنس البشري قد امسى لعبةَ ضعفٍ بليغ في الغاية وحماقة جسيمة بحيث انهُ لا يقدر ان يخضع اصغر اعضائهِ لحكم العقل *

٢ : ومن يمكنهُ ان يحصي بالتمام كثرة خطايا اللسان فكلّ كلمة يفوه بها تكون امّا بطّالة واما ناشئة عن مزاح او كبرياء او جفاء او احتقار او قلّة حياء

او تمليق او خديعة او مجد باطل او اعجاب او مدافعة عن الشر او اعتذار من الذنب او نميمة او كذب او نجاسة او ضرر للقريب او عدم استحسان او غرور او اسهاب او قلّة فطنة او عدم لياقة او مخالفة او نوع آخر من الرذائل ايًّا كان *

الفصل الثالث عشر

في رذيلة النميمة

انّ رذيلة النميمة لها القسم الاعظم بين جميع الرذائل لانهُ كثيرًا ما يحدث عند اجتماع اثنين او اكثر ان يتكلّم هذان عن الغائبين كيت وذيت وكلٌّ منهما يورد بدون خجل ما يعجبهُ او يسيئهُ في قريبهِ بغير ان يلتفت الى الخطأ ويا ما اسهل على الانسان ان يخطأ بلسانهِ خطأً جسيمًا ولذا قال الكتاب : « من

لا يخطأ بلسانهِ يكون كاملاً » وقد تقدَّم القول انَّ الانسان كثيرًا ما يقول اقوالاً لا يندم عليها في الحال ولو تذكْر عواقبها الوخيمة لما فاه بها ابدًا. فليتهُ يتعلَّم من مصابهِ اذا سقط مرَّةً واحدةً ان لا يسقط ايضًا *

ولكن اذا كان خطأ اللسان سهلاً فخطأ الفكر اسهل منهُ واعظم وعليهِ قال الرب: « انَّما من القلب تخرج التجاديف والاكاذيب التي تدنّس الانسان » فالشر اذن يبتدىء في القلب ومن القلب الشرّير تخرج الاقوال الشرّيرة غير انَّ خطيئة القلب مع شدَّة تيسرها تكون سرّيَّة امَّا خطيئة اللسان فتكون ظاهرة ولو كان فعلها سهلاً كالسابقة ولذا قد جاء ايضًا في الكتاب المقدَّس: « لا يسلم الانسان من الخطأ في كثرة الاقوال » *

٢ً: غير انَّ الانسان كثيرًا ما ينخدع بظواهر

التقوى والمودّة فيتراخى عن شدّة السكوت التي كان قد رسمها لهُ بحيث انّهُ يرغب من الجهة الواحدة في اجتناب كثرة الاقوال ويخشى من جهة اخرى خطرًا آخر وهو ان يسيء احدًا بشدّة امساكهِ فيقول في باطنهِ لعلّي مقصّر في واجباتي نحوهُ لعلّي اكلّمهُ نادرًا جدًّا لعلّهُ يظنّ اني قليل الاعتناء بهِ وربّما ابرّد بهذا تصرّفي محبّة قلبهِ واثير فيهِ التظلّم والظنون والقلق والغضب والتذمّر او النميمة نفسها *

فاذا استدلّ ذاك الانسان على شيء ممّا تقدّم ورأى ان محبّة اخيهِ تُثلم بسببهِ فانهُ يخطأ بسكوتهِ عندما تاذن لهُ الطاعة بالتكلّم لانّ اللسان الذي يلقي السلام هو شجرة حيوة وكلمةٌ جيّدة خيرٌ من جميع العطايا وعليهِ فلينزل وليفتح الباب لمن يقرعهُ ولو احبّ من اجل منفعتهِ ان يحفظ فمهُ مسدودًا كل حين لكي تكون نفسهُ في اعظم امنٍ غير اننا

لم نرَ حتى الآن كيف يكون انخداعنا اذا لم يكن الكلام ذنباً في الظروف المذكورة لكنهُ يلوح فضيلةً فهكذا يكون انخداعنا *

انّ الانسان الشديد التمسّك بحفظ لسانهِ يكون كثير التعصّب في اوّل امره غير انهُ اذا اطلق لسانهُ في الحادثات المستطيلة فيتغافل بواسطة الاهمال عن اشياء كثيرة لا ينتبه لها الاّ آجلاً جدًّا عند فحص ضميره وعليهِ فالكلام الذي قيل في اوّلهِ لاجل احتياجات القريب ومنفعتهُ فينتهي غالبًا بالخفّة وتمتزج بهِ التسليات الخارجية ومن كان قد عزم ان يقتصر على الاقوال الضرورية لا غير خوفاً من الاقوال الفارغة فينتهي عن غير فكر من تلك الاقوال الضرورية الى احاديث تستوجب اللوم وكثيراً ما ينتبه لسقطته فلا يحفل بها ويشاهد خروجهُ عن جادّة الطريق فلا يرجع على خطواتهِ الى ان

فهذه هي كثرة فخاخ اللسان وسرعة انسياب الخديعة فليس اذن خطأ في قولنا انّ الانسان كثيرًا ما ينخدع بظاهر التقوى اذ يتراخى في زهدٍ مقدّس *

الفصل الرابع عشر

في ايضاح ما تقدّم

ربما تضطرب ايّها الاخ بما قرأت لانّنا قد سبقنا وقلنا انهُ ينبغي لنا ان نجتنب زهادة شديدة في الغاية تحمل البعض على الاستيحاش وربما تُهلكهم والآن نورد الفخاخ والخطايا التي يُسقطنا فيها اطلاق العنان لطبيعتنا فهذا الكلام يحزن الروح ويُلقي القارئ في اكبر الحيرات فمن يضطرب هكذا لوجود المخاطر من الطرفين فعليهِ ان يوازن بين

يجد الحفرة مفتوحة والحاجز بالجبّة الى السكوت فليته يفتقد نفسهُ بدموع وحسرات اذا خزي وتذلّل ولا يثق ايضًا بنفسهِ *

٤ : اذا فحص الانسان ضميرهُ فحصًا بليغًا وتحقّق ضعفهُ الشديد ونظر في انخداعهِ يحقّ لهُ اذ ذاك ان ينوح مع داود النبي قائلاً : « هيأوا لرجليّ فخًّا فكادت نفسي تقع » (مز ٥٦ : ٧) *

انّ الانسان يقع اوّلاً في فخّ استماع الاقوال الغير الحميدة ثم يميل الى قبولها فيفوه بما كان يخشى استماعهُ وفي الحقيقة انّ النفس تكون قد وقعت وقوعًا عظيمًا اذ تترك الله وكلامهُ وتلتفت الى الاقوال الباطلة ابتغاء تسليةٍ دنيئة *

وقد يكون الانسان مرتبط الرجلين واقفًا يتكلّم مدّة من الزمان ثم يأنس بالسماع او بالقول فيجنح الى الجلوس لتكون المحادثة اعذب واطول *

مخاطر التكلّم والسكوت بدون فطنة ونجنح الى الطرف الاوّل خطرًا ولذا اننا لم نوصِ بالسكوت فقط كانهُ واجبٌ دائمًا ولم نذم المحادثات كانها باطلة كلّ حين لانّ الفطنة في كلّ شيء هي اجمل الفضائل اذ انها تجتنب الفخاخ يمينًا وشمالاً وترينا الطريق الاكمل *

٢ : غير انّ السكوت ضروري للرهبان خاصّةً لانّ الله قد افرزهم من وسط العالم وابعدهم عن كافّة هموم الدنيا فصاروا من ثم ملتزمين بتأدية حساب ادق يوم الدينونة عن جميع افواهم وسوف يُدانون دينونة عُظمى ليس عن افواهم فقط بل عن جميع اهمالاتهم وتعدياتهم ايضًا ايًّا كانت لان من يُعطى كثيرًا يُطلب منهُ كثير ايضًا *

واذا كان الذين قد تقلّدوا رعاية غيرهم لا عذر لهم كافيًا اذا الجأتهم وظيفتهم او حاجة

اخوتهم الى التفوّه من قبل الضعف ببعض اقوال باطلة خفيفة فكم بالاحرى يستوجب الملامة من لا عناية لهُ الاّ بنفسهِ وعلى وجه العموم انّنا جميعاً نحتاج الى حفظ السكوت اكثر ممّا الى التكلّم لانّ الذين لا يريدون اطلاق لسانهم الا كرهاً قليلون جدًّا بيد اننّا نحتاج بالعكس الى غصب ذواتنا كثيرًا لنتكلّم نادرًا او قليلاً لانّ الهذر ملائم للطبيعة امّا السكوت فمخالف للجسد الذي يحب ان يغتذي باخبار الخارج وحوادث الدهر *

ومع ذلك قد يمكن ان يستثقل الانسان التكلّم وعلى الخصوص لمّا يزوره روح التخشّع في الباطن ويدرسهُ الحبّ أو الخوف لكيلا يفقد باهمالهِ نعمةً جليلة بهذا النوع *

٤ : انّ كثرة التماس التسليات الخارجية قد تكون علامةً على قلّة تسلياتنا الباطنة وكثيرًا ما

نُحرم قبول التسلية الالهيّة لقبولنا بمسرّة تسلية بشريّة خسيسة كان يجب علينا بالاحرى ان نمقتها ونبغضها *

من لا يستطيع كلّ حين ان يرفض التسلية البشريّة رفضاً تامّاً فليجتهد على القليل بان يرتفع رويداً رويداً الى طبقات عُليا وفُضلى *

ويجدر بالراهب ان يمتنع عن التكلّم ما امكنهُ في بعض ازمنة من السنة كزمان مجيء الرب والصوم وغيرها ويجب عليهِ علاوةً على ذلك ان يبالغ في حفظ قلبهِ ولسانهِ في اعياد القدّيسين الكبرى ولياليها حتى اذا ما استعدّ لها بالاحترام الواجب على قدر وسعهِ يستحقّ ان يتناول في ذلك اليوم المبارك جسد ودم ربّنا يسوع المسيح برغبة شديدة وفرح حقيقي *

الفصل الخامس عشر

في التناول وتسلياتهِ الوافرة

يليق بنا يوم نتناول خاصةً ان نكثر من التيقظ على انفسنا ونقضي مع يسوع يوم حبور من ايام وساعات تمرّ علينا ونحن مشغولون عن معانقاتهِ . افليس اذن شيئاً بسيطاً ان نكون بجملتنا ليسوع يوم يرتضي هو ان ياتي الينا بجملتهِ غير منقسم *

ايُّ انسان اذا جاء اليهِ اعزّ اصدقائهِ يتركهُ وحدهُ في البيت بعد ان وجّه اليهِ بعض الكلام ويسرع في الذهاب الى حيث يشاء . اليس بالاحرى انهُ يرافقهُ الى بيتهِ اذا كان في الخارج ويخدمهُ مسروراً . وبينما يشتغل غيرهُ بذا وذاك ويذهب الى اشغالهِ الخارجية يتفرّغ هو لصديقهِ وحدهُ وكلما تحقق غياب الجميع وامتناعهم عن استماعهِ

ودعايتهِ زاد في ملاطفتهِ بالكلام وتقرّب منهُ واظهر لهُ كافّة علامات المحبّة المباحة الطاهرة *

فعلى هذا الوجه يجب على جميع الذين يخدمون يسوع المسيح ان يحتفلوا بعيد مجيئهِ بل يجب على كلٍّ منّا أن يقبلهُ بشوق شديد وعبادة واحترام يناسبان اعتلاءهُ على جميع الاصدقاء وكافّة الخلائق اجل ينبغي لنا ان نقبل هذا الصديق الجزيل العذوبة بنوع يفوق قبولنا جميع احبّائنا وباحسن الاكرامات واعظمها *

٢ : انّ منزلتهُ وجلالتهُ لعظيمتان بحيث انهُ لا تستطيع خليقة من الخلائق مهما برعت في الحسن والجمال ان تماثلهُ وتقابلهُ ومن جهة أُخرى انّ تواضعهُ وجودتهُ هما بليغان بحيث انّهُ لا يستنكف من المجيء الى الانسان البائس العليل والدخول تحت سقف بيتهِ. ومع انهُ يسكن في السماء. ويُبهج

بحضورهِ الالهي البلاط السماوي باسرهِ فيريد ايضاً ان يكون مع بني البشر البائسين ويسألهم الضيافة ويدخل اليهم كلَّ مرّة احبّوا ذلك وفتحوا لهُ وعليهِ نسمعهُ يقول: « هاءنذا قائم على الباب وادقّ فمن يفتح لي ادخل عندهُ واصنع معهُ العشاء وهو يصنعهُ معي » *

فهذا العشاء يُصنع كلّ مرّةٍ يقبل الانسان يسوع المسيح في قلبهِ قبولاً روحيًّا او يتناولهُ بعبادةٍ في سرّ القربان الاقدس *

٢ : فكيف يستطيع الانسان ان يذهب في طلب التسليات الخارجيّة بعد ان قبل يسوع في قلبهِ الم يقبل ينبوع جميع التسليات الم يملك فردوس كافّة التنعّمات. من يشرب من هذا النبع لا يعطش الى الابد ومن يذوق تماماً بقلبهِ العذوبة المحتوية في يسوع المسيح لا يرغب ابدًا في الملذّات الزمنيّة او

الجسديّة وهذا معنى كلامنا انهُ لا يعطش الى الابد *

طوبى للنفس التي تحفظ كلّ حين بينها مُعدًّا لهذا الختن ولهذا الصديق الجزيل العذوبة المقبل اليها وتجتهد ان توهّبهُ بان تزداد كلّ يوم طُهرًا وقداسةً فحقًّا انهُ يدخل اليهِ اذ ذاك بطيبةٍ ويأتي اليها ليسحت ظلماتها ويطهّرها لاجلهِ قبل ان نبتدئ هي بتطهير ذاتها *

هلمّ ايها الرب يسوع وطهّرني . انضحني واغسلني لكي استحق ان اتناولك بقلبٍ طاهر وجسدٍ عفيف اذ انهُ لا خير لي ان اكون بدونك *

٤ : اذا كان كثيرون يجنون اثمارًا قليلة من مائدة الرب يسوع فذلك لانّهم لا يتيقّظون على انفسهم تيقظًا كافيًا قبل التناول وبعدهُ فانّهم لا يسبقون ويفتكرون باحترام وافٍ في المزمع ان ياتي ولا يذكرون بعد مجيئهِ انّ اليوم قد اتي الى

قلبهم قدّوس القدّيسين امّا الذين بذلوا جهدهم في تاهيب بيتهم الباطن وبادروا الى الذهاب فرحين للقاء المسيح فهولاء قد عرفوا ما التناول من القوّة والعذوبة. فكلُّ انسانٍ تُعرف عبادتهُ ومحبتهُ ليسوع من كيفيّة استعدادهِ لقبولهِ *

اذ انّ النفس العابدة التي تحتقر جميع الاشياء الحاضرة وتحبّ الانفراد عن الناس والسكوت لتتامّل مليّاً في الله وفي ذاتها تجد اعظم التسليات في كثرة قبولها يسوع المسيح معزّي كافّة الانفس لأجل تسليتها وتقدّمها. وليس لهذهِ النفس في الاشياء الخارجيّة داعٍ للفرح ولا ترجو عمرًا طويلاً ولا تألف هموم صداقات الجسد الباطلة وتيهِ التنزّه والسفر وحيرة الغنى الزمني والاعتناء الزائد بامور الاهل والمكابرة في اليُسر وكآبة الروح في العُسر لكنّها تملك في باطنها يسوع المسيح الذي من اجلهِ

تنظر جميع تسليات الارض جروحًا وتقول مع القدّيسة اغاثة *

« انّ نفسي مبنيّة ومشيّدة على المسيح لذلك لا اهتمّ بما كان واطئًا للغاية فليعاهدني يسوع فقط وليقل لي وحدهُ كلام حبٍّ فاتسلى تسلية عذبة وافية لانّ كلامهُ يفوق عذوبة جميع اقوال المسلّين طرًّا *

الفصل السادس عشر

في تجارب الشيطان

انّ الشيطان يحزن من كلّ خيرٍ فلما يشاهد اتّحاد النفس الباطن لا يدعها تلبث في قصدها الصالح بدون ان يزعجها بالتجربة . فينبغي لنا ان نكون متيقّظين كلّ التيقّظ ومنتبهين لشرّهِ فانهُ كثيرًا ما يحزّن من يلقاهُ سالكًا سلوكًا حسنًا ويُلقي

في روحهِ كآبة ثقيلة او ضجرًا شاقًا ويُعيد الى ذاكرتهِ كلّ ما من شانهِ ان يحزنهُ ويبذل كلّ جهدهِ بان يخرج محبّ السلام والسكوت من مظلّتهِ . واجلّ الرذائل التي يغور بها على المتوحد ولاسيما المبتدئ اذا كان خلقهُ حزينًا او جبانًا هما الحزن والاهمال اللذان يولّدان دائمًا على سبيل التقريب الضجر والملل فيرفع بهذا النوع من الانسان قواهُ *

غير انّ الذي يثق بالله ثقةً وطيدة ولا يفضّل شيئًا على محبّتهِ بل يرغب بان يطأ برجليهِ العالم وجميع خيراتهِ ويتأهّب بارادةٍ ثابتة لاحتمال جميع الاحزان والشدائد والاثقال ولا يطلب من احدى الخلائق ايّةَ كانت تسلية غير يسوع المسيح المسلّي الوحيد لجميع الصالحين فهذا يغلب بلا ريب ولا يُزيح عنهُ الحزن والضجر فقط بل تجارب جميع الرذائل ايضًا *

انّ النفس اذا وقعت في فخ الحزن والضجر تقبل التسلية التي يقدّمها لها العدو وتداوي حزنها والمها بالنزهات الخارجيّة المضرّة بها فيشير اذن علينا القدّيس انطونيوس قائلاً: «انّ الفرح الروحي هو الواسطة الوحيدة لقهر العدو» *

٢ً: من كان ممتلئًا قوّة وبشاشة في الرب يقدر ان يطرح عدوّهُ على الارض كيفما كانت تجربتهُ وماذا اقول عن شجاعة تلك النفس التي تابى ان يمتثل الروح النجس حتى امام بابها غير انّ الذي يضنكهُ الحزن والضجر فلا يستطيع استعمال قواه وان كان حاملاً اسلحة للمدافعة لانّ الشجاعة تنقصهُ وكثيرًا ما يطرحهُ الفزع والخوف على الارض قبل ان يباشر بالقتال *

فيا جندي يسوع المسيح تدرّع بشجاعة رجُليّة ولا تجبُن لحركةٍ ورقةٍ تقع بل اجمع قواك وكن

ثابتاً تجاه مساعي الشيطان الكثيرة ولا تصدّق اكاذيبهُ انّ الرب القدير يكون هو نفسهُ حماك وجزاك العظيم ولهُ كل سلطان على اهوائك نظير سلطانهِ على جميع الشعوب *

ولأني قد اطلتُ الكلام ينبغي لي الان ان اجدف قاربي نحو مرسى السكوت . فهوذا النهاية . فليسكت اذن لسان الكاتب وقلمهُ جميعاً وليعطِ ترجمانهما الذليل حمدًا ومجدًا لمن لا نهاية لهُ *

فهرست المجلّد الخامس

كتاب العظات التسع

كتاب رفيق الشبّان

كتاب امعان النظر في ضعف البشر

كتاب مصحف الرهبان

ست رسائل تقيّة مسلّية

ŒUVRES CHOISIES

DU VÉNÉRABLE

THOMAS A KEMPIS

TROISIÈME VOLUME

MOSSOUL

IMPRIMERIE DES PÈRES DOMINICAINS

1900